مدينة قفط

منذ الفتح العربى الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

د. صلاح سليم طايع أحمد



تليفاكس ٠٣/٥٢٧٤٤٣٨ الإسكندرية

مدينة قفط

منذ الفتح العربى الإسلامي
حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

مدينة قفط

منذ الفتح العربى الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

دراسة سياسية وحضارية

دكتـور

صلاح سليم طايع احمد

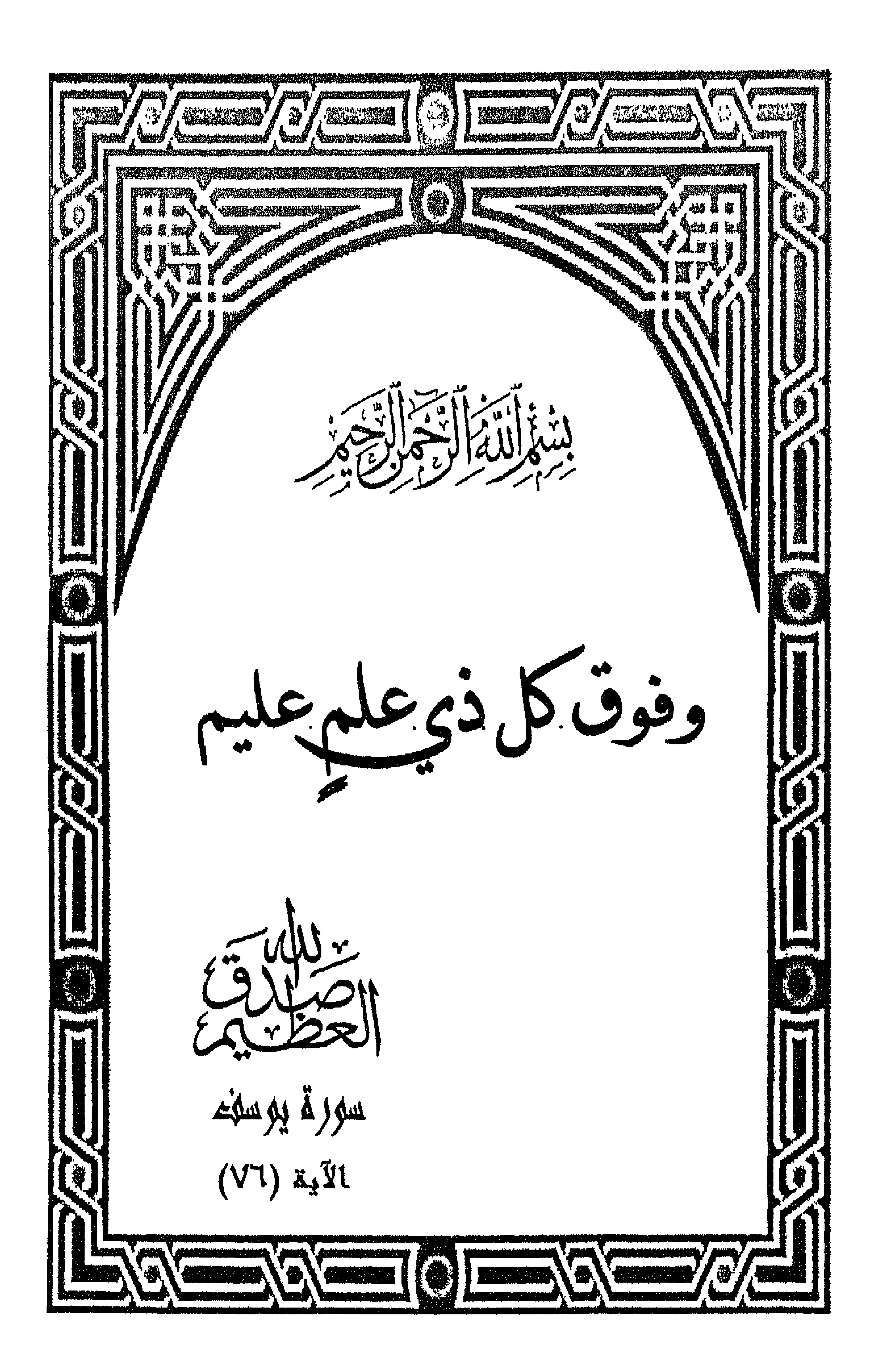
الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م

النـاشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم
وفوق كل ذي علمٍ عليم
صدق الله العظيم
سورة يوسف
الآية (٧٦)

إهـــداء

إلى والدي .....

إلى والدتي .....

إلى أخي الأكبر ....

إلى زوجتي وأولادي ....

تصـدير

بقلم أ.د. صابر أبا زيد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

وكيل كلية الآداب بقنا

الكـتاب الذى بين أيدينا اليوم يمثل أهمية خاصة فى حقل الدراسات السياسية والحضارية خلال فترة تاريخية من أخص فترات التحول السياسى والحـضارى فى العالم الإسلامى، وذلك منذ الفتح الإسلامى لمصر على يد الـصحابى الجليل عمرو بن العاص وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى من خلال دراسة مدينة من أقدم مدن مصر التى تمتد حضارتها إلى آلاف السنين وهـى مدينة قفط التى تقع فى صعيد مصر على مقربة من الشاطئ الشرقى لنهر النيل الخالد.

وقـد أحسن الزميل السيد الدكتور/ صلاح سليم طايع مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة بكلية الآداب بقنا – الإختيار لدراسة هذا الموضوع الهام وإلقاء الضوء على مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجـرى فـى دراسة سياسية حضارية، ولم يترك لنا شاردة ولا واردة إلا وتطرق إليها رغم صعوبة الموضوع وندرة المصادر والمراجع التى تتحدث بـشكل مباشـر عـن هـذه المدينة العريقة، ولأن معظم مؤرخى العصور الإسـلامية ركزوا جُل اهتمامهم على الأحداث التى تدور فى العاصمة، ولم يتعرضـوا للأحداث التى دارت فى المدن التابعة للديار المصرية إلا عندما تمس تلك الأحداث نفوذ السلطة المركزية فى العاصمة!!

ولقـد أوضح الباحث د. صلاح سليم أهمية موقع مدينة قفط تجارياً وعلمياً وسياسياً وحضارياً ولقد أدى الفتح الإسلامى لقفط إلى ازدهار العلوم

العربية، فقد ظل جامع قفط يؤدى دوره كمدرسة ومركز من مراكز الإشعاع الحضارى فى ربوع الصعيد.

ولـــم يغفــل د. صلاح سليم دراسة الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط فتـــناول بالشرح والتحليل النواحى الزراعية ونظام الرى وأشهر المحاصيل والصناعات الغذائية وغير ذلك من النواحى الاقتصادية والتجارية، وكذا أهم الأسواق والطرق التجارية سواء النهرية أو البرية وغيرهما.

كمـــا تناول فى فصل مستقل الحياة الاجتماعية فى مدينة قفط فتحدث عـــن عناصـــر السكان فى دراسة أثنولوجية / سوسيولوجية / أنثروبولوجية غاية فى الدقة.

وحـــتم د. صلاح سليم كتابه القيم بدراسة النهضة الثقافية فى المدينة خلال تلك الفترة التاريخية شارحاً لنا عوامل النهضة الثقافية ومراكز الثقافة (المـــساجد – الكـــنائس – الأديرة – المدارس) ثم عرج لتوضيح أهم العلوم النقلـــية وكـــذا العقلية مثل: القراءات السبع – التفسير – علم الحديث – علم الفقه – علم الأدب واللغة والشعر – التاريخ – الفلسفة وعلم الكلام والتصوف الإســـلامى وظهور آراء لكبار الصوفية بالمدينة فكونوا حلقة من أهم حلقات العلم والروح والعمل فى مدينة مازالت تؤدى دورها إلى اليوم.

والله نـــسأل الـــسداد والتوفـــيق لـــزميلنا الـــنابه صاحب هذا السفر الحضارى الهام لخدمة مصرنا الحبيبة .

والحمد لله أولاً وأخيراً ،،،

تحريراً فى : ٢٠٠٦/٧/٢٣

أ.د. صابر أبا زيد

المقدمة

المقدمـــة

ترجع أهمية الموضوع أنه يلقى الضوء على مدينة قفط وما لها من تـــاريخ حافل فى مختلف العصور هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن ما كتــب عــن هذه المدينة فى حقل الدراسات التاريخية يعتبر شذرات مبعثرة وقليلة للغاية ومن هنا أثرت على اختيار هذا الموضوع دون سواه .

تعتــبر مديـــنة قفط من المدن المصرية التى حفظ لنا التاريخ دورها كحاضـــرة هامة من حواضر الصعيد ، ظلت تؤدى دورها الريادى والقيادى فى العصرين الفرعونى والبطلمى وأمتد دورها إبان العصر الإسلامى ، فقد ساعد موقعها فى منتصف ثنيه قنا على أن تكون أقرب إلى البحر الأحمر من النيل فلا تتجاوز المسافة من قفط إلى البحر الأحمر أكثر من ٨٠ كيلو متر ، الأمر الذى أكسبها شهرة وذيوعاً حتى صارت محط القوافل التجارية الوافدة والمقيمة خلال عصور التاريخ .

ولعل موقعها ومناخها ونشاط أهلها أكسبها أن تعمر فترات طويلة من فـــترات الـــتاريخ ، وازدهرت فى العصر الإسلامى ويحفظ التاريخ دورها كفســـطاط أمامى لإقليم الصعيد ، ساعدت العرب فى استكمال فتح هذا الإقليم وبصفة خاصة مملكة النوبة المسيحية .

هـــذا بالإضـــافة إلى الهجرات العربية التى عرفت طريقها إلى هذه المدينة منذ فترات باكرة ، حتى أن الجغرافى الشهير استرابون عند ذكره لفظ (قبطوس) يصفها بأنها مدينة نصف عربية ، ومن هنا فإن عروبة قفط أقدم من الفتح العربى ، و لا نبالغ إذا اعتبرنا أن هذه المدينة استطاعت أن تنشر العربية خلال سكانها فى إقليم الصعيد .

ساعد موقع قفط على أن تحتل مكانتها التجارية المرموقة بفضل طريقها إلى البحر لقطع الأحجار واستخلاص الزمرد والوصول إلى مناجم الذهب بوادى العلاقى هذا فضلاً عن ارتياد الحجاج لهذا الطريق فى العصر الإسلامى .

أدى الفتح الإسلامى لقفط إلى ازدهار علوم العربية ، فقد ظل جامع قفط يؤدى دوره كمدرسة ومركز من مراكز الإشعاع الحضارى فى ربوع الصعيد ، كما شهدت هذه المدرسة حركة علمية نشطه بفضل طلاب الرحلة، وعلماء الصعيد الذين وفدوا من مساجدها لنشر العلم والمعرفة .

وقد آثرت أن أبحث فى موضوع " مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى " وذلك لموقع عملى بالنسبة لهذه المدينة ، كما أننى من أبناء هذا الإقليم ، فآثرت أن أخدم أبناء إقليمى بإزاحة النقاب عن تاريخ هذه المدينة فى العصور الإسلامية ، وقد واجهتنى عدة صعاب فى دراستى هذه ، منها بعد المسافة بين موقع عملى فى مدينة قنا ، وموقع المكتبات الرئيسية فى القاهرة ، وقد تكبدت كثيراً من المشاق للإطلاع على المصادر الرئيسية فى مكتبات جامعة القاهرة ودار الكتب المصرية ، والمكتبات الرئيسية الأخرى بالقاهرة ،هذا بالإضافة إلى استعانتى بمكتبات فرعية فى المدن التالية قنا وسوهاج والمنيا وأسيوط .

ومن الصعاب التى واجهتنى فى دراستى لهذا الموضوع قلة المصادر التى تتحدث مباشرة عن هذه المدينة ، لأن معظم مؤرخى العصور الإسلامية ركزوا كل اهتماماتهم على الأحداث التى تدور فى العاصمة ، ولم يتعرضوا للأحدث التى دارت فى المدن التابعة للديار المصرية إلا عندما تمس تلك الأحداث نفوذ السلطة المركزية فى العاصمة ، مما جعل الأمر يتطلب منى قراءة كثيرة فى المصادر ولم أجد شيئاً بها إلا إشارات قليلة تخدم بحثى ،

ورغم الأعباء الطائلة إلا أننى تمكنت قدر استطاعتى من الوصول إلى إتمام هذا البحث .

هــذا وستتناول دراستى هذه "مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى" وقد قمت فى بحثى بدراسة تاريخية وحضارية لمدينة قفط وقسمته إلى فصول أبواب وخاتمة بدأتها بتمهيد .

أما فى التمهيد فتحدثت فيه عن أهمية موقع قفط ودورها فى العصور القديمة كحاضرة هامة من حواضر مصر ، هذا فضلاً عن الهجرات العربية التى عرفت طريقها إلى قفط قبيل الفتح الإسلامى.

لــذا تحدثت فى الفصل الأول عن الحياة السياسية فى مدينة قفط منذ الفــتح الإســلامى حــتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، فرصدت فيه الفتح الإسلامى لإقليم الصعيد ، وكيف أن قفط كانت بمثابة الفسطاط الأمامى الذى ســاعد علــى فــتح هذا الإقليم دون إراقة دماء ولم يفتن أن أميط اللثام عن الالتحام بين العرب والبجة الذين كانوا يهددون هذه المدينة فى عصر الولاة ، فالعصر الطولونى والإخشيدى ، ثم العصر الفاطمى الأول متتبع أحداث كل عصر على حده ، ومن ذلك أبرزت دور أهالى مدينة قفط حول هذه الأحداث والنتائج التى ترتبت على ذلك .

وفــى الفصل الثانى تحدثت عن الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى فتناولت بالشرح الأحوال الزراعــية مبيــناً نظــم الــرى ولزراعة لمدينة قفط فى الفترة التى عالجها موضــوع البحــث ، وتعرضت بالإشارة إلى أشهر المحاصيل الزراعية فى المدينة كذلك أشرت إلى الحرف والصناعات الغذائية والمعدنية ، كذلك بعض الحرف اليدوية البسيطة التى انتشرت فى المدينة ، وقد اعتمدت فى كتابة هذا الجزء على كثير من شواهد القبور التى أسفرت عنها جبانة أسوان ، إذ نقش على شواهد القبور اسم المتوفى وصنعته ، وتاريخ وفاته ، مما أفادنى كثيراً

فى هذه الناحية ، ثم تناولت الناحية التجارية فى هذه المدينة وأهم الأسواق ، والطـــرق التجارية سواء النهرية والبرية فيها ، وقد تناولت فى هذه الدراسة أهـــم المعـــاملات الـــتجارية والمالـــية من صكوك وموازين ومكاييل ونقود مستخدمة فى التعامل التجارى .

أما فى الفصل الثالث فقد تناولت الحياة الاجتماعية فى مدينة قفط منذ الفـــتح الإســـلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى وتحدثت عن عناصر الســـكان من عرب هاجروا إليها من شبة الجزيرة العربية واستقروا بها ومن أقـــباط ســـكان الـــبلاد الأصليين . وتناول ذلك دراسة لهجرة القبائل العربية ومراكز استقرارها بمدينة قفط .

كذلـــك تحدثت فى هذا الفصل عن الحياة العامة فى المدينة فتعرضت لدراســـة الأخلاق والعادات لأهالى المدينة ، وأهم الأعياد والمواسم التى أقبل عليها أهالى قفط ، وهذا إلى جانب دور المرأة فى مدينة قفط .

أمـــا الفصل الرابع والأخير فجعلته بعنوان النهضة العلمية فى مدينة قفـــط مـــنذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، فتناولت فيه النهضـــة العلمية فى هذه المدينة ،وانتشار المذاهب الأربعة بها كذلك انتشار علـــم القـــراءات على يد ورش القفطى، وحركة التصوف على يد ذى النون الأخميمى فيها ، ثم أهم علماء وشعراء مدينة قفط

وأرجو من الله أن أكون قد وفقت فى كتابة هذا البحث

وإخراجه على هذا النحو .

دراسـة تحليليـة

عن أهم المصادر والمراجع

دراسة تحليلية عن أهم المصادر والمراجع

لعبت مدينة قفط دوراً فى تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والثقافى خــلال العصر الإسلامى لما تمتعت به من مزايا جعلتها عاصمة الصعيد فى ذلك العصر .

ولا يخفــى علــى باحــث التاريخ أن علاج أى موضوع سياسى أو حضـــارى لمدينة مثل مدينة قفط يختلف عنه لمدينة أخرى مثل : الفسطاط ، أو القاهرة عاصمة الديار المصرية فى العصور الإسلامية.

ففى العاصمة تتركز الجيوش والسلطة المركزية ومن السهل على أى مــؤرخ قطن بالقرب من الأحداث أن يدون ما شاهده أو سمع عنه ، ثم يأتى بعــده مــن يــنقل عنه النص أو مضمونة كما هو الحال فى معظم المراجع التاريخية التى تركها لنا مؤرخو مصر الإسلامية.

أما بالنسبة لمدينة قفط ، هإن مهمتى كانت صعبة ، فمدينة قفط تبعد عــن السلطة المركزية فى مصر حوالى ستمائة كيلو متراً . لذ تطلب الأمر الإطــلاع على كثير من المصادر والمراجع بكافه اجزائها أبحث فى بطونها عن أى معلومة أو إشارة تمس موضوع البحث من قريب أو بعيد .

وعلى الرغم من أن معظم المصادر التى وقعت تحت يدى لم تتحدث بصورة مباشرة عن مدينة قفط ، إلا أننى استفدت من تلك المصادر فى القاء الضــوء على مكانة قفط ومشاركتها فى أحداث مصر فى العصر الإسلامى وبخاصة ما تعلق منها بمصر العليا.

لذلــك سوف يقتصر الحديث على أهم المصادر التى تتصل اتصالاً مباشــراً بموضــوع البحــث والتى برزت أهميتها من خلال معالجتى لهذه الرسالة.

أولاً : المخطوطات :-

اعـتمد البحـث علــى عدة مخطوطات منها ميكروفيلم بدار الكتب المصــرية ، أو بمعهــد أحـياء المخطوطات العربية كما اعتمد البحث فى الاطــلاع على بعض المخطوطات بمكتبه رفاعة رافع الطهطاوى ومن أهم المخطوطــات الــتى تم الاطلاع عليها فى هذه المكتبات والتى أفادت البحث نذكر منها على سبيل المثال مخطوط "عيون المعارف وفنون أخبار الحلايف" لــبدر الديــن محمــود العينى (المتوفى فى سنه ٨٥٥ هــ / ٤٥١ م)، وهو مخطــوط بــدار الكتب المصرية برقم ١٧٧٩ تاريخ ، وهو يتناول الأحداث بإيجاز وتلخيص حتى سنه (٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م) ونعتقد أنه مخطوط مختصر لكتاب أخر لم يصل إلينا لأنه موجز للغاية .

كذلــك مــن المخطوطــات الهامة التى تعرضت لبعض أحداث تتصــل بموضــوعى مخطوطة "مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان" وهو مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ح أجزاءه ٨ ،٩، ١٠ لسبط بن الجوزى توفى ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م .

وكذلك مخطوطة أخرى باسم " الوحيد فى سلوك أهل التوحيد " لعبد الغفار بن نوح الأقصرى ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨ م ، مخطوط من جزئين بالهيئة العامة للكتاب بشارع كورنيش النيل - دار الكتب المصرية رقم ٢٢٥ ، ٢٢٦ تصوف تناول ابن نوح فى مؤلفه كثيراً من النواحى الاجتماعية لمدينة قفط . فروى عن طبقاتها المختلفة من التجار والعلماء والصوفية ، ووصف أسواق مدينة قفط .

ثانياً : كتب الرحلات :-

ومــن أهم هذه الكتب كتاب البلدان لليعقوبى المتوفى بعد عام ٢٨٤ هــــ/٨٩٧م نكر فيه أهم مناطق ومواضع المعادن فى مدينة قفط والصعيد

الأعلى وكما أشار إلى القبائل العربية التى باشرت العمل فى التنقيب عن هذه المعادن .

وأظهـر دورهـا فى استخراج معادن الذهب والزمرد من مناجمها بالصـحراء الشـرقية ، وأظهـر أهم هذه القبائل التى سيطرت على حقول المعادن هناك .

وكذلك كتاب المقدسى (المتوفى ٣٨٠ هـ /٩٩٠ م) "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم" ليدن ١٩٦٧م فقد وصف لنا الكثير من الكور تتحدث عن الأسواق والصناعات فى مدينة قفط .

وجاءت كتب ابن حوقل المتوفى بعد (سنة ٣٦٦هـ /٩٧٧م) خلال القـرن الـرابع الهجرى وخاصة " كتاب المسالك والممالك" وكتاب " صورة الأرض " فأعطـيا صورة واضحة فى معركة تنقل القبائل العربية من مدينة قفـط إلى بلاد البجة والنوبة وعلاقة كل منهما بقبائل العرب بالصعيد الأعلى وكانـت أهمية كل من اليعقوبى والمقدسى وابن حوقل أنهم كانوا معاصرين للأحداث التى وصفها كل منهما .

وكان لكتاب ناصر خسرو الذى قام برحلته (٤٣٧هـ /١٠٤٥ - ٤٤ هـ /١٠٥٢م) "سفرنامة " فائدة كبيرة فى معرفة أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعـية والطرق وأحوال المعيشة وأهم المنتجات وصناعات مدينة قفط والصعيد الأعلى .

وفـى كـتاب للمسـعودى (المتوفى ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) "مروج الذهـب ومعادن الجوهر" أشار أيضاً إلى مناطق الذهب والزمرد وإلى شعب البجه والقبائل العربية التى سكنت الصحراء الشرقية .

كمـا أمدنـا من ابن خرداذبه (المتوفى ٣٠٠ هـ/٩١٢ م) فى كـتابه " المسالك والممالك " والأصطخرى (توفى أواخر القرن الرابع

الهجـــرى / العاشر الميلادى) ، وابن الفقيه الهمدانى (المتوفى أواخر القـــرن الثالـــث الهجرى / التاسع الميلادى) فى كتابة مختصر كتاب البلدان بمعلومات قيمة عن أحوال مدينة قفط وأهم قراها وطرقها .

وأمدنا كتاب " فتوح البلدان " للبلاذرى (المتوفى ٢٧٠ هـــ /٨٩٢ م) أهمـــية كبيرة فى ذكر أحداث الفتح لمدينة قفط وعلاقة المسلمين بالمصريين وشروط الصلح بين المسلمين والمصريين ، كما عرض للنواحى الحضارية والـــنظم الاجتماعـــية والدواويـــن والخـــراج والسكة وغيرهما من المسائل الاقتصادية .

وكان لكتاب سيرة أحمد بن طولون للبلوى المتوفى فى أواخر القرن الـــرابع الهجرى قد أمدنا بمادة علمية غزيرة أفادت نوع الدراسة فى مرحلة الحديث عن مصر الطولونية ويعتبر هذا الكتاب سجلاً وافياً للعصر الطولونى فاظهـــرت الـــتطورات السياســـية ، والاقتصادية والاجتماعية وأظهر مدى احتكاك قبائل العرب بمدينة قفط .

وكـــان لكـــتاب ياقوت الحموى (ت٦٢٦ هـــ /١٢٢٩ م) " معجم البلدان " أهمية كبرى فى التعريف بمواقع البلاد وما تمتاز به ، بالإضافة إلى معلوماته التاريخية والاقتصادية الهامة عن البلاد المصرية .

ثالثاً : المصادر التاريخية المطبوعة :ـ

ويأتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية والتى نشر نصوصها وعلق عليها الدكتور أدولف جروهمان وهى فى سنة إجذاء القاهرة ١٩٣٤ -١٩٧٤ م وقد أمدتنا بتفاصيل على قدر كبير من الأهمية فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر عامة، ومدينة قفط خاصة، وأوراق البردى العربية، فقد أعطتنا صورة واضحة عن تعامل العرب مع الأقباط، وأيضاً عن تعامل العرب مع بعضهم البعض، فى

البيع والشراء للعقارات، وأظهرت المعاملات التجارية وعقود الزواج، وكيفية إبرامها وعقود الإيجارات بين أهل الذمة والعرب ، والمعاملات التجارية بين الفريقيـــن ، وطريقة حفظ الأموال بالكتابة عليها. وكان يوقع عليها الشهود. وقـــد أعطت هذه البرديات صورة عظيمة عن النشاط الاقتصادى في مدينة قفط وبلدان الصعيد الأعلى.

ومـــن المصـــادر الـــتى اعـــتمدت عليها الدراسة "كتب فتوح مصر وأخبارها" لأبن عبد الحكم المتوفى (٢٥٧ هــ/٨٦٢م). تحدث المؤرخ عن موضـــوعات مختلفة فى تاريخ مصر وعن الفتح الاسلامى، وما ارتبط بهذا الفـــتح مـــن الأخبار، فقد جمع الأحاديث التى تتعلق بمصر وأخبارها، وأهتم بســـير بعض المحدثين الذين نشئوا في مصر أو مكثوا فيها فترة من الزمن، وبالصحاية الذين نزلوا مصر، كما القى الضوء على نشاط القبائل العربية فى مدينة قفط منذ الفتح حتى مطلع القرن الثالث الهجرى.

وكـــان "كتاب القضاة والولاة" للكندى (المتوفى ٣٥٠ هــ /٩٦١ م) مـــن المصادر الهامة التى أمدتنا بالمعلومات الوافرة ، وهو أول من أفاد من ابن عبد الحكم وكان لتتبعه للولاة والقضاة ، أكبر الفائدة ، فى معرفة أحوال الـــبلاد ، وهو يتتبع الولاة حتى وفاة الإخشيد سنه ٣٣٤ هــ /٩٤٥ م ، وقد أمدنـــا بمعلومـــات صافية عن الهجرات العربية إلى مصر وبداية استقرارها واستيطانها في مدينة قفط وبين الثورات والفتن المختلفة التى قام بها الأقباط والعلويـــون والأمويون وموقف الولاة والحكومة الإسلامية من هذه الثورات، كما أمدنا كذلك بآراء القضاة ومواقفهم فيما كان يدور من معاملات .

ومـــن المصـــادر الهامة التى اعتمدت عليها، كتاب "تاريخ بطاركة الكنيســـة المصـــرية" المعروف بسير البيعة المقدسة نشره يسى عبد المسيح وعزيـــز ســـوريال عطية ، القاهرة ، جمعية الأثار القبطية ١٩٥٩-١٩٧٤ لســـاويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين توفى أواخر القرن الرابع الهجرى /

أواخر القرن العاشر الميلادى، والمطبوع فى باريس ، ١٩٠٧ م وما بعدها ، ج١ ، ٢ وذلــك فى تتبع أحوال مصر قبل الفتح الإسلامى وبعده ، ومعرفة أحــوال المصريين فى مدينة قفط حينذاك ، وكذلك أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعــية ، وتعاون المصريين مع المسلمين الفاتحين بالمدينة ثم ثورات الأقباط ، وخاصة فى زمن الخليفة المأمون ، وقد أسهب فى ذكر هذه الثورة وهى أخر ثورات الأقباط - ودهاء المأمون فى القضاء على هذه الثورة سنه ٢١٧ هـــ/ ٨٣٢ م ، وكذلك أمدنا بمعلومات قيمة عن انتشار اللغة العربية والإسلام ، كما أمدنا بصورة عن موقف الولاة والحكومة الإسلامية ، خاصة فيما يتعلق بهجرة الفلاحين وتركهم لقراهم .

ومــن المصادر الهامة أيضا "تاريخ الكنائس والأديرة" لأبى المكارم عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى الجزء الأول إعداد وتعلــيق الراهــب صــمويل السريانى (القاهرة١٩٨٤م) اعتمادا على نسخة باريس. نشر الراهب صمويل هذا الكتاب اعتمادا على صورة المخطوطة ، والجــزء الــثانى تحقيق B.TA. -Evets لندن ١٨٩٥م، عندما نشر الجزء الــثانى اعتمادا على نسخة خطية مؤرخة فى ١١٩١م. كانت فى ملك أو فى حــوزة أحد أقباط طنطا ، أطلع عليها على مبارك بنفسه واستفاد منها كثيرا فى الجزء السادس من خططه وهو يتكلم عن كنائس القاهرة .

وثبــت هذه النسخة أن مؤلف الكتاب هو أبو المكارم سعد الله ، وقد نشــر هــذا الكتاب الراهب صمويل اعتمادا على صورة من هذه المخطوطة التى أخرجت خارج مصر وهذه النشرة التى كتبها ناشرها بخط يد لا تتناسب مــع قيمة هذا السفر العظيم وأهميته الكبيرة ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب القــيم فــى حاجة ماسة إلى إعادة نشره بمنهج علمى والحقيقة إننى استفدت كثــيرا مــن هذا الكتاب فى كل فصول الرسالة فقد أمدنى بمادة علمية وفيرة

وظفـتها فـى مـراحل الفتح العربى لمصر بصفة عامة ومدينة قفط بصفة خاصة.

وكذلـك فى الثورات التى ظهرت فى عصر الولاة ، هذا فضلا عن استفادتى به فى العصر الفاطمى والناحية الاجتماعية والاقتصادية .

كما كان لكتاب ابن مماتى (المتوفى ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) "قوانين الدواويـن" فـائدة كبـيرة فى معرفة أحوال مدينة قفط الزراعية وتنظيماتها وأنـواع الـزراعة والمحاصـيل وطرق المساحة ، وعلاقة التقويم القبطى بالزراعة وأنواع الأراضى المصرية .

وكانت لكتب المقريزى (المتوفى ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) فائدة كبيرة، فهـى حافلـة بالمعلومـات الهامـة والوفـيرة عن أحوال مصر السياسية والاقتصـادية والاجتماعـية وهـو يتتبع فى كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطـط والآثـار" كافة نواحى مصر ومدنها وريفها منذ بداية الفتح وكذلك اسـتقرار العـرب بها ونزولهم إلى إقليم الصعيد الأعلى وعملهم بالزراعة واخـتلاطهم بالمصـريين ، كمـا تتبع الثورات والفتن المختلفة فى المدينة وموقف الولاة من أحداثها .

وكان لكتابه "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" أهمية بالغة فى معرفة القبائل العربية فى مصر ومواطن استقرارها فى كافة أنحاء البلاد، وتطور هذا الاستقرار إلى أن شمل معظم أنحاء الصعيد الأعلى.

كمـا كـان لكتاب أبى المحاسن (المتوفى ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" فائدة كبيرة خاصة فيما يتعلق بتتبع الولاة وحياة مصر فى عهدهم وبداية الفتح الإسلامى ووفود القبائل العربية، والفتـن والثورات التى قامت فى مصر وكيفية القضاء عليها، كما أنه أمدنا بثبت لمقياس النيل طوال الفترة التى نحن بصدد دراستها.

كمـــا اعـــتمد البحـــث على كتب القلقشنـــدى (المتوفـــى ٨٢١ هــ/ ١٤١٨م) "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" وكتاب "نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب" وكتاب "قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان" فقدمت هذه الكتب دليلاً واضحاً لأنساب العرب بالصعيد الأعلى، وأماكن هذه القبائل فى كل مدينة، وذكرت كثيراً من الأحداث التى شاركت فيها القبائل فى مصر والصعيد الأعلى .

كمـــا أفـــدت كثـــيراً من كتب التاريخ العام، وخاصة كتاب الطبرى (المتوفى ٣١٠هــ/٩٢٢ م).

" تاريخ الأمم والملوك " وخاصة فيما يتعلق بأحداث الفتح والمعاهدة الـــتى وقعها المسلمون مع المصريين وباقى أحداث مصر السياسية، وكذلك أفـــدت من كتاب أبن الأثير (المتوفى ٦٣٠هــ / ١٢٣٨ م) "الكامل" وخاصة فيما يتعلق بمعاملة المتوكل لأهل الذمة وسياسته المتشددة فى هذا السبيل.

كمـــا استفدت من كتب السيوطى (المتوفى ٩١١ هــ / ١٥٠٥ م) "حســن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة" وكتاب "بغية الوعاة فى طبقات النحويين واللغاة" فأظهر كثيراً من العلماء العرب فى مدينة قفط الذين برعوا فـــى علوم الدين واللغة والنحو، وأفادنا كتاب "حسن المحاضرة" إفادة عظيمة فى معرفة العلماء العرب من أهل المدينة.

وجـــاء كـــتاب الأدفوى (المتوفى ٧٤٨ هــ / ١٣٤٨ م) " الطالع الســـعيد الجـــامع لأســـماء نجباء الصعيد الذى أفاض بذكر كثير من علماء الصعيد شتى العلوم والعصور ومن بلدان الصعيد المختلفة ، كما ألقى الضوء علـــى أحوال الصعيد الاقتصادية والاجتماعية وأنواع الزراعات والحياة فى هذا الإقليم .

رابعاً : المراجع العربية الحديثة

وجـــاءت المـــراجع العربـــية الـــتى فى أهمها كتاب الدكتورة سيده إســـماعيل الكاشف "مصر فى فجر الإسلام " و"مصر فى عصر الإخشيديين" و"مصـــر فـــى عصر الولاة" وقد كانت من أهم المراجع التى رسمت المعالم الرئيســـية للنشـــاط السياسي والاجتماعي والاقتصادى المبكر لإقليم الصعيد الأعلى ومدينة قفط .

ومـــن أبـــرز المـــراجع كتابا " القبائل العربية فى مصر فى القرون الـــثلاثة الأولى للهجرة " والقرآن الكريم وعلومه فى مصر (٢٠ - ٣٥٨ هـــ) والكتابان تأليف الدكتور عبد الله خورشيد البرى ، وقد كان من أهم المـــراجع التى رسمت المعالم الرئيسية للبناء الاجتماعى والنشاط العلمى فى مدينة قفط وكانا الأساس الذى قادنا إلى الدراسة التفصيلية لهذا البحث .

ومـــن المراجع الحديثة التى اعتمدت عليها كتابا "أسوان فى العصور الوســـطى " للدكتور محمود محمد الحويرى وكتاب "دور القبائل العربية فى صـــعيد مصـــر للدكتور ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الريطى عند بحث الحياة السياسية والاقتصادية ودور القبائل فى الصعيد الأعلى.

كذلـــك مـــن أهم المراجع الحديثة التى اعتمدت عليها كتابا "الحرف والصـــناعات فـــى مصـــر الإســـلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى" الحركة العلمية فى جامع عمرو فى عصر الولاة "للدكتور السيد طه أبوســـديرة وقـــد كـــان كتابه الأول من أهم المراجع التى رسمت لى المعالم الرئيســـية لـــنواحى الاقتصـــادية، وكان الأساس الذى تتبعته فى دراسة هذا الفصل، وكتابه الثانى من أهم المراجع التى رسمت المعالم الرئيسية للنهضة العلمـــية فى مدينة قفط وكان الأساس الذى تتبعته فى دراسة الفصل الخاص بالنهضة الفكرية بالمدينة.

ومــن المراجع الحديثة التى أفدت منها كتاب " الحضارة الإسلامية " فــى القرن الرابع الهجرى للأستاذ : آدم متز وقد حوى هذا الكتاب كثيراً من مظاهــر الحضــارة فى المدن وبه معلومات وفيرة عن النواحى الاقتصادية وأحوال المدن فى الصعيد الأعلى.

ومن المراجع الحديثة التى اعتمدت عليها كتاب "رحلات بوركهارت فــى بــلاد الــنوبة والسودان" الذى ترجمه إلى اللغة العربية فؤاد أندراوس فاســتفدت مــنه عند بحث طرق التجارة المتفرعة من قفط إلى بلاد السودان والصــحراء الشرقية فى العصر الإسلامى بالإضافة إلى ذلك السلع التى ترد من السودان إلى مصر. وعلى أية حال ، فإن هذا الكتاب لاغنى عنه لباحث عند دراسة أى موضوع يخص بلاد السودان.

هــذا فضلاً عن عدد آخر من المراجع العربية الحديثة التى ذكرناها فى قائمة المصادر والمراجع فى نهاية البحث.

خامساً : المراجع الأجنبية التى اعتمدت عليها :-

Heyde : Histoire du Commeree du Levant aumoyen age Z Vols, Leipzig, (1885)

وقــد أمدنا هذا المؤلف بمعلومات وفيرة عن تجارة مصر الخارجية وطرق التجارة والمواصلات.

كذلك كتاب " الطولونيون " للدكتور زكى محمد حسن الذى نشر فى باريس سنة ١٩٣٧م بالفرنسية.

D. Zaky Hassan : Les Tulunides. etudes L,Egypte Musulmane ala Fin du Lxesiecle (Paris, 1937)

أمدنــا بمعلومات عظيمة عن العصر الطولونى ، وعن حياة العرب السياسية والاجتماعية ، فى هذا العصر.

ومن أهم المراجع الإفرنجية التى افادتنى فى هذا البحث :

Jean Cloud Garcin : Un Centre Musulman de La Haute Egypt Medievale, Qus (Lecaire,1976

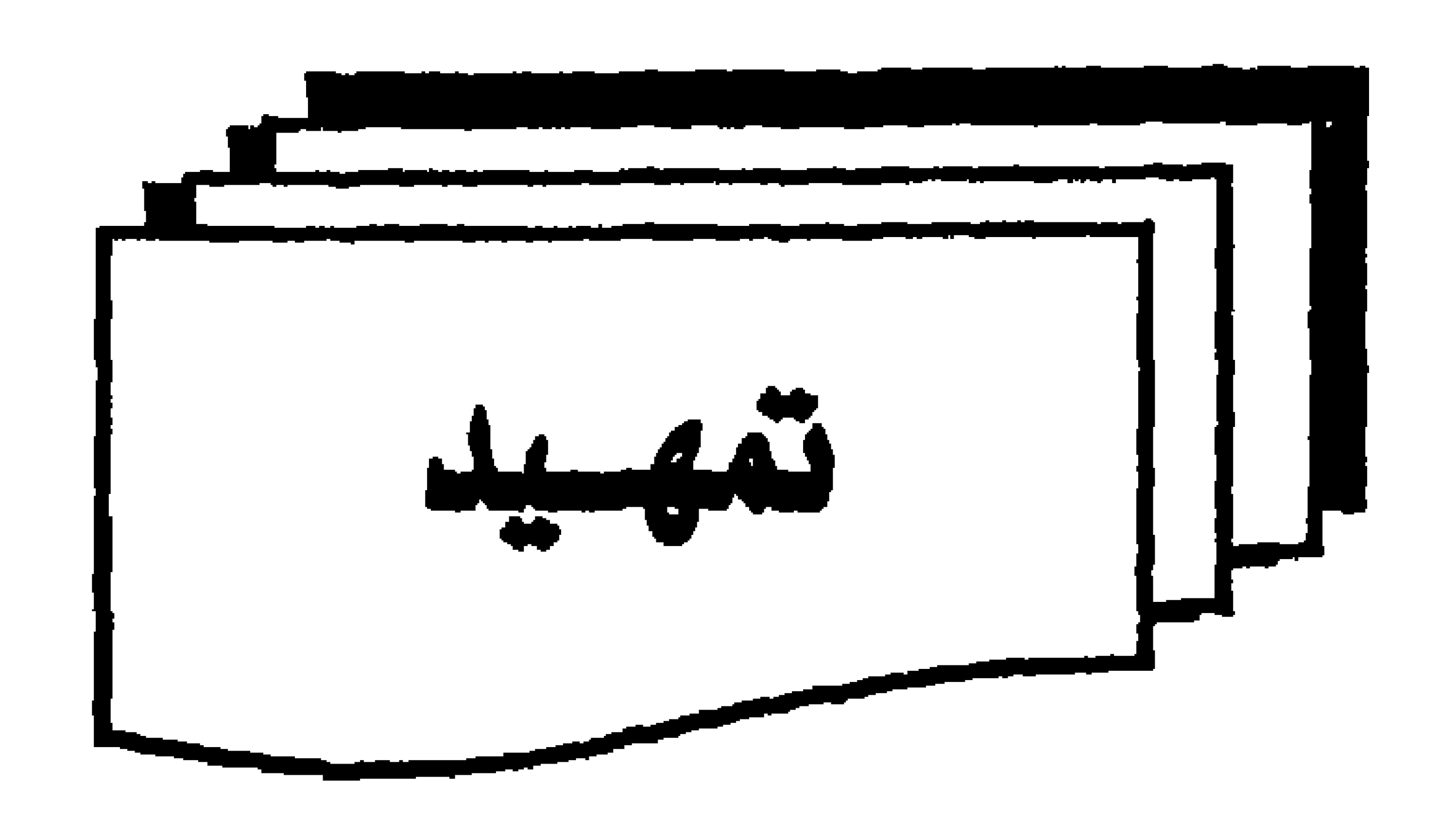
لمؤلفه جان كلود جارسان فقد توجه هذا المؤلف إلى مدينة قوص وقضى بها وقـت لإعـداد كتابه الذى يتناول تاريخ قوص عبر العصور المختلفة وفى الحقـيقة أفادنـى هـذا الكـتاب إلى حد بعيد إذ ألقى الضوء على كثير من الموضـوعات الـبحث حـيث أفراد فى المقدمة جزءا بالشرح عن جغرافية الـصعيد الأعلـى وبيان أهمية ذلك الموقع وأفادنى معالجة كثير من فصول البحث.

ومن أهم المراجع :

Johnson & West : Byzantine Egypte Economic Studies, (printon 1949)

وقـد أفادنـى وأمدنا بمادة وفيرة عن نظام المال والزراعة والتجارة والصناعة فى مصر قبل الفتح العربى.

* * * * *



موقع قفط قبيل الفتح الإسلامى لمصر .

علاقات العرب بمدينة قفط قبيل الفتح الإسلامى .

عناصر السكان وأحوالهم الدينية والاقتصادية والثقافية بالمدينة .

تمهيد :-

موقع قفط قبيل الفتح الإسلامى :-

تقع مدينة قفط [١] فى صعيد مصر، على مقربة من الشاطئ الشرقى لنهر النيل فهى لاتبعد عنه أكثر من ٢ كيلو متر، كما تبعد عن من البحر الأحمر من الشرق بحوالى١٨٠كيلو متر بفضل وقوعها عند وادى زيدون [٢]، وهى بذلك أقرب ما تكون إلى ساحل البحر الأحمر، وساعد هذا الموقع على اختصار المسافة بين النيل والبحر الأحمر [٣]، بواسطة الأودية الصحراوية والدروب القديمة التى استخدمت كطرق حيوية عبر الصحراء الشرقية [٤]، كما ساهمت فى مد طريق التجارة البحرى إلى بلاد بنت وفى الوقت نفسه عملت على استغلال موارد الصحراء الشرقية المعدنية [٥].

وتتصل قفط من الغرب بالواحات الخارجة، وماوراءها من دروب ومسالك الصحراء، الأمر الذى زاد فى أهمية النشاط التجارى فى هذه المنطقة، ومن هذا اكتسبت قفط أهميتها، وقدر لها أن تؤدى دوراً بارزاً قبل الفتح الإسلامى للديار المصرية.

---

[١] قفط : مدينة فى صعيد مصر، من أعمال محافظة قنا، وتقع فى منتصف ثنية قنا، عند أقرب نقطة لانحناءة النيل على طول ضفتى امتداد النيل، وتقع على الضفة اليسرى من النيل، فهى تبعد عن مدينة القاهرة حوالى ٦٤٠ كيلو متر جنوباً، وشمالمدينة أسوان بحوالى ٢٥٠كيلو متر، وتبعد عن الأقصر بحوالى ٤٠ كيلو متر، وتبعد عن مدينة قنا بحوالى ٢٥كيلو متر جنوبا محمد رمزى:القاموس الجغرافى، ج٤، ص١٧٧، سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى (القاهرة ١٩٤٤) ص٣٤.

[٢] وادى زيدون هو أحد أودية الصحراء الشرقية الجافة التى بالموارد المعدنية محمد صبرى محسوب: جغرافية الصحارى المصرية، الصحراء الشرقية (القاهرة ١٩٩٠)،ج٢،ص٣٦، T.A Tergenza:The Red Sea Mountains Of Egypt, London,(New york 1995)pp.42-44.

[٣] سليمان حزين : حضارة مصر. (الهيئة العامة للكتاب) ص٤٢.

[٤] محمد صبرى محسوب : المرجع السابق والجزء، ص٣٦ -٢٧. The Encyclopaedia of Islam art (kift)

[٥] محمد صبرى محسوب : المرجع السابق والجزء والصفحة.

وكان لاعتدال مناخها وطيب هوائها أثراً فعالاً منذ القدم ، فقد اتخذها المصـــريون القدمـــاء قصـــبة لإقلـــيم مصر العليا الواقع فى أقصى جنوب مصر[١].

واستخدمت النظم المالية والإدارية البيزنطية فى إقليم قفط كغيره من الأقالـــيم أو الولايات المصرية قبل الفتح الإسلامى، حيث كان هذا الإقليم يعد الولايـــة الثالثة التى تشمل مصر العليا ، وكانت مصر كلها مقسمة إلى ثلاث ولايات أساسية [٢] كان حاكم الإقليم يحمل لقب Praeses ، ثم تحولت مصر إلـــى دوقـــية فاستعادت بذلك وحدتها الإدارية ، وأصبحت تخضع لحاكم عام واحد هو الوالى الأوجستالى Praefectus ' augustails [٣] .

ونتيجة للتقسيم الإدارى فقد كان يحكم مدينة قفط والذى كان يدعـــى "Logistes " حيـــث كـــان مجلس المدينة ينتخبه ، وقد صـــارت لـــه سلطات مـــتعددة مـــثل إعداد ميزانية المدينة والإشراف على نقابات العمال والتجار، وتقدير الضرائب ، والإشراف على الأمن وتموين المدينة [٤] .

اشتمل النظام الإدارى المالى على موظفاً أخر يسمى حامية المدينة ، وكـــان واجبه الأساسى حماية دافعى الضرائب من جامعها، وكان لـــه سلطة اعـــتقال أى شـــخص أوضعه تحت المراقبة أو تحديد إقامته بالمدينة إذا كان متهماً بإضرار شخص أخر[٥] .

---

[١] حسن خضيرى أحمد: مدينة قفط وتطورها السياسى من الفتح العربى حتى منتصف ق٤هـ مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع ، ١٩٩٥ ، ص٢١١ .

[٢] السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، (القاهرة ١٩٦١م) ، ص٨٠

[٣] مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب فى تاريخ الحضارة المصرية ، ج٢ ، ص٢٠٣

[٤] مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، (القاهرة ١٩٩٢م) ، ص ٣١٥

[٥] السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص٨١ ، مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة

كذلك كان فى إقليم قفط وظيفة الموظف المالى Exaetar الذى تولى أهم وظيفة بالنسبة للحكومة المركزية وهى جمع الضرائب ٠ ولكن يبدو أن هذا الموظف كان قاصراً على مدن الإقليم [١] ٠

كما توجد بإقليم قفط المجالس المنتخبة boule والتى استمرت تحمل المسئوليات الإدارية ، ولكن بمرور الوقت فقدت كل معانى الحكم المحلى إذ أصـبح أعضاء هذه المجالس يكونون طبقة وراثية هى الطبقة الثرية فى كل مدينة [٢]، أدى هذا التقسيم إلى تفاقم الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة، وترتب على ذلك اضطراب الإدارة وضعف الحكومة المركزية ضعفاً شديداً جعلهـا عاجـزة عن تحمل أعبائها ، ولذلك تحملت الكنيسة وكبار الملاك[٣] وظهرت الضياع الأوتوبراجية [٤] ٠

أمـا عـن تسمية قفط بهذا الإسم الذى تحمله فقد ذكرها جوتيه[٥] فى قاموسـه باسـمها العربـى قفـط ، والرومـى Koptos ، ويرجح أحـد

---

(١) السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص٨٧ ، ناصر الأنصارى : المجمل فى تاريخ مصر النظم السياسة والإدارية ، (دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٩٧ م) ، ص٩٢ ٠

(٢) مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب فى تاريخ الحضارة المصرية ، ج٢ ، ص٢٠٤، مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة٠

(٣) مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة ، ناصر الأنصارى : المرجع السابق ص٩٢ ٠

(٤) الضياع الأوتوبراجية : هى الأبعاديات التى تتمتع بحق دفع الضرائب مباشرة للحاكم العام دون تدخل المشرفين على الإدارة المحلية فى المدينة ٠ دانيل دينيت : الجزية والإسلام ، ترجمة فوزى فهيم جاد الله (بيروت ١٩٦٠ م) ص١١٥ .

Johnson : Byzantine Egypt Economie Studies, (1949) pp.74-75 .

(٥) لقد ذكر أن اسمها المصرى Qeptu ، Qebti والقبطى KEPTW أو KEPTOU ومنه اسمها العربى قفط والرومى Koptos أو Koptou " كيبوتس "

H. Gouthier : Dictionnoire des nams geagraohiques Cantenus dons le Textes, le Cairo , 1928, p. 178.

وكلمة قفط تعنى بالهيروغليفية جيبيتوى Gbtyw ومعناها دليل القافلة أو الكيس أو الجمال وذلك لوجود المخصص الذى يشبه الكيس أو الصرة ومن هنا أطلق عليها بلد القوافل

عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة وأثارها ، (القاهرة ١٩٦٢) ، ج١ ، ص٣٥ ، سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية ، ص٤٦ ٠ وكلمة قفط بالرومانية Sp. T. ntr ومعناها مقاطعة الإلهين ست وحورس

Henery Beorge Fischer : Inscriptions From the Coptit , p.1

الباحثيــن[1] إن اســـم قفــط يعنى بالهيروغليفية بلد القوافل ، بينما يشير ابن عبدالحكم إلى أن سبب التسمية أنما يرجع إلى قفط ابن مصر ، وأن الفرعون ملــك مصر ، أقطع إبنه قفط هذا المكان فسكنها وبه سميت قفط ، ومافوقها إلــى أســوان ، ومادونها إلى الأشمونيين الواقعة إلى الشمال من (مينة بنى الخصيب)[2] .

ويتضـــح لنا من رواية المسعودى[4] وغيرها من رويات المؤرخين حــول التســمية بقفط إنما تدل على إقامة الأقباط بها منذ العصور القديمة، حيث كانت العاصمة للمقاطعة الخامسة بالوجه القبلى[5]، كما كانت مرتبطة باستغلال المعادن من التلال التى تقع بين النيل والبحر الأحمر[6]، حيث كان ملــوك مصر القديمة يسخرون الأسرى للعمل فى استخراج الذهب من هذه

---

(1) اسماعيل عبدالفتاح محمد : طريق قفط القصير عبر العصور القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٣ ، ص٣٠ .

(2) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها (القاهرة ١٩٩١م) ، ص٩
مينة بنى الخصيب المنيا حالياً

(4) يورد المسعودى أنه كان لمصر أربعة أولاد وهم قبط ، وأشمون ، واتريب ، وصار ، فقسم الأرض بينهم أرباعاً . أرض مصر وعهد إلى الأبن الأكبر منهم وهو قبط ، وأقباط مصر يضافون فى النسب إلى أبيهم قبط بن مصر ، وأضيفت هذه المواضع إلى ساكينها وعرفت بأسمائهم . المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (طبعة بيروت ١٩٨٢ م) ج٢ ، ص٣١ فى حين يذكر لنا المقريزى فينقل لنا عن ابن وصف شاه صاحب كتاب مختصر العجائب أن هذه المدينة عرفت " بقفرطيم بن قبطيم بن مصرايم بن يصر بن حام بن نوح عليه السلام وكانت مدينة الإقليم " ويستطرد المقريزى بقوله : " وكان قفطريم أكبر أولاد أبيه وكان جباراً ، وهو الذى وضع أساسات الأهرام الدهشورية وغيرها ، وهو الذى بنى بلدة دندرة ، وهلكت عاد بالريح فى أخر أيامه ، وعمل من العجائب شيئاً كثيراً وبنى مناراً عالياً على جبل قفط يرى منه البحر الشرقى " المقريزى : الخطط المعروف بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (القاهرة ١٩٩٠) ،ج١ ، ص٢٣٢ ، ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج٥ ، ص٣٣ .

(5) سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص٤٢ – ٤٣ .

(6) Enc. , of Islam ort (Kift)

المناجم في وادى الحمامات، وقطع الأحجار من المحاجر الموجودة فى الصحراء الشرقية، وكان الإله "مين" هو معبود قفط [١] .

ازدهرت مدينة قفط تجارياً خلال حكم البطالمة لمصر ، حتى أنه يقال أن بطليموس فيلادلفوس ـ أحد حكام البطالمة أول من سار بجيشه عبر طريق قفط البحر الأحمر، "وأنشا فيه المحطات كما لو كانت خصيصاً للقوافل "[٢]، وقام بإصلاح ميناء ليكوس ليمون Lecus limen الميناء الأبيض وهو ميناء القصير الحالى [٣]، وأنشأ أيضاً العديد من الموانى على طوال ساحل البحر الأحمر ، ولم يهمل طريق قفط _ القصير ، فنشط هذا الطريق لرعاية مصالحهم التجارية مع بلاد الجزيرة العربية واستغلال المناجم والمحاجر بالمنطقة [٤] ويمكن القول أن البطالمة بذلوا جهوداً كبيرة لجذب المرور نحو وادى النيل [٥].

استخدم طريق قفط القصير فى الوصول إلى الهند[٦]، وجلب منتجات أسيا الجنوبية الشرقية بسفنهم الخاصة [٧]، وأهتموا باستثمار الموارد المعدنية من مناجم الزمرد ، وكذلك قطع الأحجار من المحاجر الرخامية والتى كان يتم شحنها عبر النيل إلى قنا ، وكانت الملاحة تتم فى النيل إلى قفط (كيبتوس Kopots) عن طريق استخدام الرياح [٨].

---

(1) Jean Cloud Garcin : Un Centre Musulman Dela Hute Egypt Medievale Qus ,(Le Caire , 1976) pp -19 -20

(٢) استرابون (٦٦قدم -٢٤م) إسترابون فى مصر ، نقله من اليونانية ، د . وهيب كامل (القاهرة ١٩٥٣م) ، ص١١١ .

(٣) عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر (القاهرة ١٩٧٦ م) ، ص٢١ Garcin : Ibid , pp . 19 -20

(4) Garcin : Ibid -20- 21.

(٥) ابراهيم دسوقى محمود : الطرق التجارية القديمة وأثارها الحضارية ، (المنيا ٢٠٠٠م) ص١٩٢ - ١٩٣
Murray : The Roman roads And Stations in the Eastern desert of Egypt in the Journal of Egypt Ar choeolgy, V.xl III, (1959), p.56.

(٦) ابراهيم دسوقى : المراجع السابق ، ص١٦٤ . W M Finders Petrine : Koptos , London , 1896) , p .7

(7) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies (princeton 1949) p107

(٨) إسترابون : استرابون فى مصر ، ص١١١ ،

** علاقات العرب بمدينة قفط قبيل الفتح الإسلامى :-

نـزح العرب إلى مصر من شبه الجزيرة العربية منذ عهود سحيقة ففـي سـنه ٣٥٠٠ ق . م جاءت أقوام سامية من عرب آسيا من شمال شبه الجزيرة العربية ، وغزوا وادى النيل، وأحدثوا بعض المتغيرات على الشعب الحامي – شعب مصر ما بين أسوان والبحر المتوسط[١] وكانت شبه جزيرة سيناء الطريق الأول لقدوم العرب إلى مصر، أما الطريق الثانى فهو طريق الـبحر الأحمـر[٢] ونتيجة لذلـك قطنت أقوام منها فى الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط [٣].

=ومن القرن الأول الميلادى فان حركة التجارة من قفط إلى البحر الأحمر كانت رائجة كما يصف ذلك استرابون (٦٦ق . م-٢٤ م) فـى قولـه : " وكـان تجـار القوافـل يسيرون لـيلاً مهـتدين بالـنجوم ، وكـانوا كالملاحين يحملـون الماء على ظهور الجمال ، أما الآن فقد أعدوا الأبار بأن احتفروا علـى عمق بعيد ، وصنعوا صهاريج للأمطـار مع أنها نـادرة " ، كما كانـت مسافة الطريق حفر قنوات عميقة فـى بـاطن الأرض. استرابون : استرابون فـى مصـر ، ص١١٢ ، ابراهـيم دسـوقي محمـود : المـرجع الـسابق ، ص٢٢٠ . كما كان من أهم السلع التى كانت تستورد فى العهد الرومانى من جنوب الجزيرة العربية اللبان . المر ولقد كانت إبان العهد الرومانى تصدر عبر طريق قفط القصير بعض السلع إلى بلاد اليمن وعمان والهند والبرونز مما يوضح أنـه كانـت آنـذاك صـلات تجاريـة بـين مصـر وعمـان والهـند ، وكـان هـناك تـأثيرات ومؤثـرات حضارية هامـة . نجيب ميخائيل إبراهـيم : مصر والشرق الأدنـى القديـم (القاهـرة ١٩٦٦ م) ، ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

Steven Side Botham : Roman Econimicpolicy in Erythra Tha- La-ssa , pp 13- 15 .

[١] برستد : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ص١٧ .

[٢] برستد: المرجع السابق والصفحة .

[٣] سـليم حسـن : مصـر القديمـة (مطـبعة الكوثـر بمصـر) ج١ ، ص١٤٢ ، وقـد عـثر فـى آثـار الأسـرة الفرعونية الأولى علـى رسوم تمثل البدو ، وكانت كـلمة " عمـو " معناها بدوى أو أثرى ، ووجـدت أيضاً علاقـات تجاريـة بين عـرب حضرموت ، وعمـان ، واليمن مع بـلاد مصر ، وكانت كـلمة " بونـت " تشـمل هـذه الـبلاد مع الصومال . محمد كامل حسين : أدب مصـر الإسلامية ، ص ١٧ . وكـان قـدوم الهكسـوس إلى مصـر ، فـى أثـناء عصـر الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية يمثل إحدى حلقات موجات العرب القادمة إلى مصر ، لأن بعض المؤرخين وجدوا أدلـة تثبت علـى عروبة الهكسوس . عبدالمجيد عـابدين : البيان والإعـراب (القاهـرة ١٩٦١م) ، ص٧٨،٧٩ . وقدمـت أيضـاً هجـرة عربـية مـن قـبائل حمـير ، بعـد عـبورهم البحر الأحمر إلى وادى النيل ، وكانت تمثل حملة علـى بلاد النوبة ووادى النيل . عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص٢٧ .

نزحت بطون عربية من شبه الجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر وأستقرت فى مدينة قفط[1] مما يدل على ذلك ما أورده استرابون (٦٦ ق . م – ٢٤م) فى وصف مدينة قفط بقوله: "وهى مدينة مشاع بين المصريين والعرب" [2] ويأتى ذكر العرب عنده فى أكثر من موضع فى هذه الفترة الباكرة ، فقد ورد أسم العرب عند حديثه عن مناجم الزمرد والأحجار النفيسة عن طريق قفط البحر الأحمر، حيث يذكر أن العرب هم الذين يحتكرون استخراج هذه المعادن دون سواهم[3].

ونزحت بطون عربية إلى مدينة قفط، عبر البحر الأحمر ومعهم تجارتهم، كذلك بلغوا بعض بلدان مصر العليا، مثل طيبة وغيرها من المدن، وكان العرب يحملون التجارة على الجمال فى قوافل تجارية من ميناء القصير إلى مدينة قفط ومنها عن طريق نهر النيل إلى مدينة الإسكندرية[4].

فى ضوء ذلك يمكن القول أن طريق قفط البحر الأحمر كان معبراً هاماً لتلك الهجرات العربية إلى جنوب وادى النيل منذ القدم، ونتيجة لذلك نزح العرب إلى مدينة قفط[5]، كما أن التجار العرب لم يتخذوا من مدينة قفط طريقاً يعبرون منه إلى مناطق أخرى من صعيد مصر فحسب بل عملوا على

---

(١) محمد عزة دروزة : عروبة مصر قبل الإسلام وبعده (القاهرة ١٩٦٣)، ص٣، ووجدت نقوش ترجع إلى العصر الفرعونى موجودة على صخرة قرب مدينة إدفو التابعة الآن لمحافظة أسوان ونقش عليها حاكم الأسرة الثالثة الفرعونية وهو يرسل كتائب من جيشه لصد هجوم هؤلاء العرب . محمد عزة دروزة : المرجع السابق والصفحة

(٢) استرابون : استرابون فى مصر، ص١١١–١١٢ Garcin : Un centre Musulman , p . 24

(٣) استرابون : استرابون فى مصر، ص١١١، ١١٢ .

** توجد كتابات سبئيه بالخط المسند على صخرة فى وادى النيل .

Golenisehef: Exeursion dans Le Ou a'di Hammamat ,Text russe Saint peteer's bourg 1988 , p.1

(٤) مصطفى مسعد : البجة والعرب فى العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الحادي والعشرون ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٥٩ م ، ص١١ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر خلال القرون الأولى للهجرة ، (القاهرة ١٩٩٢ م) ص٣٦.

(٥) عبد المجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل ، (الإسكندرية ١٩٨٩م) ص٧٧.

الاســتقرار حيث أصبحت لهم دورهم وحوانيتهم التجارية ومعابدهم فى هذه المديـــنة[1] حــتى غــدت قفط مدينة نصف عربية ، وذلك بعد أن استقر بها التجار العرب وأقاموا بصفة دائمة فيها.[2]

كما توافد على مدينة قفط من عرب الجنوب القحطانيين حيث خلفت تلك الجماعات العربية آثارها فى البلاد وذلك قبل ظهور الإسلام، كما أمكنهم التواجد فى تلك المنطقة المحصورة فيما بين النيل والبحر الأحمر.[3]

** عناصر السكان وأحوالهم الدينية والاقتصادية والثقافية :-

تعرضت مدينة قفط لموجات من الهجرات العربية منذ أقدم العصور، فضـــلاً عن أنها كانت ممراً للقبائل العربية والتجار العرب الذين يفدون من شبه الجزيرة العربية ، ثم يسلكون طرق ووديان الصحراء الشرقية المتاخمة لحـــدود مديـــنة قفـــط[4]، ولقد أثبتت الحفريات أن بعض عرب الجنوب فى

---

(1) Garcin : Un Centre Musulman . pp. 22-23 .

(2) إبراهيم نصحي وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، (طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة) ص٣٦ . W.M. Flinders petrie : Koptos, pp. 8. 9

Briggs (L.C) : Tribes of Sahare, (London)19 60, pp. 91.

(3) هيردوت : هيردوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجه ، (دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦) ص ١٢٩، جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام (طبعة بغداد ، ١٩٥٣ م)، ج٢، ص ٢٤٢ ،

Hassan (Y.F): The Arabs and the sudan form the seventh to the early sixteenth-century (Edilutgh) pp.15 9.

مصطفى محمد مسعد : البجة والعرب ، ص ٢٢، عبدالله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ١٠

Hassan : The Arabs and the Sudan , pp 1-5 .

(4) فقد أفادت النقوش أن مجموعة من عرب الشمال " الأنباط " من بلاد الشام قد استقروا فى إقليم قفط ، ونشر Littman هذه النقوش التى بلغت ثلاثاً وثلاثين نقشاً أو خربشة عام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ وتفيد بأن عرب الشمال من شبه الجزيرة العربية من الأنباط قد استقروا فى مواضع كثيرة فى منطقة قفط ، ومنطقة المعادن بالصحراء الشرقية • المقريزى : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب (القاهرة ١٩٦١م) تحقيق عبدالمجيد عابدين ، ص ٧٩، ٨٢ ، وقد استطاع الأنباط أن يؤسسوا لهم مستعمرة فى إقليم قفط منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، كما كان البعض منهم يجوبون تلك المنطقة كبدو رحل ولم يختلطوا كثيراً بالمصريين .

جمال حمدان : شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان (القاهرة ١٩٨١م) ،ج٢، ص٤٨٦.

Littman (E) : Nubatacen inserptions from Egypt, (London 1960) pp.5-17.

الجزيــرة العربية قد استقروا فى هذه المدينة ، وشاركوا إخوانهم من عرب الشمال " الأنباط " فى هذه المدينة ومنطقة المعادن[١] ، وكانت تلك العناصر تأخــذ طــريقها عبر وادى الحمامات[٢] ، وأشارت الحفريات إلى أن هؤلاء العــرب كانوا يعملون بالتجارة لأن المواضع التى قطنوها بوادى الحمامات كانــت عــبارة عن ممرات تجارية تمر من خلالها قوافل التجار ببضائعهم المحملة على ظهور الإبل حتى تصل إلى أسواق الديار المصرية[٣] ، ونظراً لأن هــؤلاء الــسكان مــن العرب قد اتخذوا فى تلك الكهوف مسكناً لهم فقد عرفوا بسكان الكهوف Trlodytiea [٤].

ومــن الجديــر بالذكر أن تجار الأنباط وهم من عرب الشمال كانوا يحملــون الأطــياب ، والمــر، والتوابل، والعطور، والبخور ،والمنسوجات الحريرية من دمشق والصين ، والحنا العسقلانى، واللآلئ من الخليج العربى، هــذا بالإضافة إلى بعض المنتجات المحلية كزيت السمسم والذهب والفضة، ومن ناحية الصناعات كانت صناعة الأوانى الفخارية أهم ما كانوا يشتغلون بــه [٥] ، هــذا فضلاً عن القار الذى كان يستخدم فى التحنيط فى قوص[٦]،

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ،(الناشر مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية) ص١٦٨ عبدالفــتاح الغنيمــى : عــروبة مــصر قــبل الإســلام ، (القاهــرة ١٩٩٣) ص ٦، ٢٦ ، Littman (E) : Op. Cit, p. 7

(٢) محمد بيومى مهران : دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ، مجلة اللغة العربية جامعة الإمام السعودية العدد السادس سنة ١٩٧٦م ، ص ٣٠١

(٣) بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٠١، ٣٠٢ ، Hassan : The Arbs and Sudan, P.50

(٤) عبدالله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٢٨، ٣١ ؛ Hassan : Ibid , p.52

(٥) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ١٦٩، ١٧٠ ، نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة ١٩٧٣م) ،ص ١٩١، ٢٢٨، محمد حسن عبدالكريم : التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٣٦٦ .

(٦) يذكر جرسان أن لسم قوص " كوس " يعنى التحنيط ، وكان رجال من هذه المدينة مهمتهم تحنيط الملوك الفراعنة قبل دفنهم Garcin : Un Centre Mulman , p. 17 .

بالإضافة إلى ذلك كان هناك عرب مدينة تدمر[1]، استقروا فى مدينة قفط منذ القرن الثانى الميلادى أما عن البقية من عرب قفط فمن المرجح أنهم أو معظمهم على الأقل من قبيلة بلى القحطانية [2] ، يقول الهمدانى [3] : " وما خلف الفرما إلى مصر للقبط ، وأما تياسر نحو من بلد القبط فهو يمانى فيه بلى " ويفهم من هذا القول أن أرضهم امتدت إلى برزخ السويس ، ويبدو أن جماعات منهم قد تجاوزت إلى الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود قفط[4]، فالمعروف أنهم بادية ، واختلاطهم بقبائل البجة[5] الشماليين عن طريق الزواج مما يساعد على أن يحتفظوا ببداوتهم وأنسابهم " [6] .

وأشارت بعض المصادر إلى أن البيلين هم أحفاد البليميين ، وهم من قبيلة بلى القحطانية والتى كان يعمل منها عدد غير قليل فى نقل التجارة

---

(1) تدمر: مدينة قديمة بالشام ، سميت بملكة من العمالقة بنتها وهى تدمر إبنة حسان ابن أذلية ابن السميدع ابن هوثر بن عريب بن مآرب• نشوان الحميرى : ملوك حمير وأقيال اليمن ، ص ٨٢-٨٣ ، السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ،١٧١، وبلغت مملكة تدمر ذروة مجدها فى القرن الثالث الميلادى بفضل تملكها لناصية التجارة بين المشرق والبحر المتوسط،وأهل تدمر عرب كالأنباط ولكنهم يكتبون بالأرامية • جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٩٨--١٠٠ ، سعد زغلول عبدالحميد : محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، (جامعة بيروت العربية ، الإسكندرية) ص ٨٧، ٩٢ وللمزيد من الدراسة راجع د• حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص٢١٦ – ٢١٩ •

(2) بلى بن عمرو بن الحاف من قضاعة • الهمدانى:الاكليل (المطبعة السلفية ،القاهرة ١٣٦٨هـ)ج١٠، ص٣

(3) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكوع (بيروت ١٩٨٣) ص ٢٤٤ •

(4) مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ،(مكتبة الأنجلسو المصرية ١٩٩٢م)ص٣١١-٣١٧

(5) البجة : قبائل حامية تسكن الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود قفط جنوبى مصر ، وتشمل أوطانهم الحالية الأراضى الواقعة بين البحر الأحمر شرقاً إلى النيل الأكبر ، ونهر العطبرة جنوبا• وحدد الإدريسى مناطق انتشار البجة تحديداً دقيقاً بقوله : " وتجاور أرض الحبشة فى جهة الشمال أرض البجة وهى بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد " * نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ج١، ص ٤٦ • وهم أصحاب أخبية شعر ، وألوانهم أشد سواداً من الحبشة ، ولا قرى لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما ينقل إليهم من مدن الحبشة ، ومصر والنوبة وأنسابهم من جهة النساء يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ، ولم يكن لهم عهد ولا صلح • المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٤ •

(6) الهمدانى : الاكليل ، ج١٠، ص ١١ •

على طريق قفط البحر الأحمر ، وكان يعتمدون عليهم فى التجارة الهندية[1] ، ولعل بعضهم ظلوا على بداوتهم وعاشوا مع قبائل البجة ، كما استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على معظم هذه القبائل عن طريق الزواج[2] ، وكان منهم عدد كبير فى مصر فى القرن الثانى الميلادى ، وكان مواضعهم ما بين القصير وقنا[3] ، ويبدو أنهم استقروا فى قفط حيث كانت ملائمة لبيئتهم .[4] .

كما كانت تلك الهجرات العربية المتلاحقة والتى نزحت إلى مدينة قفط تمثل المرحلة الأولى فى التأثير عربياً فى جنوب الوادى بحكم أن مدينة قفط كانت قصبة الإقليم فى ذلك الوقت ، ولم تكن المدينة الصغيرة التى نعرفها الآن[5] ، يدعم هذا الرأى اللوحة الأثرية الموجودة بوادى الحمامات ، وكتب عليها باللغة العربية كلمة التوحيد بالخط الكوفى[6] .

---

(1) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج1، ص 27، ابن الوردى : خريدة العجائب (القاهرة بدون تاريخ) ص22،21،17 ، جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص 173 ، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن البليميين من العرب فى مدلول لفظ بليميين أو بليين ، فى اللغة البتداوية أى لغة البجه ، وذلك أن البجه يطلقون على العرب فى لغتهم التبداوية هذه اسم Belawye ومن هذا يمكن القول أن البليين هم أحفاد البلميين وانتهى الأمر بترجيح بعض الباحثين إلى أن البلميين كلهم أو معظمهم ينتهون إلى قبيلة بلى العربية حتى أن كلمة Blemmyes تعدل فى اللغة البجاوية التبداوية كلمة عرب . مصطفى محمد مسعد : البجه والعرب ، ص 13
Hassan : The Arabs and the Sudan, p.14

(2) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج1، ص 27 ، جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص 174 .

(3) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت 1991م) ، ص 107 .

(4) والواقع أن العرب لم يجهلوا ثروة مصر حينذاك خصوصاً وقد جاء كثير منهم للاتجار فى أيام الجاهلية تذكر منهم عمرو بن العاص وعثمان بن عفان والمغيرة بن شعبة ولا بد أن كثيراً من الأعراب والتجار ويبدو أن العرب كانوا يفدون إلى الصعيد وقرى ومدن الإقليم كله بطريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط حتى قيل أنها نصف عربية . ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص 53، 55، الكندى : الولاة والقضاة ،ص7، المقريزى : الخطط ، ج1، ص 99، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج1، ص 113، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، (الهيئة العامة للكتاب ، 1999م) ص 9، 10

(5) عبدالمجيد عابدين : دراسات فى تاريخ العروبة ، ص 91 .
The Coptic Encyd opradia, Aziz, S. Atiya, New Yourk, V.7 . art (Qift)

(6) هذه اللوحة تحمل مجموعة من الكتابات القديمة المصرية والقبطية والسبئية العربية .
Goleniseheff : Exeur Sion dans Leouc di Hammamati p.1

وبطبيعة الحال فقد كان يقطن مدينة قفط العنصر القبطى وهم سكانها الأصليين كما كان يطلق عليهم الأقباط [١] ، حيث كانوا يعملون بالزراعة والتجارة وقد اتخذت الدولة البيزنطية فى بداية عهدها سياسة عدم تجنيد المصريين فى الجيش ولكنها غيرت سياستها التى اتبعتها فى أول الأمر[٢] ، إذ دلت أوراق البردى على أن معظم الجنود فى هذا الجيش قبيل الفتح كانوا من الأقباط وأنهم كانوا يجندون إما بالاقتراع أو بالتطوع أو بالوراثة [٣]، وكانت مهمة هذا الجيش فى مدينة قفط هى مساعدة الموظفين فى أعمالهم والقضاء على قطاع الطرق وإخماد الثورات الدينية والمشاركة فى جباية الضرائب[٤] .

أحوال العرب والأقباط فى مدينة قفط قبل الفتح الإسلامى :-

كانت مصر من البلاد التى انتقلت إليها المسيحية منذ القرن الأول الميلادى حيث أخذت فى الانتشار فى سائر أنحاء الديار المصرية[٥]، وكانت منطقة قفط فى طليعة البلاد المصرية التى تسربت إليها المسيحية، فقبط قفط يعتقدون أن المسيح كان بالبهنسا ثم عاد منها إلى القدس[٦]، كما أجمع

---

(١) جواد على :تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٢٨٦ . Munier:L'Egypte ByZantine,pp.77-78

(٢) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام، ص ٩-١٠ .

(3) Munier : Op-Cit pp 77-78 .

** حافظت قفط على مكانتها الحضارية وأهميتها كبوابة شرقية خلال العصر البطلمى والرومانى (٣٣٢ق٠م، ٢٨٤ م) وازدهرت خلال هذه الفترة "كوبتوس Coptos " وهو اسمها الذى عرفت به طوال هذه المرحلة ، وكانت خلالها المدينة المشاعة لكل المصريين والعرب ولذا أطلق على المدينة نصف العربية ، حسب وصف استرابون ، وبلغت قفط فى العصر البطلمى (٣٢٣-٣١ ق٠م) درجة انزوت معها كل مدن ثنية قنا حيث لم تكن كينا بوليس Cainpolis (قنا) قد أخذت وضعها كمدينة كبرى ولم تلعب دوراً حضارياً داخل إقليمها سوى ارتباطها بالميناء البحرى على ساحل البحر الأحمر وكذلك الحال أبوللو Apollo (قوص) والتى لم تشكل سوى قرية صغيرة تابعة لقفط ٠ استرابون : استرابون فى مصر ، ص١١٣

(٥) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣ ٠

(٦) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٢٣٧ ٠

البعض على أن السيد المسيح انتقل إلى الأشمونيين ، ثم لم يلبث أن عاد منها إلى الشام [١] .

علـــى أن الأباطـــرة الرومان الوثنيين ناصبوا المسيحية العداء ولقى الأقـــباط فـــى مصر اضطهاداً قاسياً فى عهد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)[٢] ، الذى أسرف فى قتل الأقباط وأقام الحراس والحفظة فى كل مكان فى صعيد مـــصر[٣] ، ومن بين من نالهم الاضطهاد نصارى مدينة قفط ورجال الدين فـــيها فـــى عهد دقلديانوس ، ويذكر أحد المؤرخين من بين هؤلاء الأسقف " بيزنتيوس Pisentios ، الذى رأى أنه من الأفضل أن يلجأ إلى الجبال بعيداً عـــن نير الرومان وذلك بعد أن تحمل على تنظيم شئون أسقفيته بمدينة قفط ووزع كـــل ممتلكاته على الفقراء والمحتاجين وترك أهله وخرج فى صحبة تلميذه حنا ولاذ بجبل جيمى Gumi [٤] أحد جبال الصحراء الشرقية .

لم تلبث المسيحية أن أحرزت نصراً فى عهد قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) الذى اعترف بالمسيحية ديناً مسموحاً به ضمن الديانات الأخرى فى الدولة الرومانية[٥] ، وذلك بعد أن سعى لعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م[٦] والذى حضره مجموعة من الأساقفة المصريين من بينهم أسقف مدينة قفط [٧] .

وفـــى عهـــد الإمبراطور ثيوديس (٣٧٩-٣٩٥م) أصبحت المسيحية الـــدين الرسمى الوحيد فى جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية[٨]، على أن

---

(١) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة إعداد وتعليق الراهب صمويل السريانى اعتماداً على نسخة باريس (القاهرة ١٩٨٤م) ج١،ص ١٦،١٧ .

(٢) المقريزى : الخطط، ج١ ، ص ٤٨٤ .

(٣) ساويرس : سير الآباء البطاركة ، تعليق الراهب صمويل السريانى (١٩٨٤)المجلد الأول ، ج١، ص ٥٤

(4) Amelineau : Un Evegue de Koft au VII Siecle, pp. 299-300

(٥) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٤٨٥ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(7) Munier : L'Egypte Byzantine, pp. 38-39 .

(٨) ساويرس: سير الآباء البطاركة ،ج٢، ص ٢٦ . Munier : Op-Cit, pp 38-39 .

مصـــر المســـيحية لم تنعم بهذا النصر الذى أحرزه الدين المسيحى ، إذ ثار النزاع والجدل فى حكم قسطنطين الأول بين المسيحيين والحديث عن صفات المســيح وطبيعـــته ، وكان لهذا النزاع رد فعل عنيف فى مصر حيث هبت الكنيسة المصرية إلى القول بأن المسيح طبيعة واحدة Monophysite ، أما كنيســة القسطنطينية فقالت أن للمسيح طبيعتين ، وقد عقد الأمبراطور مركيا Marcian (٤٥٠-٤٥٧م) من أجل ذلك مجمع دينى فى " خلقدونية " بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م، فأقر ذلك المجمع مذهب الطبيعتين ، وقرر أن مذهب الطبيعة الواحدة خروج على الدين الصحيح[١].

ونتيجة لذلك فقد تعرض المصريون القائلون بالطبيعة الواحدة بمنطقة إقليم قفط لاضطهادات الأباطرة ،وعلى الرغم من ذلك فإنهم أقاموا الكثير من الكـنائس والأديـرة فى الإقليم كما يحدثنا بذلك أبو المكارم الذى عاش فى القـرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى[٢]، ولما تولى هرقل (٦١٠-٦٤٠)[٣] عـرش الأمبراطورية البيزنطية رأى أن يضع حداً للخلاف الدينى فى إمبراطورية، فأصدر صورة توفيق تقضى بأن يمتنع الناس عن الكلام فى طبيعة المسيح وصفته ، وأن يعترفوا جميعاً بأن لــه إرادة واحدة[٤]، ورفض المصــريون مذهــب هـرقل[٥] ، وتمسكوا بعقيدتهم فى المسيح الأمر الذى عرضهم لاضطهاد البيزنطيين وخاصة بعد أن عهد " هرقل " بالرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو قيرس Cyrus وهو الحاكم الدينى أما المقوقس

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٤٨٨ .

(٢) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١، ص١٩ .

(٣) هرقل : أعلن خروجه على حكم فوكاس وانحازت إليه مصر،وكان والياً على افريقة،وبعث بأسطول إلى القسطنطينية ،ولقى ترحيب من جميع الناس، وتولى الحكم فى الفترة من (٦١٠-٦٤١)بعد أن تلقى التاج من يد البطريك . ساويرس : سير الآباء البطاركة ، ج١، ص١٠٦-١٠٧ ، الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٠٠-١٠٢ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٩

(٥) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٥ .

Mukaukes وهــو الحاكم السياسى فقد سعى فى اضطهاد الأقباط[١] ، وأقام أساقفته فى سائر بلاد مصر حتى إقليم قفط[٢] وكان بطرك الكنيسة المصرية فى الإسكندرية آنذاك هو الأب بنيامين[٣] .

وكـــان محـــبوباً مـــن المصريين إذ نظم الكنيسة وأصلح أحوالها ، ورفض المشروع الدينى الجديد ، وينسب ساويرس رفضه إلى رؤيا صادقة أمـــر فيها بترك الإسكندرية عند قدوم المقوقس إليها ، والاختفاء طوال عشر سنوات حتى تتغير الأوضـاع [٤] كما طلب من الأساقفة مغادرتها ، فقد أدرك بنيامين أن الشعب المصـرى سيقف فى وجه تنفيذ مشروع " هرقل " ، وتوقع ماينـــتج عـــن هـــذا الـــرفض من الاضطهاد والظلم ، ثم خرج بنيامين من الإسكندرية إلى الصعيد الأعلى وانتهى به المطاف إلى الاختفاء بمنطقة مدينة قفط [٥] .

ولعل حاكم قفط ويدعى إقراقيس هو الذى شجع البطرك بنيامين على الهـــرب والاخـــتفاء بالقرب منه حتى يصبح فى مأمن من بطش واضطهاد

---

(١) ساويرس : سير الآباء البطاركة، ج١ ، ص ١٠٧، كلمة قبط Kibt يقال أنها التسمية العربية لأهل مصر نسبة إلى ملك مصر القديم ، قبط بن نوح بن سام • ويعتقد بعض المستشرقين أن كلمة قبط مشتقة من كلمة Coptos اسم أحد المدن المصرية فى الصعيد الأعلى وهى مدينة قفط واسم القبط يطلق على أهل مصر من المسيحيين اليعاقبة

The Encyclopedia of Islam, v.2, Art Kibt, p. 990

(٢) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١، ص ١٨-١٩ •

(٣) بنيامين : والأب بنيامين من ضيعة تسمى برشوط فى إقليم البحيرة ولما شب رغب فى التنسك والزهد فيما تركه والداه وكل ما يملك ، وفضل حياة الرهبنة ، فلجأ إلى الشيخ تاوذا بدير يسمى دير فيريوس فألبسه هذا الشيخ اسكيم الرهبنة ورباه على خوف الله وحفظ الكتب المقدسة ، ثم رسمه البطرك أندرنيكو بطرك الكنيسة المصرية قسيساً، وجعله مساعداً فى أعمال الكنيسة وأوصى بأن يكون البطرك من بعده ساويرس: سير الآباء البطاركة ،ج١، ص١٠٤-١٠٥ •

(٤) ساويرس : المصدر السابق والجزء، ص١٠٦ ، ويقول : " فلما وصل إلى الإسكندرية - يعنى المقوقس أعلم بنيامين ملاك الربانية ، وأمره أن يهرب • فقال له الملاك: اهرب أنت ومن معك هاهنا لان شدائد عظيمة تنزل عليكم ، لكن تعزى ، فما يقيم سنا الجهاد إلا عشرة سنين واكتب إلى جميع الأساقفة الذين فى كرسيك يختفوا حتى يجوز غضب الرب " ساويرس : المصدر السابق والجزء والصفحة •

(٥) أبوالمكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١ ، ص١٨ - ١٩ •

المقوقس ، والظاهر أن حاكم مدينة قفط كان يتمتع بنفوذ قوى فى الإقليم مما جعل بنيامين يلوذ بالفرار إليه [١].

كان للاضطهاد الدينى وماتعرض لـــه الأقباط فى مصر من التعذيب والتنكـيل بهـم ومـن هـؤلاء الأب مينا - أخو البطرك بنيامين [٢]، وكان للاضـطهاد أثـره الواضح فقد سعت بعض العناصر فى صعيد مصر للقيام بحـركة دينية يتزعمها الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف قفط [٣] حيث لاذوا بالجبال بعيداً عن المذابح والاضطهاد البيزنطى وذلك بعد قيامه بتوزيع سائر ممتلكاته على الفقـــراء والمحتاجيـن وعزمه على ترك أهله[٤].

وكـان مـن نتائج ذلك أن عم الشعور بالاستياء والسخط من جانب أقباط قفط تجاه المقوقس حاكم مصر آنذاك وباتوا يتطلعون إلى من يخلصهم من تلك الأوضاع والاضطهادات الدينية القاسية [٥].

لـم يقتصـر الأمر عند حد اضطهاد المصريين الأقباط فى الصعيد الأعلـى وغـيرها من سكان الولايات المصرية بل سعى حكام بيزنطة إلى إرهاق المصريين بالضرائب ولم يجد غالبية السكان مخرجاً سوى الفرار إلى المعابد والأديرة ، وكانت منطقة مدينة قفط من بين المناطق التى هرع إليها المصريون للخلاص من الحكم البيزنطى[٦] .

---

(1) the Coptic Encyclopeadia , Aziz , S.Atiya New york V.7 art " Qift "

(٢) * ويذكر أن المقوقس أمر بإشعال النيران فى الأب مينا كما أمر بخلع أسنانه وأضراسه وضربه ضرباً شديداً قاسياً ، ثم أمر بوضعه فى جوال ، مسك بطرفيه وهو فى البحر وعرض عليه الاعتراف بمذهب خلقدونيه ثلاث مرات ولكنه رفض وأصر على رأيه وألقىٰ به فى البحر . ساويرس : سير الآباء البطاركة ، ج١ ، ص١٠٦-١٠٧ .

(3) Amelineau : Un Eveque De koft Au VII Siecle , pp. 299-300 .

(4) Amelineau : Op- cit , p.300

(5) Munier : L'Egypte Byzantine, pp.89-92-93

(6) Munier : Op-Cit, p.76

ومما ترتب على اضطهاد البيزنطيين للمصريين فكر بعضهم فى تدبير مؤامرة تخلصهم من حكم المقوقس فاجتمعوا فى كنيسة دفاشير Defachire بالقرب من مريوط ، واتفقوا على قتل المقوقس ، وعلم ضابط بيزنطى يدعى أودقيانوس بهذه المؤامرة وكان عدوا شديداً للقبط فبعث بجنده لقتل المتآمرين وبذلك أخفقت المؤامرة ونجا المقوقس . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص١٦٨ - ١٦٩.

ولقد عانى أقباط مدينة قفط كغيرهم من المصريين من الضرائب الباهظة المفروضة على الرؤوس والصناعات والأراضى والماشية وأثاث المنازل بل على الموتى أيضاً. وكان القبط فى منطقة قفط وقراها ملزمين بإيواء من يمر بهم من الموظفين المدنيين والعسكريين البيزنطيين وتوفير حاجاتهم وأيضاً تقديم الغذاء للجنود[1].

كانت قفط تضم الوحدة الأساسية للإدارة المحلية لشئون جمع الضرائب فهى تضم عدداً من الموظفين وملاك الأراضى ، ورجال الدين والأعيان وكان هؤلاء عليهم انتحاب موظف يسمى جابياً – أو محصلاً، يكون مسئولاً عن الشئون المالية [2]، أما القرى فكانت صورة مصغرة لما كانت عليه المدينة ويحكمها رئيس القرية ويدعى ماذون[3].

وكانت الظاهرة الشائعة فى ذلك العصر هى تمركز النفوذ السياسى والاقتصادى فى أيدى فئة قليلة من الأسر البيزنطية ، الذين كانوا إلى جانب امتلاكهم للأراضى الواسعة أو الأبعاديات يشغلون وظائف رؤساء المقاطعات ورؤساء المديريات ورؤساء الأقاليم[4]، على حين نجد سكان البلاد يخدمون فى أملاكهم ، وعليهم أن يحققوا لهؤلاء الإقطاعيين ما يرغبون من رفاهية العيش والترف [5] .

وأشارت المصادر إلى أن المصريين فى ذلك الوقت صاروا يعانون من جراء سياسة هؤلاء الحكام وقسوتهم فى جباية الضرائب وسوء معاملتهم

---

(1) Johnson – West : Byzantine Egypt, Eeonomic studiies, pp.19-20 ,39

(٢) فاطمة مصطفى عامر :تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية ،(الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠م)ج١ ، ص٤٧

(3) Johnson – West Oc-Cit , p.119

(٤) دانيل دينيت : الجزية والإسلام ، ص١١٦

ومن أوضح الأمثلة على ذلك أن دوقية مصر العليا the baid كانت وراثية فى أسرة أيبون Apion كما كان أيبون الأول حاكما عاماً للبلاد فى سنة ٥١٨م وكان ابنه حاكماً لمصر سنة ٥٢٣م • ثم وزيراً للمالية من ٥٣٢م إلى ٥٣٨م • كما شغل أفراد أخرون منهم عدداً عظيماً من الوظائف المهمة فى مصر والقسطنطينية • فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، ج١ ، ص٦٢ ، هامش (٨١) •

(5) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies' (1949) p. 119.

لهـــم مما أدى إلى تدهور الزراعة والفنون الاقتصادية الأخرى وإلى تدهور قـــيمة العملة إلى حد كبير ، ومن ثم ساد القحط القرى والمدن التابعة لإقليم قفط التى كانت عامرة(١)، وعليه اتسعت الهوة بين ملاك الأراضى وأصحاب الإقطاعات من البيزنطيين وبين القبط (٢) .

ووصـــف دانيل دينيت (٣) كيفية تقدير الضرائب وجبايتها فى مدينة قفط وإقليمها آنذاك، حيث كان حاكمها يرسل موظفاً إلى كل مدينة ، ورئيس كـــل قرية بحصصهم من الضرائب ، وكان مراقب جمع الضرائب ومعاونوه يجمعـــون الـــضرائب مـــن الأقباط داخل المدينة ، كما يجمعون أيضاً قيمة ضـــريبة الأرض التى يملكونها خارج المدينة ، أما رؤساء القرى فيجمعون ماعليهم من الضرائب ويؤدونها مباشرة إلى حاكم الإقليم (٤) .

وانقـــسمت الـــضرائب يومئذ إلى نوعين هما ضريبة الرأس وكانت تجمـــع من المدن والقرى ، أما الضريبة الثانية فهى الضريبة المقررة على الأراضى التى يملكها هذه الأجناد كلها. وكان حاكم الإقليم يعمل على تزويد القائمـــين بجمع الضرائب بقوة عسكرية لضمان تحصيل الضرائب كلها (٥) ، وكانـــت هـــناك ضرائب عينية مثل ضريبة الملح وكانت ترسل مباشرة إلى القـــسطنطينية والمسئول عن ذلك حاكم الإقليم ، فكان يرسل المساح لفحص الأرض وخـــصوبتها وحالـــة الرى وذلك من أجل تقدير هذه الضريبة (٦) ، وتحت وطأة تلك الضرائب الفادحة والقسوة فى تحصيلها ، اضطر كثير من

---

(1) Johnson : Idid ; p.256.

(2) Johnson : Idid ; p.119.

(٣) الجزية والإسلام ص١١٧ ، ويذكر أيضاً أنه فى شهر يونيو وأغسطس من كل عام يصدر حاكم الشرق منشوراً محدداً فيه تقدير الضرائب وما يترك للنفقات المحلية ، ومايرسل إلى خزانة الدولة ، وخزانة الحاكم العام. ويصدر هذا المنشور إلى حاكم المديريات ، وهؤلاء بدورهم يذيعون المنشور فى سبتمبر أو أكتوبر ، وكانت لهم السلطة المباشرة على الضياع الإتوبراجية - المرجع السابق والصفحة.

(4) Johnson : Lbid p.111

(٥) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، ج١ ، ص٤٩ .

(٦) دانيل دينيت : الجزية والإسلام ، ص١١٨ - ١١٩ .

أهـالى الإقلـيم إلـى تـرك أراضيهم مثل كثير من المصريين ، وأعمالهم والهروب إلى الأديرة والكنائس، ووضع أنفسهم تحت حماية ملاك الأراضى وأصـحاب الضياع[١] ، ولكنه كان فى الواقع كالمستجير من النار بالرمضاء فبمضـى الزمـن صارت الأرض إلى المالك الكبير الذى وضع نفسه تحت حمايته وهكذا تحول الفلاح الصغير إلى مجرد عامل أجير لدى هذا المالك[٢].

أمـا من الناحية الثقافية فكان الأقباط فى مدينة قفط شأنهم فى ذلك شـأن الأقـباط فى الكور ، والأقاليم المصرية حيث كانت اللغات السائدة فى ذلك العصر هى اللغة اليونانية واللغة القبطية[٣] ، وكانت اللغة اليونانية حتى الفتح العربى هى اللغة الرسمية للحكومة والكنيسة والعلاقات الخارجية ، أما اللغة القبطية فقد تفرعت إلى لهجات متعددة وتكلم بها غالبية المصريين القبط الذيـن يعملـون فـى الزراعة ويجهلون اللغة اليونانية وهى اللغة الرسمية آنذاك[٤].

ويـبدو أن النشـاط الفكـرى فى مدينة قفط كان قاصراً على أبناء الأغنياء دون الفقراء ، وقد تركزت مراكز النشاط الفكرى فى الأديرة القبطية وأشـهرها ديـر الشهداء بجوار مدينة قفط ، كما كان يوجد فى الشمال الدير الأبـيض بسـوهاج ، ودير آخر إلى الجنوب منها يدعى دير مارى جرجس بأسـوان ، وذلك بالإضافة إلى ما كان يدور من مجالس للوعظ والتعليم فى كنيسـة قفـط[٥] ، وكانت هذه الأديرة وغيرها[٦] تضم مكتبات تحتوى على الكتـب الدينـية بصفة خاصة[٧] ومنها رسالة مكتوبة على ورق البردى وقد

---

(1) Munier : L' Egypt Byzantine, p.93

(٢) سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م) ص١٢ .

(2) Johnson : Byzantine Egypt Economic p.39

(3) Dimitri Meeks Et Autres: Egypt Libairre Hachette (paris 1971) PP. 22,25

Munier : Op-Cit, p.87

(٤) فاطمة عامر : تاريخ أهل الذمة ، ج١ ، ص٥٠

(٥) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١، ص ١٧–١٨ .

(٦) الأديـرة القبطـية الأخـرى وأشـهرها ديـر سـنت ميخائـيل بالفـيوم ، وديـر سـنت مقـار فـى وادى الـنطرون
Munier : Ibid, P.87

(7) Munier : Ibid, p. 87.

كتــبها بطريك قفط ويدعى بشندى Picendi أسقف قفط جاء فيها أن الأقباط قــد يمتلكون ذهب مرسوم عليه صورة الصليب وصورة السيد المسيح وكان هذا الذهب على هيئة عمولات مربعة الشكل يوجد بكل عملة صورة الصليب وعلى الوجه الأخر صورة السيد المسيح [١].

بالإضـــافة إلى ذلك كانت توجد مؤلفات فى الطب والفلسفة والتاريخ وغــيرها مــن العلوم، وقام الرهبان بترجمة الكتب اليونانية إلى القبطية إلى جانب كتاباتهم فى التاريخ وجغرافية بلادهم ، والأدوية الطبية فقد عثر بعض الفلاحيــن فى الصعيد على بردية صغيرة مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية ، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع/ الثامن الميلادى وتشتمل هذه البردية على أسماء عقاقير طبية كانت شائعة الاستخدام فى القرن السابع ، الثامن الميلادى والــتى استعملها المصريون القدماء طوال تاريخهم وخاصة النباتية منها مثل السمسم وحصرم العنب والبابونج والسذب والجميز والشعير ، بالإضافة إلى الكبريــت وبعض المواد الكيميائية الأخرى [٢] ، وفى موضع أخر يشير أحد الدارســين أنه قد عثر فى منطقة جرجا – بالصعيد الأعلى على بردية طبية مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية أيضاً كسابقتها ، وتعتبر هذه البردية من أهم المراجع فى علوم العقاقير والعلاج فى العصر القبطى بمصر [٣].

كذلك كانوا يكتبون سير القديس والبطاركة ومؤسسى المذاهب الدينية والقواعد الديرية وغيرها من نواحى النشاط الفكرى [٤].

---

[1] Quetemere : Memoires geographiqu es et Historiques Sur L'Egypte, T.L, p.343,(paris 1811
Sauraive : Materiaux (Journd Asiatique . Septieneserie T . x17 (1879) pp. 456-457

سيدة اسماعيل الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٦٩

سعاد ماهر : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٣٧٩هـ– ١٩٦٠م) ص١٦٢

[٢] سمير يحيى الجمال : تاريخ الطب والصيدلة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م) ج٣، ص ٢٢، ٢١

[٣] سمير يحيى الجمال : المرجع السابق والصفحة .

[٤] فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة ، ج١ ، ص٥٠ — Munier : L, Egypt Bzantine, p. 87

وقد تزامن مع ما أشرنا إليه من أحوال مصر الداخلية فى تلك الفترة من وقوع أحداث فى شبه الجزيرة العربية ، كان لها أهميتها وأثارها البعيدة المدى فى تطور التاريخ البشرى ، إذ ظهر الإسلام يدعو الناس إلى وحدانية الله ونبذ عبادة الأوثان[1].

أرسـل الرسـول الكـريم إلى المقوقس يدعوه إلى الإسلام ، وأعلن المقوقـس ترحيـبه باعتناق الإسلام إلا أنه كان يخشى معارضة القبط لهذه الدعـوة ، ثـم طلـب منه ألا يخبر أحداً من أهل مصر بما دار بين سفارة الرسول وبينه من حديث وألا يشير إلى رغبة المقوقس فى الإسلام [2]، ويبدو أن خـبر سفارة الرسول الكريم إلى مصر [3] قد بلغت إقراقيس حاكم مدينة

---

(1) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٣٦ ، الإسلام وأهل الذمة ، ص٦٥
ويذكر ابن عبدالحكم فقد بعث محمد نبى الإسلام إلى المقوقس عظيم القبط فى مصر بسفارة على رأسها حاطب ابن أبى بلتعة اللخمى – لكى يدعوه والأقباط المصريين للدخول فى هذا الدين الجديد ، حيث بلغت مصر سنة ٧ هـ / ٦٢٨م ، وقد جاء فى كتاب النبى : " بسم الله الرحمن ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى فأما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : أشهد بأن مسلمين " ٠ ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٤١-٤٢ ، ابراهيم أحمد العدوى : مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام ، (مطبعة الأثار المصرية ١٩٩٢ م) ص١٩
كما أحسن المقوقس فى استقباله لحاطب بن أبى بلتعة رسول النبى صلى الله عليه وسلم ، ويشير ابن عبدالحكم إلى مادار بينهما من حديث بشأن النبى وصفاته ، وإنه كان يعلم مسبقاً بظهور نبى جديد ولكنه كان ينتظر ظهور دعوته فى أرض الشام أرض الأنبياء لا فى شبه الجزيرة العربية ٠ ابن سعد (ت ٢٣٠هـ – ٨٤٥م) : الطبقات الكبرى ، أعد فهارسها : سها رياض ، عبدالله عبدالهادى (دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان) ١٩٩٦م ، ج٣ ، ص٦٠ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٤٣،٤٤، ويقول ابن سعد أن المقوقس لما وصله كتاب النبى قرأه ثم وضعه فى خف من عاج وختم عليه ، وطلب من بعض جواريه أن تحفظه له ، وقال لحاطب خيراً المصدر السابق والجزء والصفحة

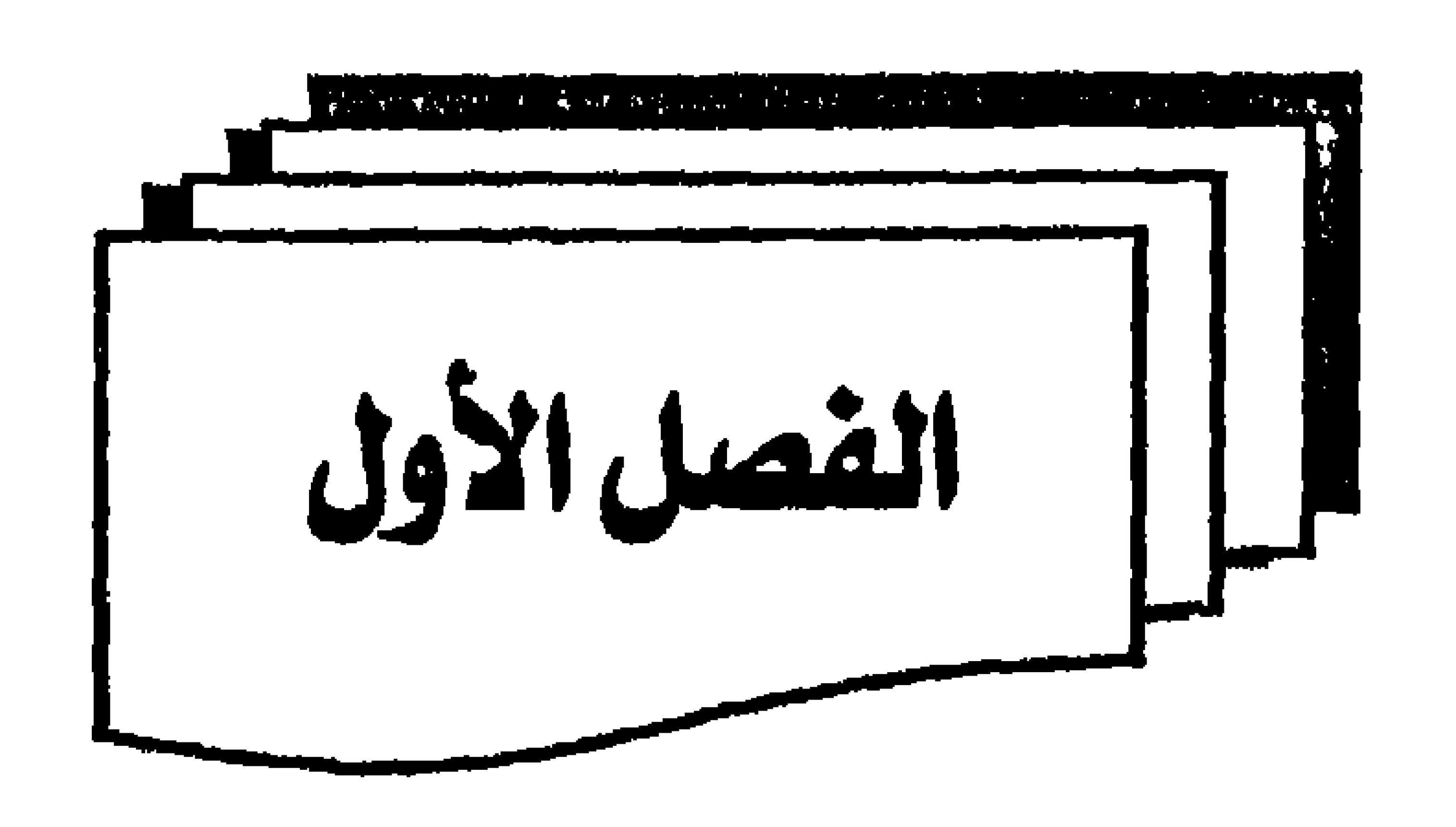
(2) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٤٢

(3) ولقد بعث المقوقس كتاباً إلى النبى رداً على كتابه ، جاء فيه " لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وماتدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمنا رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام " ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٦٠ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ص٤٣،٤٤ ٠

قفـط ، وربما اطلع عليها كذلك البطريك بنيامين الذى كان على مقربة منه آنذاك .

وخلاصة القول أن الظروف كانت مهيأة لنجاح الفتح العربى لمصر، وترحيـب الأقباط فى سائر الأقاليم بهؤلاء الفاتحين العرب المسلمين ، حيث رأوا فى ذلك الفتح العربى مخلصاً لهم من اضطهاد البيزنطيين ، ومحققاً لهم الأمـن والسـكينة والعدل حتى يستطيعوا ممارسة عقائدهم الدينية فى حرية وطمأنينة وسلام .

=ويقول ابن سعد إحدى هاتين الجاريتين هى ماريا القبطية والثانية سيرين التى وهبها النبى لشاعره حسان بن ثابت ، كما كان من بين الهدايا ثياب قبطية وبغلة بيضاء وحمار أشهب ومـال وصدقـة ، الطبقـات الكـبرى ، ج٣ ، ص٢٦٠ ، وابن عبدالحكم : المصر السابق والصفحة ولقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بقبط مصر خيراً فى عدة أحاديث منها " إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم رحماً وذمة " وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم فيهم صهراً وذمة " السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج١ ، ص١٣، ١٢، ١٥ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج١ ، ص٢٠٢ .



الأحداث السياسية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

أولاً : الفتح الإسلامى لمدينة قفط (٢٢هـ / ٦٤٢م)

١- مراحل الفتح العربى الإسلامى لمدينة قفط .

٢- مدينة قفط ودورها فى محاولة فتح بلاد النوبة .

٣- انتشار الإسلام فى مدينة قفط بعد الفتح الإسلامى .

ثانياً : الأحداث السياسية فى عصر الولاه " الأمويين والعباسيين "

(٢١-٢٥٤هـ / ٦٤١-٨٦٨م)

ثالثاً : الأحداث السياسية فى عصر الطولونيين والإخشيديين.

(٢٥٤-٣٥٨هـ / ٨٦٨-٩٦٦م).

رابعاً : الأحداث السياسية فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٤٨٧هـ / ٩٦٦-١٠٩٤م).

١- موقف أهالى قفط من ثورة أبى ركوة على الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦- ٤١١هـ) .

٢- دور أهالى قفط فى القبض على كنز الدولة الثائر ضد الفاطميين فى عهد المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ – ٤٨٧هـ).

أولاً : الفتح الإسلامي لمدينة قفط

١- مراحل الفتح العربي الإسلامي لمدينة قفط :-

استولى عمرو بن العاص [١] على بيت المقدس ، بعد أن شدد الحصار عليها ، وفر قائدها أرطبون إلى مصر ، ورأى بطريقها " صفر ونيوس " أن المقاومة لا تجدى ، وعرض على العرب أن يأتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس حيث يقرر بنفسه شروط تسليمها ، فخرج عمر بن الخطاب من المدينة والتقى بقواده في الجابية [٢] بالقرب من دمشق ثم سار إلى بيت المقدس وتسلمها سنة ١٥ هـ / سنة ٦٣٦م [٣].

ولعل عمرو أدرك الضرورة الحربية التى تقتضى على العرب بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام أن يولوا وجوههم شطر مصر ، وذلك لتأمين حدود الشام من الخطر البيزنطي فى مصر [٤] ، فاقترح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يسيره إلى مصر [٥].

---

[١] عمرو بن العاص : من قبيلة قريش من بني أميه ، وقد أرسلته قريش إلى الحبشة ، للتفاوض مع النجاشي ملكها لتسليم المسلمين المهاجرين إليها. وقد أسلم عمرو فى وقت متأخر من البعثة النبوية الشريفة قيل أسلم في عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي.ابن سعد : الطبقات الكبرى ،ج٤،ص٤٤٧،ج٧، ص٢٩٢ ابن الأثير: أسد الغابة في تميز الصحابة ،ج ٤، ص٢٤٤ وما بعدها.

[٢] الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان ، وفيها خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطبته المشهورة - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٩١ .

[٣] ابن عبدالحكم : فتوح مصر ،ص ٨٠، ٨١،البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩، المقريزى: الخطط، ج١ ص ٢٨٨-٢٨٩، حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص، (مدبولى ١٩٩٦) ص ١٠٣-١١٠.

[٤] سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٧،٩.

[٥] ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٨٠،٨١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩، وفى ذلك يقول بتلر ولعل عمراً أفضى إلى عمر برأيه فى فتح مصر منذ كانا فى بيت المقدس ، ولكن الخليفة رأى أن وقت ذلك الفتح لم يحن بعد ، فلما ظهر العرب وانتهت الحرب أو كادت ، عاد عمرو بن العاص إلى عرض رأيه .

بتلر: فتح العرب لمصر ،ص ١٧٢، جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ص ٤٩ .

كان الجيش الإسلامي في ذلك الوقت مشغولاً بمحاربة الروم في بلاد الشام فرأى الخليفة أنه ليس من الحكمة توزيع قواته بشكل لا يحقق الهدف المنشود، ولم يمض على ذلك ثلاث سنوات، حتى أعاد القائد عمرو على الخليفة عمر بن الخطاب اقتراحه[1] ويذكر ابن عبدالحكم[2] أنه حين قدم عمر إلى الجابية خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه في المسير لمصر وكان عمرو قد دخلها في الجاهلية[3] وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها حيث كان يختلف كما يقول الكندي[4] "بتجارته إلى مصر وهي الأدم والعطر".

وعلى الرغم من انشغال جيش المسلمين فقد أذن الخليفة عمر بن الخطاب لقائده عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر لفتحها فكان ذلك القرار في مؤتمر الجابية سنة ١٧ هـ / سنة ٦٣٨م[5]، فسار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلى مصر على رأس جيش يتكون من أربعة آلاف مقاتل[6] في سنة ١٨هـ / سنة ٦٣٩م[7]، ووصل العريش في أواخر تلك السنة ، ومنها اتجه إلى الفرما[8] في أوائل عام ١٩هـ/ ٦٤٠م[9]، وواجه مقاومة من الجنود البيزنطيين استوقفته شهراً، وتغلب عليها وهزمهم ، وواصل السير

---

[1] السيد طه أبو سديره : القبائل اليمنية في مصر ،(القاهرة ١٩٨٨م) ص ٩-١٠ .

[2] فتوح مصر والمغرب ، ص ٧٦، حسن ابراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، ص ١١٠-١١١ .

[3] كان بعض الصحابة يترددون على مصر للتجارة ، ويعرفون كل بقاعها أو طرقاتها ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص٥ .

[4] الولاة والقضاة ، ص٧، حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص٤٣ .

[5] ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٨٠ .

[6] ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨١ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

[7] ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص٨٥ ، المقريزي ، المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

[8] الفرما :مدينة مصرية في أقصى شمال شرق دلتا النيل على مقربة من بحيرة تينيس ،يذكر العرب أنها كانت مدينة السيدة هاجر أم النبي إسماعيل عليه السلام ،عبدالحكيم العفيفي : موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية،(الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)،ص ٣٦٠ وهي الآن شرقي بور سعيد الحالية

[9] البلاذري : فتوح البلدان ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

متغلـباً علـى مايصـادفه من مقاومة، ولما بلغ أم دنين[1] نشب قتال شديد، وتغلب العرب على أعدائهم وفى ذلك يقول الكندى[2] "فقاتلوه بها قتالاً شديداً، وكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده".

كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه المدد من الجند،فأمده بأربعة آلاف على رأسهم أربعة من مشاهير القواد،وصف الواحد منهم بأنه كان يعادل ألف جندى، وهؤلاء هم الزبير بن العوام، وعباده بن الصـامت، والمقـداد بن عمرو الأسدى، ومسلمة بن مخلد[3]، والتقت جنوده بجنود المقوقس الحاكم البيزنطى على مصر فى ذلك الحين، حيث نشب قتال شـديد بين العرب والروم وأرغمهم عمرو على التحصن بحصن بابليون[4] فحاصـروه وشددوا عليه الحصارعلى أن البيزنطيين قاوموا الفاتحين بكل ما أوتـوا من قوة ، بل انسحبوا من كافة الحصون الفرعية ليركزوا الدفاع عن حصن بابليون[5]، ولما شعر عمرو ابن العاص بصعوبة فتح الحصن لمناعته وقلـة جـنده، بعـث إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه سرعة إرسال إمدادات عسكرية تمكنه من التغلب على الصعاب التى تواجهه[6].

---

(1) أم دنين : موضع ورد ذكره فى أخبار الفتح وهى قرية كانت بين القاهرة والنيل - ياقوت : معجم البلدان ج١،ص٢٥١، وهى تقع شمال حصن بابليون ، وقد ذكر لها يوحنا النقيوسى اسماً آخر وهو تندونياس Tendounya

سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص١١، هامش(٢)، محمد رمزى: *القاموس الجغرافى، القسم الأول*، ص ١٢٨- ١٢٩. وموقعها اليوم فى قلب القاهرة على وجه التحديد حديقة الأزبكية: بتلر: فتح العرب لمصر ، ص ١٩١.

(2) الولاة والقضاة ، ص٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، ص ١١١ .

(3) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٧، ٩١.

Lane – poole : Ahistory of Egypt in the Middle Ages, p.15 .

(4) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٩١، السيوطى: حسن المحاضرة ، ج١، ص ١٠٧ .

(5) أيقن " تيودور " قائد القوات البيزنطية أن هذه الحرب لم تكن من غارات البدو ، بل كانت غزواً منظماً ، فأسرع " تيودور " وقيرس إلى حصن بابليون ، وجمع فيه الجند ، لذا كان فى استطاعة الجيش البيزنطى أن يهبط على العرب فى أى وقت شاء . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩٢ .

(6) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٨٥، المقريزى ، الخطط ، ج١ ص ٢٨٩ .

رأى عمــرو بن العاص بعد أن طال حصار الحصن أن يعهد إلى فــريق من جنده بحصار الحصن ، بينما يتجه على رأس الفريق الآخر إلى إقليم الفيوم[1] ، فسار بمجموعة إلى الفيوم ، وشن عليها عدة غارات وقاومته القوات البيزنطية المتمركزة بالفيوم للدفاع عنها[2] ، فرأى عمرو بن العاص ضــرورة الــتحرك السريع ، بعد أن نمى إلى دومينتانوس الحاكم البيزنطى علــيها بزحف قوات المسلمين نحو بلاده ، فأقام التحصينات حول المدينة ، فلما سمع عمرو بن العاص ذلك،عدل عن مهاجمة الفيوم وولى وجهه شطر الصــحراء وواصل السير حتى بلغ البهنسا[3] وهنا يشير يوحنا النقويسى أن العرب شددوا هجماتهم عليها ، ونكلوا بكل من اعترضهم من الجند المدافعين عــنها الأمر الذى جعل قائدهم يفكر فى العودة إلى موضع يسمى أبويط[4]، ولكــن ذلــك لــم ينجه من عمرو بن العاص فقد باغته على حين غفلة منه وقتلــه[5] .

عــاد عمــرو بن العاص أدراجه وهاجم حصن بابليون بعد أن أمده أمــير المؤمنين عمر بن الخطاب بمدد عسكرى، ونشبت معركة ضارية بين العرب والروم،أظهرت تفوق المسلمين على أعدائهم فاضطر المقوقس الحاكم البيزنطى لمصر إلى مفاوضة العرب فى الصلح حيث تمكن من عقد معاهدة

---

(1) ابن عبدالحكم : المصدر السابق ، ص٩١-٩٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩-٢٥١

Garcia : un Centre Muslman dela Houte . Egypt Medievale Qus P.34

(2) Garcin : Op – Cit ; PP. 34-35

(3) البهنسا : هنا بكورة الفيوم – وليست مدينة البهنسا حاضرة كورة البهنسا بالصعيد الأوسط. بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩٧، حسن ابراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، ص ١١٧-١١٩ .

(4) أبويط :هناك بلدتان فى مصر يحملان هذا الاسم ، أحدهما أبويط قرب بوصير قوريدس فى مصر السفلى وهى التى دارت فيها هذه المعركة ،والأخرى أبويط بكورة أسيوط ، ياقوت الحموى :معجم البلدان ، ج١، ص ٩٦، يوحنا النقيوسى :تاريخ مصر،ترجمة د. عمر صابر عبدالجليل. (الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٠م)، ص ١٩٤ وتقع اليوم بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف ،محمد رمزى :القاموس الجغرافى، ج٣، ص١٢٥ .

(5) يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر ، ١٩٥، ١٩٦، بتلر : فتح العرب لمصر، ص ١٩٦ .

بابليون الأولى في أكتوبر سنة ٦٤٠م وجاء فيها يكفل للمصريين حرية العقيدة وتأمينهم على حياتهم وأموالهم مقابل دفع الجزية للعرب [١] .

وعندما سمع "هرقل "أعلن رفضه لهذا الصلح فى نهاية عام ٦٤٠م، فعاد العرب إلى شن حملاتهم على البلاد المصرية، فدخلوا الفيوم، وأبويط، وطوقوا حصن بابليون تطويقاً كاملاً واقتحموه فى أبريل عام ٦٤١م[٢] وسيطر العرب على أكثر قاعدة تمكنهم من فصل الدلتا عن الصعيد، وشجعت هذه الانتصارات المسلمين على مواصلة الفتح فى البلاد المصرية[٣].

بعد أن تمكن العرب من دخول حصن بابليون بدأت المرحلة الثانية من مراحل الفتح، وهى الزحف إلى الإسكندرية وكانت ظروف أمبراطورية الروم فى ذلك الوقت، هيأت الفرصة أمام العرب لفتحها، وكان الروم يعلمون مدى أهمية هذه المدينة التجارية والحربية والبحرية، حيث بذلوا كل ما فى وسعهم فى سبيل الدفاع عنها وفى أثناء ذلك توفى الأمبراطور هرقل فى"١١ فبراير سنة ٦٤١م الموافق ٢٠هـ[٤]، وبعد موته انقسم القادة بالمدينة على أنفسهم ،وفضل الكثير منهم الصلح مع المسلمين بعد محاصرتها أربعة عشر شهراً[٥]، وطلب قيرس الصلح من عمرو بن العاص بعد أن ذهب إلى بابليون، ولذلك عرفت هذه المعاهدة بمعاهدة بابليون الثانية تمييزاً لها عن المعاهدة الأولى وأطلق عليها أيضاً معاهدة الإسكندرية ،وكانت هذه المعاهدة فى ٩ نوفمبر عام ٦٤١م الموافق ٢٠هـ[٦]، وأهم بنود هذه الاتفاقية جلاء

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٩٠-٢٩١ ، لين بول : سيرة القاهرة ، ص٥١-٥٢ .
Mac Mechael : Ahistory of Arabs in the Sudan, vol,1,p.156 .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٢ ، أحداث سنة ٢٠هـ

(٣) يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر ، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩١، ٩٢، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩، ٢٥١ .

(٥) ابن عبدالحكم : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٦) يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر ، ص ٢٠٤ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص١٩٥ .

حامية الروم عن الإسكندرية، وعدم عودتها إليها مرة ثانية وتعهد المسلمون بترك الكنائس للمسيحيين، يقيمون فيها شعائرهم الدينية بحرية تامة، في مقابل دفعهم الجزية للعرب، كما سمح العرب لليهود بالإقامة في الإسكندرية[1]، وعقدت هدنة بين الطرفين العرب والروم لمدة أحد عشر شهراً ، وكان نتيجة لهذا أن اتجهت أنظار العرب بعد ذلك لفتح صعيد مصر فأرسل عمرو بن العاص بعض سراياه إلى كورة البهنسا [2] .

كان على العرب ضرورة اجتياز أكبر عقبة تعترض أهدافهم الرامية إلى فتح صعيد مصر،[3] وذلك، بمحاولة فتح مدينة البهنسا أقوى حصون الصعيد الداخلية لما لها من جدران عالية وأبراج حصينة[4] .

أعد "البطليوس" العدة للدفاع عن المدينة ودرء الغزو عن دياره، وكان أول مسلك اتخذه أن استشار خواصه في الإقامة في المدينة أو الخروج إلى ظاهرها،فاجمعوا الرأى على القتال خارج الأبواب، وجعل المدينة خلف ظهورهم على أن تصل إليهم المساعدة من فوق الأبراج[5] أدرك البطليوس حاكم البهنسا خطورة الموقف فأرسل حينذاك بالرسائل للبطاركة في أنحاء الصعيد، وفيها يأمرهم بأن يعدوا العدة للوقوف إلى جانبه في دفع العرب عن بلاده، ويأتوا إليه في البهنسا، ومن هؤلاء حاكم مدينة قفط ويدعى

---

(1) ابن عبدالحكم المصدر السابق ،ص ١١٧، السيد عبدالعزيز سالم :تاريخ الدولة العربية ، (الإسكندرية ١٩٧٦) ج٢، ص٢١٧ .

(2) البهنسا : مدينة بصعيد مصر ومركزاً لأعمال البهنساوية بجوار الأشمونيين . :ابن الجيعان :التحفة السنية، ص ١٥٩، قرية بكورة الفيوم وهي ليست كورة البهنسا المعروفة في مصر الوسطى . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢، ص ٢١٦ .

(3) الواقدى : فتوح الشام ، ج٢، ص٢٢٥، والنويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج١٩ ،ص ٣٢٩ بتلر : فتح العرب لمصر، ص ٣١٠، السيد طه أبو سديره: القبائل اليمنية في مصر ، ص ٢٦-٢٧ .

(4) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٤ .

(5) الواقدى : فتوح الشام ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

"أقراقيـــس"[1] كان يتمتع بشخصية قوية ونفوذ عظيم فى الصعيد الأعلى فأعد العدة وكان ذلك بإيعاز من الراهب القبطى راهب مدينة قفط ويدعى " يعقوب بـــن نســـطورس"[2] هذا بالإضافة إلى أنه أرسل إلى صاحب النويه والبجه المسمى الكبلاج ليعلمهم بقدوم القوات العربية نحو بلاده[3].

اســـتطاع ملك النوبة حشد قواته حينذاك ، وسيرها إلى منطقة أسوان حيث بلغوا مدينة قفط ومنها إلى البهنسا ، وانضموا إلى قواتها التى احتشدت للدفاع عنها وهكذا شاركت قوات من أهل النوبة فى العمليات العسكرية ضد القـــوات العربـــية الـــتى كانت تعمل على فتح تلك الجهات فى منطقة مصر الوسطى[4].

بدأ العرب نشاطهم بحصار فرضوه على البهنسا، وكانت "فرق منهم تحاصر المدينة وكان قائد القوات العربية القيس بن الحارث"، وبدأت المعارك بجانب الأسوار، وضم جيش العرب ثلاثمائة فارس ثبتوا فى القتال مع قوات البطلـــيوس ســـبعة أيـــام[5]، وأثاروا الرعب فى قلوب أعدائهم، ففكروا فى الهروب جنوباً فتلقاهم جيش "القيس بن الحارث"، فأعمل فيهم العرب السيف كـــيف شـــاءوا ولم ينج منهم إلا الشريد ، ولما نمى ذلك إلى علم "البطليوس"

---

(١) أقراقيس : ولد من أسرة قبطية محافظة على التعاليم الروحية المجيدة ، فدفعه تطلعه إلى أن يهجر بيت أبيه ويذهب إلى وادى النطرون وعول حفظ سفر المزامير وأسفار الأنبياء الأثنى عشر الصغار وإنجيل القديس يوحنا البشير. The Coptic Encyclapeadia, Aziz. S, Atiya, V,7 art (Qift)

(٢) يعقوب بن نسطورس : ينتمى هذا الراهب إلى دندرة وهى مدينة قديمة وكان يطلق عليها Tentera فى العصر الفرعونى ثم الرومانى وكان مقيماً فى مدينة فقط حيث كانت قصبة الأقليم أنذاك . The coptic Enc. art Qift

(٣) الواقدى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٤ .

(٤) يؤكد الدكتور مصطفى محمد مسعد عدم اشتراك أهل البجه فى العمليات العسكرية فى بلاد البهنسا بقوله غير أن عدم الإشارة إلى البجه فى عقد الصلح الذى تم بين المقوقس وعمرو بن العاص ، يدل على عدم شتراك البجه فى أى عمليات عسكرية ضد العرب أثناء فتحهم لمصر الوسطى ، بل يشر فقط إلى اشتراك أهل النوبة. البجة والعرب فى العصور الوسطى ، ص ٢٢ .

(٥) الواقدى : فتوح الشام ، ج٢ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

رأى أن يتجه إلى الحلول السلمية ، فأرسل يطلب مصالحة العرب،غير أنه لم يفلــح[1]، وهكــذا أدرك حاكم البهنسا مدى ضعف موقفه أمام جحافل الجيش العربــي حيث أصبحت القوات العربية تطوقه من جميع الجهات، هذا فضلاً على أنه أراد ألا يقحم نفسه في معركة غير محمودة العواقب.

اســتمر العــرب فــي القتال وكان البطليوس قد خرج إليهم بجنوده، والــتحم معهــم وكانت مقتلة عظيمة تفوق فيها العرب على قوات البطليوس واضــطر علــى أثــرها إلــى العودة إلى قصره واستمر العرب في تقدمهم وحاصــروا قــصر "البطليوس "ودارت بين الفريقين رحى المعركة وانتهى الأمر بمقتل البطليوس.[2]

كــان لدخــول العرب الفاتحين مدينة البهنسا نتائج بالغة الأهمية، إذا اطمئن العرب إلى تأمين مواصلاتهم شمالاً وجنوباً، كما مهد هذا الفتح لضم مــنطقة مــصر الوســطى إلى حوزة العرب، وواصل العرب السير جنوباً يفتحون القرى والمدن دون مقاومة غير أن العرب طافوا أرجاء المنطقة فيما بين أواخر عام ٦٤١م وأوائل عام ٦٤٢م عام ٢٠-٢١هـ[5].

ســار أحــد القــواد العــرب ويدعى خارجة بن حذافة[6] إلى مدينة أخميــم[7]، وذلك بعد الانتهاء من فتح بلاد البهنسا، وكما تشير المصادر فقد

---

(١) الواقدى ، المصدر السابق والجزء، ص ٢٧٤- ٢٧٨ .

(٢) الواقدى : المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) محمد أحمد محمد أحمد : المنيا في العصر الإسلامي ،رسالة ماجستير - غير منشورة ، كلية الآداب جامعة المنيا سنة ١٩٧٨م، ص ٢٩ ، ٣١ .

(٤) خارجه بن حذافة السهمي : من قبيلة قريش ، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب كمدد للمسلمين في مصر ، أثناء محاصرة حصن بابليون ، وقد شهد خارجه فتح مصر ، وقد ولي الشرطة في عهد عمرو بن العاص وأصبح صاحب الشرطة ، ابن الأثير : أسد الغابة في تميز الصحابة ،ج٢، ص٨٤ . وقد عاش خارجه حتى شهد الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ،كما شهد مقتل الخليفة علي بن أبي طالب ، وقد قتل خارجه خطأ على يد أحد الخوارج الذين انتدبوا لقتل عمرو بن العاص ،فقتل أثناء الصلاة بالمسلمين ،وكان يظن قاتله أنه عمرو بن العاص . ابن سعد :الطبقات الكبرى ،ج٤، ص ٤١٥ .

(٥) أخميم : تقع شرق النيل بالصعيد ، وهي بلد قديم به الآثار والمباني القديمة وسميت باسم الملك اخميم ، حيث يوجد بها البربا عجائب الدنيا ، فيبدو أن ذى النون الأخميمي أو النوبي قرأ الكتابة المكتوبة على حوائطها . ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص ٢٥ .

أختلف الأمر في فتح منطقة مصر العليا عما حدث حين فتحهم مصر الوسطى، حيث لم يلق العرب مقاومة تذكر على الرغم من صعوبة مسالكها، التي يصعب معها العمليات العسكرية على القوات المهاجمة[١].

ولعل السبب يرجع في ذلك لما سمعه أقباط الصعيد الأعلى حينذاك عن سماحة الإسلام، فكان قواد المسلمين العرب بعد انتصارهم يعطوا الأمان لأهالي البلاد المفتوحة عقداً بالصلح يتعهدون بمقتضاه بالتأمين على أرواحهم وممتلكاتهم[٢]، لذا بادر الأقباط بالدخول في الإسلام، ومدوا يد العون للعرب الفاتحين ورحبوا بقدومهم ،[٣] ورأوا فيهم خلاصاً من نير البيزنطيين وظلمهم ومصداقاً لرؤيا الأب بنيامين بطريق الكنيسة المسيحية المصرية.[٤]

وواصل خارجه بن حذافة سيره إلى إخميم ورحب أهلها بمقدمه، مما أدى إلى فتحها صلحا[٥]، وهكذا دخل العرب المدينة دون إراقة دماء[٦]، وكانت إخميم من أهم مدن مصر العليا في هذه الفترة، حيث تركزت فيها معظم صناعات الصعيد بها في العصر البيزنطي، وخاصة صناعة النسيج التي تركزت في يد الأقباط المصريين[٧].

سار خارجه بن حذافة بعد فتحه مدينة إخميم إلى مدينة قفط[٨] وكانت ذات الحصون والأسوار العالية والأبراج الحصينة[٩]، فهي من أقدم المدن

---

[١] الواقدي : فتوح الشام ، ج٢ ، ص ٢٦٣ .

[٢] الواقدي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

[٣] الواقدي : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة • بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٥ .

[٤] ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطاركة ، ج١ ، ص١٠٦ .

[٥] ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ، ص٩ عبدالباسط محمد حسين : دور القبائل الحجازية في الفتوحات الإسلامية ،ص٧٣، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ،سنة١٩٨٤ .

[6] Garcin : Un Centre Muslman; p. 34 .

[٧] زكي محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ، ص ٩٣ .

[٨] عبدالباسط محمد حسين : دور القبائل الحجازية في الفتوحات الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٤ ، ص٧٣ .

[٩] ويذكر الدكتور محمد عبد الستار عثمان أنه يتحكم في اختيار موقع المدينة الإسلامية ، مايتمتع به الموقع من تحصين يعين على دفع الأخطار التي تحدث عند هجوم الأعداء عليها ، وبرزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ عهد قديم ، عندما نشأت المدينة وزاد عمرانها وثراؤها ، وبدأت تتعرض لهجمات الأعداء ، مما أدى إلى

المصـــرية فـــى الصعيد الأعلى[1] ، ولما وصلت الأخبار إلى إقراقيس حاكم مدينة قفط بقرب وصول الجند العرب، أدرك حينذاك أنه لا قبل له بمواجهة هـــؤلاء ففكـــر فـــى تسليم المدينة للعرب وذلك حقناً للدماء خاصة بعد مقتل البطلـــيوس حاكم البهنسا[2]، وقد شجعه علـــى ذلك أساقفة المدينة يعقوب بن نسطورس وبشندى Picendi [3] اللذان أوضحا له أن العرب هم قوم منقذون ومحررون لهم من نير الرومان.[4]

وهكـــذا اســـتقر رأى اقراقيس حاكم مدينة قفط والأساقفة على تسليم المديـــنة فخرجوا خارج الأسوار لاستقبال العرب الفاتحين بقيادة خارجة بن حذافة والترحيب بهم ، كما رحب العرب القاطنون فى قفط ببنى جلدتهم بدافع القـــرابة وصلة الدم[5]، وهكذا فتحت قفط صلحاً على أن تدفع الجزية للعرب الفاتحيـــن[6] وضع العرب أيديهم على ما احتوته كنيسة قفط، ودير أبو سنده بها من ذخائر وذهب وفضه وأعمدة رخامية[7] ومما يدل على ذلك فيما بعث

= تحصين المدينة بالأبراج والقلاع. : المدينة الإسلامية ، دار الآفاق العربية ، (الطبعة الأولى ١٩٩٩ م) ص١٠٦ - ١٠٧ ، ولمزيد من التفاصيل راجع : محمد عبدالستار : المرجع السابق من ص ٩٥ : ١٣٥ .

(١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج٤، ص ١٧٧ .

(٢) الواقدى : فتوح الشام ، ج٢ ، ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٦٩ .

(٤) فقد كانوا يبغضون الرومان بغضاً شديداً لما قاسوه على يد أعوان المقوقس .فاطمه مصطفى عامر:تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٠٠-١٠١

(5) The coptic Enc, art "Qift " Quatrmere : Memoires geogrophiques et Historiques Sur L'Egypte T.1, P.343 , Sauvaire : Materioux jaurnal Asiatique Septieme Serie T.x 17, PP. 456 – 457 .

(6) Notices et Extvaits Des Manuserits, Cophth, p.450

فرضت ضريبة على سكان البلاد المفتوحة ، تعرف بالجزية وتكول بدفع المال على الرؤوس ، وذلك للدلالة على عزة الإسلام ، وقد ذكرت هذه الضريبة فى القرآن الرسول وجباها الرسول (ص) وكانت بسيطة فى اول الأمر ، وحسب أحوال المفرضة عليه . ، البلاذرى : فتوح البلدان، ص٦٨ . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٢٦

(٧) سيدة الكاشف:مصر فى فجر الإسلام ،ص ٦٩

Quatrmers : Op – Cit, P.343
Suvaire: Op-Cit, P45b - 457

بـــه بشندى Picendi أسقف قفط إلى أساقفة أمته وما ورد فى كتابه لهم أن العرب أخذوا الذهب و النفائس.[1]

وقـــد أبقـــى العرب الفاتحون على النظم الإدارية السائدة فى البلاد ، وهكـــذا ظل حاكم قفط آنذاك فى منصبه دون تغير ، وأصبح مسئول مباشرة أمام والى البلاد [2]

أما موقف البجة من الفتح العربى لمدينة قفط فإنهم لاذوا بالفرار تجاه الجـــنوب[3] ولعل السبب فى ذلك هو خوف البجاه على مصالحهم الاقتصادية فى أرض المعدن والتى تقع شرق مدينة قفط[3] ، هذا بالإضافة إلى العلاقات العدائية التى كانت تربطهم بجيرانهم النوبيين ولهذا السبب لم يمدوا يد العون لجيرانهم ضد الفاتحين العرب[4]

ومن ناحية أخرى كان موقف ملك النوبة "الكبلاج "من الفتح العربى لمديـــنة قفط فقد أراد أن يحصن مملكته ،ويعد العدة للدفاع عن بلاده ،ودرء الغـــزو العربـــى عـــن ديـــاره ولذا لم يرسل قواته للتصدى للفاتحين العرب ومناصـــرة أهالـــى قفـــط كمـــا فعل من قبل مع البطليوس حاكم البهنسا،هذا بالإضافة إلى أن ملك النوبة كان يتمسك بالمسيحية الأرثوذكسية وينصب من نفـــسه حامياً لها[5] ، كما كان لدخول الفاتحين العرب مدينة قفط نتائج بالغة الأهمـــية ، إذ اطمئن العرب إلى تأمين طرقهم شمالاً وجنوباً ، بالإضافة إلى نشر الإسلام فى تلك المناطق[6] ، وقد ترتب على هذا الفتح ضم مدن وقرى

---

(1) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٠ .

(2) سيدة الكاشف : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

Stanley- Lane- Poole : Ahistory of the Bega; pp 24-25
Badgia, p. 450 Notice et Extrait; AL

(3) الهمدانى : البلدان ، ص ٧٨، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٧٤ .

(4) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٨٣ ، Notices, AlBadgia p.393

(5) أبو المكارم :تاريخ الكنائس والأديرة ،ج١،ص ٢٥-٢٦، Notices, Al Nouba, Oula Nabie P.396

(6) المسعودى : مروج الذهب . ج٢، ص ٣٤١ .

الصعيد الأعلى بأكمله حيث ترك العرب طائفة من الجند بها أصبحت كحامية لهم ومركزاً لإمدادهم فى فتح باقى مدن وقرى الإقليم[1] .

وقد واصل خارجة بن حذافة القائد العربى بعد فتحه لمدينة قفط سيره إلـــى الجنوب وذلك لفتح بقية مدن وقرى الصعيد الأعلى،متجهاً إلى إسنا[2]، فلم يجد أدنى مقاومة لدى فتحه المدينة[3]، وقد ساعد ذلك على نزول العرب فيما بعد والاستقرار فيها[4].

وواصــلت القــوات الإسلامية فتوحاتها فى الصعيد الأعلى فى عهد الخلــيفة عمر بن الخطاب بقيادة عبدالله بن سعد بن أبى السرح[5]، الذى سار ناحــية أسوان وتمكن من إخضاع أهل تلك البلاد دون أدنى مقاومة، وساعد ذلــك علــى نزول العرب ،واستقرار بعض البطون العربية ولا سيما قبيلة قــريش الــتى وجــدت مــناخاً مشابهاً لمناخ إقليم الحجاز من شبه الجزيرة العربيــة[6]، وبهذا تم للعرب فتح مصر فى سنة ٢١هـــ / ٦٤١م[7] .

---

(1) Garein : Un Centre Musulman: PP. 35 - 36

(2) إسنا : وهى إحدى البلدان التى بالصعيد الأعلى وتابعة لإقليم قفط .

ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ص١٩ ٠

(3) ياقوت : معجم البلدان ، ج١، ص٤٢٨ ، عبدالباسط محمد : دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية، ص ٧٣.

(4) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٧ .

(5) عبدالله بن سعد بن أبى السرح : هو من قبيلة قريش ، أسلم قبل فتح مكه وهاجر إلى المدينة المنورة وكتب للوصى بها ٠ ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٣، ص ٢٥٩ ، وقد قام ابن أبى سرح بغزو إفريقية وفتحها ، وانتصر على الروم فى موقعة ذات الصوارى ٠ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧،ص٢٣١ .

(6) عبدالله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ص ٨٨-٨٩ .

(7) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٥٦ .

Garcin: Un Cenare Musulman; pp. 37 – 45

" مدينة قفط ودورها فى محاولة فتح بلاد النوبة "

أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادى النيل الممتدة على جانبى هذا النهر العظيم بين مدينتى أسوان والخرطوم الحالية على وجه التقريـــب[١] وكانت بلاد النوبة على صلة تجارية ودينية بمدينة قفط ، ولهذا رأى المسلمون ضرورة تأمين الطريق التجارى الهام بين مصر العليا وبلاد الـــنوبة ، بالإضافة إلى ذلك تأمين حدود مصر الجنوبية من أى غارات من جانب النوبة المسيحية[٢].

كانت المحاولة الأولى من جانب العرب المسلمين لفتح مملكة النوبة فـــى ولايـــة عمرو ابن العاص الأولى (٢١هـــ -٢٥هـــ / ٦٤١-٦٤٥م) وكـــان ذلك بعد فتح مدينة قفط التى أصبحت مقراً لإمدادات الجيوش العربية الـــتى تصـــل من الفسطاط وراحتهم بها، ثم المسير نحو النوبة ، وواصلت الجيوش الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهرى حملتها على بلاد النوبة[٣] إلا أن تلـــك الحملـــة لـــم تســـتطع عمل شئ إزاء مقاومة النوبة حيث صورها

---

(1) Hudud Al Alam (The Reigonof world per sian Geogra phy 312 A-H 982 A-D Translated and explained by v. minorsky E. J.W Gibb Memor al series. New seriesx:(london 1937) P. 475 .

(٢) المسعودى :مروج الذهب،ج١،ص ٣٤١،مكى شبيكة: السودان عبر القرون،ص ٢٩ . عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (طبعة دار المعارف ١٩٨١) ص٤١، ٤٣، Hudud Al Alam : OP- Cit, P. 476

(٣) البلاذرى :فتوح البلدان، ص ٢٣٧،ابن عبدالحكم :فتوح مصر،ص ٢٢٨،الطبرى:تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ٢٠هـ ،سيدة الكاشف :مصر فى فجر الإسلام ،ص ١٥ ومن الملاحظ أن القريزى يذكر أن الذى قام بقيادة هذه الحملة هو عبدالله ابن سعد ابن أبر سرح وليس عقبة بن نافع المقريزى :الخطط ،ج١، ص ٢٠٠ ٠وهذا يخالف ما ذهب إليه كل من البلاذرى وابن عبدالحكم والطبرى، ويرى المقريزى أن هذه الحملة،كانت فى عام ٢٠هـ أو فى عام ٢١هـ الخطط،ج١،ص ٢٠٠، ويغلب الظن أن خروج هذه الحملة ، كان فى عام ٢١هـ ٠

الــبلاذرى بقوله " فقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم، فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقودة "حتى أطلق عليهم حينذاك رماة الحدق"[١].

لم تكن المحاولة الأولى ناجحة ولكنها أدت إلى توقيع معاهدة صلح بيــن الطرفين وفيها تعهد النوبيون بتقديم عدد من العبيد لولاة مصر، وفتح بلادهــم للتجار المسلمين[٢]، وقد سبقت تلك المعاهدة "معاهدة البقط" التى تم توقــيعها فى عهد الخليفة عثمان بن عفان[٣] ومن المرجح أن عقبة بن نافع الفهــرى تــرك طائفــة مــن الجــند في مدينة قفط قبل رجوعه إلى مدينة الفسطــاط[٤] .

وفــى عهد الخليفة عثمان بن عفان أصبح عبدالله بن أبى سرح والياً علــى مصر ، وأرسل ملك النوبة المسيحية قواته لتهديد حدود مصر العليا، لهــذا بدأ عبدالله ابن سعد بن أبى سرح يعد العدة للسير إلى بلاد النوبة ودرء خطرهم فسار الجيش العربى بقيادته فى عام ٣١هــ/٦٥١م ، وكانت تلك هى الحملــة الثانية على بلاد النوبة ، حيث واصلت سيرها حتى بلغت مدينة قفط للإمــداد والتمويــن الــلازم للجيوش الإسلامية[٥]، وخاصة بعد أن أصبحت القــاعدة الحربــية وحاضرة إقليم الصعيد الأعلى[٦]، وبعد التجهيز والتعبئة

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ .

(٢) المسعودى :مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج١،ص ٣٣٧،٣٤١ ،مكى شبيكة السودان عبر القرون،ص٢٩

(٣) المقريزى :الخطط ،ج١،ص ٢٠٠ ،يقول المقريزى عن البقط "البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام، ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم "الخطط ،ج١،ص ٢٠٠،ولما تمت تلك المعاهدة وعدم نجاح الحملة رجع عقبة بن نافع الفهرى إلى مدينة الفسطاط . البلاذرى :فتوح البلدان ،ص٢٣٧،ابن عبدالحكم فتوح مصر،ص٢٢٨،الطبرى:تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٠هـ، شوقى الجمل :تاريخ سودان وادى النيل،ج١، (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م) ، ص ٢٣٠.

(٤) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص١٢ ، Enc, of Islam, art (Kift)

(٥) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١ ، ص ٢٥-٢٨ .
The Copticencyclopeadia, Azoz. S Atiya New york v. 7 art (Qipt)

(٦) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دقماق الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج٤، ص٣٣،٠
المقريزى : الخطط، ج١، ص ٢٣٢، Enc., of Islam, art (kift)

واصل عبدالله بن سعد القائد العربى سيره إلى بلاد النوبة[1]، ووصلت حملته إلى دنقله ، واشتدت فيها وطأة القتال بين الجانبين ، وأصيب أعين عدد كبير مـــن الصحابة ومنهم أعين حيويل بن ناشرة ، وعبدالله بن شمربن أبرهه بن الـــصباح ، معاويـــة بن حديج وغيرهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وســـلم[2]، وكان ذلك لمهارة النوبيين فى الرمى بالنبال والسهام بقيادة عبدالله ابن سعد بن أبى السرح فى عام ٣١هـــ/٦٥١م وكانت تلك هى الحملة الثانية على بلاد النوبة وبعد عناء شديد من الجانب العربى تمكن عبدالله بن سعد من حـــصارهم ورميهم بالمنجنيق ، وأشعل فى بلاد النوبة النار وأحرق كنيستهم واقتحمها ، ولذا بادر ملكهم قليدروث فى طلب الصلح من المسلمين[3] .

وافـــق عـــبدالله بن سعد على الصلح ، تعهد فيه النوبيون أن يقدموا للمـــسلمين أربعمائة رأس من عبيدهم كل سنه إلى ولاه مصر[4]، وإن كانت رواية المسعودى[5] ترى أنهم أقل من ذلك فى العدد حيث يورد : "أن ما اتفق

---

(1) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٨، شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل ، ج١ ، ص ٢٣١ *بلاد النوبة قال أبو عبدالله الأسوانى أن أول بلاد النوبة بلدة تعرف بالقصر وبينها وبين أسوان خمسة أميال وهى قرية مسلحة من جانب ملك النوبة ، وبها جماعة من المسلمين لم ينطق أحدهم بالعربية الفصحى، ولها وال من قبل ملك النوبة يعرف بصاحب الجبل – المقريزى : الخطة ، ج١، ص ١٩٠ .

(2) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

Macmechael : Ahistory of Arabs in The Sudan; Vol. pp. 155- 15b

(3) Arkell : Aristory of the Sudan p. 188 (London 1955) pp188- 189

بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٣٨٧ . محمد عوض محمد : السودان الشمالى مكانه ، ص ٦٢ * وقال الشاعر العربى فى تلك المعركة

لم تر عينى مثل يوم دمقلة   والخيل تغدو بالدروع مثقلة

الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢ ، على إبراهيم حسن: مصر فى العصور الوسطى (الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٤ م)، ص ٢٤ .

(4) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧ ، الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادى النيل (القاهرة ١٩٥٥) ص ٤٢-٤٣

(5) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، ص ٣٣٧ .

عليه ثلاثمائة وخمسة وستين رأساً" ، وذلك فى مقابل أن يرسل المسلمون لهم كميات من القمح والعدس والمنسوجات [1].

ظلت هذه المعاهدة سُنة جارية حيث كان على ملك النوبة فى كل سنة أن يقــدم السبى المقرر عليهم إلى مدينة أسوان باعتباره أقرب حاكم إسلامى إلــى بلادهــم ، وكان تسليم هذا السبى بحضور إثنى عشر شاهداً من أبناء مديــنة أسوان ثم لا يلبث أن يقوم حاكم أسوان بإرسال هذا السبى إلى حاكم الفسطاط [2].

وكان على حاكم إقليم قفط إرسال هذا السبى بدوره إلى الفسطاط فى مقــابل قــيام والــى الفســطاط بإرســال قــدر معلوم من الحبوب والغلال والمنسوجات إلى ملك النوبة سنوياً وذلك وفقاً لما تضمنته المعاهدة [3].

وقد عرفت هذه المعاهدة فى تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد النوبة فى العصر الإسلامى الأول باسم"معاهدة البقط"[4]، ولكن ابن عبدالحكم أشار إلــى هــذا الصــلح بأنه "ليس عهداً ولا ميثاقاً ، وإنما هدنة أمان بعضاً من

---

(1) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٢، ص١١٥ ٠

(2) حسن خضيرى أحمدج : مدينة قفط ، المقريزى :الخطط ،ج١،ص ٢٠٠-٢٠٢
Enc, of Islam art (Kift, The coptic Enc, art (Qift)

(3) المسعودى : مروج الذهب ، ج١، ص ٣٣٢ ، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٢٠٠ ٠

(4) البقط : ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم فإن كانت هذه الكلمة عربية فهى إما من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب اى نبذ من مرعى فيكون معناها على هذا نبذة من المال أو يكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطاً من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون معناها على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض، بمعرفة منها وبقض الشئ فرقه والنقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع، والبقط أيضاً ما سقط من التمر إذا قطع فأخطأ المحرف فيكون معناها هنا بعض ما فى أيدى النوبة ٠ المقريزى : الخطط، ج١، ص١٩٩ –٢٠٠ ، ولكن الأرجح أن كلمة بقط هذه من كلمة pactum اللاتينية ومعناها عقداً أو اتفاق .
Becher C. H: Islam studien leipz, (1924) I. P 150 .
نقلاً عن الدكتور عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٨ .

بعـــض"[1] وبهذا القول فإنه ينفى تبعية النوبة للديار المصرية ، بتحديده نوع هــذا الصلح على أنه هدنة لا يجوز فيها الحرب بين الطرفين[2]، حيث تعهد النوبيون فيها بحماية وحفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون وكنسه وإسراجه[3]، ولا شك أن حاكم قفط كان عليه مراعاة تنفيذ بنود هذا الصلح .

انتشار الإسلام فى منطقة الصعيد الأعلى :-

انتشـــر الإسلام بين المصريين " الأقباط " بعد أن توطدت علاقاتهم بالعـــرب المسلمين وكان لصلات العرب بالأقباط فى مدينة قفط أثره فى تعلم اللغــة العربــية ، وخاصــــة بعد تعريب الدواوين فى عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، وفى ولاية عبدالله بن عبدالملك عام ٨٧هـــ والى مصر حينذاك[4]، وذلك بإحلال العرب محل الأقباط فى أعمال الديوان واتخاذ اللغة العربية لغة رسمية فى المكاتبات ، هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية هى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، فكان لابد من تعلمها للذين أسلموا حديثاً من القبط خاصة وأن الغالبــية المســلمة تــتخذها لغـــة للحديث لذا بدأ الأقباط فى تعلم اللغة العربيــــة[5] .

كمـــا نتج عن فتح العرب لمدينة قفط نزوح العرب الفاتحين إلى تلك المديـــنة وخاصة بعد أن بقيت هناك حامية من الجند العرب بها والذين كانوا يخـــرجون إلى الجهات المجاورة للإرتباع فى فصل الربيع ، وفيه يكتب لكل

---

(1) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٣ .

(2) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢–١٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٥–١٦ ، عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٨ – ٣٠ .

(3) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

(4) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١، ص ٢١٠

Hardy : Christion Egypt; Church sand people , New yourk 1955, p189

(5) حسن أحمد محمود : مصر فى عهد الطولونيين ، ص ٣٢ .

قــوم من العرب بربيعهم فيسيرون إلى مناطق الرعى والكلأ فى الإقليم حتى إذا ما انتهى عاد العرب مرة أخرى إلى عاصمتهم واستقروا فيها[١].

كما ساعد على انتشار الإسلام فى منطقة قفط ماكان من وصول عدد كبــير مــن الفقهاء المسلمين إلى هذه المدينة واستقرار أكثرهم فيها ، ومن هؤلاء بنو الأشج مُولى ، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الفقهاء الذين وصلوا إلى مدينة قفط بل وصول بعض الفقهاء من المدن القريبة منها والتى تقع فى شــمال المدينة ومن هؤلاء الليث بن سعد الوهمى ، وعبدالله بن وهب ، وذو النون الإخميمى مولى قريش[٢] ، وفى شواهد القبور التى اكتشفت فى جنوب مديــنة قفــط كثير من أسماء الأشخاص التى تحمل لفظ " فقيه " فهناك شاهد محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، يرجع إلى حوالى نهاية القرن الثانى الهجــرى/ الثامــن الميلادى يحمل اسم " يحيى ابن سلام الفقيه"[٣] ، وشاهد أخر يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى باسم " محمد ابــن الجــراح الفقيه "[٤] وهذا يؤكد على وجود عدد كبير من فقهاء القرآن والســنة فى منطقة قفط ، وقيامهم بتعليم المصريين الذين أسلموا حديثاً تعاليم الديــن الإسلامى ، ومنهج العقيدة بعد هدايتهم للإسلام ، مما نتج عنه دخول كثير منهم فى الإسلام .

وقــد ســعى الفاتحون العرب إلى إنشاء المساجد[٥] لتأدية الصلوات الخمــس ، بحيــث أصبحت هذه المساجد أماكن للفقهاء ومناراً للعلم ومركزاً لنشر الدين الإسلامى ، ومكان يتدارس فيه المسلمون أمورهم الدنيوية [٦].

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص٩٥ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية ، ج ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٤) الواقدى : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٣٠٩

(٥) ومن هذه المساجد : جامع قفط والجامع العمرى بمدينة قفط ، كما أنشئ العديد من المساجد فى القرى المحيطة بشمال وجنوب قفط ومنها الجامع العتيق بإسنا ، ومسجد المطاعنة بإسنا بناحية أصفون ، والجامع العمرى بقوص ، وجامع النوبة الذى عقدت فيه معاهدة الصلح بين عبدالله بن سعد بن أبى السرح وملك النوبة " قليدرورث" وغيرها . حسن عبدالوهاب : تاريخ المساجد الأثرية فى مصر ، ج ١ ، ص ٦٦ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، ص ٥٧، زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص٢٢

(6) Gaicin : Un Centre Musulman; p.37

وكـــان تشـــجيع الحكـــام للدخول فى الإسلام والعمل على رفع راية المسلمين من العوامل التى ساعدت ع ـ انتشار الإسلام فى قفط ، ومن أمثلة ذلك ما اشترطه الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩هـــ / ١٠١م) على الأقباط بأن يتخلوا عن أعمالهم فى الدولة ماداموا على دينهم[١] وقد ساعد هذا القرار علـــى دخول الكثير من القبط فى الإسلام ، بالإضافة إلى ذلك تشجيعه على الدخـــول فـــى الإســـلام ما أمر به بأن يعفى من اعتنق الإسلام من الجزية المفروضة عليه[٢].

وكـــان من أثر فتح العرب لمدينة قفط استقرت بعض القبائل العربية فـــى منطقة الصعيد الأعلى كله ، فقد استقرت قريش ، وبلى وجهينة بصعيد مصـــر[٣]، واســـتقر بها " خلق كثير من العرب من قحطان ونزار ومضر، وخلق كثير من قريش ، وأكثرهم ناقلة من الحجاز"[٤] فقد هيأ جو منطقة قفط المتشابه لمناخ الحجاز مما ساعد ذلك على استقرار العرب به .

وكـــان لنزوح تلك القبائل وتوطنها فى قفط أثره فى انتشار الإسلام بيـــن الأقباط ، وخاصة منذ بداية القرن الثالث الهجرى، عندما أصبح العرب لايتمـــيزون عن أهل البلاد، بعد قرار الخليفة المعتصم العباسى بإسقاط الجند العـــرب مـــن ديوان العطاء، مما اضطر العرب إلى النزوح إلى مدن وقرى الصـــعيد الأعلـــى والاخـــتلاط بالمصريين والتزاوج من بناتهم، والاشتغال

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص٩٦ .

(٢) المقريـزى : الخطـط ، ج ١ ، ص٧٧ ، ٧٨ . * فرضـت ضـريبة عـلى سـكان الـبلاد المفـتوحة ، تعـرف بالجزية وتكون بدفع المال على الرؤوس ، وذلك للدلالة على عزة الإسلام ، وقد ذكرت هذه الضريبة فى القـرآن الكـريم ، وجـباها الرسـول ، وكانـت بسـيطةى فـى أول الأمـر وحسـب أحـوال المفرضـة علـيه . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٣٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٦٨

(٣) المقريزى : البيان والأعراب عما دار بأرض مصر من الأعراب ، ص ٣٦ – ٣٨ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب : ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

بالتجارة والزراعة والصناعة مما ساعد على انتشار الإسلام بين المصريين[1].

وهكذا كان انتشار الإسلام ، فى صعود منذ الفتح الإسلامى لمصر ، وتزايد عددهم، ومن هنا تطبع المجتمع القبطى فى إقليم قفط بالطابع الإسلامى الواضح من العادات والتقاليد الاجتماعية التى اختلفت عن المجتمع القبطى القديم ، ونعمت مدينة قفط كغيرها من المدن المصرية بالمساواة ، فى ظل الإسلام[2].

وقد أبقى العرب الفاتحون على النظم الإدارية السائدة فى البلاد ، وكان إقطاع مصر مقسماً بين عدة عمال يديرون شئونه المالية والإدارية والقضائية[3]، كما أنه فى ذلك الوقت لم يكن أصحاب الكور[4] فى البلاد خاضعين خضوعاً مطلقاً للسلطة المركزية بالفسطاط ، بل غير ملزمين ، ولعلهم كانوا يتلقون التأييد من صاحب الإقطاع مباشرة ، ولم يكن هناك ما يلزمهم الخضوع لنائب الأمير بالفسطاط[5].

---

(1) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص٢٢٣ ، شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص١٥١ ، على حسن الخربوطلى : مصر العربية الإسلامية ، ص ٢٩-٣١

(2) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية ، العصر الطولونى ، (القاهرة ١٩٦٠م) ص٤٥ ، شكرى فيصل : المرجع السابق ، ص ١٥٦

(3) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٤٦ ، أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٧

(4) ظلت مصر تنقسم إلى أقسام ، يعرف كل منها باسم كورة وعلى رأسه حاكم يسمى صاحب الكورة ، وله اختصاصات تشبه إلى حد ما اختصاصات المحافظين حالياً ... ولكن أصحاب الكورات ، كانوا مسئولين أمام البلاد مباشرة ، وكانت الكور تصغر وتكبر ، بحسب ظروف الزمان والمكان ، وتفاوت الحضارة والعمران ، وكانت مصر مقسمة إلى ثمانين كورة فى فترة عصر الولاة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ١ ، ص٢٨-٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ص٧٩ .

(5) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

Zaky Hassan : Le Tulunides; p. 44

علـــى أيـــة حال فقد انقسمت مصر العليا فى عصر الولاة إلى عدة كـــــور[١]، ومراكـــز وقرى، بينما يذكر المقريزى أن عدد قرى أخميم ثمان وثمانون قرية ، ووزع هذه القرى على المدن التابعة لها كالتالى : قفط ضمت أثنين وعشرين قرية ، هو ضمت عشرين قرية ، وفاو ثمان قرى ، وقنا سبع قـــرى والأقصـــر خمـــس قرى ، وإسنا خمس قرى ، وأرمنت سبع قرى ، وأسوان ضمت سبع قرى وأن لكل كورة من كور مصر مدينة[٢] .

وقـــد كـــان يحكـــم إقليم قفط فى عصر الولاة كما أشارت وثيقة من أوراق الـــبردى العربـــيَة، مؤرخة بسنة ١٣٧هـــ/ سنة ٧٥٢م هو يزيد بن عبدالله صاحب الأمير[٣].

وكذلك استمرت النظم الإدارية بإقليم قفط فى عصر الولاة نظماً ثابتة ثم أخذت فى التنوع منذ أيام الطولونيين والأخشيديين حيث اختصت كل إدارة بأعمـــال معينة[٤] ، وكان حاكم الإقليم حينذاك يدعى " أبو النصر غليون بن سعيد " واستمر يحكم الإقليم حتى تم عزله فى عهد كافور الإخشيدى[٥].

أمـــا فـــى العصر الفاطمى ، فقد تغير تقسيم مصر العليا الإدارى ، وأعـــيد تنظـــيمها إداريـــاً فى العصر الفاطمى " فقد قسمت إلى ثلاثة أعمال الأسيوطية والأخميمية والقوصية. [٦]

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج١، ص ٢٣ ، ٣٦، ٣٧ •

(٢) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ٧٢: ٧٥، ٣٦ •

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٣، ص ٧٩ •

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج٢ ، ص ٩٤ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٤٣-١٤٤ •

(٥) ابن ميسر : المصدر السابق والجزء والصفحة •

(٦) ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، ص ٥ •

وضمت قوص : فرج بن هميم ، وقصر ابن شادى ، ودشنا، وقنا ، وابيزيد وقفط ، ودمامين ، والأقصر، وطود ، وأسوان ، وفرشوط ، والبلينا وسمهود ، وهو ، وقموله، وأرمنت ، والدمقران ، وأصفون ، وإسنا بينم ا ضمت أخميم سالية قلته، والبيارات ، وسلامة ، وسوهاى ، وجزيرة شندويل وسمنت ، وقلقا، والمنشية ، والمراغة فضمت أسيوط • السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١، ص١٢ •

وقد أورد أبو صالح الأرمنى [1] نفس هذا التقسيم فى الجدول الخاص بضريبة الخراج فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ، فقد ذكر كلمة عمل بدلاً مـن كلمـة كـورة وقرية ، كما ذكر الثلاثة أعمال الأسيوطية والأخميمية والقوصية من ضمن النواحى التى تؤدى الخراج ، فصار العمل وحدة إدارية للبلاد.

ويتبين لنا من تطور النظام الإدارى الإقليمى لمنطقة قفط فى العصر الـذى نتحدث عنه أنها لم تنشق عن السلطة المركزية فى العاصمة ، ولم يقم فيها نفوذ سياسى مستقل.

الأحداث السياسية فى عهد الولاة (٢١-١٣٢هـ/٦٤١-٧٥٠م)

عـانى إقلـيم قفـط من جراء تلك القلاقل والثورات التى نشبت فى الصعيد الأعلى فكان مرتعاً خصباً للمعارضة السياسية، ومأوى لكل من يريد إشـعال ثـورة، ومعبراً طبيعياً للفارين من الضغط السياسى، بفضل الطرق الصـحراوية الـتى تسمح بالالتفاف حول العاصمة " الفسطاط " فى سهولة ويسر ،هذا فضلاً عن دخول بلاد المغرب والجزيرة العربية فى وحدة سياسية ممـا عـزز من مكانة الصعيد ،وكفل لثواره عنصر الحماية ،خلال العصر الإسلامى الأول[2].

وأصـبحت المـدن الـتابعة لهـذا الإقليم فى تلك الفترة منبع القلق والاضطراب السياسى لسلسلة من الأحداث المتوالية تلك التى بدأت مع عصر الـولاة سنة (٢١-٢٥٤هـ/٦٤٢-٨٦٨ م)، وظلت كذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى وأسهمت تلك المدن إسهاماً واضحاً فى إزعاج السلطة بالفسطاط وكانت هذه الكور التابعة لإقليم قفط وهى: إسنا

---

(١) تاريخ أبوصالح الأرمنى، ص ١٠، ١١ .

(٢) حسن خضيرى: مدينة قفط، ص٣٢٠- ٣٢١ Garcin: un Centre Musulman : p.60.

وأرمنـــت، وهو، وقوص، ودشنا، حتى مدينة أسوان حيث أصبح هذا الإقليم مثار قلق واضطراب، وعلى الرغم من أن تلك المدن كانت تابعة لإقليم قفط، وكانت قفط قصبة الإقليم فى ذلك الوقت(١).

كانـــت القبائل العربية فى مصر تتأثر بأحداث الخلافة الإسلامية منذ قيامها ، وكانت ثورات القبائل فى عهد بنى أمية بالصعيد الأعلى قائمة على العصبية القبلية(٢)، حيث قامت حركات ضد الخليفة عثمان بن عفان كان لها صـــداها فـــى مصر، ومن هذه الانتفاضات حركة "عبدالله بن سبا"(٣)، وكان يهوديـــاً اعتنق الإسلام، وطاف فى البلاد الإسلامية يدعو إلى أحقية على بن أبى طالب فى الخلافة من عثمان بن عفان ، وتطرف فى دعوته(٤).

حـــازت دعوة "ابن سبأ" قبول القبائل العربية فى مصر(٥)، وتزعمها "محمـــد بن أبى حذيفة ، الذى فكر فى إرسال جيش من مصر إلى عثمان بن

---

(١) الأدفوى : الطابع السعيد ،ص ١٢، ابن دقماق: الانتصار، ج٤، ص ٣٣، المقريزى: الخطط ج١، ص ٢٣٢ .
The coptic Ency clopeadia, Aziz s, Atiya Qift , The Enyclopeadia of Islam art "Kift"

(٢) رأت أفراد القبائل العربية من بينهم بعض الصحابة المجاهدين الذين استقروا فى مصر فرصة للقيام ضد الخلافة ، وهم فى ذلك لم يقصدوا عثمان نفسه ، وإنما زعزعة سيادة قريش فلقد كرهوا تلك السيادة ، التى زادت منذ ظهور الإسلام، على أنه وجد أيضاً فى عصر بعض القرشيين الذين ثاروا ضد الخليفة عثمان وعلى رأسهم محمد بن حذيفة ، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء من طمعوا فى الخلافة لنفسها .
سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام، ص ١١٤ .
ممدوح عبدالرحمن الريطى :دور القبائل العربية فى صعيد مصر، ص ١٢٨ .

(٣) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٣٦ ٠

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ،ص١٥ ،حسين محمد نصار:الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية، ص ١٣–١٤

(٥) الكندى : الـولاة والقضـاة ، ص ١٧، المقريـزى : الخطـط ، ج٢، ص ٣٣٥. سـأل وفـد مصـر الخليفة عثمان بن عفان عزل عبدالله بن سعد بن أبى سرح وتوليه محمد بن بكر ولاية مصر ، فأجابهم عثمان على ذلك ، فلما رجع الوفد ، إذا هم براكب فاخذوه وفتشوه فوجدوا معه كتاباً إلى عبدالله بن سعد على لسان عثمان بقتل محمد بن أبى بكر وجماعة معه فأخذوا الكتاب ورجع الوفد مرة ثانية إلى المدينة المنورة وقراوه على من فيها من الصحابة ، وقد انكر الخليفة عثمان علمه بذلك الكتاب، وحلف لهم أنه لا يعلم من أمره شيئاً فظن الوفد أن الكتاب كتبه مروان بن عبدالحكم. ابن عم عثمان وكاتبه فطلبوا تسليمه إليهم، فلم يجبهم عثمان إلى ذلك ، وذلك لقسم مروان بعدم علمه بهذا الكتاب فما كان من الوفد إلا أن طلب من الخليفة فأبى وتمسك بحقه فى الحكم فتطاولوا عليه وقتلوه.
الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥–١٨ ، سيده الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٢٣ ٠

عفـــان، فســـار الثوار إلى المدينة المنورة سنة ٣٥هـــ بقيادة عبدالرحمن بن عديـــس البلوى، وأشعلوا نار الفتنة، وانضم إليهم فريق من عرب الأمصار وانتهى الأمر بمقتل الخليفة عثمان، حيث خلفه من بعده على بن أبى طالب، وتزعم معاوية بن أبى سفيان حركة المعارضة ضد خلافة على بن أبى طالب وطالـــب بـــدم عثمان الذى قتل مظلوماً[1]، وكانت مصر مسرحاً للنزاع بين على ومعاوية، وكان إقليم قفط من بين الأقاليم التى ظهر فيها النزاع[2].

بـــايع أنصـــار الحزب الأموى فى مصر " معاوية بن حديج " على المطالـــبة بدم عثمان ، فسار بهم إلى الصعيد فالتقوا فى البهنسا[3] ، ودارت رحـــى معركة كبيرة انهزم فيها أصحاب ابن أبى حذيفة[4] ، الأمر الذى رفع مـــن شـــأن الحزب الأموى ، وأضعف الفريق الأخر، والدليل على ذلك أن معاويـــة بـــن حديج وهو على رأس الحزب الأموى تمكن بعد انتصاره فى البهنســـا من هزيمة جمع آخر لأبى حذيفة بالقرب من الأسكندرية فى خربتا فـــى رمضـــان سنة ٣٦هـــ[5] ولعل انتصار العثمانية فى البهنسا يرجع إلى أعوانهم من أهالى إقليم قفط ومن المرجح أن هناك اتصالاً بين حاكم البهنسا وحاكم مدينة قفط لمعاونة الحزب الأموى، وليس أدل على ذلك مما أشار إليه أبـــو المحاسن[6] من وجود أعوان من العثمانية بصعيد مصر وعلى رأسهم عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الذى توفى سنة ٩٦هـــ، لذا يمكن القول بأن هؤلاء الأمويين مهدوا السبيل لانتصار معاوية بن حديج على خصومه، ومهمـــا يكن من أمر فإن النزاع بين أنصار عثمان وأنصار على انتهى فى

---

(1) المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ٣٣٥ ٠

(2) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة ٠

(3) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٨ ، المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٣٥ ٠

(4) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق والصفحة والجزء ٠

(5) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق والصفحة والجزء ٠

(6) النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٣٤ ٠

صالح معاوية بن أبى سفيان، وأصبحت مصر بذلك تابعة لمعاوية الذى تولى الخلافة فى سنة ٤١هـ[1].

ظهر النزاع على الخلافة عندما أخذ معاوية قبل وفاته البيعة بولاية العهد لابنه يزيد وقد عارض فى تلك البيعة نفر من أهل المدينة منهم عبدالله بن الزبير[2]، فقام ودعا لنفسه بالخلافة وكان لخروج ابن الزبير على الخلافة صداه فى مصر فقد ظهرت دعوته فى مصر عقب وفاة الخليفة معاوية (سنة ٦٠ -٦٢هـ/٦٨٠ -٦٨٢م) ، وفى ولاية سعيد بن يزيد عليها ،وقد قام بتلك الدعوة الخوارج، وأرسلوا وفداً إلى ابن الزبير يعلنون ولاءهم وطاعتهم له ويطلبون منه إرسال والى من قبله إلى مصر[3]، فأرسل ابن الزبير عبدالرحمن بن عتبه بن جحدم الفهرى إلى مصر، وقدم إليها فى نفر من الخوارج، وغادر سعيد بن يزيد البلاد[4]، ومن ثم بدأت ولاية عبدالرحمن بن جحدم فى شعبان سنة ٦٣هـ ، وأصبحت مصر بذلك ولاية تابعة لعبد الله بن الزبير، على أن حكم ابن الزبير بمصر لم يدم طويلاً فقد تمكن مروان بن الحكم من القضاء عليه[5]، وأعاد مصر إلى حظيرة الدولة الأموية .

وقد نعم إقليم قفط بالهدوء، وذلك حتى قيام قبائل البجة[6] بالهجوم على مدينة قفط سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م، ويبدو أن ولاة الأمور فى مصر فى

---

(١) أبو المحاسن :النجوم الزاهرة ،ج١، ص١١٠،آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان بعد أن تمكن نصيره عمرو بن العاص من القضاء على أنصار الحزب العلوى فى مصر وانتصر على محمد بن أبى بكر فى سنة ٣٨هـ محمد الخضرى: الدولة الأموية،ج٢،(دار المعرفة الطبعة الثانية سنة١٩٩٦) ج٢ ص٣٠٠- ٣٠٧.

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص ٩٨ .

(٣) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٣١ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٠، المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٢٧ .

(٥) الكندى:المصدر السابق ،ص ٤٣-٤٤ ، السيد طه أبو سديرة :القبائل اليمنية فى مصر، ص ١٠٢: ١٠٨ .

(٦) البجة : كلمة محرفة من كلمة البجا المشتقة من كلمة الماجونى ، وهى تعنى فى الفرعونية الحارس أو المحارب ، وقد أطلق المصريون القدماء على القبائل الحامية " البجة " التى تعيش بين النيل والبحر الأحمر، اسم المازوى الماجوى ٠ مصطفى مسعد: البجة والعرب فى العصور الوسطى ، ص٢، ٥ ، محمد عوض محمد : السودان الشمالى وسكانه وقبائله ، ص ٣٤ والبجة قبائل منفصلة يتكونون من عدة بطون مختلفة الكحدراب والحجاب ، والعماثر ، والكوفر ، والمناسة ، والرسفة ، والفريزيفة ، والزناخج ، وكانوا يعبدون الأصنام. اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج١، ص ٢١٧ ٠

أعقاب الفتح الإسلامى لمدن وقرى إقليم قفط لم يهتموا كثيراً بهذه القبائل، ولم يكترثوا بهم ولم يتعرضوا لهم، وليس أدل على ذلك مما ذكره ابن عبدالحكم حيـن قال "أن القائد العربى عبدالله بن سعد بن أبى سرح بعد أن غزا مملكة الـنوبية سنة ٣١هـ/٦٥٢م بادر بالرجوع إلى مصر، وفى أثناء عودته شاهد حشداً من البجة على شاطئ النيل فسأل عنهم، ولما أخبر بمكانهم هان عليه أمرهم وتركهم وشأنهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح ".

ولعـل عدم اكتراث ابن سعد بهم كان مرده إلى أنه نظر إليهم على أنهـم قبائل بدوية لا تشكل خطورة على الفتح العربى وأن ديار البجة ليست بـدار حـرب[١] ، وكانـت تـربطها علاقات وطيدة بأهالى قفط قبل الفتح الإسـلامى ، حيـث كان معبدهم[٢] الخاص بتلك المدينة كما كثر بها رجال الديـن المسيحى والأساقفة الذين يقطنون فى كنيستهم بمدينة قفط ، لأن عدداً غـير قلـيل مـن البجة اعتنقوا المسيحية، وظلوا على مسيحيتهم بعد الفتح الإسلامى لهذه المدينة وانتشار الإسلام بها.[٣]

وعندما أحس حاكم مدينة قفط بتقدم قبائل البجة للغارة على بلاده أعد العدة للدفاع عن المدينة ودرء الهجوم عن دياره ، وأرسل رسله إلى عبيد الله بـن الحبحاب السلوى والى خراج مصر حينذاك ، للوقوف بجانبه وصد هذا الهجوم ، فقام " عبيد الله" بنصرته وصد الهجوم عن إقليم الصعيد الأعلى[٤]، وعقـد معهـم صلحاً ، يعتبر أول عقد بين المسلمين والبجة فى أعقاب الفتح الإسلامى[٥] ، وقد نص هذا العقد على الشروط التالية :

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١، ص ٤٦-٤٧ ، Garcin : Un Centre Musulman; p 51

(٢) وقد عبد البجا الأصنام – ابن حوقل :صورة الأرض ،ص٥٠ ،مصطفى مسعد :البجة والعرب ص ٢٢.
Inc, of Islam art kift, The coptic Enc, art qift

(٣) أبو المكارم : الكنائس والأديرة ، ج١ ، ص ١٩ .
Inc, of Islam art (kift) , The coptic Enc art (Qift)

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٨٩ .

(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٩ .

أولاً : أن يقـدم البجة لسكان مصر ثلاثمائة من الإبل الصغيرة سنوياً ، فى مقابل أن يدخلوا بلادهم للتجارة دون الإقامة[١] .

ثانياً : ألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً ، وألا يؤذوا عبيد المسلمين ويظل وكيلهم فى الـصعيد الأعلـى رهينة فى أيدى المسلمين ضماناً لوفائهم ببنود هذا الاتفاق للديار المصرية.[٢]

وكان من أهم النتائج التى أسفرت عن هذه المعاهدة إنها ساعدت على وضع حد لهجمات البجاه، كما فتحت بلادهم للنفوذ العربى، الأمر الذى أدى إلـى هَجَـرة بعـض القبائل العربية إلى أراضيهم، كما عملت على تنشيط الـتجارة،هذا فضلاً عن إشاعة الأمن والأمان الذى تتطلبه طرق التجارة فى المقام الأول، وهيأ بدوره سفر الكثير من الحجيج المصريين إلى الحجاز عن طريق بلاد البجة[٣].

ومما نتج عن هذه المعاهدة الاتفاق بين حاكم مدينة قفط ورئيس البجة أن يسمح لـه بالدخول إلى تلك المدينة ، حيث كان يحظى بالحفاوة من جانب أهالـى قفط[٤] وقد استمر الحال على ذلك طيلة قرن إلى أن عمد البجة على نقض شروط الصلح مع العرب[٥].

فـى سنة ١٢١هـ/سنة ٨٣٨م، قامت ثورة فى إقليم الصعيد الأعلى ضد ولاة بنى أمية فى مصر، قام بها الأقباط ضد صاحب الخراج" وأكد على

---

(١) المقريزى : الخطط، ج١ ، ص ١٩٥ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر، ص١٨٩، والمقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) مكـى شـبيكة : الـسودان عـبر القـرون ، ص٢٦، ٣٠ ، مـصطفى محمـد مـسعد : : الـبجة والعـرب ، ص ٢٤، محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى (دار عين ١٩٩٦م) ، ص ٦١-٦٢ .

وللمزيد من الدراسة راجع الدكتور/ حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص٢٢٣ – ٢٣٠ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١، ٥٦ .

(٥) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة ، ص ٧٠ .

ذلك المقريزى بقوله "حارب القبط عمالهم"[1] وكان حاكم إقليم فقط هو يزيد بن عبدالله[2]، ومن الطبيعى أن يتصدى والى مصر" حنظلة بن صفوان[3] لهذه الثورة التى أمتدت إلى معظم الديار المصرية[4] حينذاك ، وكانت هذه الثورة نتيجة لما فرضه عبيد الله بن الحبحاب - والى خراج مصر - على الأقباط من زيادة الخراج المقرر على أراضيهم فقد كتب ابن الحبحاب إلى الخليفة هشام بن عبدالملك: "أن أرض مصر تحتمل الزيادة ، فزاد على كل قيراط دينار"[5].

وهكذا يمكن القول بأن الأقباط لم يتدخلوا فى الحياة السياسية فى مصر عامة ومصر العليا خاصة ، إلا بعد ما زادت عليهم قيمة الضريبة ، ولعل قيام هذه الثورة ،ربما كان لتشدد عمال الأقاليم مع الأهالى فى تحصيل الجزية والخراج، أو لسوء سيرتهم فيهم، وعنتهم معهم .

وفى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٨-١٣٢هـ) أخر الخلفاء الأمويين، وقد تزعمت القبائل اليمنية هذه الثورة التى نشبت بصعيد مصر وحملت لواء المعارضة ضد الأمويين وملأت الصعيد سخطاً عليهم، وكادت أن تنفرد بحكم الصعيد[6]، إلا أن مروان بن محمد أرسل إليهم جيشاً من

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٢٦٢، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٣٥ .

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٣، ص ٧٠ .

(٣) حنظلة بن صفوان : تولى حنظلة إمرة مصر مرتين ، الأولى من سنة ١٠٢هـ-١٠٥هـ ، والثانية من ١١٩- ١٢٤هـ- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٥١-٢٥٣ ، ٢٨٠-٢٨١ .

(٤) فقامت ثورة فى دمياط فى سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م وثورة فى سمنود فى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وثورة فى رشيد سنة ١٥٠هـ/ سنة ٧٦٧م وكل هذه الثورات نشبت فى مصر السفلى. ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ،ج١ص ١٩١،الكندى :الولاة والقضاة ، ص ٩٣-٩٦ المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ٧٩

(٥) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٢٦٣، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٦ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٨٤ ، وممدوح عبدالرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر، ص١٣٢-١٣٣ م

القبائل القيسية، وعلى رأسه حوثرة بن سهيل الباهلى والى مصر[1] الذى دخل مصر فى سبعة آلاف محارب من أهل حمص والجزيرة ، وقنسرين ، واشتبك معهم بالصعيد فى معركة حامية سنة ١٢٨هـ ، واستطاع أن يهزمهم خلالها[2] ويمثل بهم بعد أن تمكن من قتل زعمائهم ، ونتيجة لذلك أظهرت اليمانية عداءها لبنى أمية فثاروا عليهم فى صعيد مصر ، فى الوقت الذى أظهروا فيه مناصرتهم للعباسيين[3].

لما انهزم مروان بن محمد أمام العباسيين فى موقعة الزاب فى جمادى الآخر سنة ١٣٢هـ[4]، فوجد أن أهل الحوف الشرقى قد سودوا للعباسيين ، ولم تلبث الأمور أن أصبحت على تلك الحال فى الأسكندرية ، فثار بها الأسود بن نافع ابن أبى عبيده بن عقبة بن نافع الفهرى، وفى صعيد مصر دخل عبد الأعلى ابن سعيد بن عبدالله بن مسروق الجيشانى فى طاعة العباسيين[5] وحذا حذوه يحيى بن مسلم بن الأشج مولى بنى زهره فى أسوان[6]، وأظهروا موالاتهم للعباسيين كذلك، كما اشترك أقباط إقليم قفط مع سائر أقباط مصر فى الوقوف ضد الخليفة مروان بن محمد الأموى، وكان أقباط قفط لهم دور ملموس فى ذلك الأمر، نتيجة لما حاق ببطرك الأقباط الأنبا ميخائيل حينذاك، والذى رفض إعطاء مروان الأموال التى فرضها عليه[7] .

---

(1) محمود توفيق حفناوى : مصر والعرب عبر العصور ، (ط دار الفكر العربى القاهرة) ص ٥٢ .

(2) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٨٤ – ٨٥ ، وممدوح عبدالرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ١٣٢–١٣٣ .

(3) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٣٠٥ .

(4) الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٩٥ .

(5) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٥، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٤ .

(6) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١، ص ٣١٦ .

(7) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج٢، ٩ : ١١ .

وقد بذل كل من عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مروان الجيشاني ، ويحيى بن مسلم بن الأشج جهداً واضحاً في استمالة أهالي إقليم الصعيد الأعلى في رفع الرايات السود " شعار العباسيين "[1] ومن هنا يتضح انضمام الصعيد الأعلى إلى الدعوة العباسية .

على أن مروان بن محمد تمكن من إخضاع الإسكندرية والصعيد[2]، إلا أنه لم يجن ثمار هذا النصر ، وذلك أن الوالي العباسي في مصر صالح بن علي ، ولجأ مروان إلى بوصير[3] من الأشمونيين ، كما تتبع العباسيون مروان بن محمد في الصعيد حيث التقوا بجمع لمروان ، وجرت بينهم معركة انتصر فيها العباسيون[4] ، وتفرغوا بعد ذلك لملاقاة جمع أخر لفرسان مروان في موضع يقال له ذات الساحل بالأشمونيين[5] وظفروا بهذا الجمع وتمكنوا بذلك من القضاء على جنود مروان ، فوجدوه بإحدى كنائس بلاد الأشمونيين [6] ، فقبضوا عليه وصلبوه وقتلوا وزيره[7] ، وكانت لهذه الحروب صداها في بلاد إقليم الصعيد الأعلى فقد اضطرب أهلها أمام هول

---

(1) يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (القاهرة ١٩٥٨م) ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(2) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(3) القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) :عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف ، مخطوط رقم ١٧٧٩ . تاريخ ، بدار الكتب المصرية ، ورقة ٥٩ ، أبوالمكارم : المصدر السابق والجزء ، ج ٢ ، ص١٠ . بوصير : اسم لأربع قرى في مصر ، هي بوصير قوريدس في كورة الفيوم ، وهي التي قتل بها الخليفة مروان بن محمد، وبوصير السدر في كورة الجيزية ، وبوصير قدنو في كورة الفيوم أيضاً ، وبوصير نبا في كورة السمنودية. ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(4) ابن مسكويه : كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (نشر دي جويه ليدن ١٨٦٩م) ج٣ ، ص ٢٠٤.

(5) ابن مسكويه : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(6) أبوالمكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج٢ ، ص٩ – ١١ .

(7) أبوالمكارم : المصدر السابق والجزء والصفحة ، ويذكر ساويرس أن العباسيين أقلموا بالصعيد ثلاثة أيام وثلاث ليالي يتواصلوا القرى حتى تمكنوا من الإيقاع بمروان .سير الآباء البطاركة ،ج١، ق١،ص ٢٥ .

المعارك وهجر الكثير من الناس قراهم[١]، أعقب العباسيون انتصارهم على مروان بقتل من ظفروا به من بنى أمية[٢].

تمكــن أبناء مروان عبيد الله وعبد الله من الزحف تجاه الجنوب قبل وفاة أبيهما مروان بعدة أيام ، وتبعهم بعض الجنود الأمويين ،وساروا جميعاً إلى منطقة إقليم قفط، ومنها إلى بلاد النوبة[٣]، وقد نتج عن هذه الحروب أن قتل عبيد الله بن مروان، وتمكن أخوه عبدالله من العبور إلى اليمن ومنها إلى مكـــة المكـــرمة، حـــيث تمكن واليها من القبض عليه " فقدم به على الخليفة المهدى العباسي ووضع فى السجن ببغداد حتى توفى"[٤].

على أن سقوط الخلافة الأموية لم يكن معناه انتهاء المقاومة الأموية فـــي مـــصر ذلـــك أن البقية الباقية من أنصار بنى أمية لم تر غضاضة من الوقوف فى وجه العباسيين ، كذلك كان العباسيون فى نظر العلويين وشيعتهم مغتـــصبين للخلافة[٥]، لذا قاموا يدعون لأنفسهم ومن ثم طرأت على مصر مرحلة جديدة جاءت بعد نهاية حكم الأمويين فى مصر، وهى مرحلة اتسمت بعـــدم الاستقرار شهدت البلاد خلالها ثورات أنصار البيتين الأموى والعلوى فى وجه العباسيين، وقدر لبلاد منطقة قفط أن تشهد أعظمها خطـــراً[٦].

إلا أنه كما تشير المصادر فقد بقى كثيرون من الأمويين فى إقليم قفط وأصـــبحت ملاذاً لهم من تعسف العباسيين واضطهادهم، ففر عاصم بن أبى بكـــر الأمـــوى إلـــى مدينة قفط، ومعه أخوه عمر وأولاده الثلاثة عبدالملك،

---

(١) أبوالمكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٧ .

(٣) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ ، مصطفى مسعد : العرب والبجه ، ص ٣٦ .

(٤) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص٢٣٠ – ٢٣١ .

(٥) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٨–١٤٩ .

(٦) سيدة الكاشف : المرجع السابق والصفحة .

وإيـــان، ومسلمة ، واستقروا فيها[1]، حيث أنصارهم من أهالى قفط الموالين لهـــم، ولمـــا وصلت أخبارهم إلى الوالى العباسى صالح بن على ماكان من خـــبرهم بعـــث إلى حاكم إقليم قفط ويدعى أحمد بن دعيم[2] ، طالباً القبض علـــيهم وإرســـالهم لـــه فأعطاهم الأمان ، ومن ثم قدموا إلى الفسطاط سنة ١٣٣هـــ / ٧٥١م ، حيث قبض عليهم وأرسلهم إلى الخليفة السفاح العباسى، فقـــتلوا فى الطريق فى مدينة قلنسوة بفلسطين[3] كما تخلص صالح بن على والـــى مصر حينذاك من محمد بن زياد ، والطفيل بن زيات ، ومروان ابن الأصبغ بن عبدالعزيز فى الصعيد الأعلى[4] .

وممـــا تجـــدر الإشارة إليه أن عبدالله بن مروان قد خلف من ورائه بعـــض الأمويـيـــن ومواليهم ومن تبعهم من العرب والموالى فى بلاد البجة والنوبة[5]، والدليل على ذلك ماذكره أحد المستشرقين من وجود مقابر أولئك الأمويين على طول الطريق الذى سلكوه من بلاد النوبة حتى ميناء باضع ، فقد هربت جماعة من بنى أمية إلى بلاد النوبة والبجه ، واستقر بعضهم فى ميـــناء باضـــع وقد دلت الأبحاث الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية ، وعلى مسجد فى سنكات ، ويستنتج أنها طريق الفارين من الأمويين[6].

---

(1) الكـــندى : الـــولاة والقضـــاة ، ص٩٨-٩٩ ، الإدفـــوى : الطـــالع الســـعيد ، ص١٢ ، ابـــن دقمـــاق : الانتصـــار ، ج٤ ، ص٣٣ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ Enc, of islam art (kift)

(2) سيدة الكاشف : أحمد بن طولون ، ص١٦٨

(3) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

(4) ومن أمثال من تكل بهم من الأمويين ، عبدالملك بن مروان بن موسى بن النصير ، ومعاوية بن مروان ومـــواس بـــن المهـــند بـــن داود بـــن نصـــير ، وضـــرب عـــنق حســـان بـــن عتاهـــيه الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٨ . Garcin : un Centre Musulman , p.60

(5) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٥ -٢٨٦ .

(6) مكـــى شـــبيكة : الســـودان عـــبر القرون ، ص ٣٢ * فقـــد عـــثر عـــلى شـــواهد قـــبور إســـلامية يـــرجع تاريخهـــا إلى منتصـــف القرن الـــثامن الميلادى حـــوالى ســـنة ٧٦٠م وهـــو تـــاريخ يتفق إلى حـــد كـــبير وهجـــرة الأمويـــين إلى بلاد البجا ، عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

والواقع أن الأمر لم ينته عند هذا الحد بل أقطع الوالى العباسى على مصر وهو "صالح بن على" القبائل العربية التى ساعدت العباسيين فى زوال دولة بنى أمية والقضاء عليها إقطاعات كثيرة ، فأقطع عبدالأعلى بن سعيد الجيشانى إقطاعات فى مصر السفلى[1]، أقطع لشرحبيل بن مذ يلفة الكلبى، والأسود بن نافع الفهرى ، أملاكاً فى مختلف أنحاء مصر مكافأة لهم على مساعدتهم ، وكانت هذه الإقطاعات أملاكاً لأسرة بنى أمية فى مصر ، كما رفع العباسيون الضرائب عن الكنائس ، وأطلقوا سراح البطريرك القبطى الذى سجنه مروان أثناء وجوده قبل سنة ١٣٢هـ[2]، ويبدو أن العباسيين قاموا بذلك الأمر ، بهدف استمالة القبائل العربية والأقباط القاطنيين بالصعيد الأعلى معاً لتقبل الدولة العباسية ومناصرتها.

لم يكن زوال الخلافة الأموية معناه انتهاء المقاومة الأموية نهائياً ، فقد ظهر من وقت لآخر بعض أنصار البيت الأموى أو أفراده ، الذين أثاروا الفتن والقلاقل والثورات ضد الخلافة العباسية ٠ففى عهد الخليفة العباسى المهدى(١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥ - ٧٨٦ م) خرج دحيه بن مصعب[3] بالصعيد، ودعا لنفسه بالخلافة، وكان والى مصر حينذاك ابراهيم بن صالح[4] والذى تباطأ فى أمردحيه حيث لم يهتم بمحاربته، فكان أن استفحل أمر دحيه وملك أغلب بلاد الصعيد فسخط المهدى على واليه ولم ير بداً من عزله فى ذى الحجة سنة ١٦٧هـ[5].

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠١ .

(٢) ساويرس : سير الآباء البطاركة ، ج١ ، ص٧٦-٧٨ ، عبدالمنعم سلطان : مصر بين عهدين سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، ص٢٨٥، مجلة كلية الآداب بسوهاج.

(٣) هو دحيه بن مصعب بن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان ٠أبوالمحاسن :النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٤٩

(٤) هو ابراهيم بن صالح بن على بن عبدالله العباسى الهاشمى . سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩ -١٥٠.

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص١٢٤ ، أبوالمحاسن : المصدر السابق ج٢ ص٤٩ .

ولـــى مصر بعد ذلك موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى (١٦٧-١٦٨هــــ) فأرســل جيــشاً بإمرة عبدالرحمن بن موسى بن على بن رباح اللخمي إلى الصعيد وذلك فى طلب دحيه ابن مصعب الثائر الأموى ، وكان دحــيه فــى ذلك الوقت فى الجهة الشرقية من النيل[١]، غير أنه لم يلبث أن اســتخلف علـــى تلك الجهة يوسف بن نصير بن معاوية بن يزيد، وعبر هو النــيل إلى الغرب، وملك أكثر البلاد به ، لكن موسى بن مصعب، أرسل من جانبه عبدالرحمن بن موسى إلى جهات الشرقية، فأغار عليه يوسف ، الأمر الــذى أدى بعبدالــرحمن أن يترك الصعيد، ويستخلف على الجيش بكار بن عمرو[٢].

علـــى أن موسى بن مصعب لم يلبث أن قتل فى شوال سنة ١٦٨هــ أثــناء محاربــته القيسية واليمنية الذين ثاروا ضده فى الحوف ذلك أن الجند أظهــروا الكــراهية لموسى ، وعقدت قيس واليمنية حلفاً فيما بينهم ، وولوا علــيهم معاوية بن مالك الجزامي،وتحالف أهل الفسطاط معهم ، وتمت بينهم العهــود والمواثيق على أن لايقاتلوا مع موسى بن مصعب[٣]، ويبدو أن هذه الأحــداث أرغمت بكار بن عمرو إلى العودة إلى مصر، وترك دحيه وشأنه بالــصعيد[٤]، ولــيس من المستبعد أن وقوع تلك الهزيمة كان بسبب انضمام أهالـــى قفط والقبائل القيسية والقبائل اليمنية إلى جانب دحيه مما قوى عزمه فـــى الوقـــوف ضد هذا القائد وكانت هذه القبائل تقطن منطقة قفط كما ذكرنا آنفـــاً[٥]، ولاشـــك أنه كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى تشدد والى مصر

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص١٣٦ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص١٤٩-١٥٠ .

(٢) كـان بكـار أخـاً لأسـامة بـن عمـرو الـذى ولى مصر بعـد موسـى بـن مـصعب . الكـندى :الـولاة والقـضاة، ص١٣٦.

(٣) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، حسين نصار : الثورات الشعبية ، ص٣٣ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩ -١٥٠ ، حسين نصار : الثورات الشعبية.ص٣٣.

(٥) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، حسين نصار : المرجع السابق والصفحة .

حينذاك فى معاملة الأهالى، وزيادة الضرائب عليهم، حيث زاد على كل فدان ضـــعف ماكـــان يتقبل منه، مما أدى إلى سخط الأهالى عليه، ووقوفهم إلى جانـــب دحيه خاصة بعد فرضه ضرائب كثيرة على أهل الأسواق والدواب وقبوله الرشوة فى الأحكام[1] ومن ثم كرهه العامة والجند وناصبوه العداء[2].

لمـــا ولى عسامة بن عمرو مصر بعد مقتل مصعب أرسل أخاه بكار لقـــتال دحيه مرة أخرى بالصعيد[3]، فواجه بكار يوسف بن نصير الذى كان لايـــزال علـــى الجهـــات الشرقية من الصعيد ، على أن تلك المواجهة بين الجيشين لم تسفر عن شىء يستحق الذكر[4].

لكن عسامه بن عمرو لم يستمر فى الولاية ، وتولى من بعده الفضل بن صالح بن على العباسى[5] ، فأتى إلى مصر فى جند من الشام[6]، فوجدها تشتعل بنار الثورة من أهل الحوف وخروج دحيه الأموى بالصعيد، لذا كان من الطبيعى عليه أن يقضى على دحيه الذى استفحل خطره، خصوصاً وأن كثـــيراً من الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه إلى دخول الفسطاط وكان ذلك فى سنة ١٦٩هـــ/٧٨٥م[7].

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٢) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص١٤٩ -١٥٠.

(٣) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٥٧ ، سيدة الكاشف : المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٦٠ .

(٥) الكندى الولاة والقضاة ص ١٢٩، أبو المحاسن : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) جند الشام : أهل قنسرين وعليهم عتبة بن سعيد ومن أهل حمص وعليهم جهم بن عبدالعزيز البهرانى، ومن أهل دمشق وعليهم عاصم بن محمد بن سعيد ، ومن أهل الأرون وعليهم قطبة بن سعيد ومن أهل فلسطين وعليهم زياده بن قائد اللخمى. الكندى الولاة والقضاة ، ص ١٢٩.

(٧) الكندى : المصدر السابق والصفحة.

شهدت بلاد الصعيد نهاية ذلك الصراع ذلك أن الفضل عقد لأحد قواده ويدعى "سفيان" على الجند فالتقى هذا الأخير دحيه ببويط[١] من الأشمونيين ، وكان قائد جيش دحيه هو " فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشد الأزدى "[٢] لم يتمكن من مقاومة الجند العباسى ، وانتهى الأمر بقتله ، فتقهقر أصحابه بما فيهم دحيه ومضوا فى حامية إلى طريق الواحات وبعثوا إلى أهلها يدعوهم إلى الانضمام إليهم[٣] وقد نجح دحيه فى استمالة أهل الواحات إلا أنه أثار سخطهم لإثارة العرب على الوالى ، وتقديمهم على البربر فضلاً عن أنه لم يرض أن يتبرأ من عثمان بن عفان[٤]، فمهد الطريق بذلك أمام العباسيين، لذا أرسلوا إليه عبدالله بن على، فتمكن من أسر دحيه وآتى به إلى الفسطاط، وهناك ضربت عنقه وأرسلت إلى الخليفة الهادى فى جمادى الآخرى سنة١٦٩هـ[٥].

---

(١) بويط : ذكرها ياقوت قرب بوصير من الأشمونيين. معجم البلدان ، ج١ ، ص١٩٦ ٠وذكرها ابن دقماق أحد نواحى الأعمال الأسيوطية بالصعيد، الانتصار، ج٥، ص٢٩ ٠

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٣٠ ٠

(٣) الكندي : الولاة ص ١٣٠ . وأسهم رجال بنى أميه ونساؤها وخاصة نعم زوجة دحيه حتى قال شاعرهم فيها :

فلا ترجعى يانعم عن جيش ظالم	تعود جيوش الظالمين وتجنب
وكرى بناطروا على سابح	إلينا بالمنايا الكافرين يقرب
كيوم لنا لازلت اذكر يومنا	بفاو ويوم بويط عصيب
ويوم بأعلى الدير كانت نحوسه	على فئة الفضل بن صالح تغلب

* وفاو : تابعة لأعمال أسيوط – ابن دقماق: الانتصار ، ج٥ ، ص ٢٥، الدير تابعة لأعمال الأشمونيين ، الانتصار ،ج٤، ص٢١٩ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٥٠ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٦١ . سيد الكاشف : مصر فى فجر الإسلام . ص١٥٠.

أن القـضاء علـى أمر دحيه بن مصعب بمثابة النهاية لكل مقاومة أمـوية داخل مصر عامة ، وصعيد مصر خاصة، حيث عاد الهدوء إلى تلك المناطق بعد أن زعزع الحكم العباسى[1].

وقـد تعرضت مصر كغيرها من الولايات التابعة للخلافة العباسية ، وذلك على أثر وفاة هارون الرشيد الخليفة العباسى ونشوب النزاع بين الأمين وأخيه المأمون ، وما لبث تطور هذا الخلاف إلى حرب بين الأخوين وانتهى الأمـر بهزيمة الأمين وأسره وقتله عام ١٩٨هـ على يد قائد المأمون طاهر بن الحسين[2] ، وكان لمقتل الأمين أثره السيئ فى نفوس أهل بغداد ، فاشتدت معارضـتهم للمأمـون ، وزاد أهل بغداد معارضة للمأمون حين بايع لعلى الرضا بن موسى الكاظم[3]، بولاية العهد ، وضرب اسمه على العملة ، وأمر الناس بلبس الخضرة شعار العلويين بدلاً من السواد شعار العباسيين[4]، لذلك بايعـوا ابـراهيم بن المهدى ولقبوه بالمبارك[5] فى المحرم سنة ٢٠٢هـ[6] وقـيل سـنة ٢٠٣[7] وأجمعوا على خلع المأمون فأعلم على الرضا المأمون بذلك[8].

لم تكن مصر بمعزل عن أحداث الخلافة ، فكتب الخليفة المأمون فى المحـرم سنة ٢٠٢هـ إلى السرى بن عبدالحكم يأمر ببيعه على الرضا فى

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج٢، ص٦١.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، (دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٧٦م) ، ص ١٢٩-١٣٠

(٣) طاهر بن الحسين : هو على بن مهدى بن جعفر بن على بن أبى طالب. القضاعى: عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف - مخطوط ، ورقة ٦١ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٥) ابن مسكويه : كتاب العيون والحدائق ، ج٣، ص ٣٥٣ .

(٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٨، ص ٥٥٤ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٣ .

(٨) ابن مسكويه : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

مصر[١]، على أن السرى لم يجد الطريق أمامه ممهداً ، فقد كتب ابراهيم بن المهدى إلى قادة الجند فى مصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده ، والثورة ضد السرى[٢] ، وكان من السهل أن يلقى ابراهيم بن المهدى أنصاراً لـــه فى مصر ، لا حباً فى خلافته وإنما طمعاً فى الجاه والنفوذ أو لتذمرهم من ولاية السرى[٣].

قـــام بالدعوة لإبراهيم بن المهدى فى مصر " الحارث بن زرعة بن قحزم " بالفسطاط وعبدالعزيز الجروى بالدلتا ، وسلامة الأزدى الطحاوى[٤] بالصعيد ، وسليمان بن غالب بن جبريل ، وكان إذ ذاك مع الجروى وعقدوا الولاية لعبد العزيز بن عبدالرحمن الأزدى[٥] .

ووقفــت القــبائل اليمنية القاطنة مدينة قفط إلى جانب بنى جلدتهم، واعلنوا جميعاً بيعتهم لإبراهيم بن المهدى ، وبذلك عمت الثورة أرجاء مصر السفلى والصعيد الأعلى[٦] ، وقتل الطحاوى على يد أحد قادة السرى ويدعى "داود" يوم السبت فى ١٩من المحرم سنة ٢٠٤هــ[٧] وبمقتله أصبح الجروى وحــيداً ، ولــم يجد لـــه نصيراً أخر وانتهى الأمر بقتله[٨] فيما بين سنــتى

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦٨ .

(٢) الكندى : المصدر السابق والصفحة .

(٣) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٧٢ .

(٤) نسبة إلى طحا وهى تابعة لاعمال الأشمونيين من صعيد مصر . ابن دقماق : الانتصار ، ج٢، ص ٢٠

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢، ١٧٨ .

(٦) الكـندى : الـولاة والقـضاة ، ص ١٤٩ :١٧١ ، والمقريـزى : الخطـط ،ج١ ، ص ١٧٩، ويذكـر الكـندى أن ثورة القبائل العربية ترجع إلى عهدها بهارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) أى قبل عهد المهدى وكانت هذه القبائل تثور لمجرد أى ظلم يقع عليها . المصدر السابق ، ص ١٤٢.

(٧) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٧٣.

(٨) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

٢٠٤هـ ، ٢٠٥م كذلك تمكن السرى أن يكون لنفسه ولاسرته من بعده ملكاً شبه مستقل سيطر به على العاصمة والصعيد الأعلى[١].

وفى تلك الأثناء تعرض إقليم قفط فى جنوب البلاد لغارات البجة من جديد فى سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م ، وذلك بسبب غدر رئيس البجه المسمى "محا" برئيس أهل قفط المسمى "إبراهيم القفطى" ويرجع السبب فى ذلك أنه حينما رغب إبراهيم القفطى فى الحج هو وأهله، وكان من الضرورى عبوره عينونا – أحد مدن البجه فى طريقه إلى عيذاب[٢] حيث صحبه فى هذه الزيارة محا رئيس البجه وجماعته[٣] ، الذين صحبوهم فى الصحراء كأدلاء لخبرتهم بمسالكها ، كما كان إبراهيم القفطى على معرفة بأرضهم ومسالكها ، وعندما رأوا ذلك شاورهم الشك وأرداوا الغدر به والتخلص منه ، فقالوا لزعيمهم " لابد من قتل هذا المسلم لمعرفته بديارنا ومقارنا ومظان مياهنا ولسنا نأمنه"[٤] .

لم يوافقهم محا زعيم البجة فى بادئ الأمر ولكنهم غلبوه على رأيه، ولذا قاموا بتغيير الطريق لإبراهيم القفطى، كما منعوا عنه المياه حتى توفى إبراهيم القفطى ومن معه من شدة الجوع والعطش، ولم ينج من هذه الكارثة

---

(١) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٧٧ .

(٢) عيذاب Eizab مدينة مصرية وميناء هام على البحر الأحمر وكان لها شأن تاريخى كبير إبان محاولة الصليبيين السيطرة على البحر الأحمر لكى يهددوا الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة وقد شهدت المدينة عصور ازدهار عديدة لموقعها التجارى الممتاز حيث كانت سفن الهند واليمن تحل فيها آتية بالبضائع أوحاملة إياها إلى مصر ، وقد كانت مع ذلك مدينة أمنه بلا أسوار علاوة على كونها مقراً لعابرى الصحراء من حجاج بيت الله الحرام المتجهين إلى الأراضى المباركة فى الحجاز .

عبدالحكيم العفيفى : موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، ص ٣٤٦ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ض ٥١-٥٦ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

إلا طفــل لإبراهيم القفطى رق لـــه بعض البجاه وانقذوه إلى ناحية ادفوا من الصعيد[1].

علــم أهالى قفط بما فعلوه البجاة بزعيمهم فعولوا على الانتقام منهم ولـــم يلبث محا واتباعه من البجاة أن قدموا على عادتهم للتجارة وكما يذكر ابــن حــوقل فأسرع أهل قفط بانزالهم في معبدهم بالمدينة ، واعملوا السيف فيهم حتى قتلوهم جميعاً وقتل زعيمهم محا في عام ٢٠٤هـ/٨١٩م[2].

وهكــذا اشــتد العــداء بين البجاويين وأهل قفط نتيجة لهذه الأعمال العدوانية فسار البجاويون إلى قفط ، وهاجموها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا منها أعداداً كبيرة[3]، وعلى الرغم مما حاق بالأهالى وما تعرضت له مدينة قفط، لــم يتحرك والى مصر – السرى بن عبدالحكم آنذاك من أجل تأديب البجاة والانــتقام منهم وذلك على الرغم من ذهاب وفد منهم إلى العاصمة الفسطاط للشكوى بما فعله البجة لهم[4].

والظاهــر أن انــشغال الأميــر الــسرى بن عبدالحكم بما وقع فى الإسكندرية وما صارت إليه الأحداث حينذاك قد حال دون تقديم العون لأهالى مديــنة قفــط ، فقد حدث أن وصل أهل الربض الأندلسيون إلى الإسكندرية وسرعان ما استطاعوا الاستيلاء عليها سنة ٢٠٠هـ[5] كما أن الصراع بين والــى مصر وخصمه العنيد عبدالعزيز بن الوزير الجروى صار على أشده، هــذا بالإضافة إلى ثورات الأقباط[6]، ولم تنته هذه الصراعات بقتل الجروى سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، وإنما ورث الأبناء النزاع حول الاستئثار بولاية مصر،

---

(١) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٢٥ .

(٢) حسن خضيرى أحمد : المرجع السابق والصفحة .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض، ص٥١ – ٥٦ .

(٤) ابن حوقل : نفس المصدر والصفحة .

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٨ .

(٦) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٦١–١٧٢ .

وظـــل الأمر على ذلك حتى قدوم عبدالله بن طاهر والى الخليفة المأمون إلى مصر سنة ٢١١هـــ/٨٢٦م ، الذى استطاع أن يقضى على الفوضى ويطرد الأندلسيين من الإسكندرية ويعيد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية(١).

وحـــدث أن كـــان فى الحوف الشرقى قبيله عربية تسمى قبيلة قيس عـــيلان وكـــان زعـــيمهم يدعى "الحكم النابغى" من بنى نصر بن معاوية – فاســـتنجد به أهالى قفط وسار لنجدتهم (٢). سار الحكم فى سنة ٢١٢هـــ/سنة ٨٢٧م بعـــد أن أتـــو إليه بكتاب القاضى وشيوخ قفط يطلبون نصرتهم ضد عدوهـــم ، فـــأعد العدة وسار إلى أرض البجه ، وهاجم أوطانهم بجيش يقدر بـــألف رجل من قيس عيلان وغيرهم من القفطيين وسبى منهم الكثير وأقام ببلدتهم ثلاث سنين(٣).

قضى الحكم النابغى على كل مقاومة البجاويين فى تلك الفترة وترتب علـــى هجومـــه، اســـتيطان عرب قبيلة قيس عيلان فى أرض البجة وأيضاً استقرار الحكم النابغى ببلدة الطود – بالقرب من مدينة قفط ، ويبدو أن الدافع الذى حمل حكم النابغى وقبيلته ونزوحهم من الحوف، وهو من أكثر الأماكن رخاءً فى مصر ماترامى إليه من أنباء المعادن التى تحويها أرض البجة(٤).

علـــى أيه حال تم إعادة تحصين مدينة قفط مرة أخرى وأقيم حولها سور سنة ٢١٢هـــ/٨٢٧م لدرء أخطار البجه عن أهالى قفط(٥)، وعلى الرغم مـــن ذلـــك فإن البجاة لم يتوقفوا عن الإغارة على إقليم منطقة قفط فى سنة ٢١٦هـــــ/سنة ٨٣١م، فقد أغارت البجاه على المنطقة الواقعة جنوب مدينة

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٨٣-١٨٤ ، حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص٢٢٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٤) حسن خضيرى أحمد : المرجع السابق والصفحة .

(٥) يقع حصن قفط بالقرب من النيل عند مدخل مدينة قفط ومازالت أطلاله ماثلة للعيان إلى الآن .

قفط[١] ، وحينذاك رفع الأهالى شكواهم إلى الخليفة العباسى المأمون ، وذلك بعـــد أن كثر أذاهم للمسلمين كما يذكر المقريزى[٢] ، فجرد الخليفة المأمون حملة عسكرية بقيادة عبدالله بن الجهم وسار إلى بلاد البجة متخذاً طريقة من عيـــنونا والحوراء، بأقصى جزيرة مصر بمعسكره ، فأثخن فى البجه ، قتلاً وسبياً وأوقف غارات البجه على مصر العليا كلها[٣].

وعلـــى أثـــر ذلك عقد عبدالله بن جهم صلحاً مع ملك البجه ويدعى كـــنون بن عبدالعزيز[٤] وكان هذا الصلح غير الذى كتبه ابن الحبحاب سنة ١٥٧هـــ/٧٢٥م، وقد تضمن البنود التالية:

أولاً : أن تكون بلاد البجه ملكاً للخليفة العباسى ، وملكهم كنون بن عبدالعزيز والبجاه عبيد لأمير المؤمنين، على أن يبقى "كنون" ملكاً عليهم[٥].

ثانياً : يـــؤدى ملك البجه الخراج كل عام ، وقيمته مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار لبيت مال المسلمين[٦].

ثالثاً : احترام البجاة الدين الإسلامى ، ولا يذكروه بسوء ، وألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً حراً أو عبداً فى أرض البجه أو فى بلاد النوبة.[٧]

رابعاً : ألا يعينوا أحداً على المسلمين ، وإذا دخل أحد المسلمين أرض البجة للـــتجارة أو الإقامـــة أو للحج فيكون فى مأمن ، وإذا دخل البجة إقليم الصعيد الأعلى لا يحملوا معهم سلاحاً ، ولا يدخلوا المدائن والقرى[٨].

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) الخطط ، ج١، ص ١٩٥ – ١٩٦ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٦ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٤ .

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٥-١٩٦ .

(٥) المقريزى : نفس المصدر والجزء والصفحة . Arkell : Ahistory of Sudan, pp.188-190

(٦) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة . Arkell : Op-Cit, pp. 190 - 191

(٧) يوسف فضل حسن : المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، ص ١١٣،١١٤ ، محمود الحويرى : أسوان في العصور الوسطى ، ص ٦٣ – ٦٤ .

(٨) عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٩ .

خامساً : ألا يهدم البجاه شيئاً من المساجد التى ابتناها المسلمون فى أراضيهم وعلى كنون بن عبدالعزيز أن يسمح لعمال أمير المؤمنين بجمع صدقات من أسلم من البجة[1]، كما اشتملت هذه المعاهدة من بين شروطها كذلك منح الحرية بتجوال المسلمين واستقرارهم فى بلاد البجة.[2]

وقد نستج عن ذلك أن شرع المسلمون فى بناء المساجد ، وجمع الصدقات من البجه مما يؤكد أن العرب إنما دُخلوا إلى أوطان البجاه للتمهيد والعمل على نشر الإسلام ، فضلاً عن استقرار بعض العرب بين ظهرانيهم حيث آثروا حينذاك الاستقرار فى وادى العلاقى – جنوب أسوان بجوار مناجم الذهب.[3] ومن اسم ملك البجه يتضح أنه مسلم ومن المعاهدة نستشف أن قطاعاً كبيراً من البجه ظلوا على وثنيتهم.*

وحدث بعد ذلك أن ثار القبط فى سنة ٢١٦هـ/٨٣١م، وعمت ثورتهم أرجاء مصر حيث انضم إليهم العرب ضد الخليفة العباسى المأمون، كما أعلنوا عدم ولائهم للعباسيين فى بلاد الصعيد ، ويرجع السبب فى ذلك إلى سوء معاملة عمال الخراج وتشددهم فى جباية الأموال[4]. وكما يذكر صاحب كتاب النبراس فإنه عندما تفاقم خطرهم فى سائر أنحاء البلاد مما

---

(١) المقريزى : الخطط، ج١، ص١٩٥ – ١٩٦.

(٢) مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٦–١١٧ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٢–٥٣ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧، أحداث سنة ٢٤١هـ.

* ومما يجدر ذكره أن تلك المعاهدة ترجمها إلى البجاوية عربيان أحدهما زكريا بن صالح المخزومى من سكان جدة ، والآخر عبدالله بن اسماعيل القرشى وأنهما عاشا فى تلك الديار حتى تعلما تلك اللغة . المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٦ . يوسف فضل حسن : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٤) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ،ج١ ص ٢٧٦–٢٧٩ ، الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢، ص ٢١٦ .

أدى ذلك إلى حضور المأمون بنفسه إلى مصر سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م ، حيث عهـد إلى قائد جيشه حاتم بن هرثمة – مهمة التصدى لهذه الاضطرابات ، فأعد هذا القائد جيشاً كبيراً وسار به ناحية الجنوب للقضاء على الثورة التى هـددت الخلافـة العباسـية ، حتى انتهى به المطاف فى مدينة قفط حاضرة الصعيد الأعلى ، وفى هذا الصدد يقول ابن دحيه : وقدم المأمون مصر سنة سبع عشرة ومائتين ، فنزل فيه حاتم بن هرثمة التى على الجبل وتوجه إلى محاربـة الذيـن خـرجوا عليه ، وهزموا وقتلوا ، ثم خرج بنفسه إلى قفط وغيرها من بلاد الصعيد فقتلهم وسبى ذراريهم"[1] وأكثر المقريزى ذلك بقوله " فحكم عليهم بقتل الرجال، وبيع النساء والأطفال، فبيعوا وسبى أكثرهم"[2].

ويبدو أنه بعد قدوم المأمون مصر أن تم القضاء على ثورات القبط[3] كما أظهرت الأحداث أهمية مدينة قفط كقاعدة حربية وحاضرة لإقليم الصعيد الأعلى[4].

ولطبـيعة الـبجة وحبهم للقتال والحرب ما لبثوا أن هاجموا صعيد مصر مرة أخرى سنة ٢٣٨هـ/سنة ٨٥٢م[5]، وذلك على الرغم من معاهدة الصلح التى وقعت بين ابن جهم وكنون ابن عبدالعزيز فى عهد المتوكل على الله العباسـى ، ولعـل ما فرضه عليهم ابن جهم من شروط فى عقد الصلح وبنوده جعلهم يوؤدون فروض الطاعة والولاء للخليفة العباسى والعرب[6].

---

(١) ابن دحيه بن الحسين : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، (طبعة بغداد ، ١٩٤٦م) ص ٦٠ .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٦٢ .

(٣) سـاويرس : سـير الأبـاء الـبطاركة ،ج١، ٢٧٨-٢٧٩ ، الكـندى : الـولاة والقضـاة ، ص ١٩٢ . المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٢٦٣ .

(٤) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٤ ، ص ٣٣ : المقريزى:الخطط ، ج٢ ص ٢٣٢

(٥) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة ، ص ٥٣ ، مصطفى مسعد : العرب والبجة ، ص ٣٠ .

(٦) ابـن حوقـل : صـورة الأرض ، ص ٥٣، وكـان سـبب هجـوم الـبجه عـلى صـعيد مصـر ، قـيام خـلاف بـين رجلين من العرب والبجه وقد تطور الخلاف إلى سب النبى صلى الله عليه وسلم ، من البجاوى مما أدى إلى الهجوم على العرب بأرض المعدن . ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

وعلى أثر ذلك أرسل يعقوب بن ابراهيم صاحب البريد فى مصر إلى الخليفة المتوكل على الله العباسى فى سنة ٢٤١هـ/٨٥٤م[1] ، يخبره ما حدث فى مصر العليا قائلاً فى رسالته " أن البجه قد نقضت العهد الذى كان بينها وبين المسلمين ، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب هى على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجه بعض المسلمين ممن كانوا يعملون فى المعدن ، وسبوا عدداً من ذراريهم ، ونسائهم ، وذكروا أن المعادن لهم فى بلادهم "[2] وأنهم لا يسمحون للمسلمين على دخولها ، الأمر الذى كان يخشاه جميع من كان يعمل بالمعادن من المسلمين ، فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذرياتهم ، فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة والجوهر ، الذى كان يستخرج منها[3].

اهتم الخليفة العباسى المتوكل بالأمر وعمل على غزو أرض البجه وذلك لدفع أذاهم عن المسلمين فى الصعيد الأعلى ، ولكن قواده أخافوه من ذلك بقولهم: "إن البجه أهل إبل وشاة ، وإن بين بلادهم وبلاد المسلمين شهرا ، ولا بد فيها من الزاد ، وإن فنيت الأزواد هلك العسكر"[4]، وهكذا خشى الخليفة المتوكل على جنوده من محاربتهم وترك أمر البجه جانباً.[5]

وقد نجم عن ذلك أن طمع البجاه فى أقباط مصر العليا ، فبعد أن كان قتالهم من العرب العاملين بأرض المعدن، بدأت غاراتهم على إقليم قفط وأغاروا على كل من بلدة إسنا وأدفو، فنهبوها وطردوا سكانهما، وطمعوا فى

---

(1) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، أحداث سنة ٢٤١هـ.

(2) الطبرى : المصدر السابق والجزء ، أحداث سنة ٢٤١ هـ .

(3) الطبرى : المصدر السابق والجزء ، أحداث سنة ٢٤١هـ.

(4) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٣، ص ٢٧٧ .

(5) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٢٢، عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣٩ .

أهلها طمعاً كبيراً ، ومن ثم كتب والى مصر – عنبسه بن إسحاق الضبى[1] إلى الخليفة المتوكل يعلمه بأمر هؤلاء البجه من جديد[2].

عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) إلى محمد بن عبدالله القمى[3]، بمحاربة البجه، وجعل إليه خراج مدن كثيرة بالصعيد مثل قفط والأقصر، وإسنا وأرمنت وأسوان[4] كما ولاه أمر الصعيد الأعلى كله يتصرف فيه كيف يشاء وأرسل بهذا إلى عنبسه والى مصر آنذاك، ومن المرجح أن يكون محمد بن عبدالله القمى قد أصبح حاكماً لإقليم منطقة قفط، واتخاذها مقراً له فى عملياته الحربية ضد البجه، وحتى يتسنى تعبئة الجيش بها[5].

ويؤكد هذا القول ما ذكره أبوالمحاسن[6] أن القمى – جمع الفرق المحاربة التى جاءت عن طريق النيل من العاصمة إلى قوص لقربها من النيل ومن ثم إلى مدينة قفط حيث يتم تجهيزها وذلك قبل توغلها فى الصحراء الشرقية.

سار القمى إلى مدينة أسوان بجيش كبير، ووصل أرض المعدن، حيث انضم إليه بعض قبائل ربيعة، ومضر واليمامة فوصل عددهم حينذاك ثلاثة آلاف رجل من كل بطن ألف رجل[7] وبذلك بلغ جيشه حوالى عشرين

---

(1) ولى عنبسه بن إسحاق مصر، سنة ٢٣٨هـ حتى سنة ٢٤٢هـ وكان آخر الولاة العرب على مصر. عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية،ص ٢٩ ، هامش (٤)

(2) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، أحداث سنة ٢٤١هـ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢، ص ٢٩٣

(3) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣٠ Hassan : Op-Cit, pp. 57-58

(4) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(5) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢، ابن دقماق :الانتصار ،ج٤، ص٣٣، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٢٣٢.

(6) النجوم الزاهرة : ج٢، ص ٢٩٧ ، سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٨٤ .

(7) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ ، مصطفى مسعد : العرب والبجه ، ص ٣٠ .

ألف فارس وكان ملك البجه يدعى "على بابا" لديه أضعاف ما لدى القمى من الجند و المؤن فبدأ القتال بينهما[1] .

وقد تكبد القمى ورجاله مشقة كبيرة فى محاربة البجه ، مما جعله يفكر فى حيلة تقيه مشقة قتال هذا العدد الكبير من البجه فكتب كتباً بالذهب، وجعلها على أسنة الرماح ، ونادى عند طلوع الفجر هذه كتب أمير المؤمنين إليكم معاشر البجه[2]، فاجتمع عليه البجه ليقرأوها، ومن ثم حمل عليهم برجاله. وقد اتم حيلته بوضع الأجراس فى أعناق خيله ، عندما رأى أن إبل البجه تنفر منها ، ولا تثبت، لصلصلة الأجراس[3]، وبهذه الحيلة تمكن القمى من الانتصار على ملك البجه ،وقتله فى المعركة[4]، ولم يجد بدأ ابن اخته الذى حل محله فى طلب الهدنة والصلح فأمنه القمى، بعد أن أعطى الجزية عن الأربع سنوات، التى أمتنع فيها عن الدفع بمقدار كل سنة أربعمائة مثقال ذهب[5]، ولذلك أمر القمى ملك البجه أن يذهب معه ليطأ بساط الخليفة المتوكل على الله العباسى بسامراء سنة ٢٤١هـ/٨٥٤[6]، ولما وصل بغداد أمنه الخليفة وعاد إلى بلاده بعد أن تعهد بمعاملة العرب معاملة حسنه وألا يمنعوا المسلمين من العمل فى أرض المعدن دون المساس بهم وبمصالحهم[7]

وهكذا أمكن للمسلمين العودة إلى أرض المعدن، كما عاد البجه إلى حظيرة الدولة الإسلامية، وولى الخليفة المتوكل سعد الخادم الايتاخى على

---

(1) ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، أحداث سنة ٢٤١هـ.

(2) ابن حوقل : صورة الأرض، ص٥٣ .

(3) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٦ .

(4) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

(5) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧، أحداث ٢٤١هـ . المثقال : لغة كل مايوزن به قليلاً أو كثيراً وشرعاً قدر مخصوص يزن ٦/٧ ٢٢ قيراطاً ، فالمثقال درهم وثلاثة أربع درهم ووزنه ٤,٤٤ جرام .

(6) المقريزى : الخطط ،ج١، ص ١٩٦ ، عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣٠ .

(7) البلاذرى : فتوح البلدان ، ٣٣٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ .

بلاد البجه ، الذى ما لبث أن ترك الأمر للقمى ، لمعرفة القمى بالطرق التى تتخلل منطقة المعادن ، وبأساليب حرب تلك الجهات ، ومكث الإيتاخى " فى العاصمة ببغداد[1].

لم يستمر القمى كثيراً فى الحكم لما حدث بينه وبين أشهب[2] رئيس قبيلة ربيعة حيث قبض عليه القمى ، وأودعه السجن كما جرده من سلطته على القبيلة ، فوقفت قبيلة ربيعة ضده ، وأوعز أشهب لأحد رجال قبيلته بقتل القمى ، فقتل فى سنة ٢٤٥هـ/سنة٨٥٩م[3].

كـان من نتائج حملة القمى على بلاد البجه كذلك أن توقفت غارات البجه علـى منطقة صعيد مصر لمدة طويلة من الزمن ، كما سمحت هذه الحملـة لعـدد من القبائل العربية الرجوع إلى أوطانهم ، ولا سيما النصف الأول مـن القـرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، وكانت هذه القبائل من مضر وربيعة وبنى حنيفة وجهينة، سعياً وراء معدنى الذهب والزمرد، حيث تمكـنت ربـيعة من فرض نفوذها وسيطرتها على القبائل العربية الموجودة هـناك بفضل تحالفها مع البجه وزواج أفرادها من بنات البجه، ومن ثم قوى نفـوذها حتـى عـم أرض المعدن[4] وقد أقامت هذه القبائل بمناجم طريـق

---

[1] الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، أحداث ٢٤١هـ * عثرت بعثة المعهد الفرنسى فى جبانة أسوان على شاهد قبر إبنة القمى هذا ، وكانت تسمى عائشة ، وورد فى هذا الشاهد أنها توفيت سنة ٤٧هـ ، أى بعد وفاة والدها بعامين ٠٠ عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٣١ ، حاشية رقم (٧) وكان القمى أول عربى ووال عربى يتم تعيينه من قبل الخليفة على بلاد البجه ٠ ابن حوقل :صورة الأرض ، ص ٥٤

[2] أشهب : هذا هو أشهب بن ربيعه بن حنيفة بن لجيم بن صعب ، ظل رئيساً لربيعة حتى قتله عبدالرحمن العمرى سنه ٢٥٥هـ تقريباً ، وكان صاحب مدينة المحدثة وهى المدينة التى اتخذتها ربيعة مقراً له تجاه مدينة أسوان ٠ ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٥٤ ٠

[3] ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة   Hassan : Ibid, pp55

[4] المسعودى :مروج الذهب ،ومعادن الجوهر ،ج١،ص ٢٩٥، (القاهرة ١٩٦٦م) ، المقريزى : الخطط ج١، ص١٩٦ ٠   Hassan, I bid, p. 52

قفــط[١]، كما أدى انتشار العرب فى بلاد البجة ومصاهرتهم لهم إلى دخول أهــل الــبجه فى الدين الإسلامى ومن ثم زال خطرهم على الصعيد منطقة قفــط[٢].

ولــم تشر المصادر بعد ذلك إلى قيام البجه بشن غارات على مدينة قفــط، ومما يؤيد ذلك ما أشار إليه الرحالة ناصر خسرو سنة ٤٤٢/١٠٥٠م حيــن عــبر الصحراء الشرقية ماراً بطريق قفط إلى عيذاب حيث قال عن البجه: "وهم ليسوا أشراراً فهم لا يسرقون ولا يغيرون ، بل يشتغلون بتربية ما شيتهم.."[٣].

ومــن الجديــر بالذكر أن الصعيد الأعلى شهد فى تلك الفترة نشاطاً بــارزاً لــثورات العلويين، ذلك أنه لم يكن قيام الدولة العباسية معناه انتهاء مطالبة العلويين بالخلافة، فقد كانوا فى نظرهم مغتصبين للخلافة ، كما كان الأمويــون من قبلهم[٤]، لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسى، قام علوى يدعو إلــى نفسه بالخلافة[٥]، ولقى العلويون الضرر والعنت على يد بنى عمومتهم العباسيين[٦].

ويتجلى ذلك فى تمرد العلويين ونزوحهم إلى منطقة الصعيد الأعلى وخاصة مدينة قفط التى ذكر ياقوت[٧] أنها أصبحت " وقف على العلوية من

---

(١) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٣٣،٣٣٤، والمقريزى : البيان والإعراب ،ص ٢٢١ **ومناجم طريق قفط : خربة الملك ، وجبل العروس ، وجبل الخصوم ، وكوم الصابونى ، وكوم مهران ، ومكابر ، وسفسيد ، وجبل صاعد ، والكلبى ، والشكرى ، والعجلى ، والعلاقى الأدنى والريفة ، ورحم – اليعقوبى : نفس المصدر السابق والصفحة ، مصطفى مسعد : البجه والعرب ، ص ٣٢ ·

(٢) اليعقوبى : المصدر السابق والصفحة ·

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ، تحقيق يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٤٥م) ص ١٣٤ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٨–١٤٩ ·

(٥) صالح الوردانى : الشيعة فى مصر ، ص ٢٤ ·

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢، ص ٢٨٣–٢٨٤ ·

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج٧، ص ١٣٨–١٣٩ ·

أيام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها " وأن أهلها شيعة[1]، وليس أدل على ذلك ممـــا ذكره ابن حوقل من أن أحد العلويين كان يعيش بمدينة قفط، وكان لـــه نفـــوذه الشخصـــى، كمـــا كان يحظى باحترام البجه وتقديرهم ، وتمكن هذا العلـــوى من استرجاع بعض السبى فى حملة البجه على مدينة قفط فى سنة ٢٠٤هـــ/٨١٤م[2].

وكانت قفط أرضاً خصبة لنمو وتعدد المذاهب الشيعية للعلويين بها، ممـــا فتح الطريق أمام المذهب الزيدى[3]، والذى انتشر بمصر إلى أن ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى إسحاق بن يحيى (٢٣٥-٢٣٦هـــ/ ٨٤٩-٨٥٠م) واليه على مصر ، يأمره بإخراج آل على ين أبى طالب من مصر فاخرجوا مـــن الفســـطاط ٢٣٦هــــ/٨٥٠م إلـــى العراق ثم أخرجوا من هناك إلـــى المدينـــة[4]، واستقر من كان بمصر على رأى العلوية[5].

ويـــبدو أن الذين بقوا فى مصر من العلويين، اضطروا إلى النزوح والتسلل إلى الصعيد ، خاصة قفط[6] التى تشير بعض المصادر إلى أن أهلها

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١، ص ١٢٨، الحميرى : روض المعطار، ص ٤٧٢ ٠

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١-٥٢ ** ولم تذكر المصادر أو المراجع التاريخية شيئاً عن اسمه _ التى بين أيدينا _٠

(٣) تنسب الزيدية إلى زيد بن على زين العابدين بن الحسن بن على بن أبى طالب ، الذى ظهر على المسرح السياسى فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م وكون اتباعاً يشايعونه سياسياً ومذهبياً عرفوا بالزيدية ٠ حسن خضيرى أحمد : الدعوة الزيدية فى مصر ، من منتصف القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) إلى منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، ص ١٨١، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الرابع ، المجلد الأول ، مارس ١٩٩٦م ٠

(٤) حسن خضيرى أحمد : المرجع السابق ، ص ١٩٤ ٠

(٥) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٢٣٩ ٠

(٦) مؤلف مجهول: كتاب الانتصار فى عجائب الأمصار، نشر وتحقيق سعد زغلول عبدالحميد (الإسكندرية ١٩٥٨م) ص٨٧، الحميرى: الروض المعطار ،ص٤٧٧

كانوا من الشيعة وذلك نظراً لكثرة وجود العلويين بالصعيد فى القرن الثالث الهجـرى[1] وهكذا يمكن القول أن العلويين والشيعة فى مصر أصبحوا غير أمنين على أنفسهم من اضطهاد العباسيين منذ عهد الخليفة المتوكل[2].

كـان الدافـع الأول لثورات العلويين بالصعيد الأعلى لما لاقوه من تعنت الولاة الأتراك وقسوتهم وخاصة فى ولاية أزجور التركى فى رمضان سـنة ٢٥٤هـ/ذو القعدة سنة ٢٥٤هـ[3]، الذى حكم مصر قبل ابن طولون، وتشدد فى معاملة الأهالى وخاصة العلويين لإرضاء الخلافة العباسية[4].

"الأحداث السياسية فى عصر الطولونيين والإخشيديين سنة ٢٥٤-٣٥٨ هـ/٨٦٨-٩٦٩م"

لـم تهـدأ بلاد الصعيد الأعلى فى عهد الطولونيين والأخشيديين بل قامت بها عدة ثورات من جانب العلويين وذلك استمراراً لما كان عليه الحال خـلال العصر العباسى نخص بالذكر منها ثورة ابن الصوفى العلوى ٢٥٣ هـ/٨٦٧م[5] ، وكانت بداية الثورة ما بين بلاد الأشمونيين[6] وإخميم[7] حيث انتـشرت دعوته العلوية فى معظم أرجاء مصر العليا وانضم إليها كثير من أنـصارهم العلويـين كانت البطون العربية فى بلاد الصعيد الأعلى وخاصة بمديـنة قفـط حيث إمتدت حركة ابن الصوفى العلوى إقليمها خاصة بعد أن

---

[1] حسن خضيرى أحمد : الدعوة الزيدية فى مصر، ص١٩٤ ·

[2] سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاه ، ص ٩٥ ·

[3] الكندى : الولاة والقضاه ، ص ٢٠٤ ·

[4] الكندى : نفس المصدر والصفحة ·

[5] هو ابراهيم بن محمد بن يحيى ابن عبدالله بن على بن محمد بن عمر · الكندى : الولاة ، ص ٢١٣، البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢، على حسنى الخربوطلى : مصر الإسلامية ، ص ٧٤ ·

[6] الأشمونيين : مدينة الأعمال الأشمونية وهى مدينة قديمة فى البر الغربى من النيل · ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص ١٥

[7] إخميم : تقع شرق النيل بالصعيد - ابن دقماق : الانتصار ،ج٥ ، ص ٢٥، وهى الآن إحدى مراكز سوهاج·

تمكن من الاستيلاء على إسنا[1] فى ذى الحجة سنة ٢٥٥هـ/ أكتوبر ٨٦٨م[2].

أرسل أحمد بن طولون جيشاً لمحاربته ولما علم ابن الصوفى العلوى الثائر حينذاك ، قام بنهب وقتل عدد كبير فى إسنا وتركها[3] وسار نحو الشمال من قفط إلى قرية – هو[4] – حيث التقى بجيش ابن طولون بقيادة "يزداد" الذى ما لبث أن هزم أمام قوات ابن الصوفي وقتل[5]، وقام ابن الصوفى " بقطع يديه ورجليه وصلبه"[6].

وصلت أخبار هزيمة جيش ابن يزداد – إلى ابن طولون ، مما اضطره إلى الاستعداد وإرسال جيش آخر فى سنة ٢٥٦هـ/سنة٨٩٦م تحت قيادة – جهم بن الحسين وذلك لمعرفته بطبيعة المنطقة، كما انضم إلى هذا الجيش أحد القواد الطولونيين الأشداء ويدعى "ابن عجيف" حيث التقى بجيش ابن الصوفى ودارت المعركة فى ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ/ يناير ٨٧٠م[7]، وكان النصر حليف جيش ابن طولون فى هذه المرة فقد تمكن من قتل كثير من أنصار ابن الصوفى العلوى وحصولهم على المغانم والأسلاب.[8]

---

[1] إسنا : إحدى البلدان بالصعيد: ابن الجيعان : التحفة السنية، ص ١٩، وهى الآن إحدى مراكز محافظة قنا وتبعد عن مدينة قفط بحوالى ١٠٠كيلو متر تقريباً نحو الجنوب.

[2] الكندى : الولاة والقضاة، ص٢١٣-٢١٤ ، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٣٠٩.
Lane-poole : Ahistory of Egypt in Middle Age (London 1925) p.61.

[3] ابن الأثير : الكامل ، ج٧، أحداث ٢٥٦هـ.

[4] هو : تقع فى منطقة إقليم قفط وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربى الجنوبى من النيل • محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق٢، ج٤، ص١٩٩، وهى الآن إحدى قرى مركز نجع حمادى وتبعد عن مدينة قفط بحوالى ٧٥ كيلو متر شمالاً تقريباً.

[5] البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢.

[6] المسعودى : مروج الذهب ، ج٢، ص ١٨، الكندى : الولاة ، ص ٢١٣-٢١٤ ، المقريزى : الخطط، ج١، ص٣٠٩.

[7] ابن الأثير : الكامل ، ج٧، أحداث ٢٥٦هـ •

[8] البلوى : سيرة احمد بن طولون ، ص ٦٢ •

وعندما وصلت الأخبار إلى القطائع بانتصار جيش جهم – خلع عليه ابن طولون خلعاً كثيرة ، وطوقه بطوق ثقيل من الذهب ، وأجازه ، وقاد بين يديـــه خيلاً كثيراً – فكان جهم بعد ذلك إذا ركب فى الأعياد والمواسم يركب بذلك الطوق[1].

مـــضى ابـــن الـــصوفى منهزماً إلى الواحات[2]، وترك خلفه جميع رجالـــه، وفـــيها بدأ يدعو لنفسه وأخذ نجمه فى الظهور من جديد حيث دعا الـــناس إلى نفسه فتبعه خلق كثير[3]، ثم لم يلبث أن اتجه إلى الأشمونيين فى مصر الوسطى ، فعول ابن طولون على تسيير جيش لملاقاته بقيادة " ابن ابى المغـــيث "[4]، غيـــر أنه لم يقع الاشتباك بين الفريقين وكان ذلك لتوجه ابن الـــصوفى إلى الصعيد الأعلى ، وهكذا انضمت إليه البطون القاطنة فى تلك الإقلـــيم مـــن بلـــى وجهيـــنه والعلويين لمناصرة ابن الصوفى لملاقاة قوات العمـــرى[5] بهـــا ، حـــيث وقعت بينهم معركة كبرى، نتج عنها هزيمة ابن الصوفى فكان أن عول على الانتقام من أهل أسوان والثأر لنفسه فقطع لأهلها ثلثمائة ألف نخلة وأظهر فساده بها[6].

---

(1) البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص٦٢ .

(2) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ .

(3) ابن الأثير : الكامل ،ج٧ ، أحداث سنة ٢٥٩هـ ، حسن ابراهيم حسن : الإسلام السياسى ، ج٣، ص ٢٢١ .

(4) البلوى : المصدر السابق والصفحة Zaki Hassan: Le Tulunides,, pp. 55-56

(5) العمرى : هـو عبدالحمـيد عبدالعزيـز ، قـام بالهجـوم علـى الـبجة ، وصـد غـاراتهم علـى مـصر العليا ، وتمكـن مـن السيطرة عليهم والحد مـن قـواتهم وتـوجه إلى قتال ابن الصوفى لما رأى فساده فى البلاد ٠ ابن الأثير : المـصدر الـسابق والجـزء والـصفحة ٠ وهـو شخـصية إسـلامية كـبيرة يـرجع نـسبه إلى عمـر بـن الخطـاب ويسمى أبو عبدالرحمن عبدالله عبدالحميد بن عبدالله الناسك بن عبدالعزيز بن عمر بن الخطاب رضى الله عـنه ، ولـد بالمدينة ونشأ فيها ، جمـع الجـند ، وسـار بهـم إلى بـلاد الـبجة ، لمـا كـثرت غـاراتهم علـى مـصر العليا ، وتمكـن مـن هـزيمتهم عـدة مـرات ، وأن يجمـع الجـزية مـنهم ويكـسر شـوكتهم فـى سـنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م فـى العـصر الطولونـى . ابـن الأثـير : الكامـل ، ج٧، أحـداث سـنة ٢٥٩هـ ، عطـية القوصـى : تـاريخ دولـة الكنوز الإسلامية ، ص ٣١ ٠

(6) الكندى : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

ولاشـك أن هـذه من الأعمال التخريبية التى حلت بأسوان ، وذلك لقيامه بقطع النخيل وكان من أهم مصادر الثروة فى بلادهم حيث كان التمر المحصول الرئيسى لهم آنذاك .

أرسـل ابـن طولون جيشاً آخر بقيادة رجل يدعى ابن سيحا ، إلى جانـب قـوات جهم بن الحسين للقضاء على ابن الصوفى ، مما ترتب عليه اضـطراب قواته ، حيث اضطر إلى الهرب إلى ميناء عيذاب[1] عبر البحر إلـى مكـة المكرمة ولكن حاكم مكة قد تمكن من القبض عليه وإرساله إلى أحمد بن طولون الذى أودعه داخل السجن ، ولم يلبث أن أطلق سراحه فأثر ابن الصوفى التوجه إلى المدينة المنورة وبقى بها حتى مات.[2]

وبـذلك انتهت ثورة ابن الصوفى فى الصعيد الأعلى وقد ترتب على هـذه الثورة العلوية آثاراً ضارة سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينـية ،فمـن الناحية الاقتصادية فقد تأثرت الأسواق فى المدن والقرى من جـراء هـذه الثورة ، كما أن أعمال ابن الصوفى التخريبية فى المحاصيل الزراعية أدت إلى ضياعها[3].

أما من الناحية السياسية فقد تحول إقليم قفط إلى مسرح للقتال دار فيه عـدة حروب بين قوات ابن طولون وقواد ابن الصوفى ، ونتج عن ذلك فقد كثيـر مـن أبـناء الإقليم وخاصة تلك المعركة التى جرت فى كل من إسنا وهـو[4]– مما أنهك كثيراً من الأهالى فى هذا الإقليم حينذاك .

---

(1) الكندى : الولاه ، ص ٢١٤، Zaki Hassan : Op . Cit. pp 55-59

(2) الكندى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير : الكامل ،ج٧، احداث ٢٥٩هـ .

(3) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢–٦٥ .

(4) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٤–٢١٥ .

أمـــا مـــن الناحــية الدينية فقد ازدادت روح التشيع فى منطقة قفط وخاصة بلدة إسنا – مقر ابن الصوفى[1] ، أضف إلى ذلك كان لظهور الدعوة الزيدية بين أهالى مدينة قفط سبباً فى انتشار المذهب الشيعى فيها حتى غزو الفاطميين لمصر[2] .

على أن ثورات العلويين لم تقف عند هذا الحد ذلك أن بغا الأصغر[3] بـــدأ ثورته فى شمال البلاد فى مصر السفلى ، حيث قامت ثورته " فيما بين الإسكندرية وبرقة ، بموضع يقال له الكنائس[4] .

ولمـــا فشـــل فى إيجاد أنصار لــــه فى تلك المناطق، سار إلى مصر العلـــيا[5]، حيث طبيعة سكانها الحربية ، ولبعد المسافة بينها وبين سلطان – ابـــن طولون – فى العاصمة ، وهكذا تقدم بغا الأصغر إلى الصعيد فى سنة ٢٥٥هـــ/سنة ٨٦٨م ، وهناك كثر اتباعه المعارضين وبصفة خاصة فى إقليم قفط وكسب تأييد القبائل العربية الموجودة ومنها على وجه الخصوص قبائل بلى وجهينة الثائرة فى وجه الكيان العباسى.[6]

وقد شجعه ذلك على إدعائه الخلافة بعد أن استفحل أمره وزاد نفوذه آنـــذاك لا سيما بعد أن استولى على الموارد الاقتصادية فى المنطقة ، وعلى خراجها وحول جميع مرافق الإقليم لصالح دعوته[7].

---

(١) يذكر الأدفوى قائلاً : " أن التشيع بها فاشياً والرفض بها ماشياً " الطالع السعيد ص ٣٨ .

(٢) حسن خضيرى أحمد : الدعوة الزيدية فى مصر ، ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ * بغا الأصغر : هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن طباطبا يتصل بصلة النسب ببغا الأكبر . البلوى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٤) الكندى : المصدر السابق ، ص ٢١٢، حسين نصار : الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية ، ص ٢٢ .

(٥) المقريزى : الخطط ،ج٢، ص ٣٣٩، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٦ .

(٦) المقريزى : الخطط، ج١، ص١٩٦، والبيان والإعراب ، ص ٢٩–٣٠ ، القلقشندى: صبح الأعشى، ج١، ص ٣١٦، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ١٨٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ، ج٣، ص ٢٢١ Aassan : The Arabs and the Sudan , p, 67

(٧) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى، ج٣، ص ٢٢١ .

أدرك ابن طولون خطورة الموقف فبدأ فى تجهيز جيش كبير للقضاء علـيه وسـير على رأسه القائد "جهم بن الحسين"، حيث التقى الجيشان على أرض الصعيد ، وقد انضمت إلى بغا الأصغر بطون من قبائل مدلج وأغلب قـبائل الصعيد ولا سيما القبائل العلوية المنضمة إليه فى هذا الإقليم[١]، ونتج عن ذلك مقتل بغا الأصغر، والقضاء على أعوانه[٢] والاستيلاء على ما معه حيث حزت رأسه وتم إرسالها إلى العاصمة القطائع وعرضها[٣].

ولكـن ما أن انتهت تلك الثورة حتى ظهر خطر جديد فى إقليم قفط أقلـق ابن طولون أشد القلق تمثل فى ظهور العمرى فى بلاد البجه وأرض المعـدن[٤]، وتهديده مدن وقرى إقليم قفط ومحاولته الاستيلاء عليها ، خاصة بعد نجاحه فى القضاء على خطر البجه وهجومهم المتكرر على الصعيد[٥].

وقـد سبقت الإشارة إلى حملة ابن الحبحاب سنة ١٠٧هـ على بلاد البجة ، وما انتهت إليه من عقد صلح فيما بينهم وكذلك حملة ابن الجهم سنة ٢١٦هـ ، واسفر عنها من عقد صلح جديد ، بين ملكهم كنون بن العزيز وابن الجهم.[٦]

وتشـير المصـادر التاريخـية إلى أن العمرى أراد الثأر من البجة لغاراتهم على إقليم قفط وخاصة بلدة إسنا[٧]، وذلك عندما هاجم رئيس البجه

---

(١) المسـعودى : مـروج الذهـب ، ج٢،ص ٦٢، المقريـزى : المقفـى الكبيرتحقـيق محمـد الـيعلاوى، ج١، ص٤٢١، Zaki Hassan : Le Tuluindes, p. 55

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ،ص ٢١٢،المقريزى : الخطط، ج١، ص ٣١٩، المقفى الكبير ، ج١، ص ٤٢١

(٣) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، أحداث سنة ٢٥٩هـ .

(٥) المقريـزى : الخطـط ،ج١، ص ١٩٥ ،حسـن ابراهـيم حسـن :انتشـار الإسـلام فـيما وراء الصـحراء الكـبرى ، ص ١١ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦٦ .

(٧) ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص ٢٨-٣٣ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٩١-١٩٥ .

الذى كان يوصف بأنه "أعور مارد" فقد تقدم الرجل إلى إسنا "وكبسوا الناس فى مصلاهم عند بلدة إسنا وقتلوا منهم ونهبوهم [1].

ونـــتج عـــن ذلـــك قيام العمرى بحملته على البجة – بغرض الثأر للمســـلمين وتأديب البجة، ومنع غاراتهم المتكررة على هذا الإقليم[2] ، فعول على تجهيز حملة كبيرة انضم إليها وأيدتها القبائل العربية القاطنة بالإقليم من بلـــى وجهيـــنة وعرب ربيعة[3] حيث كمن للبجاويين فى طريق عودتهم من هجـــوم أهـــل إسنا[4] فقتل منهم كثيراً وقتل زعيمهم الأعور وسار العمرى بجيشه سنة ٢٥٥هـــ حتى وصل إلى بلاد البجة أرض المعدن[5]، وأكثر فيهم القتل وألحق بهم الهزيمة ، ويصف البلوى ما أصابهم فى تلك المعركة بقوله: "فقـــتل فيهم مقتلة عظيمة وضيق عليهم حتى أدوا الجزية، استكفافاً لـــه، وما أدوها لأحد قبله".[6]

أدى انتصـــار العمرى على بلاد البجة إلى عظم شأنه وازدياد نفوذه حيـــث دخلـــت مـــنطقة قفـــط فى نفوذه ، كما قويت شوكة قبيلة ربيعة بعد اخـــتلاطها بالـــبجة ، وألفا معاً حلفاً قوياً تحت زعامة ربيعة وهكذا عمل كل طـــرف على تقوية الطرف الآخر ، وأصبح لقبيلة ربيعة السيادة الكاملة على أرض المعـــادن أمـــلاً فـــى الحصـــول على المزيد من ثروتها لا سيما بعد استيطانهم ديار البجة[7].

---

(1) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٤ ، عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٣٢ .

(2) البلوى : المصدر السابق والصفحة.

(3) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٠ ، والبيان والإعراب، ص ٢٩–٣٠ .

Hassan : The Arabs. and the Sudan p.b7

(4) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣٢-٣٣ .

(5) مؤلف مجهول:تاريخ ملوك السودان وأقاليمه ،مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤٧ تاريخ، ورقة ١٤.

(6) البلوى : سيرة أحمد ابن طولون ، ص ٦٥، ومصطفى مسعد: الإسلام والنوبة ، ص ١٢٥ .

(7) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١، ص ٢٤٥ .

وهكـذا أصبحت سلطة أحمد بن طولون معرضة للخطر بسبب قيام العمـرى بمـنطقة إقليم قفط وادعائه أنه يعمل على حماية مصر من خطر النوبة والبجة[1]، كما ازداد خوفه حين بلغه أن قوات العمرى تزيد عن مائة ألف رجل من رجال القبائل المختلفة ، من ربيعة وبنى بكر وائل وجهينة[2].

خشـى أحمـد ابن طولون على ملكه ودولته من هذا الثائر وحركته الاسـتقلالية فى إمارة وادى العلاقى التى أسسها عبدالرحمن العمرى ، وما كان من التفاف القبائل العربية المقيمة فى إقليم قفط حوله ، الأمر الذى يدعم سلطانه وملكه فى وادى العلاقى – جنوب أسوان فلم يجد ابن طولون مناصاً فى أن يعد الجيوش للقضاء على هذه الحركة فى دارها ، فأرسل جيشاً بقيادة "شـعبه بن حركام البابكى" غير أن قوات العمرى تمكنت من إنزال الهزيمة بهـذا الجيش[3]، وتقدم العمرى بقواته صوب الشمال حتى وصل إلى القرب مـن قوص ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى أرض المعادن دون أن يجنى ثمرة نصره على ابن طولون[4].

ولعل عدم مواصلة العمرى الحرب والرجوع إلى أرض المعدن كان مـرده إلى خوف العمرى من هزيمته أمام قوات ابن طولون لعلمه بأن ابن طولـون لـم يستخدم ضده كل قواته آنذاك، ومن جهة أخرى فقد كان خوف العمـرى كذلك من غدر القبائل التى معه ، وخاصة ربيعة أقوى هذه القبائل ورغبتها الشديدة فى الانفراد والسيطرة على مناجم العلاقى جنوب أسوان[5].

---

(1) المقريزى : المقفى الكبير ، ج٤، ص ٤٠٦-٤٠٨ .

(2) كان يرأس قوات ربيعة رجلان هما : أشهب بن ربيعة بن حنيفة بن لجيم بن صعب وإياس بن روح ، وكان على بنى قيس بن ثعلبة بن بكر وائل وحلفائهم : محمد بن صريح وكان على الجهينيين رجل يعرف بعثمان ابن سعدان وكان على الشاميين رجل من سعد العشيرة ، ورؤساء دون هؤلاء . عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٣٤ ، هامش (١) .

(3) المقريزى : التاريخ المقفى ، ج٤، ٤١٠-٤١١ .

(4) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٣٤ .

(5) عطيه القوصى : المرجع السابق والصفحة .

وقد تحققت مخاوف العمرى بعد أن طمعت ربيعه فى امتلاك مناجم الـذهب[١]، فسرعان ما خرجت وانضم البجاة إلى أصهارهم ربيعة[٢]، وذلك علـى أثـر مانشب من نزاع بين العمرى وربيعة ، ويعزى ذلك النزاع كما يذكـر المقريـزى[٣] إلى أن رجلاً من البجة قتل أخاً للعمرى من أمه يدعى إبـراهيم المخزومى عند عيذاب ، وطلب العمرى من ربيعة أن تسلمه القاتل فرفـضت ربـيعة الإذعان لمطلبه مما أدى لقيام الحرب بينهما[٤]، وقتل فيها عـدد كبيـر مـن الطرفين يقدر بآلاف الرجال ، وانتهت الحرب بانتصار العمرى وهزيمة قبيلة ربيعة وحليفتها البجاه[٥].

وعلى أثر ذلك نشب خلاف بين أبناء ربيعة أنفسهم، فاستغل العمرى ذلـك وقـتل أشهب شيخ ربيعة، ولذلك عول محمد بن هارون[٦] شيخ قبيلة مضر وغلمانه على التخلص من العمرى، فقتله غلمان شيخ قبيلة مضر بعد وقت قليل من قتله لأشهب، ومن ثم تفرق الجمع الذى كان مع العمرى، غير أن ابن طولون حزن لموته وعاقب من جاءوا برأسه[٧].

---

[١] المقريزى : التاريخ المقفى، ج٤ ، ص ٤١٢، ٤١٥ .

[٢] مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١٢٦ .

[٣] التاريخ المقفى ، ج٤، ص ٤١٣ .

[٤] المقريزى : نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٤١٣، ٤١٤ .

[٥] عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣٥ .

[٦] عطيه القوصى : المرجع السابق والصفحة .

[٧] فقد سأل ابن طولون الغلمان ، لماذا قتلوا صاحبهم؟ فعرف أنهم كانوا يريدون الجائزة فقط ، فقال لهم أكان صاحبكما مسيئاً إليكما؟ قالوا لا : قال : يمنعكما رزقكما ؟ قالوا : لا :قال أركب بحضرتكم آثما استحللتم به قتله ؟ قالوا : لا: فلم قتلتماه ؟ قالا : لا أن أردنا بذلك الحظوة عند الأمير والقرب منه فقال: ذاك والله أبعدكما منى ومن الله عز وجل * البلوى :سيرة أحمد بن طولون ،ص ٦٧ وأشار ابن الداية كذلك عاقبتهم" فأخذتهم السياط حتى سقطوا، وضربوا على رؤوسهم بالشدوخ- الحجارة حتى ماتوا جمعياً، وأمر بدفن رأس العمرى . ابن الدايه : المكافأة ، ص ٦٤ ، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ١٩٥.

وهكـــذا لعبت الظروف دورها فى الخلاص من العمرى فى الصعيد الأعلـــى واسترد بن طولون نفوذه وسيطرته بعد أن باتت هذه الحركة تهدد أمـــن وسلامة ملكه[1]. على أن دولة الطولونيين لم تلبث أن آلت إلى الزوال وعادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية فى سنة ٢٩٢هـــ/٩٠٥م على يد القائد العباسى – محمد بن سليمان الكاتب[2]، وبعد أن نجح فى ذلك خرج من مصر فى بداية شهر رجب ٢٩٢هـــ، وأخرج معه كل من بقى فيها من أتباع ابن طولون ومو البهم وسار بهم إلى بغداد[3] ثم إلى دمشق[4].

**** الأحداث السياسية فى العصر الفاطمى :**

رأى الفاطميون بعد أن امتد نفوذهم فى بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصـــلح لـــتكون مركـــزاً لدولتهم حيث كان يسودها الاضطرابات فضلاًعن ضـــعف مواردهـــا، لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثرواتها وموقعها الجغرافى الهام وقربها من بلاد المشرق الإسلامى[5].

كـــان عبـــيد الله المهدى يطمع فى أن يتخذ مصر قاعدة يوجه منها حملاته إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية المتداعية ، لذلك وجه نشاطه إلـــى وضع الخطط لغزو مصر فأعد فى سنة ٣٠١هـــ/٩١٣م[6]، جيش من المغاربـــة تحـــت قيادة ابنه وولى عهده أبى القاسم وقائدة حباسه بن يوسف

---

(1) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى ، ص ١٣٣ ٠

(2) الكندى : الولاة والقضاه ص ٢٤٧، ويذكر الكندى على أن محمد بن سليمان دعا الأمير المؤمنين المكتفى بالله وحده ، لأن الدعاء للخليفة على المنابر لم يبطل خلال الدولة الطولونية وإنما كان يدعى للأمير الطولونى معه ٠ Zaky M. Hassan : Les Tulunides, pp 155-156

سيدة الكاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩، ص ١٧ ٠

(3) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص ١٣٩ ٠

(4) الكـندى : الـولاه والقضـاه ، ص ٢٤٨، المقريـزى : الخطـط ، ج١، ص ٣٢٧، سـيدة الكاشـف : المـرجع السابق ، ص ١٨-١٩ ٠

(5) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، (دار المعارف ٢٠٠٠م) ج١، ص ١٣٧ ٠

(6) المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج١ ، ص ٩٨-٩٩ ٠

واستولى هذا الجيش على برقة فى طريقة إلى مصر ، ثم واصل سيره حتى تمكن من الاستيلاء على الإسكندرية والتوغل فى بلاد الصعيد[1]، ولدفع هؤلاء المغيرين على مصر أنفذ الخليفة العباسى المقتدر العباسى مؤنساً الخادم ، حيث اشتبك الفريقان فى معركة على مقربة من الجيزة. وانهزم حباسه وعاد إلى بلاد المغرب حيث قتله عبيد الله المهدى على إثر رجوعه[2]

بعث المهدى حملة أخرى وحملة ثالثة ، ولكن جاءت هذه الحملات بالفشل، إذ أسرع العباسيون بإرسال نجدات قوية إلى مصر ، تمكنت هذه النجدات العسكرية من هزيمة تلك الحملات الثلاث التى وجهها المهدى لمحاولة فتح مصر وانتزاعها من أيدى الإخشيديين.[3]

لكن هذه الحملات كشفت عن ميل كثير من المصريين إلى الدعوة الفاطمية بفضل الدعاة الذين انبعثوا فى أوساطهم وذلك على الرغم من فشل حملاتهم الأولى على مصر، وقد اتجهت السياسة الفاطمية إلى إرسال نفر من الدعاة على أثر ذلك كان هدفهم التبشير بعقائد الإسماعيلية[4] وفضائل الأئمة وقرب الخلاص من ظلم الحاكمين وجشع الإخشيديين[5].

ويذكر المؤرخون أسماء بعض هؤلاء الدعاة الذين كان لهم شأن فى مصر فى ذلك الوقت منهم الداعى فيروز وكان كبير الدعاة آنذاك، ومنهم

---

(1) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر، (طبعة القاهرة ١٩٦٧م) ، ص ٦١ ٠

(2) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق والصفحة ٠

(3) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٣، ص ١٩٩،٢٠٦، ٢١١، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٣٤-٣٦ ٠

(4) الإسماعيلية : جعلت الامامة فى اسماعيل بن جعفر الصادق ثم فى ابنه محمد بن اسماعيل ثم فى الأئمة من بنيه ومنهم الخلفاء والفاطميون الذين اقاموا دولتهم فى افريقية أو المغرب الأدنى أولاً فى سنة ٢٩٦هـ ، ثم نقلوا دولتهم إلى مصر سنة ٣٥٨هـ ، وظلوا يحكمونها إلى ٥٦٧هـ هذه الفرقة تعرف بالاسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وتعرف أحياناً بالباطنية إلى قولهم بالظاهر والباطن جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلاميه ،ج١، ص١٢٥ ٠

(5) الكندى : الولاه والقضاه ، ص ٢٨٤-٢٨٧ ٠

الداعي أبو على صهر فيروز وابنه محمد أبو الحسين ابن الداعي أبي على، والداعي أبوجعفر بن نصر الذى كان له مكانه: خاصة في نفوس المصريين، وكان من جلساء كافور الأخشيدى وكانت لـــه داراً بالفسطاط صارت ملتقى العلماء والوجهاء من الناس[١]، ولاشك أنه كان يبث فيهم آراءه وتعاليمه دون الخشية من بطش كافور الإخشيدى أو عيون الخلفاء العباسيين.

ومن المرجح أن وصول هؤلاء الدعاة إلى مدينة قفط كان لـــه أثره وذلك لأنها تمثل أرضاً خصبة للشيعة[٢]، كما سبقت الإشارة من قبل ، وأنها كانت وقفاً على العلوية من أيام أمير المؤمنيين على بن أبى طالب رضى الله عـــنه، وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها[٣] ولهذا لجأ هؤلاء الدعاة الفاطميون إليها يدعون أهالى إقليم منطقة قفط سراً وذلك خوفاً من بطش العباسيين والتنكيل بهم.

وأثناء تلك الأحداث تكررت غارات أهل النوبة على منطقة إقليم قفط نتــيجة لإهمال الإخشيديين[٤] أمر ثغر أسوان، فأمر تلك الحامية التى وكلت لحراســته فقد بدأ النوبيون غاراتهم على الواحات، وخاصة الواحة الخارجة

---

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، ص ٣٣-٣٤ .

* وبدأت الخلافة العباسية فى الضعف فاستبد الاتراك بشئون الحكم الفعلية حتى غدا الخلفاء كالدمى فى أيديهم يحركونهم كيف شاءوا ، وانطبق عليهم عند ذاك قول الشاعر:

خلـــيفة فـــى قفـــص ... بـــين وصـــيف وبغـــا
يقـــول مـــا قـــالا لـــه ... كمـــا تقـــول الببـــغا

جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ١٣٧ .

(٢) الإدريسى:صفة المغرب وأرض السودان والأندلس،ص ٤٨-٤٩،والحميرى :الروض المعطار، ص ٤٧٧ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٧، ص ١٣٨-١٣٩،وحسن خضيرى أحمد : الدعوة الزيدية فى مصر ، ص١٩٤ .

(٤) تولى أمر مصر كما سبق أن أشرنا إلى ذلك عدة ولاه منهم محمد بن سليمان ، وعيسى النوشرى ، وتكين بن عبدالله الحربى، وابن كيغلغ ، الذى قام بحروب طويلة ضد محمد بن تكين الذى تولى حكم مصر بعده، ثم ولى محمد بن طغج بن خلف ، الذى دارت بينه وبين ابن تكين عدة حروب انتهت بالقبض على محمد بن تكين وإيداعه السجن ببلدة إخميم فى مصر العليا . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،ج٣، ص ١٧١.

في سنة ٣٤٠هـ/سنة ٩٥١م[1]، وهاجموا مدينة أسوان في سنة ٣٤٥هـ/سنة ٩٥٦م ، " حيث قتل ملك النوبة جمعاً من المسلمين"[2] العاملين بأرض المعدن ونهب أموالهم وأحرق البلاد[3]، يضاف إلى ذلك نقص النيل حينذاك، ومانرتب عليه وقوع المجاعة في معظم أرجاء البلاد[4]. وهكذا عجز كافور الأخشيدي عن صد هجمات القرامطة الذين أغاروا على الشام سنة ٣٥٢/ ٩٦٣م، ولما عجز عن الدفاع عن تلك البلاد التي غزاها ملك النوبة وسيطر على إقليم قفط حتى وصل إلى إخميم، وذهب الأهالي واحرق المدن وعاث فساداً في أعمال الإقليم[5]، ولعل عدم وقوف حاكم مدينة قفط في التصدي لملك النوبة ، كان مرده إلى ضعف الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني آنذاك[6]، ومن جهة أخرى فقد كان انخفاض مياه النيل وانتشار المجاعة بين الأهالي[7]، أضف إلى ذلك انتشار المذهب الشيعي بين أهالي قفط مما كان إيذاناً بزوال الحكم العباسي عن مصر[8]، ومن ناحية الغرب

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) الأنطاكي : تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي " المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، (لبنان ١٩٩٠) ص ٧٩ .

(٣) المقريزي : الخطط ، ج١، ص ٢٣٠، مصطفى مسعد الإسلام والنوبة ، ص ١٣١ .

(٤) قاسى إقليم قفط من جراء انخفاض مياه النيل ، حيث أصيب الأهالي بالأوبئة ، واشتد الغلاء وندره وجود القمح ، وتفشي الموت بين الرعية ، واستمرت هذه المجاعة حتى دخول الفاطميين مصر سنة ٣٥٨هـ مثلها في ذلك مثل الديار المصرية . المقريزي : إغاثة الأمه ، ص ١٢٠ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج٣، ص ٢٤١ . لعل الغارات النوبية كانت نتيجة لدعاية فاطمية واسعة ، الغرض منها إضعاف الإدارة المصرية وشغلها في أكثر من جهة حتى لا تركز جهودها ضد الزحف الفاطمي من الغرب ، وامتناع تلك النوبة عن دفع " البقط " الجزية المفروضة عليه – منذ الفتح العربي لمصر. نعمة على مرسي : مصر العليا منذ الفتح حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب سوهاج ١٩٨٠م ، ص ٦٦ .

(٥) نعمة على مرسي : المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧ .

(٦) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، ج١، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٧) نعمة على مرسي : المرجع السابق ، ص ٦٦ ، ٦٨ .

(٨) حسن خضيري أحمد: الدعوة الزيدية في مصر ، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرابع، المجلد الرابع، مارس١٩٩٦، ص١٩٣-١٩٤.

هـــدد الفاطمـــيون الديار المصرية أيضاً[١]، وبفضل الدعاة الفاطميين دخلت التعالـــيم الإسماعيلية إلى الصعيد الأعلى وبصفة خاصة مدينة فقط حيث كان أهلها من الشيعة[٢].

ويمكـــن القـــول بأن ذلك أدى إلى انتشار الدعوة الفاطمية فى مدينة قفـــط، لاسيما وأنها كانت تزخر بالكثير من العنصر العلوى الذين طاب لهم المقام أثناء فرارهم من وجه العباسيين ولجوئهم إليها من قبل[٣].

وقد شجع على ذلك أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى أخذ يعد العدة مـــن جديد لفتح مصر قبيل وفاة كافور ، ففى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م حيث أمر بإنـــشاء الطـــرق وحفر الآبار فى طريق مصر وأقام المنازل على رأس كل مـــرحلة ، ولمـــا وصلته الأخبار بوفاة كافور سنة ٣٥٧هـــ ، أخذ فى إعداد المـــال اللازم لتجهيز حملة لفتح مصر كما بعث إلى دعاته بالديار المصرية أعلامـــاً وأمـــرهم أن يوزعـــوها على الجند الذين يؤيدونه لينشروها إذا ما اقتربت عساكره من مصر[٤].

عهـــد المعـــز لـــدين الله الفاطمى إلى قائده جوهر الصقلى[٥] بقيادة الحملـــة، وخـــرج لوداعه يوم رحيله من القيروان فى الرابع عشر من شهر ربـــيع الثانى سنة ٣٥٨هـــ ،فسار جوهر على رأس جيشه حتى وصل برقة

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ٣٧ .

(٢) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) الإدريسى : المصدر السابق والصفحة .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٣٦٥ .

(٥) جوهر القائد : هو جوهر بن عبدالله المعروف بالرومى أو الصقلى ، أو عاش فى صقلية عمل بالبلاط الفاطمى ودواوينهم ، حتى عرف بالكاتب كما عرف أيضاً بالقائد ، وذلك لأنه كان من أكفا القواد الفاطميين، وقد أسهم فى إخضاع قبائل البربر فى سنتى ٣٤٧-٣٤٩هـ/ ٣٥٨-٩٦٠م . واستطاع أن يدين المغرب كله لطاعة الخليفة المعز ، وكان على رأس الجيش، الذى قدم إلى مصر لفتحها . على إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ١٤-١٧ .

فقـــدم لـــه صاحبها فروض الطاعة واحتفل بلقائه ثم مضى فى سيره قاصداً الإسكندرية فدخلها من غير مقاومة ومنع جنده من التعرض للأهالى واستطاع أن يــتألف عساكره بما أغدقه عليهم من الأرزاق[1]، ولم يقاوم أهالى مصر هـــذه الحملة، لضخامة عدد جنودها المكون من مائة ألف مقاتل[2]، وللمناخ السياسى التى هيأته الدعاية الفاطمية فى البلاد،قبل مقدم الحملة[3].

كمـــا حظى العلويون بتكريم من الفاطميين منذ دخلوهم مصر ، فقد كـــان الشـــريف أبو جعفر مسلم الحسينى على رأس الوفد الذى قابل جوهر الصـــقلى طالباً منه الأمان للمصريين ، وصحب معه فى الوفد أبو إسماعيل الرسى الحسنى.[4]

ويبدو أن المصريين ظنوا أن أبا جعفر تساهل مع جوهر ولهذا دافع ابن الفرات عن الشريف أبى جعفر قائلاً " انتم سألتم الشريف هذه المسأله فلم يقـــنع حـــتى أخـــذ معه أبا إسماعيل وهو رجل حسنى – وأخذ معه قاضى المســـلمين وأخذ معه رجلاً عباسياً " ولما هزم المصريون أمام جيش جوهر عـــاد المصريون يستصرخون الشريف ليسعى للحصول على أمان جديد من جوهر[5].

---

[1] المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ١٤٧ .

[2] السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج١، ص ١٣ .

[3] أبـو الفـداء: المختصـر فـى أخـبار البشـر ،ج١،ص١٥١، عطـية مشـرفة: نظـم الحكـم بمصـر فـى عصـر الفاطميين، ص ٩٨-٢٧٢ .

[4] الرسيون : نسبة إلى جبل الرس الذى سكنه القاسم بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو جد الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين .

رضـوان الجـنانى : القـبائل العربـية فـى مصـر خـلال القـرنين الثالـث والـرابع الهجـرى رسـالة ماجستير ، كلـية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٦ م ، ص٣٦ .

[5] المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج١ ، ص ١٤٨-١٥٣ .

ولقد حظي الشريف أبو جعفر بالتكريم من الخليفة المعز وتوثقت علاقتهما ، وكان أبو جعفر يحضر مجالس المعز وكثيراً ما استشاره المعز في بعض الأمور الخاصة بحروبه[1].

أما موقف القبائل العربية من الفتح الفاطمي لمصر فقد رحبت القبائل العربية بهم وكان من بين هذه القبائل قبيلة قريش[2] باعتبار أنهم ينتسبون إليها وكان الفاطميون[3] يعتزون بهذا النسب ووطدوا علاقتهم بالقريشين والسيطون المتمركزة في الصعيد الأوسط[4] وبعد أن سيطروا على مصر قدموا لقبيلة قريش جزاء موقفها فقد شجعوها على الانفراد بالإقامة في بلاد الأشمونيين ، وحاربوا إلى جانبهم حتى تمكنت من طرد جهينة التي اتجهت جنوباً إلى الصعيد الأعلى[5].

أما عن القبائل المناوئة للدولة الفاطمية وإظهار روح العداء مثل قبيلة طيئ وبنو ربيعة بمنطقة إقليم قفط ، فقد انضمت إليها قبائل أخرى من قبائل الصعيد ضد الفاطميين.[6]

وفي سنة ٣٥٩هـ/سنة ٩٦٩م ، بدأ جوهر يتجه بأنظاره إلى جنوب الوادي ، ففكر في صد غارات أهل النوبة على الصعيد ، ونشر الدين الإسلامي بين النوبيين والبجاويين ، الذين هددوا قبائل العرب في أرض المعدن المتاخمة لحدود مدينة قفط[7] ، لهذا أرسل جوهر برسول الدولة الفاطمية ويدعى أحمد بن سليم الأسواني إلى ملك النوبة ويدعى جورج، لأخذ

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج١، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) رضوان الجناني : القبائل العربية في مصر ، ص ٧٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٧٢–٧٤ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاه ، ص ٢٧٢ .

(٥) ممدوح عبدالرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ١٥٥–١٥٦ .

(٦) السيد طه أبو سديره : الهلالية في صعيد مصر ، ص ٢٣–٣٦ .

(7) Garcin : Un Center Musulman. p71

الجزية ولدعوة أهل النوبة إلى الإسلام ، وقد رحب ملك النوبة برسول الدولة الفاطمـــية، وبـــالغ فـــى إكـــرامه وقـــبل دفع الجزية ولكنه ظل على ديانته المسيحيـــة[1].

وبذلـــك عادت سيطرة مصر على النوبة مرة ثانية ودخلت فى النفوذ الفـــاطمى، كمـــا قامت ثورة ضد الخلافة الفاطمية فى سنة ٣٦٠هـــ/٩٧١م بزعامة عبدالعزيز بن هيج الكلابى بالصعيد ، ورغب فى إعادة مصر لنفوذ الخلافـــة العباسية من جديد ،وضم إليه معظم الصعيد ، ولكن محاولته باءت بالفشـــل، وتمكـــن جوهر من القضاء عليه عندما أرسل حمله بقيادة " بشارة النوبى " حيث تمكنت من القبض عليه ووضعه فى " قفص مغلولاً بالسلاح ، وطيف به وبمن معه"[2].

وقـــد تعرضت مصر العليا لخطر القرامطة[3] فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى حيث " أنفذ القرامطة عبدالله بن عبيد الله إلى الصعيد ، فنزل فى نواحى أسيوط وإخميم "[4] ودخلوا مدن وقرى الصعيد ، وعاثوا فى الأرض فســـاداً واســـتخرجوا الخراج[5] ، وهناك حارب عبدالله العمال ، واستخرج الأمـــوال ، وســـرية أخـــرى قام بها الأعصم القرمطى نزل بها دبليس لكن الخلـــيفة المعز تأهب لمنعه ورده[6] ومن هذا يظهر كيف أن القرامطة أقلقوا

---

(١) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٦٨ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج١ ، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج٧، حوادث سنة ٣٦٣ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ص ٢٠٣

* ومن الأدلة على بلوغ القرامطة حتى إخميم من بلاد الصعيد وسيطرتهم على تلك البلاد ، وجود إحدى القرى التى تحمل اسمهم وهى قرية القرامطة ، وتقع إلى الشمال قليلاً من مدينة سوهاج .

السيد طه أبو سديره: الهلالية فى صعيد مصر خلال العصر الفاطمى الأول ،(طبعة١٩٩٣م) ص٢٦، هامش (١) .

(٥) المقريزى : المصدر السابق والجزء ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

بال الخليفة المعز لما ارتكبوه من جرائم ، وما استجمعوه من أموال فى شمال مصر وصعيدها. وهكذا تمكنت قوات المعز لدين الله الفاطمى من رد غارات ـسرامطة على مصر وإجبارهم على ارتدادهم نحو الشام قبيل وفاة الخليفة ..عز سنة ٣٦٥هـ[١].

**** موقف أهالى قفط من ثورة أبى ركوة على الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦-٤١١هـ) :-**

كان انفراد الحاكم بالسلطة أمراً خطيراً بالنسبة لعرب بنى قرة وغيرهم من الهلالية ، فقد عمد – الحاكم بأمر الله – إلى الإكثار من الإيقاع بهم فأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار ، فكان أن خلع بنو قرة – بالبحيرة طاعته وأعلنوا العصيان[٢] وعملوا على مراسلة إخوانهم ببرقة فى بادية بنى هلال كما يذكر ابن خلدون[٣] فما لبث الحاكم أن احتاط الأمر فبعث لهم بالأمان.

وفى تلك الأثناء ظهر أمر الداعية الأموى الأندلسى أبو ركوة[٤] وأخذ يدعو إلى القائم من بنى أمية ، ولقب نفسه كما يقول ابن الأثير " الثائر بأمر الله ، المنتصر من أعداء الله"[٥] ونزل من برقة فجمع له أهلها من بنى هلال مالاً ، وذلك بعد أن نجح فى استمالتهم إليه بعد أن دعاهم إلى نفسه فاستجابوا

---

(١) السيد طه أبو سديره : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٣٧ .

(٢) السيد طه أبو سديره : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٤ ، ص ١٢ .

(٤) أبو ركوة : لقب بأبى ركوة لأنه كان يجعلها لوضوئه ، وهو الوليد بن هشام بن عبدالملك ابن عبدالرحمن الأموى قدم من الأندلس إلى القيروان ، ثم رحل إلى الحج وطوف بلاد اليمن والشام ، ونزل على برقة فأتى يعلم الصبيان ويؤمهم فى صلاتهم . سبط ابن الجوزى : مراة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج٨، ورقة ١٤، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ، ع ، ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٣، ص ١٤٨ .

(٥) الكامل ، ج٩ ، ص ٨٢، سبط الجوزى : مراة الزمان ، ج٨، ورقة ١٦.

لـــه وبـــايعوه[1]. وهكذا ذاع أمر أبى ركوه الثائر الأموى وعظمت هيبته ، خاصـــة بعد أن بايعه بنوقرة فى البحيرة وزناتة[2] آنذاك وقد ترددت سراياه إلى الصعيد[3].

واصـــل أبـــو ركوة تحركاته وكان عماد جيشه بنوقرة وغيرهم من عرب بنى هلال يومئذ ، وفى ذلك الوقت كان الحاكم بأمر الله قد جهز جيشاً أخر بعد هزيمته فى الجيزة بلغت عدته أربعة آلاف فارس حيث عبروا النيل، فســمع أبـــو ركـــوة بهم ، فوافاهم برأس البركة بالقرب من الفيوم، والتقى الجيشان وعاودوا القتال ، ودارت معركة هائلة هزم فيها هذه المرة الثائر أبو ركـــوة وقتل وأسر كثير من رجاله وأحضرت رءوس القتلى من الفيوم إلى الجـــيزة ومـــنها إلـــى مصر ، ويصف المقريزى[4] ما حاق بهؤلاء الأسرى بالسيوف بعد ما لحقهم من أنواع البلاء بين الأمة ، يصفعون أقفيتهم وينتفون لحاهم ويضربونهم حتى تفتحت أكتافهم "

وهكـــذا تفرق بنوقرة وغيرهم من البطون الهلالية بعد هزيمتهم فى الفـــيوم ، حيـــث عـــاد الكثير منهم إلى مساكنهم بالبحيرة والظاهر أن زعيم هؤلاء كما يذكر ابن خلدون استطاع القواد الفاطميون استمالته وكما يبدو فقد نجح " الماضى بن مقرب " فى هذه الواقعة من خذلان أبى ركوة حيث طلب مـــنه سرعة الهرب من أرض المعركة – ولم تكن الهزيمة حلت بهم – إلى بلاد النوبة والنجاة بنفسه.[5]

---

(1) حسن خضيرى أحمد : علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب ، ٤٩–٥٠ .

(2) بيبرس الدوادار : زبده الفكر فى تاريخ الهجرة ، مخطوط ، ج٦ ، ورقة ٢٩٣ .

(3) محمـــد أمـــين صـــالح : تـــاريخ الجـــيزة فـــى العصـــر الإســـلامى ، ص ١٢٣–١٤ ، والســـيد طـــه أبـــو ســـديره : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٤٧ .

(4) اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٢٠٣–٢٠٤ مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، ص ٣٨–٣٩ .

(5) ابن خلدون : العبر، ج٦، ص ٨ ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكر ، ج٦، مخطوطة ، ورقة ٢٩٥ .

اضـــطر أبو ركوة للهرب إلى منطقة الصعيد الأعلى، فأرسل القائد الفاطمى الفضل بن صالح جميع الأسرى من جيش أبى ركوة إلى القاهرة[1] وواصـــل ســـيره إلى بلاد الصعيد فى تعقبه لأبى ركوة ، الذى قام بتخريب المبانـــى والاستيلاء على أموال الأهالى بالقوة فى منطقة قفط وقراها ثم لجأ إلى بلاد النوبة حتى وصل حصناً يعرف بحصن الجبل ، وأظهر أنه رسول الحاكم بأمر الله الفاطمى إلى ملكهم[2].

ويـــبدو أن هناك بعض القبائل العربية القاطنة إقليم قفط قد ناصرت أبـــى ركوة وثورته السنية ، ولكن خوفهم من بطش الفاطميين والتنكيل بهم الأمـــر الذى كان مرده الترحيب بهم فقط ، وليس أدل على ذلك من مساعدة أبى ركوة فى هروبه من الفيوم إلى بلاد النوبة ، وعدم التعرض لـــه[3]، بل مهدوا لـــه الطريق ، هذا فضلاً عن كره قبيلتى جهينة وبلى للقرشيين التابعة للفاطميين الشيعة[4].

لكـــن القائد الفاطمى الفضل بن صالح واصل سيره إلى بلاد الصعيد مـــستعيناً بـــزعيم إمـــارة ربيعة الكبرى فى مصر تلك الإمارة التى اتسعت أطـــرافها وأصـــبحت تضم صعيد مصر الجنوبى من قوص إلى أسوان[5]، وتوقف الفضل بن صالح بجيشه عند حدود أسوان ، فسار أبو المكارم خلف أبى ركوة إلى منطقة الجبل وأمسك به[6]، وقبض عليه فى بلاد النوبة وأرسل

---

[1] المقريزى : اتعاظ الحنفا، ج١، ص٢٠٣، ٢٠٤ .

[2] بيبرس الدوادار : زبدة الفكر ، ج٦ ، مخطوطة ، ورقة ٢٩٥ ، الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى ، ص ٢٦٧ .

[3] عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٥١-٥٤ .

[4] المقريزى :البيان والإعراب، ص ٢٧-٣٢ ، ممدوح عبدالرحمن الريطى :دور القبائل فى صعيد مصر ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

[5] عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٤٨ .

[6] الانطاكى : تاريخ الانطاكى ، ص ٢٦٧، المقريزى :المصدر السابق والجزء ، ص ٣٠٥
Macimichel: History of Arab Tribes in The Sudan; p. 45 .

به إلى القاهرة ، حيث شهر به في شوارعها ، بعدما زينت بالأعلام ، ووقف الجنود يحملون رءوس القتلى من رجاله[1].

لم يلبث الحاكم بأمر الله أن عمد إلى الانتقام من هؤلاء الذين حاربوه فـــى واقعــتى الجيزة والفيوم من بنى قرة وغيرهم من العرب، فسلط عليهم الجيوش والعرب المناوشين لهم فأفنوا الكثير منهم ، وقد فر من بقى حياً فى معـــركة الفـــيوم إلى بلاد المغرب غير أنهم سرعان ما استردوا نفوذهم فى منطقة البحيرة وبلاد الصعيد حتى صار لهم بلاد أسوان وما تحتها من الديار المصرية.[2]

أما عن موقف العلويين بإقليم قفط تجاه دعوى ألوهيه الحاكم بأمر الله الفـــاطمى (٣٨٦ - ٤١١هـــ) وقد كان الرفض من جانبهم بل أنهم سعوا فـــى الخـــلاص منه وذلك قبل أن تفقد الدولة هيبتها فى قلوب الناس[3] ، ولـــيس أدل على ذلك مما ذكره المسبحى[4] أن رجلاً من العلويين بصعيد مصـــر من بنى الحسين بن على ، قام بقتل الحاكم بأمر الله ، ولما سئل هذا الـــرجل عن سبب قتله قال: غرت لله وللإسلام ، ثم قتل الرجل نفسه بسكين .

---

(١) الانطاكي: تاريخ الانطاكي، ص ٢٦٧ ، شهر بابى ركوة بعد أن أركب جمل، وطيف به أنحاء القاهرة، وكان هناك شيخ يقال ٠ الأبزارى – مهمته التشهير بالمشقين ، فيضع لهم طرطوراً، ويعمل منه الألوان ويجعل بين يديه قرداً ، وفى يد القرد عصا ، يعلمه كيف يضرب بها المنشق، ومن ثم ركب أبو ركوة الجمل وألبس الطرطور، وركب الأبزارى خلفه ، ومعه القرد ، وطيف به ، وفى نهاية الطواف أمر الحاكم بأمر الله بقطع رأسه وصلبه، وعندما أنزل من على الجمل ، وجد أنه قد توفى من أثر الضرب٠ الانطاكى : تاريخه ، ص ٢٦٧، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٢١٧ ٠

(٢) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨، السيد طه أبو سديره : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٤٨ ٠

(٣) إبراهيم أحمد العدوى : مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام ، ص ١٣٠ ٠

(٤) أخبار مصر فى سنتين ، ص ٤٨، تحقيق وليم ج ملبورد. نشر الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠م انفرد المسبحي بروايته عن قيام رجل من العلويين بصعيد مصر بقتل الحاكم ، وهناك رواية أخرى نقلها المقريزى أن أخت الحاكم ست الملك هى التى دبرت أمر قتل الحاكم بأمر الله بالاتفاق مع سيف الدولة الحسين بن دواس الكتامى ،الذى كان وراء عملية اغتياله ، بعد أن اتهمها الحاكم فى شرفها ولخوف ابن دواس على نفسه من الحاكم فاحضرت ست الملك عبدين وحلفتهما على كتمان الأمر ، ودفعت إليهما ألف دينار ليقتلا الحاكم ، ووقف العبدان له، فضرباه حتى مات وطرحاه وشقا جوفه ولفاه فى كساء ، وقتلا الصبى الذى كان معه ، وأغرقا حماره ، وحملا الحاكم فى كساء إلى أخته فدفنته. اتعاظ الحنفا ج٢، ص ١١٥- ١١٦. الانطاكى : تاريخ الانطاكى ، ص ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣.

وقطعت رأسه ، وسيرت إلى القاهرة وكان ذلك فى شهر المحرم ٤١٥هـ ، بينما يرى أحد المؤرخين[1] أن السبب فى قتله هو محاولة الحاكم بأمر الله الفاطمي تغيير أصل هام من أصول المذهب الاسماعيلى ، وذلك أن نظام الوراثة عند الشيعة الاسماعيلية يقضى أن تكون الإمامة فى نسل على بن أبى طالب دون غيرهم وأن تنتقل من الأب إلى الأبن ، فحاول الحاكم مخالفة هذا المبدأ فأوصى بولاية العهد لابن عمه عبدالرحيم بن إلياس ، وأصدر أوامره بأن يضرب اسمه إلى جانب اسم الخليفة على السكه ، كما أمر أن ينوب ابن عمه وولى عهده عنه فى الخطبة والصلاة والنحر والنظر فى المظالم ، وأن يسايره فى المواكب[2].

وكادت هذه المحاولة أن تؤدى إلى انقسام خطير بين الشيعة الاسماعيلية، لأن فى تنفيذها هدماً لركن قوى من أركان المذهب ، لولا أن الحاكم قتل، وقضت ست الملك أخت الحاكم على هذه المحاولة فأرسلت إلى عبدالرحيم من قبض عليه وقتله وأجلست الظاهر بن الحاكم على عرش الخلافة[3].

وهكذا نرى أن سيدة الملك كانت إمرأة واسعة الإدراك وكانت ترى فى تصرفات أخيها، التى تراوحت بين خروج على ما ارتضاه أباؤه وهتك لناموس الشريعة، بالإضافة إلى ادعائه الألوهية وثورة المسلمين السنه عليه وخشيتها أن يقتلوه وبقية بيته ، رأت فى ذلك ما قد يخشى معه على ذهاب البيت الفاطمى وسقوط دولتهم[4].

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، ج١، ص ١٥٥ ، أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر، (الناشر الدار المصرية اللبنانية) الطبعة الأولى (١٤١٣ - ١٩٩٢م) ، ص ١١٠-١١١ .

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، ج١، ص ١٥٥ .

(٣) الانطاكى : تاريخ الانطاكى ، ص ٣٦١، ٣٦٣ ، المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٣٥٤ ، أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١١٧-١١٨ .

(٤) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق والصفحة

دور أهالى قفط فى القبض على كنز الدولة الثائر ضد الفاطميين فى عهد المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) :

وصـــل بـــدر الجمـــالى – أمير الشام إلى مصر لإنقاذها من الشدة المستنصـــرية والاضطرابات الداخلية وذلك بعد استدعاء الخليفة المستنصر بـــالله كما بدأ فى إعادة الأوضاع إلى نصابها ، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى العاصمة ، ثم اتجه بعد ذلك إلى منطقة الصعيد فى سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، وقضـــى علـــى الجـــند الســـودانى، وجماعـــات من عرب جهينة والثعالبة والجعافـــرة[1]، الذين أثاروا الشغب فى منطقة طوخ العليا بالصعيد ، وانتهى الأمـــر بهزيمـــتهم شر هزيمة ، وبذلك تمكن من إعادة نفوذ الخليفة الفاطمى على هذه المنطقة.[2]

واصل القائد الفاطمى بدر الجمالى سيره إلى الجنوب حتى وصل إلى مديـــنة قفط لقتال قوات كنز الدولة بالصعيد الأعلى حيث التقى الجيشان عند بلدة إسنا ، ودارت معركة هائلة هزم فيها كنز الدولة ، وقتل وأسر كثير من رجاله ، الذى ما لبث أن فر إلى أسوان[3].

وهكذا وقفت البطون العربية القاطنة منطقة الصعيد الأعلى مع قوات بـــدر الجمـــالى ، نتج عنها هزيمة كنز الدولة وقواته وفراره من أمام قوات الفاطميين وكما يبدو فقد نجح بدر الجمالى فى هذه الواقعة من استمالة القبائل العربية والوقوف بجانبه ، مما أدى إلى سرعة هروب كنز الدولة من أرض المعركة إلى أسوان[4].

---

(1) Lane-poole: A History of Egypt in the Middle Age, p29

(٢) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص٥٨ .

(٣) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ،ج١، ص ٢٧-٢٨ . وتخليدا لهذه الذكرى أمر بدر الجمالى قاضى المدينة الحسن بن على ابن النصر ببناء جامع فى مكان المعركة ، عرف باسم جامع النصر.

عطيه القوصى : المرجع السابق والصفحة.

(4) Lane- poole : Op- Cit , P. 29 .

أستأنف القائد الفاطمي بدر الجمالي مسيره إلى الجنوب في تعقبه لكنز الدولة حيث دارت بينهما معركة ثانية، هزم فيها كنز الدولة أيضاً، مما اضطره إلى الفرار إلى بلاد النوبة[1]. وقد تمكن ملكها من القبض على كنز الدولة بمساعدة جند والي قوص حينذاك، خاصة وأن العلاقات كانت طيبة في هذه الفترة بين ملك النوبة والفاطميين[2] وهكذا أرسل بدر الجمالي الشريف سيف الدولة إلى ملك النوبة للقبض على كنز الدولة سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م حيث قتله وصلبه على الباب الجديد فيما بين القاهرة ومدينة مصر[3].

وعلى الرغم من ذلك لم يخضع بنو الكنز للفاطميين ، بل ثاروا عليهم في سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م أما في منطقة قفط ، وسيطروا على معظم المدن والقرى فعظم شأنهم ، وكثر اتباعهم ، فسار إليهم بدر الجمالي، وقتل أميرهم[4] وهذه أخر واقعة ، انصلح بها حال الديار المصرية في إقليم قفط حيث أعاد بدر الجمالي نفوذ الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الفاطمي على جميع أنحاء مصر العليا حتى منطقة أسوان.[5]

وأصبحت قوص بعد ذلك عاصمة لسائر بلاد الصعيد، وليس لمنطقة الصعيد الأعلى فحسب، بعد أن اتخذها الفاطميون عاصمة لهم آنذاك.

---

[1] عطيه القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص٥٨ .

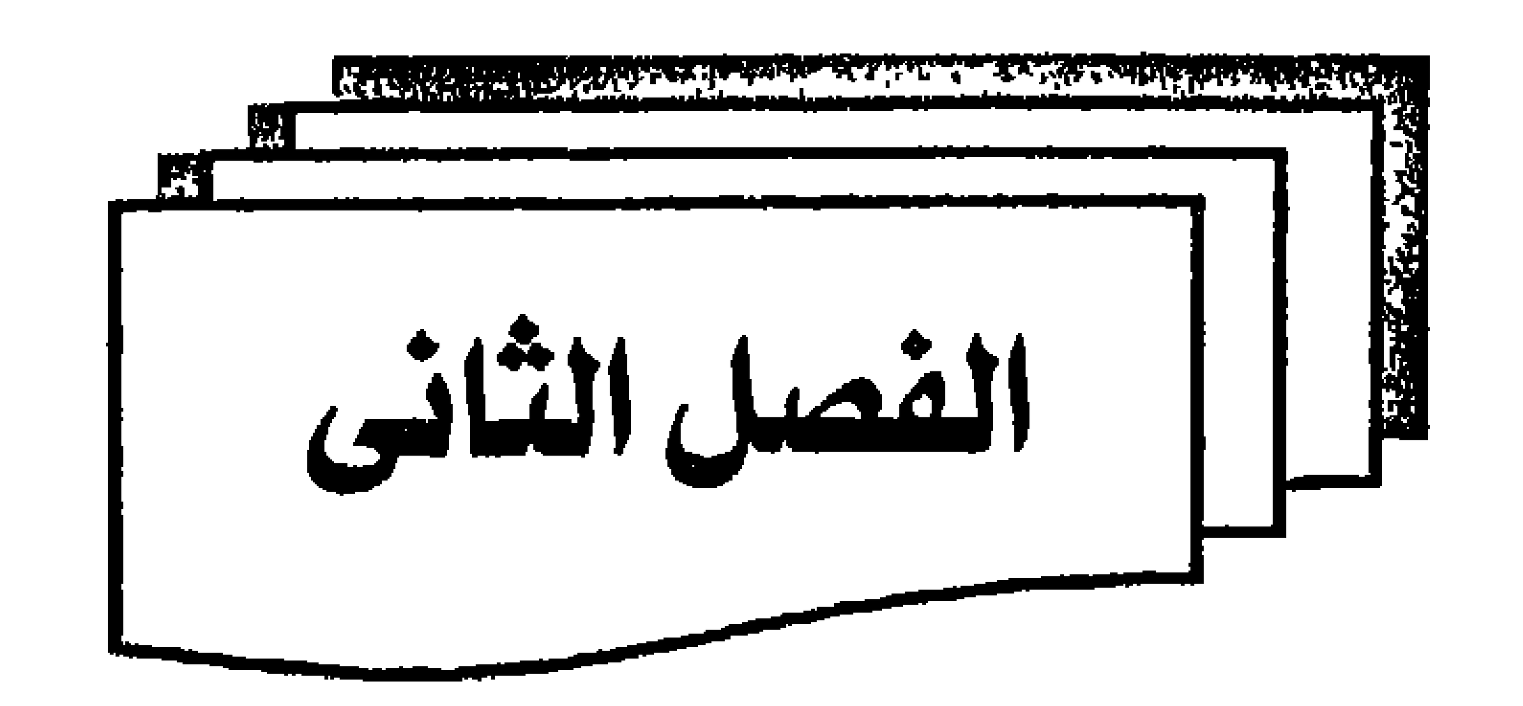
[2] محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٩ **وذلك أن خرج ملك النوبة سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م لزيارة بعض كنائس أسوان، فسير إليه والي قوص عسكراً فقبض عليه ،وأرسله إلى القاهرة ، وقد أكرمه بدر الجمالي هناك،وأعطاه الهدايا ،ولكنه توفى في القاهرة ، ولم يعد إلى بلاده ،ومن هذه المعاملة الحسنة للملك الراحل ساد الود بين الطرفين. ابن ميسر : أخبار مصر ، ج٢، أحداث سنة ٤٧٢هـ ص ٣,٥ .

[3] عطيه القوصي : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٦٠-٦١ .

[4] ابن ميسر : أخبار مصر ، ج٢، أحداث سنة ٤٧٧هـ، ص ٣٦، الجزء الثاني عني بتصحيحه هنرى ماسيه (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩١٩م .

[5] Lane-poole : Ahistory of Egypt in the Middle Ages p, 151 .

* انتهز بدر الجمالي استبداده بالسلطة في أواخر عهد المستنصر الفاطمي ، ومهد لابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأمور في الدولة فجعله ولي عهده ولما توفي بدر في أوائل سنة ٤٨٧هـ خلفه ابنه الأفضل في الوزارة ، فأصبح بيده الأمر كله ولم يعد للخليفة من السلطة إلا اسمها ومنذ ذلك الحين دخلت الدولة عهد جديد اصطلح على تسميته بعصر الوزراء العظام وهو عصر انتقلت السلطة فيه إلى الوزراء –
ابن ميسر : أخبار مصر ، ج٢، ص ٣٠ ، محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر ، ص١١٠ .



الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى

أولاً : الثروة الزراعية :-

* نظم الرى والزراعة
* ملكية الأراضى
* أهم المحاصيل الزراعية

ثانياً : الثروة الحيوانية :-

ثالثاً : الحرف والصناعات :-

* الصناعات الغذائية .
* وصناعة الجلود .
* صناعة النسيج .
* استخراج المعادن .
* الصناعات الأخرى .
* الصناعات الخشبية .
* صناعة الفخار والخزف – صناعة الحصير – حرفة الدباغة

رابعاً : النشاط التجارى :-

* الأسواق فى مدينة قفط
* مراكز التجارة الداخلية فى قفط .
* النيل كطريق تجارى هام
* مراكز التجارة الخارجية فى قفط.
* الطرق التجارية الأخرى

خامساً : المعاملات التجارية والمالية :-

* الموازين والمكاييل .
* العملة (النقود) .
* السفاتج والصكوك .

أولاً : الثروة الزراعية :

نظم الري والزراعة :-

تعتمد الزراعة في مصر على النيل، وتنقسم أراضي مصر إلى أقسام كثيرة منها مرتفع لايصل إليه الماء إلا من زيادة كثيرة، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة، ولقد تفاوتت أراضي مصر في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كبيراً ، لذا احتاجت بلاد الصعيد إلى خفر الترع وعمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى أهالي النواحي عند الاحتياج إليه[1].

وقد اعتمد الأهالي في مصر العليا في رى أراضيهم على نظام رى الحياض وهو تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض يصلها الماء في وقت الفيضان بواسطة شبكة واسعة من الترع التي تسد ارتفاع النيل إلى حد معين لتغمر هذه الحياض بالمياه، ويبقى الماء في هذه الحياض عند بداية الفيضان في فصل الصيف إلى الخريف، ثم يصرف عنها المياه فيزرع ولايسقى بعد ذلك[2].

وهكذا كانت الزراعة تعتمد خلال العصر الإسلامي اعتمادا رئيسيا على مياه الفيضان من النيل[3] سواء في مصر أو في غيرها من الأقاليم مثل إقليم قفط[4].

وقد تحدث الأصطخري عن زرع إقليم قفط بقوله "وزروعهم على ماء النيل تمتد فتعم من حد أسوان إلى حد الإسكندرية وسائر الريف"[5] ويصف الإدفوى لماء إقليم قفط فيقول " إن ماء أشد عزوبة وحلاوة من سائر

---

(1) المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٦ ، صلاح أحمد هريدي : دور الصعيد في مصر العثمانية ، (دار المعارف ١٩٨٤) ،ص ٢٤٨ .

(2) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص٦٣ .

(3) راشد البراوي : المرجع السابق والصفحة.

(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٢٧٦،٢٧٧ . Johnson (l-c) : l. Egypt Byzantione, p.6

(5) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٤٠ .

أنهـــار الإســـلام ويقول الإدفوى فإذا كان كما قال فماء إقليم قفط أجمع لهذه الصفات وسألت الحكيم الفاضل السيد الدمياطى عن ماء قفط كمدينة وبين ماء مصـــر فى التفاوت قال " انتهيت فى السفر فى الوجه القبلى إلى هو[1] وبين مائها وماء مصر كماء بسكر وماء صرف[2].

كمـــا اعـــتمدت أراضى إقليم قفط فى ريها على السواقى، وذلك لأن أراضـــيها مـــرتفعة عـــن مستوى سطح النيل ، مما أدى إلى كثرة استخدام السواقى فى الصعيد الأعلى، ومايدل على ذلك ماأشار إليه ناصر خسرو (ت ٤٧٦هـــ)[3] بقوله "أهالى أسوان وهم يروون زراعها بالسواقى" بينما يصف لنا أبو صالح الأرمنى (ت٥٦٩هـــ)[4] طريقة الرى فى مدينة قفط واعتمادها علـــى السواقى بقوله " ومدينة قفط كانت عليها سواقى يزرع عليها وأن هذه الســـواقى كانت تدار بالأبقار، حيث كان قد أوقف للسواقى هذه أربعون زوج بقر " وقد كانت معظم أراضى الصعيد تروى عن طريق السواقى والدواليب المخصصة لرفع المياة، وخاصة وقت الجدب والحاجة[5].

أدرك ولاة مصر وأقاليمها أهمية الثروة المائية منذ العصر الإسلامى الأول واهـــتموا بمرافقها لإحكام السيطرة عليها، وبذلوا عنايتهم لضبط مياه النـــيل والعمل على حسن توزيعها وتصريفها، ومراقبة مدى ارتفاع منسوب المياه، وكان التحكم فى هذه المياه عن طريق إنشاء مقاييس النيل[6]، لذا اهتم

---

[1] هو : بليدة أزلية على تل بالصعيد بقرب النيل بالقرب من قفط (ياقوت : معجم البلدان ،ج٥، ص٤٢٠)۰

[2] الأدفـوى : الطـالع السعيد ، ص ٢٥ يـبين هـنا درجـة عذوبـة مـاء إقلـيم قفـط العالـية لدرجـة أنهـا تـتفوق عن غيرها فى حلاوتها وعذوبتها كماء بسكر وماء خالص ليس ممتزج بشىء۰

[3] سفر نامة ، ص ٥٧١

[4] تاريخ الشيخ أبوصالح الأرمنى ، ص ٦٩ ۰

[5] القلقشندى : جمع صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٣١٢

[6] سـيدة الكاشـف: الأرض والفـلاح فـى مصـر الإسـلامية مـن كـتاب الأرض والفـلاح فـي مصـر عـلى مـر العصور ، الجمعية التاريخية المصرية ، (القاهرة، ١٩٧٤) ، ص ١٧٦.

مقاييس النيل : والمقياس عبارة عن عمود رخام مثبت فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه ، وكـان هـذا العمـود يقسم إلى إثنتين وعشرين ذراعـاً ، وكـل ذراع تقسـم اربعـة وعشرين قسـماً متسـاوياً=

ولاه الديار المصرية بفيضان النيل كل عام لأهميته بالنسبة لهم ولتقدير الخراج ومن أجل ذلك نشأ الاهتمام بفيضان النيل وقياسه[1].

وقد عرفت مصر مقاييس النيل منذ أقدم العصور، وأبدت الحكومات المختلفة التي تعاقبت على حكم مصر عنايتها بهذه المقاييس، لأن الزراعة وهي عماد الحياة في مصر معتمدة على الري من مياه النيل ولم يكتف العرب بما وجدوه في مصر عند فتحهم لها من مقاييس للنيل، بل تطلعوا إلى إقامة مقاييس جديدة للنيل، فبنى أول ولاة مصر - عمرو بن العاص مقياساً بأسوان، وأخر بمنطقة قفط ببلدة دندرة[2] ومقياساً ثالثاً في حلوان[3].

ويبدو أن الذين قاموا ببناء هذه المقاييس هم القبط لعدم خبرة العرب ببناء المقاييس ، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان أقيم مقياس أخر بأنصنا[4] واستمر القياس عليه حتى ولاية عبدالعزيز بن مروان ، الذي نقل دار إمارته إلى حلوان ، وأقام فيها مقياساً جديداً[5] وفي عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك بنى أسامة بن زيد والي الخراج بمصر مقياساً في جزيرة الروضة في سنة

= تسمى الأصابع ، ماعدا الإثنتي عشر ذراعاً الأولى ، وكانت أفضل الزيادات في مياه النيل وأعمها نفعاً للبلاد كلها هو سبعة عشر ذراعاً ، ويكون في ذلك كفاية لري جميع الأراضي ، وإذا زاد على ذلك القدر أغرقت كثير من الأراضي وتعرضت للضرر ، ويقال أيضاً أن ست عشرة ذراع تكفي لري أراضي مصر كلها عامرها وغامرها وخاصة لعناية المصريين بالجسور ، وبناء مايلزم من القناطر ، وتطهير الخلجان بصفة مستمرة . مما يجعل الاستفادة من مياه النيل تبلغ مداها ويعم الخير سائر البلاد المصرية . المقريزي : الخطط ، ج1، ص103 ، هويدا عبدالعظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م) ،ص151 فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة ، ج2 ، ص 84 .

[1] سيدة الكاشف : الأرض والفلاح في مصر الإسلامية، ص176 .

[2] المقريزي : الخطط ، ج1 ، ص103 .

[3] السيوطي : حسن المحاضرة ، ج2 ، ص 375 .

[4] المقريزي المصدر السابق والجزء ،ص 103-104 ،وانصنا :مدينة في الصعيد شرقي النيل،معجم البلدان ،ج3 ،ص 365 .

[5] ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ص 14-15 ، المسعودي : مروج الذهب ، ج1 ، ص344، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 75 ، المقريزي : المصدر السابق والجزء والصفحة.

٩٧هـ[١]. كما اعتمد المصريون على هذا المقياس الأخير فى قياس زيادة النيل حتى عهد الخليفة العباسى المتوكل .

وفى القرن الثالث الهجرى حينما بنى مقياس جديد فى الجزيرة سنة ٢٤٧هـ ، وأمر الخليفة المتوكل والى مصر يزيد بن عبدالله التركى بصرف القبط عن العمل بمقاييس النيل واستخدام المسلمين بدلاً منهم.[٢] وقد عُنى الأمراء الطولونيون بمقاييس النيل ، فجدد أحمد بن طولون المقياس الجديد وهو المقياس المتوكلى وأنفق فى تجديده مبالغاً كبيرة ، كما بنى مقياساً جديداً فى الجزيرة[٣] وزادت العناية بمقاييس النيل فى عهد الخلفاء الفاطميين حتى صار للدولة رسوما معينة بتطهير مجارى الماء ، بلغ مقدارها ٥٠ ديناراً فى كل سنة[٤] ونرى القبط كانوا يقومون بأكبر نصيب فى شق القنوات وإقامة الجسور، وبناء المقاييس فى مصر الإسلامية وذلك لارتباطهم الوثيق بالأرض والزراعة، كما كانوا أكثر الناس علماً ودراية بما تتطلبه أراضيهم الزراعية، كما أنهم أكثر خبرة بما يتفق وطبيعة بلادهم.

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص١٤ – ١٥ ، المسعودى : مروج الذهب، ج١، ص٣٤٤ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين، ص٧٥، المقريزى : الخطط، ج١، ص١٠٣.

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ،ص ٧٥،وقد وجد هذا المقياس وقد كتب عليه السنة التى تم بناؤه فيها ، كما كتب عليه "بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين ،أمر عبدالله جعفر المتوكل على الله – أمير المؤمنين ، وأدام له العز والتمكين والظفر على الأعداء وتتابع الإحسان والنعماء وزاده فى الخير رغبة ، وبالرعية رأفة ، وكتب أحمد بن محمد الحاسب فى رجب سنة سبع وأربعين ومائتين " وكتب فى موضع أخر أن الماء بلغ فى السنة التى بنى فيها هذا المقياس سبع عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصبعاً ،سيدة الكاشف:مصر فى فجر الإسلام ،ص ٣٦٩ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق والجزء، ص ١٠٣ ، ١٠٥.

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، عندما تولى الخليفة المتوكل أمر بعزل الأقباط من ولايتهم للمقاييس وأن يتولاه مسلم فتم اختيار أبى الرداد المعلم واسمه " عبدالله بن عبدالسلام بن عبدالله بن ابى الرداد المؤذن وبقى حتى توفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ، وقد صار المقياس من بعده فى يد أولاده حتى نهاية العصر الإسلامى الأول ، وكانت لأبى الرداد المعلم مقابل إشرافه للمقياس مائة دينار ، ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج٢ ، ق١ ، ص١٥٦.

اعـــتمد إقليم قفط على مياه النيل فى رى أراضيه كما اعتمدت مدينة قفـــط علي ماكان يعرف باسم الرى الحوضى، وهذا النوع من الرى كان من شـــأنه أن يحفظ للتربة قوتها وخصوبتها ونماء زراعتها، وصف الإدفوى[1] هـــذا الإقليم قائلاً: ومن محاسن طيب أرضه "كما كان لموقع مدينة قفط على جانبى الوادى وفى منطقة " ثنية قنا " عما ترتب عليه زيادة الرقعة الزراعية فى إقليم قفط، حيث كانت مساحة الأراضى الزراعية فيها متسعة، وليس أدل علـــى ذلـــك ممـــا ذكـــره ابن دقماق[2] قائلاً : أن مساحتها ألف وأربعمائة وعشـــرون فدان ونصف كانت عيرتها ثلاث آلاف ومائتين وثلاثون دينار"، كمـــا كانـــت زيـــادة النيل تدرك فى إقليم قفط قبل أن يبشر به أبوالرداد فى مصـــر، وشهد إقليم قفط مطلع بشارة وفاء النيل، فكان يخرج من منطقة قفط مركب صغير تسمى " المفرد " وبها رجل يجدف وعليه أسابيط تظلله من حر الشمس ، حتى تصل فيبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر أبوالرداد [3].

وكمـــا كـــان للاحتفال بوفاء النيل تقليداً قديماً سابق الفتح العربى[4] وعـــندما فتح العرب مصر ، احتفظوا بهذا التقليد ، بعد إدخال التعديل الذى يوافـــق الديـــن الجديد[5] وقد اختلفت طريقة الاحتفال بوفاء النيل فى العصر العـــربى مـــن وقت لآخر، ففى أعقاب الفتح الإسلامى لمصر كان الاحتفال

---

(1) الطالع السعيد، ص٢٨ .

(2) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، ص٣٣ .

(3) المقريـــزى : الخطـــط ، ج١ ، ص١٠٣، ابـــن إيـــاس ، بدائـــع الـــزهور، ج١،ق١ ، ص١٥٧ . ويذكـــر المقريزى: "ومابرح المفرد يخرج من مدينة قوص بيشارة وفاء النيل وقد أوفى عندهم ستة عشر زراعاً ، فلايوفى ذلك المقياس بمصر إلا بعد ثلاثة أيام ونحوها " . الخطط ، ج١ ، ص١٠٣.

(4) يذكر المؤرخون العرب أن يوم الوفاء هو يوم الزينة وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع وقد ربط بعض مفسرى القرآن بين قوله تعالى أخباراً عن فرعون " قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى" وذلـــك لأن الاحـــتفال بالوفـــاء يكـــون صـــفى. الـــنويرى : نهايـــة الأرب ، ج١ ، ص ٢٦٤، المقريـــزى: المصدر السابق والجزء، ص٦٠.

(5) محمد محمود أبوزيد: النيل ومصر، دار الهداية ١٩٨٧م، ص ٨٩-٩١.

يتمشى مع بساطة الدين الإسلامى والعادات والتقاليد العربية ، ويصف لنا ابن رستة من علماء القرن الثالث الهجرى صورة لهذا الاحتفال فيقول[1] وقد اتخذت علامات تعرف بها زيادة الماء ونقصانه ووكل به جماعة يتعهدونه (أى زيادة الماء فى المقياس) ويثبتونه، فإذا زاد نظروا إلى بعض تلك العلامات فوقفوا على مقدار تلك الزيادة، لأن الزيادة فى الخراج على حسب الزيادة فى الماء فيصير هؤلاء الموكلون إلى المسجد الجامع بأياديهم الرياحين ويقفون على حلقة يرمون بها معهم من الرياحين إليهم وينادون أن الله عز وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له ".

وكان هذا شأن الاحتفال فى بداية العصر الإسلامى ولكنه أخذ يتطور فيذكر المسعودى[2] أنه كانت توقد القناديل فى ليلة الوفاء من كل سنة، ويتخذون إشارة عظيمة كبيرة تنصب حولها القناديل وتعلق بالحبال وتوضع بمركب فتزف بالطبول فى ليلة يعم فيها الفرح والابتهاج .

ولاشك أن النيل وشواطئه كان من الأماكن المعروفة للاحتفال بعيد وفاء النيل وقد كان فى إحدى هذه الاحتفالات على النيل ألف مشعل وقد حضر الناس منهم فى الزواريق (نوع من المراكب) ومنهم فى الدور القريبة وسائر الشطوط[3] وكانت مدينة قفط من أكثر المدن المصرية آنذاك احتفالاً بعيد وفاء النيل فكانت تقيم الأفراح وتزين الشاطئ بالورود قبالة المدينة فتظهر الاحتفالات على شواطئ النيل ومنتزهاته وفوق صفحته[4] وقد لجأ أهالى مدينة قفط إلى استخدام جسور من الطين عند حدوث كوارث

---

(١) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١١٦ .

(٢) مروج الذهب : ج١، ص١٦٣–١٦٤ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(4) The Coptic Enc, Aziz, S,Atiya, art (Qift) .

الفيضـــان[1] عـــندما يأتي الفيضان البلاد يسير الأهالي من قرية إلى أخرى بفضـــل هذه الجسور[2] لذلك كان أهالي مدينة قفط يقومون بتجهيز حاجاتهم الضرورية لدرء الخطر الناجم عن الفيضان ، فيعد كل شخص ما يحتاجه من الخبز خلال هذه الفترة ، وكان يقدوه حتى لا يفسد[3].

وقـــد اهـــتم الفاطمـــيون بالإنتاج الزراعي، وري الأراضي وإقامة الجســـور فـــي عرض وادى النيل ، كما أقام الفاطميون جسراً يبدأ من أول الديـــار المصرية إلى أخرها وهو من الطين إلى إقليم الصعيد الأعلى ، وهذا الجســـر من الطين ليسير عليه الأهالي ولنقل منتجات الأقاليم من خلاله إلى الديـــار المصـــرية ، وكانت لأهميته اعتمدت لـــه الدولة عشرة آلاف ديناراً لصـــيانته وتجديـــد عمارتـــه[4]، كما أقيمت عدة جسور لتسهيل عملية الرى وتنقسم الجسور في مصر إلى نوعين الجسور السلطانية ، وهي الجسور التي اختصـــت بهـــا الحكومة المركزية ، وصيانتها عمل إجباري على الأهالي ، ففرضـــت على الأهالي تقديم ١٢٠ ألف رجل لصيانة هذه الجسور منهم ٧٠ ألف في الصعيد ، ٥٠ ألف رجل من أسفل الأرض[5].

أمـــا الـــنوع الثاني من الجسور، فهو الجسور البلدية، وهي الجسور الخاصة ببلدة دون غيرها ، يتولى إقامتها وعمارتها المقتطعون بالنواحي[6]، وتخصم نفقات صيانتها من قيمة ضريبة الخراج المقدرة على تلك الناحية[7]

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٣ ٠ الجسر : بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسراً عن بن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان ، وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيدة والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر ٠ المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص١٦٥٠

(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة

(٣) ناصر خسرو : نفس المصدر السابق والصفحة

(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ج١، ص١٠١ ٠

(٥) ابن الكندي : فضائل مصر ، ص٦٠،٥٩ ٠

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٤٩ ٠

(٧) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص٦٥ ٠

وكانـت منطقة قفط تستخدم هذه الجسور فى نقل صادراتهم إلى الفسطاط ، والـتى سـاعدت كذلك على أعمال التنقل والترحال بين مدن وقرى الإقليم والأقالـيم الأخـرى[1] لهذا كانت العناية بالترع والقناطر والجسور من أول الأمور لعمارة البلاد وتمام ريها وزراعتها.

وأشـار المقريزى إلى أنواع الأراضى فى مصر من ناحية الارتفاع والانخفاض وطرق الرى بها قائلاً " وأراضى مصر أقسام كثيرة ، منها عال لايصـل إلـيه المـاء إلا من زيادة كبيرة ، ومنها منخفض يروى من يسير الـزيادة ، والأراضى متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كبيراً ، ولذلك أحتيج فى بلاد الصعيد إلى حفر الترع وفى أسفل الأرض إلى عمل الجسور حتى يحتبس الماء ليروى أهل النواحى على قدر حاجتهم إليه عند الاحتياج[2] ويقول " لولا اتقان ماهنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل "[3].

وهكذا كان مستأجرو الأراضى فى إقليم قفط يقومون بالعناية بجسور أراضـيهم بالإضـافة إلى أعمال ريها وحفر ترعها[4] المقطعون والفلاحـ ن يـتولون إقامتها من أصل أموال الإقليم لأنهم أصحاب المصلحة فى الانتفاع بهذه الجسور وقد أصبح من العادة أن المقطع إذا انفصل، وكان قد أنفق شيئاً مـن مال إقطاعه فى إقامة جسر لأجل عمارة السنة التى انتقل الإقطاع عنه فـيها فإن لـه أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره [5].

---

(١) جمـال حمـدان : شخصـية مصـر ، (طـبعة دار الهـلال ١٩٦٧م) ، ص١٦٤ ، قاسـم عـبده قاسـم : النيل والمجتمع المصرى ، ص٢٢ .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٥٥ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٦١ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق والجزء ، ص ٨٣ .

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٤٤- ٢٤٥ .

أهم المحاصيل الزراعية :

تنقســم الفصول الزراعية إلى قسمين هما ، فصل الزراعة الشتوية وفصل الزراعة الصيفية ، ولكل منها موعده ومميزاته وغلاته المختلفة فتبدأ الــزراعة الشــتوية في ديسمبر وتمتد حتى مارس[١] وكانت أهم المحاصيل الزراعية فى العصر الإسلامى الأول هى :-

المحاصــيل الزراعية الشتوية ، القمح ، الشعير ، الفول ، البصل ، البرسيم، الجلبان ، الحمص، والبرسيم ، الحلبة ، البصل ، الثوم [٢] والزراعة الصيفية تبدأ بعد حصاد المحاصيل الشتوية بنوعيها ، أى من أبريل حتى أخر يوليو، ولــم تكــن المحاصــيل الصــيفية متوفرة إلا حيث يمكن توفير الماء، لهذا اقتصــرت زراعتها فى الأماكن الواقعة على جانب النهر نظراً لجفاف الترع وفى هذه الحالة برفع الماء من النيل بالسواقى والقواديس[٣].

ومــن أهــم المحاصــيل الصيفية ، قصب السكر، السمسم، والقطن والأرز والنيلة والقلقاس، والبطيخ وبعض الخضروات[٤] ومن أهم المحاصيل الزراعــية التى كانت فى مدينة قفط الأترج[٥] والليمون والنخيل، ومما يؤكد علــى ذلــك ما نقله ياقوت عنها حين قال " قفط كان حولها مزارع وبساتين كثيرة فيها النخل والأترج والليمون[٦].

---

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، ص٦٦،ص٦٧ ، أحمد الحته : تاريخ الزراعة المصرية ، ص ١٧٥ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق والجزء ،ص١٠١ ، ابن مماتى : المصدر السابق والجزء ، ص٢٥٨ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٤٣، راشد البراوى : المرجع السابق ، ص ٦٧

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص١٠١ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٥-٢٧٠ .

(٥) الأترج : شجر ثمره كالليمون ولونه ذهبى ذو رائحة كريهة وعصيرها حامض ، ابن منظور لسان العرب ، ج١ ، ص٤٦ ، المعجم الوجيز ، ص٤ ويقول عنه ابن جبير ، ليمون تسميه العامة الكبار ، الرحلة ص٤٤ ، هامش(٤) ، ويشير البغدادى على زراعة الأترج والليمون وتعدد أصنافه بقوله "فيوجد منها بأرض مصر أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك أترج كبار يعز وجود مثله ببغداد" الإفادة والاعتبار فى المشاهد والحوادث والمعيانة بأرض مصر ، ص ٨٨ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٧ ، ص ١٣٩ .

كمـــا اشـــتهرت مـــنطقة قفط بزراعة بعض المحاصيل الزراعية ، وبـــالذات الحاصلات التى تحتاج إلى درجة حرارة مرتفعة تتناسب مع مناخ الإقلـــيم الحـــار كأنواع النخيل والأراك والدوم والقرظ، والفلفل، والخيار[1]، ومـــزارع الـــبقول كمـــا يدل على ذلك قول الإدريسى[2] وبها مزارع كثيرة للـــبقول، وكثير من الخضروات كاللفت والخس والتى كانوا يجمعون بذورها ويطبخونها ".

كمـــا اشـــتهرت مدينة قفط بزراعة الفواكه والبساتين[3] كذلك كثرت زراعـــة البســـاتين فـــى قـــرى ومدن الإقليم ومنها بلدة أرمنت[4] فى إسنا وأســـوان[5]، وكما تشير المصادر فإن أشجار الفواكه تبدأ زراعتها فى شهر طوبة[6]، ومن أهم المحاصيل الليمون ومن أشهره نوع يسمى "ليمون التفاحى يؤكـــل بغير سكر، لقلة حمضه ولذة طعمه[7]، كذلك اشتهرت منطقة الصعيد الأعلـــى بزراعة الكروم والعنب[8] حيث كان يزرع فى شهر أمشير[9] وكان يكـــثر ويزداد نضوجه فى شهر هاتور ويعبر عن ذلك ابن مماتى[10] قائلاً: "وفـــى شـــهر هـــاتور كـــان يكثر العنب الذى يحمل من إقليم قفط" ويصف الإدفـــوى[11] عنـــب إقلـــيم قفط بقوله "وفاكهة الصعيد شديدة الحلاوة حسنة المظهر".

---

(1) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢١

(2) : نزهة المشتاق ، ص ٣٩

(3) ياقوت الحموى : المصدر السابق والجزء والصفحة

(4) ابن بطوطة : الرحلة ، ص٤٣ .

(5) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٤٤،٤٣،٤٢ .

(6) الإدريسى : المصدر السابق ، ص٤٨ .

(7) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٢٧٨ .

(8) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص١١ .

(9) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٢٧١ .

(10) : قوانين الدواوين ، ص٢٧٤.

(11) : الطالع السعيد ، ص٢٩.

وقد اهتم أهالى إقليم قفط بزراعة العنب ومنها بلدة إسنا التى اشتهرت بالمزارع والبساتين، وبها أعناب كثيرة ، ولكثرته هناك كان يُعمل منه زبيب كثير، ويحمل إلى جميع ارض مصر كلها فيعمها وهو بالغ فى الطيب وجودة الحلاوة(١)، كما انتشرت زراعته فى طيبة (الأقصر) "وعنبها فى غاية الحسن والكبر"(٢) هذا بالإضافة إلى زراعته فى الواحات(٣)، وكانت قمولة وهى إحدى قرى الإقليم بها أنواع مختلفة من الفواكه ويشير إلى ذلك الإدريسى فيقول ، ومن دماميل إلى قرية قمولا خمسة أميال وهى كالمدينة جامعة متحضرة مكتنفة ، لكل نعمة وفضيلة ، وأخبر بعض الثقات فى هذا العصر، فقال رأيت بها أنواعاً من الفواكه ، وضروبا من الثمر من جلتها حبة عنب ماتوهمت أن على الأرض مثله طيباً وحسناً وحجماً متى أنه دعتنى نفسى إلى أن وزنت منه حبة فوجدت فى وزنتها إثنى عشر درهماً"(٤).

ولقد عرف العنب بتعدد أنواعه فكان منه الأبيض والأسود ، وكثرت استخداماته فكان يستخرج منه الخل والنبيذ(٥)، وكان يزرع العنب فى إقليم قفط وفيه بساتين كثيفة حتى لقد ذكر المقريزى الكم الهائل من البساتين بها قائلاً " أنه كان يزرع بها مائة وخمسون مغلقاً(٦).

وقد فرضت الحكومة العربية فى مصر ضريبة على زراعة العنب ويشير القلقشندى(٧) إلى ذلك " أما القطيعة المستقرة عن خراج الشجر

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ج١، ص١٢٩.

(٢) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٣٩.

(٣) ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ، ص١٣ .

(٤) الإدريسى : المصدر والجزء والصفحة .

(٥) الحتة : تاريخ الزراعة المصرية ، ص٢٧٢ .

(٦) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٤٢.

المغلق : هو البستان أو الحديقة التى تبلغ مساحتها عشرون فداناً ، وكانت تتزرع مساحة كل مغلق ، وتروى أرضه بواسطة ساقية ذات أربع وجوه - المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٧) : صبح الأعشى : ج٣ ، ص٤٥٣.

والكـــرم، تخـــتلف باختلاف سنينه ، وهو يدرك فى السنة الرابعة ، ويترتب على كل فدان ثلاثة دنانير "

وقـــد خضـــعت عملـــية بيع العنب فى كورة قفط إلى تعاليم وأوامر أصحاب الضياع وذلك لأهميته فى صناعة النبيذ ، يدل على ذلك فيما أشارت إليه إحدى أوراق البردى وهى عبارة عن تقرير من وكيل أحد المزارع إلى صـــاحب المـــزرعة يذكر فيها " وقد كتب إليك كتاب على يد يوسف، وهو واصـــل إليك عن طريق أسوان الداخلة ، أصبت المريسى وغلامك عمر، قد تصـــرفوا فـــى الكـــروم وفى القمح والشعير، وذكروا أنهم أنفقوه على يـــد المريسى عـــن أمـــرك ، فلم أدرك غير النخل[1] الوثيقة عبارة عن تقرير من وكـــيل أحـــد المـــزارع إلـــى صاحب المزرعة، وقد كتبت فى القرن الرابع الهجـــرى، شرح الوثيقة عبارة عن خطاب من وكيل المزرعة إلى صاحبها يقـــول لـــه أنه كتب إليه كتاباً وكتبه الكاتب يوسف، وهذا الكتاب فى طريقه إلـــيك عـــن طريق أسوان الداخلة، وأن عمالك المريسى وعمر تصرفوا فى القمح والشعير وذلك طبقاً لأوامرك، أما أنا فلم أحصل إلا ربع النخيل.

ومـــن محاسن منطقة قفط انتشار زراعة البطيخ الأخضر بأراضيه وكـــان يزرع فى النصف من برمهات إلى برمودة، ووقت حصاده بشنس[2]، ومـــن ممـــيزات زراعـــته فـــى هذا الإقليم كبر حجمه عن غيره من أنواع البطـــيخ[3] وكانـــت القيمة الخراجية على الفدان المزروع بطيخ أخضر تقدر بـــثلاثة دنانـــير[4]، والبطـــيخ ثلاثـــة أصناف هندى ويسمى بمصر البطيخ

---

(1) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج5، 9 ، ص 17، لوحة 3،4– ومن العنب استخرج العرب النبيذ ، للنصارى ولخاصة الناس وبخاصة فى العصر العباسى ، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، (الناشر دار الثقافة الجديد) ، القاهرة 1985، س 110

(2) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص265

(3) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص28

(4) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج3،ص453

الأخضـــر، وصيني ويسمى الأصفر،وخراساني ويسمى العبدلي منسوب لعبد الله بن طاهر[1].

وهكـــذا اشـــتهر إقليم قفط بزراعة البطيخ، حيث كان يزرع به من الأنواع الثلاثة البطيخ الأخضر الذى وصفه الإدفوى[2] حين قال "وفي كذلك البطيخ كثير الحلاوة والبطيخ الأخضر منه كبير الحبة ، بحيث مايكاد يستقل بحمل الحبة الواحدة منه إلا الرجل الشديد القوة".

كمـــا كـــثرت زراعة أشجار النخيل ، فقد انتشر غرس اشجاره فى مختلف مدن الإقليم[3]، وكانت أغلب قرى مدينة قفط تحيط بها أشجار النخيل ومـــنها يحصـــل أهالى قفط على فاكهة فاكهة رخيصة وعلى الخشب اللازم لبيوتهم وأثاثهم ، ووصفه ياقوت[4] حين قال " وحولها مزارع وبساتين كثيرة فيها النخل" .

تمـــيزت أنواع تمور النخيل فى إقليم قفط حيث يشير الإدفوى[5] إلى حـــلاوة تمـــر الإقلـــيم بقوله "أنه ليس نوعا من أنواع التمر بالعراق، إلا فى صعيد قوص مثله، وفيه ماليس فى العراق، وأنه لايوجد تمر يصير تمراً قبل أن يكـــون رطـــباً إلا بالصـــعيد، وفيه رطب أخضر، عجيب المنظر حسن المخبر".

كمـــا انتشـــرت زراعة النخيل بالقرى فى إقليم قفط نذكر منها قرية أبـــنود –[6]، تابعـــة لقفـــط بزراعة النخيل كما اشتهرت إسنا بزراعته، وقد

---

(1) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج٢، ص٢٥٣

(2) الإدفوى : الطالع السعيد ، المصدر الســابق والصفحة .

(3) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٠٢ ، راشد البراوى : حالة مصر ، ص٧٢ .

(4) : معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٧١ .

(5) : الطالع السعيد ، ص٢٧

(6) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٠ .

تحصــل مــنها فى سنة واحدة أربعون ألف أردب تمراً[1]، كذلك تحصل من قمولا – تابعة لإقليم قفط – اثنا عشر أردباً من التمر[2].

كما اشار ابوالفدا إلى زراعة النخيل فى الأقصر بقوله " لها مزروع ونخيل وهى حافة النيل " [3]، ويصف نخيل أرمنت حيث قال:" وأرمنت بلدة بالصـــعيد الأعلى من بر الغرب وهى تبعد عن الأقصر على بعد مرحلة من جهة الجنوب والغرب ولها مزروع وقليل نخيل"[4]

وقد اشارت أوراق البردى العربية إلى فرض ضريبة على النخيل ، لـــذا كـــان النخيل يحصى من وقت لآخر ، لتقدير قيمة الخراج عليه ، ففى بردية من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى عبارة عن تقرير عن إدارة مزرعة ، يشير فيها وكيل المزرعة إلى أنه قام بإحصاء عدد النخيل الموجود بالمــزرعة فهو يتحدث عنها ويقول " وإنما عجلت إليك سابق ، لتعجل علينا بكتاب من ... وهذا وشبهه والكف فى الخراج إلى أن يأتيه بالورد وأمرنى أحصى النخل "[5]

وهكــذا انتشــرت أشــجار النخــيل فــى إقليم قفط ، وكان الأهالى يســتخدمون ســعف النخيل فى تغطية منازلهم ، اضف إلى ذلك أنهم كانوا يستخدمون التمر بدلاً من السكر لشدة حلاوته حيث كان يدق[6].

ومــن أهم المحاصيل الزراعية التى كثرت زراعة محصول القمح ، فهــو مــن أهم محاصيل الحبوب التى تنتجها مصر منذ العصور القديمة ، ولــيس أدل علـــى ذلـــك مما فرض على المصرين من ضريبة القمح خلال

---

(1) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص١٦١ .

(2) الإدفوى : المصدر السابق ، ص٢٦ .

(3) أبوالفدا : تقويم البلدان ، ص١١١ .

(4) المصدر السابق والصفحة .

(5) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦،ص٥ ، لوحة ٢ .

(6) الإدفوى: الطالع السعيد ، ص٢٥ .

العصـــر الـــرومانى والـــبيزنطى حيـــث بلغـــت الكمـــيات المرسلة منه إلى القســـطنطينية والـــتى كانـــت تحملها السفن من ميناء الإسكندرية نحو تسعة ملايين أردب قبل الفتح العربى من الديار المصرية [١].

وكـــان القمـــح أهم ما ترسله مصر إلى الخلافة بعد الفتح ، فبعد أن كانـــت ترسل القمح سنوياً إلى روما ثم بيزنطة ، أصبحت بعد الفتح العربى ترسل القمح إلى الحجاز ، وقد استمرت عادة إرسال القمح إلى الحجاز حتى بعـــد أن انـــتقل مركـــز الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم العراق ، يذكر ابن الكـــندى " أن مـــن فضائل مصر أنها تميز الحرمين الشريفين وتوسع على أهلـــيهما[٢] ، ويـــزرع القمـــح فى مدينة قفط فى مدة أولها – نصف بابة ، ويـــزرع القمـــح تلو القمح لكثرة الطرح ، وربما يزرع على أثر الكتان أو الشعير[٣] والقمح من الغلات التجارية الهامة، فكان الفلاح فى الصعيد يقايض بـــه المحاصيل الأخرى، فأردب القمح بأردبين شعير، أو بأردب ونصف من الفـــول ، أو بـــأردب من الحمص، كذلك يقايض على أردب القمح فى مقابل أردب ونصـــف من الجلبان[٤]، وقد قدر ثمن أردب القمح نقداً بخمسة عشر درهماً [٥].

وقـــد بلغـــت أهمية القمح فى مدينة قفط أن أصحاب المزارع كانوا يطالبون وكلائهم بالاحتفاظ بالقمح لوقت الحاجة إليه، أو إعارة كميات منه فى وقـــت حاجاتهم إليهم، مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى الـــتى تـــرجع إلى القرن الرابع الهجرى وهى عبارة عن خطاب مرسل من وكـــيل أحـــد المزارعيـــن إلى صاحبة الأرض الزراعية يقول فيه "وذكرت

---

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٠٧ .

(٢) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص٥٨ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٣٥٨

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٣٥٩

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى : ج٣، ص٤٤٧ .

ياسيدى أيدك الله أمر القمح،وشدة حاجتك إليه أن أستلف لك من عند عطا أو جبارة [1].

واعـتمد أهـالى إقلـيم قفـط علـى القمح كغذاء رئيسى لهم نظراً لاسـتعمالاتهم النادرة للذرة، وتشير أوراق البردى العربية فى بردية مؤرخة سنة٩١هـ/٧١٠م إلى أهمية القمح ، حيث كان يعتمد عليه أساساً فى الغذاء[2] وذلـك كما ورد فى بردية مؤرخة شوال ٣٥٣هـ (أكتوبر، نوفمبر ٩٦٤ م (جاء فيها "سألتنى وطلبت أن أكريك أربعة عشر فداناً أرض طيبة سور من أرض مقطَول على أن تزرعها قمحاً[2].

ولقـد كان فى مدينة قفط ميداناً يسمى ميدان الغلة وفيه يفرغ حمولة القمح حيث يباع ويشترى بين الفلاحين[3] وذلك كما كان فى الديار المصرية "كانت حمولة القمح تفرغ فيه وذلك نظراً لأهمية القمح".

وفى بعض الأحيان كان القمح يزرع مشاركة بين شخصين أو أكثر فى إقليم قفط مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى العربية، تـرجع إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى ، عبارة عن كشف حساب نفقات زراعة قمح ورد فيها "أنفقت على الغلة التى بينى وبين ابى العطاف دينارين، إلا ثمـن، ودينارين إلا ربع للنوبى"[4]، ومن المحاصيل التى تزرع فى إقليم قفط الشعير من أهم المحاصيل الشتوية، ويزرع فى نفس الوقت الذى يزرع فيه القمح تقريباً ، وإن كانت أحياناً تتقدم زراعته عنه ، ولكن فى الغالب أنه

---

(١) جروهمان : أوراق البردى ، ج٥ ، ص١٥، لوحة ٤ .

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ج٤، ، ص٤٧-٤٨ .

(٢) جروهمان : المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٠ .

(٣) أحمد الحتة : تاريخ الزراعة المصرية ، ص٢٣٧ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٧ .

يحصد في موعد حصاد القمح ، وكان يستخدم كعلف للحيوانات ، وبصفة خاصة الخيول السلطانية [1].

وقد أشار ابن عبدالحكم[2] إلى أن خراج الفدان المزروع شعيراً وبيتان[3] في الفترة الأولى في العصر الإسلامي ، بينما يشير القلقشندي[4] أن " قطيعة الشعير إلى نهاية الدولة الفاطمية عن كل فدان ثلاثة أرادب" ، ويعطى الفدان الواحد من الشعير في إقليم قفط أربعين أردباً ، وذلك لجودة أراضيه[5]، كذلك زرع الشعير في إقليم قفط ، ممايدل على ذلك فيما ورد في أوراق البردى التي عثر عليها في إدفو وترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، عبارة عن خطاب بشأن تموين حبوب وغلال، وتشير الوثيقة إلى" والشعير الذى عرفتك بأنه بإدفو بعد اشتراه صدقة بن مهددى"[6].

ومن أهم المحاصيل في إقليم قفط القرظ[7] وهو من المحاصيل الشتوية، كما كان يزرع في شهر بابة[8] والقرط من المحاصيل التي لم تفرض عليه الحكومات الإسلامية عليه ضريبة[9] لتشجيع الأهالي على زراعته، وفرضت على القرط ضريبة في عهد الدولة الفاطمية فكانت تجبى ديناراً واحداً عن كل فدان[10].

---

(1) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٢٥٩ .

(2) فتوح مصر والمغرب : ص٢٠٧.

(3) الويبة : " إن الويبة المصرية زنتها أربعون رطلا إلى أربعة وأربعين " والويبة تعادل ستة عشر قدحاً ، ابن الأخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص١٥٣،١٢٥ .

(4) القلقشندى :صبح الأعشى : ج٣،ص٤٥٣ .

(5) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٢٨، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٧ .

(6) جروهمان : أوراق البردى ، ج٥، ص٤٥، طراز رقم٩٠٣ .

(7) القرظ : نبات يزرع . وهو يقدم للدواب كعلف ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص٢٠٧ .

(8) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٨ .

(9) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص٢٥٣.

(10) الإدفوى : الطالع ،ص٢٨-٢٩ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٧.

وهكـذا كان القرط من المحاصيل الهامة بمدينة قفط، وذلك لأهميته كعلـف للدواب، فقد انتشرت تربية الحيوانات بهذه المدينة، واشتهرت بطيب لحمها[١].

كمـا اشتهرت مدينة قفط بزراعة الفول، وهو يلى القمح فى الأهمية بالنـسبة للمحاصـيل ويـسمى الـبقول، وتعود أهميته إلى أنه غذاء أساسى للـسكان، بالإضافة إلى أنه يستخدم كعلف للحيوان، وكان يزرع فى الضياع الواسعة[٢].

وقـد ورد فـى بردية من سنة ٢٢٧هـ/ ٨٧١ م، هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن بتام استأجره سعيد بن عيسى شهرين كاملين على أن يعمل له عمل الفول[٣].

واشـتهرت مديـنة قفط بزراعة الجلبان[٤] وأوان زراعته من شهر هاتور وأخرها شهر كيهك، وقد زرع بكثرة كعلف للحيوان[٥]، والجلبان من المحاصـيل التجارية الهامة فى إقليم قفط، حيث تشير أوراق البردى إلى أن وكيل إحدى الضياع بعث إلى سيده بأن يدفع إلى طاهر ثمن الجلبان وحوائج ابتذاها منه[٦]، ولقد كانت غلات الجلبان تباع فى الأسواق كتقاوى للزراعة، فيـباع فى الأسواق ، أو يقايض عليه بمحاصيل أخرى، فكان أردب الجلبان بـثلث أردب مـن القمـح ، أو بـأردب ونصف من الشعير، أو بأردب من

---

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين، ص٢٤٧ .

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٢، ص١٠٢ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ص٩٩ ، لوحة١٢ ، طراز رقم ١٧٤ .

(٤) الجلبان : كانت الأراضى تزرع جلباناً وتستعمل للمراعى فتفرض عليها ضرائب تسمى ضريبة المراعى، وأول من فرض عليها هذه الضريبة أحمد بن مدبر ، ثم ألغاها أحمد بن طولون ، فلم تجب حتى قيام الدولة الفاطمية ، جروهمان : المصدر السابق والجزء ، ص١٧١ .

(٥) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٣٦٠ .

(٦) جروهمان : أوراق البردى ص ٩٩ .

الفــول[1]، وفــى أوراق البردى العربية مايدل على انتشار زراعته حينذاك ويحقق ربحاً وفيراً[2]، كما عرف أهالى إقليم قفط زراعة المحاصيل الأخرى مثل العدس[3]، والبصل والترمس والحمص والثوم وغيرها[4].

المحاصيل الصيفية :

وتــبدأ زراعتها عقب الانتهاء من حصاد المحاصيل الشتوية ، وكان أهمهــا القصب، السمسم، البطيخ الوبيا، والباذنجان، الفجل، الكرنب، الزهور بمختلف أنواعها[5].

كان قصب السكر من أكثر الحاصلات الزراعية فى الأقاليم المصرية التى ذاع صيتها بزراعته، ولم يعرف المصريون زراعته قبل الفتح الإسلامى إذ أدخلــت زراعته فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب، وسرعان ماتقدمت زراعــته فــى مــصر، وتشير أوراق البردى التى ترجع إلى القرن الثانى الهجرى إلى زراعة قصب السكر[6].

ويبدو أن الولاة فى مصر بدأوا يعملون على زراعة القصب فقد ذكر الكــندى أنــه لما قدم قرة بن شريك فى سنة ٩٣هــ من قبل الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك إلى مصر، اختار موضعاً بالفسطاط وغرسه قصباً[7]، كما يظهر أن الطولونيين فى أواخر القرن الثالث الهجرى كان لهم فضل كبير فى نشر زراعة قصب السكر، والاهتمام بإنشاء مصانع صغيرة لاستخراج السكر

---

(1) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٣٦٠ .

(2) جروهمان : أوراق البردى، ج٢، ص١٧١ .

(3) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٦٠ .

(4) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

(5) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٦٥،٢٧٢ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ،ص١٠٢ -١٠٣.

(6) جروهمان : المصدر السابق ، ج٤ ، ص٨ .

(7) الكندى : الولاة والقضاة ، ١٥٢،١٥٣.

منه ، وتشير أوراق البردى إلى أنه أصبح من بين المحاصيل الزراعية ، ولاغرو فقد اهتم الطولونيون بعمارة الأرض وزراعتها في أنحاء البلاد[1].

كما أشار القلقشندى إلى كثرة زراعة القصب: ومحصول القصب المزروع بمصر في غاية الكثرة "[2]، كما انتشرت زراعة محصول قصب السكر في إقليم قفط[3]، ويلائم مناخه زراعة قصب السكر، وأشار المقريزى إلى أهمية زراعة وصناعة الحلوى القائمة عليه بقوله "... والحلاوة المعمولة من قصب السكر، ويحملونها إلى الفسطاط وغيرها، فتباع هنك وتؤكل"[4].

وكان لقصب السكر مكانة بارزة ، ولفائدته امتدحه الإمام الشافعى[5] رضى الله عنه بقوله " ثلاثة أشياء دواء الداء الذى لادواء لـه، والذى أعيا الأطباء أن يداووه، العنب ولبن التفاح ، وقصب السكر ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر "[6].

ومن العوامل التى ساعدت على تقدم زراعة القصب في مدينة قفط وجود التربة الملائمة فالقصب يحتاج إلى تربة عميقة خصبة، وهذا ما يساعد على زراعة القصب، كما يعتبر القصب المحصول الرئيسى فى الإقليم بصفة

---

(١) جروهمان : أوراق البردى، ج٤، ص٨ ، السيد طه أبوسديرة ، الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية (الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١م) ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص٣٠٨، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين، ص٦٩ .

(٣) أمين عبدالله : دراسة ديموجرافية لمديرية قنا ، ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٥٨م،ص٤٢ .

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ، ص٣٣ .

(٥) الإمام الشافعى : هو الإمام إدريس الشافعى ، صاحب المذهب المعروف باسمه ، وكان قد عاش فى مصر سنة (٢٠٠-٢٠٤هـ) - الكندى : الولاة والقضاة ، ص١٥٣-١٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٤٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٣٠٣.

(٦) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٨٩.

عامـــة، ومن أهم المناطق التى تركزت فيها زراعته بمدينة قفط كان بالمدينة أربعون مسبكاً للسكر، وست معاصر للقصب[1].

كمـــا اشـــتهرت مـــناطق كثيرة من إقليم قفط بزراعة قصب السكر وبوجـــود المعاصر والمطابخ للسكر بها ،نذكر منها قرية ابنود – فى مراكز مديـــنة قفـــط لكثرة معاصر السكر بها[2]، كما اشتهرت سمهود[3]، بصناعة السكر وكان بها سبعة عشر معصراً للقصب[4]، ويقال أن الفأر لايأكل قصبها وذلك مشهور بين أهلها [5].

وتمدنا المصادر التاريخية والجغرافية بأسماء العديد من الجهات فى إقليم قفط التى انتشرت زراعة القصب بها فى القرن الثالث الهجرى كان من أهمها قوص ، فقد تحدث الزهرى عن شهرتها بزراعة القصب فيقول"ومدينة قـــوص أكـــثر بـــلاد الله قصب للسكر"[6] وقفط ، ونقادة ، وأبنود ، ودشنا ، وبهجورة ، وسمهود ، والبلينا [7].

وقـــد اهتمـــت الحكومة الفاطمية بزراعة قصب السكر ، بسبب إحياء الموالد والاحتفالات الكثيرة[8]، فأنشأوا المطابخ السلطانية وحملوا الفلاحين على نقل

---

(1) الإدفوى : الطالع السعيد ،ص٢٣ ،المقريزى :المصدرالسابق والجزء، ص٢٣٢،ابن دقماق، الانتصار،ج٥،ص٣٣

(2) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٩١

(3) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٥٧ ٠ سمهود : إحدى قرى نجع حمادى ، وتبعد الأن عن قفط ٧٠ كم تقريباً

(4) ابن مماتى : قوانين الدوانين ، ص١٥٩

(5) السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق والصفحة

(6) الزهرى : الجغرافيا (القاهرة ١٩٨٩)، ص٤٤ ٠

(7) الإدريسى:نزهة المشتاق ،ج١ ، ص١٢٦، ياقوت:معجم البلدان،ج١،ص٧٩، ١٥،ج٢، ص٤٥٦،الإدفوى : المصدر السابق، ص ١٣،٢٧، ٢٨، ابن دقماق: الانتصار، ج٥، ص٣٣ المقريزى: الخطط، ج١، ص١٨٩–١٩٠.

(8) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٥٢.

أقصابهم إليها[1]، كما فرضت الدولة الفاطمية قدراً كبيراً من الضرائب على محصول قصب السكر فى إقليم قفط[2].

وقد اشتهرت مدينة قفط بزراعة محصول النيلة[3]، وهى من المحاصيل الصيفية الهامة ، فكانت تستخدم فى صباغة الملابس[4]، وأوقات زراعتها شهر بشنس وبؤونة[5]، وتحصد بعد مائة يوم من زراعتها، ثم تترك الأرض، وتمكث النيلة فى الأرض الصالحة للزراعة ثلاث سنوات ، تحصد مرة كل مائة يوم[6].

وكما انتشرت زراعتها فى بعض بلدان إقليم قفط ، كانت واحات مصر من أهم مناطق زراعتها، حيث توفر لها كمية المياه اللازمة للرى من العيون والآبار، وتقدر ضريبة الفدان المزروع نيلة بثلاثة دنانير[7]، والسمسم من المحاصيل الصيفية، وقد اقتصرت زراعته على مساحات قليلة من الأراضى الزراعية، نظراً لكثرة تكاليف زراعته، ولأنه نبات مفسد للتربة فلايمكن زراعته عدة مرات متوالية فى قطعة أرض واحدة[8]، لأنه نبات مفسد للأرض، وينبغى ألا يتابع زراعته سنتين متواليتين فى أرض واحدة[9]. وكان يزرع فى شهر برمودة، ويحصد فى شهر أبيب ومسرى[10] وقد جبى

---

(1) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٥٨

(2) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٦٧ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣،ص٤٥٣

(3) النيلة : مادة نباتية يصنع منها الأصباغ ، خاصة اللون الأزرق لصبغ الثياب ، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثانى ، العدد الأول ، ص٢٠١.

(4) Gohnson (L.C) : Byzantine Egypt Economic Studies ; p. 119.

(5) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٢٦٨ .

(6) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٤٥٣ .

(7) القلقشندى : المصدر السابق والجزء والصفحة

(8) نعمة على مرسى : مصر العليا ، رسالة ماجستير ، ص١٥٨

(9) ابن العوام : الفلاحة ، ج٢ ، ص٢٩

(10) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٦٥ .

علـى فدان السمسم دينار واحد فى السنة[1] وأشار ناصر خسرو إلى أهميته، وذلـك نظـراً لاسـتخدامه فـى صناعة الأغذية والحلوى، كما أقيمت على محصول السمسم صناعة الزيوت[2]، فانتشرت معاصر فى معظم إقليم قفـط وسمـى الزيت المستخـرج منـه زيت السمسم " أو الزيت السرج"[3].

كمـا اشـتهرت مديـنة قفـط بزراعة أشجار السنط[4]، وقد أشار المسـعودى إلى طريقة زراعته حيث ينبت فى صورة احراج[5]، وكانت أهم مـناطق زراعته على جانبى الترع وشواطئ النيل فى مساحات واسعة، ففى غـربى مديـنة قفـط شعراء كثيفة ليس بها إلا شجر السنط الذى هو حطب مصـر[6]، وتشـير أوراق الـبردى العربـية إلى أصحاب الضياع الكبيرة والبسـاتين التى تستخدم أشجارها فى عمل السواقى والمعاصر، يدفع حسابه وكيل الضيعة[7].

وقـد فرضت الحكومات الإسلامية فى العصر الفاطمى حمايتها على أشـجار السـنط، وعينت حراساً لها[8]، كما وكل هؤلاء الحراس مهمة بيع الأخشـاب الـتى تـأخذ مـن هذه الأشجار ويتم البيع للأهالى فى المناطق المجاورة لهم ، لاستخدامها فى عمل السواقى والمعاصر[9].

---

(1) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٥٣.

(2) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٦١ .

(3) القلقشندى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(4) السنط : شجر عظـام لـه شـوك كـثير حديـد صـلب أبيض ولـه ثمـر يسـمى خـروب القـرظ مـدور مسطح ، مشابه لحب الترمس ، ومن حبة القرظ الذى بداخله تستخدم فى دباغة الجلود .
عبداللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار ، ص ٩٠.

(5) المسـعودى :التبـيه والأشـراف ،ص٢٠ ،الاحـراج: أي غابـات كثـيفة ،عـبد العـال الشـامى :مصـر عـند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥م ص ١٦٨ .

(6) عبدالعال الشامى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(7) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦ ، ص ١٩٤ .

(8) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٢٠٤ .

(9) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٤ .

وكــان الحــراس يسلمون الأخشاب إلى التجار مرفقاً بشهادة توضح نوع الخشب ووزنه، مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى العربــية - مؤرخـــة سنة ٣٣٤هـــ/سنة ٩٤٥م تشير إلى إرسال خشب من إحدى القرى المجاورة بشمال مدينة قفط إلى البلينا حيث جاء فيها "وصل بقية الخشـــب الـــذى بالأقصر، وهوست وعشرين قطعة، وقد حملتها على معدية عيسى بن تونس، سلمها فيه، وبقى بالأقصر ستة قطع"(١).

وأمـــا عن القرظ وهى ثمرة شجرة السنط ، فليس لأحد من الناس أن يتصرف فيه سوى مستخدمو الديوان ، ومتى وجدوا شيئاً منها لم يكن اشترى مـــنهم ، نكل به(٢) ، كذلك استخدمت أخشاب مدينة قفط فى أغراض متعددة فكـــان المقطعون يقطعون الأطراف والهشيم على الأخص فى استخدامه فى الوقـــود وهو ما يسمى بحطب النار(٣)، حيث كان يباع للتجار كل مائة حمل بأربعـــة دنانير(٤) وأما عن أخشاب مدينة قفط فكان لا يباع منها إلا ما تحتاج إلـــيه المطابخ(٥)، كما كان من خراج مدينة قفط رسم يستخرج من النواحى، يقال له مقرر السنط ، يصرف منه أجرة قطع الخشب وقيمة ضريبته عن كل مائة حمل دينار.(٦)

كمـــا اشـــتهرت مدينة قفط بزراعة اللبخ الذى كان يستخدم فى بناء الســـفن ، كما اشتهرت قرى ومدن الإقليم بزراعته ، وكان ثمن اللوح الواحد مـــنه يصل إلى خمسين ديناراً(٧)، وقد أشارت برديات كثيرة إلى خشب اللبخ والذى كان يرسل من مدينة قفط إلى الفسطاط.(٨)

---

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٥ ، ص ٥٩ .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١١١ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤-٣٤٦ -حطب النار : وسمى رماد القرظ . محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٢ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن مماتى : المصدر السابق والصفحة.

(٦) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٧) جروهمان : المصدر السابق ، ج٥، ص ٦٣-٦٥ .

(٨) جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة .

* ملكية الأراضي :

بقيت الأراضي الملكية خلال العصر البيزنطي تؤلف معظم الأراضي الجيدة كما هي وبنفس الاسم كما بقيت الأراضي المقدسة أيضاً، رغم أن جانباً كبيراً منها صادرته الحكومة ، وكان هذا النظام منذ عهد البطالمة والرومان[1]، كما كان النوع الثاني من الأراضي فهي أراضي الاقطاعات العسكرية " التي منحت للجنود المقيمين في مصر ، في مقابل الانتظام في سلك الخدمة العسكرية ، وقد عرف هؤلاء باسم أرباب الاقطاعات وكانت هذه الاقطاعات تمنح مدى الحياة فقط ، ثم أصبح الإقطاع يؤول إلى أكبر الأبناء بعد وفاة الأب ، فأصبحت هذه الإقطاعات وراثية ، واكتسبت بذلك مظهر الملكية الخاصة ، ولكنها لم تكن ملكية كاملة أي أن امتلاك حق التصرف فيها لم يكن كاملاً ليشمل الهبة والتنازل والبيع[2]، وهناك نوع ثالث من الأراضي ، وهي الضياع الكبيرة التي منحت لكبار الموظفين والمقربين للملك ، وكانت تمنح مدى الحياة فقط ويستردها التاج عقب الوفاة[3]. وأخيراً هناك نوع رابع يسمى أراضي الامتلاك الخاص وتتألف عادة من البساتين ومزارع الخضراوات والنخيل والكروم، وكانت تمنح لأصحابها -أغلب الظن بموجب عقود إيجار طويلة الأجل أو عقود وراثية[4].

ولما كان الكثيرون من الملاك الصغار قد أعجزهم دفع ما عليهم من الضرائب للدولة، فقد اضطروا إلى الدخول في حماية كبار الملاك، على

(1) بل (هـ- ايدرس) : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، تعريب د- عبداللطيف أحمد علي ، (القاهرة ١٩٥٤م)، ص ١٨١، ١٨٢ .

(2) Johnson (L.C.) : Byzantine Egypt Economic studies, p. 74 .

(3) هويدا عبدالعظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي ، ج١ ص ٤١-٤٢ .

(4) Johnson : Ibid; p 74 .

أســاس التنازل لهم عن أرضهم والعمل فيها كمستأجرين،وخدمتهم فى مقابل تولــى كبار الملاك دفع الضرائب[1]. وهكذا نرى أنه فى الوقت الذى كانت تــزداد فيه مساحة الملكيات الكبيرة ،كانت تختفى تدريجياً الملكيات الصغيرة ويتحول الملاك الصغار إلى مستأجرين مربوطين بالأرض لا يختلف وضعهم عــن وضـــع الأقنان[2]، كما كانت ظاهرة الإقطاعات الكبيرة قد استفحلت ، وأصبحت طبقة كبار الملاك على درجة عظيمة من القوة كما يدل على ذلك الحالـــة الــتى أوردها - إيدرس بل - وهى حالة عائلة أبيون APION التى كانــت تمــتلك ضياعاً فى إقليم الصعيد الأعلى والفيوم وقد انعكست ملكياتها الكبيرة وثروتها فى وضعها الاجتماعى واشتراكها فى السلطة والحكم[3].

وعــندما فــتح عمرو بن العاص مصر فى خلافة عمر بن الخطاب عــام ٢٠هــ/٦٤١م، انتقلت مصر من الدولة البيزنطية إلى يد العرب، وقد أدى هــذا الانتقال إلى حدوث تغيرات فى التركيب الطبقى للمجتمع المصرى حيــث ظهرت طبقات جديدة على قمة هذا المجتمع، واختلفت طبقات أخرى، وأيضاً إلى حدوث تغيرات فى النظام الاقتصادى ونظام الحكم فى مصر، مما أدى إلـــى تغير علاقات الملكية، فرضت ضريبة الخراج على عدة أنواع من الأراضـــى الزراعـــية مـــنذ الفتح العربى لمصر،منها الأراضى التى فتحها العــرب عنوة، وتركوها فى أيدى القبط العاملين عليها، ومنها الأراضى التى فتحها المسلمون صلحاً، وتركوها لأصحابها، حتى ولم يكونوا مسلمين [4].

---

(1) Johnson : Ibid , p. 74
Munier : Ibid, p. 93 .

(2) سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٢

Johnson :Ibid, 75

(3) بل : مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص١٨٣ ،

(4) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٢، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام،ص ٤٥ ، والأراضى التى فتحها المسلمون صلحاً ، كانت الدولة تقرر عليها ضريبة عشر محصولها. وتتحول الأراضى الزراعية الخراجية إلى أراضى عشرية بإسلام أصحابها ، ومع مرور الوقت ، دخل كثير من الأقباط فى الإسلام ، فقل دخل بيت المال من ضريبة الأراضى ، مما أضطر الخلفاء إلى ربط الخراج بالأراضى، حيث فرض على القبطى إذا أسلم ، ألا تتحول أرضه إلى أرض عشرية٠ الماوردى: المصدر السابق، ص ١٢٢ .

وضـــريبة الخـــراج لا تدفـــع كلهـــا نقـــداً، بل يدفع بعضها عيناً، كالحاصلات الزراعية ، والغالب على خراج الصعيد أن يدفع عيناً ، أما أسفل الأرض فـــيدفع نقـــداً [١] ويذكر النويرى[٢]، أنه فرض على أراضى جزيرة الأقصـــر من الصعيد الأعلى ضريبة عينية ، على كل فدان ثلاثة أرادب من محصولها .

كذلـــك تفاوتـــت قيمة ضريبة الخراج بمصر العليا من فدان لآخر، حســـب نـــوع المحصول، فبلغت فى بعض الأحيان: ثلاثة أرادب لكل فدان، ووصـــلت إلى عشرة أرادب عن كل فدان[٣]، فى الأراضى التى غلبت عليها الحشائش، ويؤيد القلقشندى[٤] هذا الرأى، حيث أورد ثبتاً من قيمة ضريبة كل محصول على حدة، وذكر فيه أن قطيعة الفدان المنزرع قمحا أو شعيراً ثلاثة أرادب عـــن كـــل فدان، وكانت قطيعة فدان قصب السكر خمسة دنانير، اما المـــزروع نيله فثلاثة دنانير، وهكذا نلاحظ اختلاف قيمة الضريبة على كل محصول تبعاً لقيمة المحصول المادية، كذلك نلاحظ أن ضريبة فدان القصب والنيله تقدم نقداً، وذلك بخلاف المحاصيل الزراعية الأخرى، كالقمح والشعير التى تقدم عيناً [٥].

---

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص٣٠١، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر، ص١٨٩ .

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب : ، ج٨ ، ص٢٤٩ ، وربما أعطيت ضريبة الخراج بالصعيد نقداً او عيناً معاً ، ففى وثيقة من أوراق البردى ترجع إلى سنة ٩١هـ /٧٠٩م كشفت بكوم أشقوه ، ، تحديد لقيمة ضريبة الخراج بالنقد والمحاصيل ، " أنه أصابكم عن سنة ٨٨هـ ، مائة دينار واربعة دنانير ، وثلثى دينار ، ومن ضريبة الطعام ، أحد عشر أردب قمح ، وثلث اردب " جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٣، ص٤٧-٤٨ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٥٢- ٤٥٣ .

(٤) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ٤٥٢، ٤٥٣.

وقد أمدنا الماوردى[1] ما الشروط التى يجب مراعاتها فى تقدير قيمة الخراج من أرض لأخرى ومنها أرض إقليم فقط ، فذكر ثلاثة شروط منها ، جـودة الأراضى ورداءتها ، حيث يزيد ويقل المحصول تبعاً لذلك ، والثانى نـوع مـن الثمار والحبوب المزروعة من حيث القيمة المادية لهذه السلعة ، والثالـث نظـام الرى ، حيث وجب اختلاف قيمة الخراج من أرض لأخرى باختلاف السقايا ، فهناك أراضى تروى من ماء المطر وأخرى تروى بحفر الآبار ، كذلك كان لتعمير الجسور دخلاً فى تقدير الخراج ، فيزيد المحصول تـبعاً لاهـتمام الدولـة بإقامة الجسور وحفر الخلجان والترع والعمل على صيانتها[2].

وهكذا نجد أن قيمة الجباية تقل إذا أهملت هذه المشروعات ، كما فى أوقات الاضطرابات والفتن فى مصر العليا ، كفتن ابن الصوفى ، وثورة أبى ركـوة فى الصعيد ، وحدوث الشدة والغلاء ، كما حدثت أثناء الشدة العظمى فى العصر الفاطمى فى مصر[3].

ثانياً : الثروة الحيوانية :

تعتـبر الثروة الحيوانية جزءاً من مكونات الثروة الزراعية ، وكان اهـتمام المـزارع القفطـى فضـلاً عن زراعة أرضه منصباً على تربية الحـيوانات الـتى تسـاعده فى أعمال الفلاحة والزرع التى تزوده بقدر من المـوارد الغذائـية ، كاللبن والزبد ، أو الكساء ، كما كانت كمصدراً لزيادة ثروته بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية ، أضف إلى ذلك استخدامه كوسيلة للسفر والتنقل والترحال من مكان إلى أخر فى نقل أمتعته[4].

---

(1) الأحكام السلطانية : ص١٣٣ ومابعدها

(2) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص١٧٢–١٧٩ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ، ص١٨٩–١٩٠

(3) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص٢٣ ، وكانت مواعيد جباية ضريبة الخراج فى مصر العليا مرتبطة بمواعيد جمع المحصول ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٥٢–١٥٣ .

(4) عبدالرحيم عبدالرحمن : الريف المصرى ، ص٨٨ ، فوزى عباس : الحالة الاقتصادية فى مصر العليا، ص٦٠.

وأشارت بعض المصادر التاريخية على العناية بالحيوانات فى مدينة قفط مثلها مثل باقى مدن وقرى الديار المصرية حينذاك ، ووضح ذلك منذ بداية الفتح العربى لمصر ، فكان عمرو بن العاص يحرص على متابعة تربية خيول أصحابه والعناية بها عقب عودتها من المرابع (المراعى)[١].

وقد جاء فى القرآن الكريم مايدل على أهمية ومنافع الحيوان واستفادة الأهالى والمزارعين منها فى حياتهم قال تعالى "ومن الأنعام حمولة وفرشاً" وقال بعض المفسرين والبقر والغنم أيضاً من الفرش[٢]، وفى قوله تعالى "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" ، ولكم فيها جمال حين تريحون ، وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون "[٣].

كما لعبت الجمال فى العصر الإسلامى دوراً كبيراً فى الصعيد الأعلى فى مدنه وقراه ، وكان رخاء مدينة قفط وازدهارها الاقتصادى لوقوعها على طريق الرحلة والتجارة ، ساعد على تنشيط ثروتها الحيوانية ، لذا حرص مزارعو قفط على تربية الجمال حيث كان الفلاحون يستخدموها فى نقل الحاصلات الزراعية من الحقول إلى الأجران والأسواق ، كما لعب دوراً بارزاً فى الرحلة الدينية ونقل الحجاج ، وحمل المتاجر لمسافات شاسعة من الفسطاط إلى القلزم، ومابعدها ومن مدينة قفط إلى موانئ ساحل البحر الأحمر وبخاصة ميناء عيذاب[٤].

---

[١] ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص١٨٩،١٩١ ، الكندى : الولاة ، ص٦٢، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٤٣٥.

[٢] ياقوت : معجم البلدان ، ج٦، ص٣٦٠ .

[٣] سورة النحل : آيات ٥،٦،٧،٨ .

[٤] فوزى عباس : الحالة الاقتصادية فى مصر العليا ، رسالة ماجستير – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ص ٦٠-٦١ .

وكـــان لازدهـــار مدينة قفط التجارى وذلك بسبب ارتباطها بالعناية بـــالقوافل التجارية التى تعبر طريق الصحراء الشرقية إلى النيل الأعلى فى مصـــر، ممـــا نـــتج عنه ازدياد أهمية الجمال كوسيلة هامة من وسائل النقل والترحال[1].

ومـــن الجديـــر بالذكـــر أن القبائل العربية التى نزحت إلى الصعيد الأعلـــى وقطنـــت علـــى أطراف الوادى بجانبيه الشرقى والغربى فى هذه المســـاحة الشاســـعة للإقليم، كانت من أكثر الأماكن اهتماماً بتربية الجمال ، خاصـــة وأن الطرق البرية الهامة التى تبدأ من هذه الجهات من قفط وأسوان إلى عيذاب وغيرها من مدن الإقليم[2].

وهكـــذا نجـــد اهـــتمام الأهالى بتربية الجمال لاستخدامها فى التنقل والـــترحال بين مدن الإقليم، التى ظلت طوال العصر الإسلامى حلقة وشبكة وصل بين البلاد العربية الأخرى مثل السودان وشمال إفريقية وبلاد الحجاز عبر تلك الطرق التى ذكرناها آنفاً[3].

وأشار المقريزى إلى كثرة الضأن ووفرته فى الصعيد الأعلى ويؤكد على ذلك ماأورده قائلاً "وأرض بلاد الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وذلك لكـــثرة نـــتاجها، حـــتى أن الرأس من النعاج يتولد عنه فى عشر سنين ألف

---

[1] راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، ص ٧٥ .

**كما لعبت الجمال فى العصر الفاطمى دوراً كبيراً فى إقليم الصعيد الأعلى ، حيث عرف الجمل بانه سفينة الصحراء ، ومما يؤكد على أهميته ، ما أورده البتانونى عن الجمال واصفاً لها قائلاً " سفينة الأسفار فى القفار وله قدرة على احتمال مشقات الحياة الصحراوية ، خلقه الله مقوس الظهر لاحتمال الأثقال ، وجعل خفه واسعاً مدوراً طرياً حتى لاينزلق على الأحجار ولايسوخ فى الرمال ،ويحتمل العطش أياماً . البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ١٧٢ .

[2] راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص٧٥-٧٦ .

[3] راشد البراوى : المرجع السابق ، ص٧٦ .

وأربعمائة وعشرين رأساً - وقد شوهد كثير، من أغنام الصعيد مايلد فى البطن الواحد ثلاثة رؤوس[١] .

ومما شجع على تربية الأغنام نمو النباتات التى كانت تظهر عقب حصاد المحاصيل الزراعية، مما ترتب عليه ازدهار الحياة الرعوية وانتعاش الثروة الحيوانية التى أفاض الإدريسى بالحديث عنها في إقليم الصعيد الأعلى واصفاً إحدى مدنه حيث قال " ولها بقول طيبة وضروب من الحبوب كثيرة ممكنة ولحوم سدفة حسنة المنظر طيبة المأكل[٢].

وهكذا كانت الثورة الحيوانية بإقليم قفط التى تمثلت فى الماشية والأغنام، لها ميزتها من حيث وفرة إنتاجها وجودة لحومها، ولعل هذه الشهرة لإقليم قفط ترجع لأسباب متعددة منها جودة المراعى الواسعة[٣]، كما نتج عن قيام الحكام بجلب أعداد من أغنامها فتملأ بها حظائرهم لاستخدام لحومها فى دورهم السلطانية وخاصة العصر الفاطمى[٤].

كما كانت الأبقار[٥] والجواميس[٦] والحمير والبغال من الحيوانات التى يعتمد عليها الفلاح فى إقليم قفط ، حيث كان يستخدمها فى أعماله اليومية، وكذلك فى تشغيل آلاته وأدواته سواء فى عمليات الحرث أوالرى أو

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج١، ص٣٥٥ .

(٢) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص١٢٨ .

(٣) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٢٨.

(٤) الإدفوى : المصدر السابق ، ص٢٨-٢٩ . المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٣٥٥ .

(٥) الأبقار : احتلت الأبقار المكان الأول بين المواشى فى مصر نظراً لأهميتها فى الأعمال الزراعية ، ولم يكن الفلاح يثقل كاهلها بالعمل . إذا كانت مخصصة للبن والإكثار . بينما أنيطت الأعمال الثقيلة بالثيران، وقد حظيت الأبقار بمكانة مميزة منذ عصر الفراعنة وحتى الأن ، وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قد\ماء المصريين . (الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة) ، ص٤٧ .

(٦) الجاموس : لم يعرف المصريون القدماء الجاموس ، ويبدو أن الجاموس أدخل إلى مصر بعد الفتح الإسلامى بزمن طويل أى نحو القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، وليم نظير : الثروة الحيوانية، ص٥٥ . على أنه من الثابت أن الجاموس أصبح معروفاً ومنتشراً فى مصر ايام الفاطميين. المقريزى ، الخطط ، ج١ ، ص٤٥٣ .

حصاد المحصول ودرسه ونقله ، وكذلك نقل السباخ وما إلى ذلك من مختلف الأعمال[1].

وكانت الحمير لاتقل شأناً عن غيرها من الحيوانات الأخرى فقد استخدمت في أغراض متعددة، حيث قامت بوظيفة الحمل في كثير من الأوقات حينذاك، وكانت تستخدم في الانتقال من المدن والقرى ، وفي سائر الأغراض الأخرى[2].

ومما يدل على شيوع استخدام الحمير كوسيلة للانتقال في مصر ما أورده عبداللطيف البغدادى حسين وصف ذلك بقوله " والحمير بمصر فارهة وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ، ولعلها تسبقها وهي مع ذلك كثيرة العدد ، ومنها ماهو عال بحيث إذا ركب بسرج احتفظ مع البغلات[3].

وقد سعى أهالي قفط في تربية نوع من الحمير عرفت بالحمير المريسية[4] ، حيث برعوا في تربيتها ، وما يدل على ذلك ماذكره القزويني أن مريسة قرية بمصر بالصعيد الأعلى تجلب منها الحمير المريسية ، وهي أجود "حمر مصر" وأمشاها وأحسنها وأكبرها إلى سائر البلاد الباردة لاتوافقها فتموت[5] ، وكانت مريسة من أهم بلدان الصعيد الأعلى وهي مجاورة لمدينة قفط من ناحية الشمال ، وهكذا يمكن القول أن الثروة الحيوانية كانت تتمشى مع اقتصاديات الزراعة ، وتحقق فائدة للفلاحين في زراعاتهم

---

(1) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٤ ، ص١٦٧ ، فوزى عباس : الحالة الاقتصادية في مصر العليا، ص٦١.

(2) ابن الداية : المكافأة ، ص٣٢، أحمد الحتة : تاريخ الزراعة المصرية ،(دار المعارف ١٩٥٠م)، ص٢٨٦.

(3) عبداللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ص٩٩ ، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص٧٦ .

(4) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص٣٣٤ ، البغدادى : الإفادة والاعتبار ، ص٩٩.

(5) اليعقوبي : المصدر السابق والصفحة ، أحمد الحتة : تاريخ الزراعة المصرية ، ص٢٨٦ .

وانتقالاتهم وتغذيتهم ، وزيادة ثروتهم ودخلهم ، وبهذا نمت فى مصر طوال هذا العهد الثروة الحيوانية .

كمـا كانـت تربية الدواجن والطيور بمدينة قفط وغيرها من المدن وقـرى الإقلـيم يدلـنا على ذلك ما أورده عبداللطيف البغدادى[١] حيث قال "وكانـت هـناك بالمديـنة حضانة الفراريج بالزبل ، فإنه قلما نرى بمصر فـراريج ، مـن حضان الدجاج ، وربما لم يفرقوه أيضاً ، وإنما ذلك عندهم صـناعة ، ومعيشة ، يتجر فيها ويكتسب منها ، وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك ويقول البغدادى ويسمى الموضع معمل الفروج، وهى عبارة عن ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت، التى يأتى ذكرها، مابين عشرة ابيات إلى عشرين بيتاً، فى كل بيت ألف بيضة ويسمى "بيت الترقيد[٢].

وأشارت بردية من القرن الثالث الهجرى /التاسع الميلادى إلى كثرة الحـيوانات الداجنة بإقليم قفط[٣] ، كما ذكرت فى عدة وثائق كلمة فراخ فى الحساب اليومى للنفقات[٤].

ويشـير المقريزى أنه كان بمصر يعمل معامل كالتنانير، يعمل بها البـيض بصـنعة، يوقد عليها، فيحاكى نار الطبيعة حنانة الدجاجة لبيضها، ويخرج من تلك المعامل الفراريج وهى معظم دجاج مصر، ولايتم عمل هذا بغـير مصـر[٥] ، وليس من شك فى قيام غالبية أهل الريف والفلاحين على وجه الخصوص بتربية الدواجن والطيور فى منازلهم وحرص الفلاحات على مر العصور على القيام بهذا العمل.

---

(١) الإفادة والاعتبار ، ص٣٠

(٢) البغدادى : المصدر السابق والصفحة .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٤، ص١٦٥ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق ، ج٦، ص٨٨ .

(٥) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٥ .

ثالثاً : الحرف والصناعات :

ساعد على تقدم الصناعة[1] فى مدينة قفط توفر المواد الخام اللازمة لذلك حيث قامت عليها أنواع كثيرة من الصناعات الهامة مثل صناعة السكر والعسل من القصب[2] ، وصناعة المنسوجات الصوفية والصناعات الخشبية وصناعة عصر الزيوت والصابون والصباغة ، فضلاً عن أن غالبية الحرفيين كانوا من الأقباط الذين كانوا على علم ودراية بأمور الصنائع.

صناعة السكر والعسل :

لم يعرف المصريون زراعة قصب السكر قبل الفتح العربى إذ أدخلت زراعته فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب، وسرعان ماتقدمت زراعته فى مصر[3]، وتشير أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرن الثانى الهجرى إلى زراعة قصب السكر[4]، وكان أول من أمر بزراعته قرة بن شريك – والى مصر فى عهد الوليد بن عبدالملك (٩٠-٩٦هـ)[5].

كما تشير أوراق البردى التى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع إلى شهرة مدن الصعيد بتجارة السكر والعسل، ولاغرابة فى ذلك فقد كانت تضم الأعداد الكبيرة من المعاصر والمطابخ، ولدينا طراز من القرن الثالث من إدفو بالصعيد الأعلى يأمر فيه صاحب الخطاب بالتوجه إلى

---

(١) كانت الصناعة فى مصر بصفة عامة ومدينة قفط بصفة خاصة فى العصر الإسلامى بدائية ، وكانت الآلات والأدوات التى استعملت فيها بسيطة التركيب ، صنعت معظم أجزائها من الخشب واعتمد فى إدارتها وتشغيلها على القوى العضلية والماشية ، ٠ صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر ، ص٢٥٧ .

(٢) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص٣٥٧ .

(٣) نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، (القاهرة ١٩٦٨م) ص ٢٠٨ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٢، ص٥٠،٤٧،٤٤ .

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٦٥ .

ابراهـيم التونى القوصى صاحب إحدى المراكب من أجل حمل مائة وسبع عشرة جرة من العسل[1].

وتمدنـا أيضاً إحدى البرديات التى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى وأوائـل القـرن الـرابع الهجـرى بقيمة الأموال اتى دفعها أحد الأشخاص ومقدارها ثلاثة دنانير ونصف وقيراطان من ثمن العسل المحمول الذى باعه أحد التجار فى ذلك الوقت[2].

وهكـذا تشير أوراق البردى إلى قيام أهالى الإقليم باستخراج العسل والسكر ولاسيما فى عصر الطولونيين والإخشيديين، ومن الملاحظ أن مراكز صناعة السكر والعسل فى مصر كانت تقع فى نفس مناطق زراعته[3]، والتى سبقت الإشارة إليها فى مجال الزراعة.

كما اشتهرت مناطق كثيرة من الصعيد بزراعة قصب السكر وبوجود المعاصـر والمطـابخ للسـكر بها، وبخاصة منطقة الصعيد الأعلى، يذكر الإدفـوى مدينة البلينا بأنها أول إقليم للصعيد الأعلى من جهة الشمال، وبها عدة مسابك للسكر[4]، كما اشتهرت مدينة سمهود بإقليم قفط بالمعاصر الكثيرة لقصـب السكر وكان بها سبعة عشر حجراً ، ويقال أن الفأر لايأكل قصبها وبذلـك مشهور بين أهلها[5]، كما اشتهرت بلدة قمولة بالصعيد الأعلى بكثرة زراعة قصب السكر، وصناعة السكر منه[6].

---

(1) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٥ ، ص١٣٦ .

(2) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٥٤-٣٥٥.

(3) ابن مماتى : قوانين الدواوين :، ص ٢٦٦ .

(4) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص١٨، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٠٢-٢٠٣.

(5) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص١٥٩، ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ، ص٣٣.

(6) أبوالفدا : تقويم البلدان ، ص١٠٤.

وقـد انفردت مدينة قفط بمكانة عظيمة فى الصعيد الأعلى بصناعة السـكر والعسـل فكان بها "أربعين مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب"[١]، كذلك انتشرت صناعة السكر فى بعض بلدان قفط مثل أبنود ودشنا[٢]، وكانت مديـنة قفط من أهم المدن فى زراعة قصب السكر، واستخراج السكر منه، وتصدير كميات كبيرة منه إلى البلدان المجاورة[٣].

ومـن الجديـر بالذكـر أن معاصر قصب السكر وتلك المطابخ أو المسـابك لم تكن ملكاً للدولة ، وإنما كانت لأصحابها من السماسرة والتجار الذين يديرونها لحسابهم ، وكانت الدولة تفرض عليهم من الرسوم والضرائب ماتفرضه على سائر الصناعات الأخرى[٤].

وقـد أمدنـا الـنويرى[٥] بوصـف مفصل لخطوات صناعة السكر والعسـل، فذكر أنه بعد نقل القصب إلى المعاصر، تقام عليه عملية تطهيره لتنظـيف عيدان القصب ، ولتقطيع ماليس فيه حلاوة، ثم يقطع القصب قطعاً صـغيرة ، وتـنقل بعد ذلك إلى المعاصر، حيث يدار عليه حجر المعصرة فيعصـره ثـم يصـفى العصير عدة مرات، ثم يطبخ فى دست - حلة من الـنحاس- ويعـبأ العسـل فى الأباليج - أوانى من الفخار معدة لذلك - له مواصـفات خاصـة " مـن حيث السعة ، وقد أشاد القلقشندى بمذاق العسل وحلاوته[٦].

---

(١) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص١٣ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص٣٣ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، ص٩١ .

(٣) كاتـب مراكشـى مجهـول : الاستبصـار فـى عجائـب الأمصـار ، (نشـر وتعلـيق سـعد زغلـول عبدالحميد ، الاسكندرية ، ١٩٥٨م) ، ص٨٤ .

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص٢٦٦-٢٦٧ .

(٥) " نهاية الأرب : ج٨، ص ٣٦٧-٣٦٨ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص٣١٣ .

وقــد اهتمت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً بصناعة السكر والعسل ، ويرجع هذا إلى شدة طلب الفاطميين على السكر والحلوى ، لإقامة الحفلات والأسمطة فى الأعياد، وتشير إحدى أوراق البردى إلى قوائم بتوزيع السكر فى القرن الرابع الهجرى[1] ، كما ذكر لنا ناصر خسرو الذى زار مصر فى سنة ٤٤٠هـ " وتنتج مصر عسلاً وسكراً كثيراً "[2] ، وقد فرض الفاطميون علــى زارعى القصب ضرائب كبيرة ، وعلى صانعى السكر والعسل بعيداً عن المعاصر السلطانية[3].

كمــا قامــت علــى صناعة السكر، صناعات صغيرة، مثل صناعة الحلــوى التى ازدهرت ازدهاراً فى العصر الفاطمى، ويشير المقريزى إلى أهمية الحلوى فى الصعيد بقوله " وأغذية أهل مصر مختلفة، فإن أهل الصعيد يتغذون كثيراً بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها إلى الفسطاط وغيرها ، فتباع هناك وتؤكل[4].

صناعة الزيوت والصابون :

اشتهرت مدينة قفط بصناعة استخراج الزيوت من بذور تلك النباتات مــثل السمســم والقطن والفجل واللفت والكرنب والجرجير وهذه المحاصيل كانت منتشرة بكثرة فى إقليم قفط خلال العصر الإسلامى الأول[5].

وكانت عملية استخراج الزيوت تجرى فى معاصر، وكانت تستخدم الزيوت فى الأغراض المختلفة للمصابيح، وفى صناعة الصابون[6] ، أما عن

---

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦، ص١٢٦ .

(٢) ناصر خسرو: سفر نامة ، ص٦٠ .

(٣) ابــن ممــاتى : قوانــين الدواويــن ، ص٣٦٧ ، حســن ابراهــيم حســن : تــاريخ الإســلام السياســى ، ج٣ ، ص٣٩٥ .

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٨١ .

(٥) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ، (الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩ م) ص٢٧٤ .

(٦) ناصر خسرو: سفر نامة ، ص٦١ ، أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص١٣٢ .

كيفية استخراج الزيت من السمسم أو ماكان يسمى بالشيرج ، فكان ينقل مسحوق السمسم بعد البذور ليوضع فى معاجن خاصة على هيئة أحواض حراراتها مرتفعة بدرجة تساعد على تسهيل خروج الزيت من هذا المسحوق، وفى كل حوض يقف رجل عارى القدمين مهمته استخراج الشيرج وذلك بالضغط عليه بأقدامه، والزيت الذى كان ينزل من عجينة السمسم كان يعبأ فى أوان مسامية فيرشح من مسامها تاركاً الشوائب العالقة به بداخل الإناء[1].

واشتهرت عدة مدن فى مصر العليا بصناعة الزيوت ، كمدينة دشنا بالقرب من مدينة قفط من ناحية الشمال، حيث انتشر بها معاصر الزيوت[2]، كذلك تشير أوراق البردى العربية إلى وجود صناعة الزيت فى إدفو جنوب مدينة قفط ، فقد كشفت وثيقة ببلدة إدفو ، ترجع إلى سنة ٢٣٩هـ ، وتشير إلى اقتران اسم أحد الأشخاص بلقب الزيات ، فتذكر البردية " ومعصرة النصر الزيات"[3].

وقد امتازت الحياة الاجتماعية ولاسيما خلال العصر الفاطمى بكثرة الأعياد والمواسم وليالى الوقود[4] ، وليلة الغطاس ، والسهر فى البيوت وفى خارجها ، إلى ساعات متأخرة من الليل ، مما تطلب العمل على وفرة إنتاج الزيت المستخدم فى الإضاءة ، وذلك بالإضافة إلى ماكانت تحتاج إليه القناديل التى كانت تكتظ بها المساجد والجوامع وفى غيرها من المدن والقرى فى طول البلاد وعرضها[5] ، وكما يذكر ناصر خسرو فإن لكل مسجد فى

---

(1) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٢٩ .

(2) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١١ ، ص١٤ .

دشنا : إحدى مراكز محافظة قنا وتبعد عن مدينة قفط بحوالى ٥٠كم تقريباً

(3) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج١ ، ص١٤٧

(4) ليالى الوقود : أو الليالى الأربع ، وهى مستهل رجب وليلة نصفه ، وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه ، المقريزى : الخطط، ج١ ، ص٤٦٣ .

(5) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٦١ .

جميع المدن والقرى نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السيرج والحصير، وسجاجيد الصلاة ونحو ذلك[1].

وهكذا لم يقتصر استهلاك زيت المصابيح على متطلبات الدولة ونفقاتها، بل كان المصريون يشترون من زيوت الإضاءة مايكفى حاجاتهم فى الحوانيت والبيوت، حيث كان يباع فى الأسواق من الشيرج والقطن برسم تعمير القناديل الشئ الكثير[2].

كما اشتهرت مدينة قفط بصناعة الصابون[3] الذى عرف فى الأسواق المصرية والعالمية بالصابون القفطى وكان يصنع من البذور والبقول التى كثرت زراعتها بقفط ، وأشار الإدريسى[4] عند حديثه عن كثرة مزارع البقول فى قفط ومايستخرج منها قائلاً: " أنه كان بها مزارع كثيرة للبقول ، مثل اللفت والخس ، فكانوا يجمعون بذورها ويطبخوها ، ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أنواعاً من الصابون، يتصرفون به فى جمع أرض مصر، ومنها يصدر إلى كل الجهات.

ويشير عبداللطيف البغدادى[5] إلى الطريقة الخاصة لاستخراج الدهون من بذر الفجل والسلجم، وصناعة الصابون وتعدد أنواعه فيقول " أن

---

(1) ناصر خسرو : سفرنامة، ص٦١ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٤ ، ص٢٦.

(2) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٣١ .

(3) كان اكتشاف الصابون وليد الصدفة وحدها ، فربما حدث مرة أن دهن شخص جسده بالدهون جيداً، ولكنه قام بذر الرماد على جسده فى ساعة من ساعات الدم ، ثم ليبرد جسمه بالماء ، وكم كانت دهشة الحاضرين عندما رأوه يدلك جسمه ليزيل الرماد والدهن ، فإذا برغاوى الصابون تظهر على جسده ، وعندما نزل إلى النيل ليستحم خرج من الماء كأنظف رجل عرف حتى ذلك التاريخ ، وهكذا هذه الصدفة وحدها التى كانت السبيل إلى اكتشاف مادة الصابون ٠ السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٣٢ ، هامش(1).

(4) نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق ، ص١٢٨ .

(5) " الإفادة والاعتبار " ، ص٤٢.

مما اختصت به مصر استخراج دهن بذر الفجل والسلجم ، ويستصبحون به ويعملون منه الصابون ، وصابونهم أحمر وأصفر وأخضر".

وممـــا يدل على تقدم صناعة الصابون فى عهد الطولونيين من تلك الاحتـــياجات المـــتزايدة للحمامـــات الـــتى أنشأها الطولونيون فى القطائع ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية المترفة التى عاشها أبوالجيش خمارويه ورجال حاشيته ، فضلاً عن كفاية حاجةالشعب المصرى من إنتاج الصابون[1]، كما تجـــدر الإشارة هنا إلى قيام الفاطميين بإنشاء العديد من الحمامات التى كانت مـــن مستلزمات الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر ، وقد وصفها عبداللطيف البغدادى الذى زار مصر بعد الفاطميين بقليل فقال " إنها كانت متقنة الوضع يســـع الحـــوض الواحد مابين راويتين أو أكثر ، وفى داخل الحمام مقاصير بـــأبواب ، وفـــى المسلح أيضاً مناصير لأرباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعوام ، ولاشك أن ماتطلبته تلك الحمامات من أنواع الصابون والطيب كان يقتضى وفرة فى الإنتاج وزيادة فى الطلب على الصابون[2].

وهكـــذا يمكـــن القـــول بأن صناعة الصابون كانت ملازمة لصناعة اســـتخراج الـــزيوت كمـــا هو الحال فى وقتنا الحاضر، وكما هى العادة فى توارث الحرف والصناعات فى تلك العصور فإن الصناع المصريين قد لعبوا دوراً هاماً فى إنتاج مايكفى لحاجة البلاد من تلك المادة، ولم نسمع عن مصر الإسلامية أنها كانت تستورد من الشرق أو الغرب الصابون بأنواعه المختلفة حتى سقوط الدولة الفاطمية .

---

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٣٤ .

(٢) عبداللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار ، ص ٤٢ .

** صناعة العطارة :-

كذلك ازدهرت صناعة العطارة فى إقليم قفط ، والعطار هو تاجر العطور أو الأطياب الزكية الرائحة وصانعها أو مستخرجها ، وكانت العطارة من الصناعات الهامة التى تستخرج من الأزهار لصناعة الروائح من اللينوفر والبنفسج والياسمين، وكان زيت الياسمين من الزيوت العطور المشهورة، وتفضله النساء[١].

كما كان لاستخدام العطور فى الطقوس الدينية لأهل الذمة، وفى معالجة البشرة وكان العطارون يجتمعون فى أسواق خاصة بهم ، تعرف باسم سوق العطارين[٢] حيث كان هناك حوانيت للعطارة شمال مدينة قفط حتى إخميم[٣]، ونظراً لأهمية العطارة فقد فرضت الدولة عليها أحكام الحسبة، فكان المحتسب يأمر العطارين بعدم الغش فى الصنعة بإضافة أنواع رديئة إلى الأنواع الممتازة من العطارة[٤].

وقد أمدتنا شواهد القبور بالصعيد الأعلى بعدد كبير من الأشخاص تحمل أسماؤهم صيغة العطار، ففى شاهد بتاريخ ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م باسم زين أم ولد يعقوب بن الحارث العطار، وشاهد أخر بتاريخ الثانى من المحرم سنة ٢٥٢هـ/ ٢٣ يناير ٨٦٦م، باسم محبوبة بنت بدر مولى عبدالله بن ميسرة العطار ، وهناك شاهد بتاريخ ١٢ذو القعدة سنة ٣٤٧هـ / ٢٥يناير سنة ٩٥٩م باسم أحمد المكنا أبو موسى محمد الحارث بلال العطار[٥]، وشاهد أخر بتاريخ المحرم سنة ٢٥٢هـ/ باسم رحمية بنت يحيى بن سلام بن زياد العطار[٦].

---

(١) عبداللطيف البغدادى : المصدر السابق، ص٤٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٤ ، ص١٠٨.

(٢) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج٢ ، ص٧٨٥.

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١ ، ص٥٣.

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٤٨.

(٥) حسن الباشا : المرجع السابق ، ج٢ ، ص٧٧٨،٧٨٧.

(6) Wite : Steles Funeraires, Tom 3. P.1

صناعة النسيج :

قامت هذه الصناعة الرئيسية علىتوافر المواد الخام، مثل ألياف النباتات ، ومن المعروف أن ألياف القطن والكتان نباتية، على حين أن ألياف الصوف والحرير حيوانية.[1]

وقد أشارت بعض أوراق البردى المؤرخة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى وجود زراعة القطن فى مصر تاريخها يرجع إلى القرن الثالث الهجرى[2]، ويذكر متز " METZ " أن القطن كان يزرع بمصر العليا منذ زمن طويل فإنه لم يذكر بين حاصلات مصر فى القرن الرابع الهجرى، ويبدو أنه لم يكن له شأن فى ذلك الوقت[3].

ويبدو أن القطن ، لم يكن لـه شأن فى الفترة موضع البحث، وكان يزرع بمقادير قليلة ، فلم يعمل فى مصر نسيج من القطن الخالص، بل كانوا يمزجونه بالكتان أو الصوف أو بمواد أخرى ليفية[4]، وكان القطن ينسج ببعض المدن التى اشتهرت بصناعة المنسوجات مثل قفط ودندرة وتنيس[5].

كما كان للكتان المصرى الصدارة فى صناعة المنسوحات بسبب انتشار زراعته فى جميع أنحاء مصر، حتى قيل أنه فى أيام المجاعات ،كان الناس لايجدون مايقتاتون به سوى بذر الكتان[6].

---

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص١٧

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٢، ص٥٧-٥٨ - لوحة ٥ طراز ٢٥١

(٣) متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج٢ ، ص٣٥١ ·

(٤) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١١٦ ·

(٥) زكى محمد حسن : المرجع السابق والصفحة ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، ص٣١١

(٦) المقريزى : إغاثة الأمة ، ص١٨ ، ٢٣ ، ٣٨

وكانت زراعة الكتان ، واستخدام أليافه قائمة بمصر منذ أقدم العصور ، وظلت المنسوجات الكتانية موضع تفضيل المصريين طوال عصور مصر الفرعونية ، لاعتقادهم بطهارتها ، وقد تحدث مؤرخو اليونان عن نسيج الكتان المصرى ، ودقة صنعه التى بلغت درجة كبيرة من التقدم ، سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢ ، ص٨٥-٨٦.

وقـد انتشـرت زراعـة الكتان فى أراضى الدلتا والصعيد على حد سواء، وقد بلغ من شهرة مصر بزراعة الكتان ماذكره الجاحظ بنصه "قد علم الـناس أن القطـن لخراسان، وأن الكتان لمصر، تم للناس فى ذلك تفاريق البلدان ما لايبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين"[١].

أهمية صناعة النسيج وتطورها :-

عرف المصريون تربية الأغنام ، واستخراج مادة الصوف منها فى صـعيد مصر، وتدل أوراق البردى على جود نقابات لرعاة الأغنام وغيرهم مـن أصـحاب الحـرف مـنذ العصر البيزنطى[٢] فكانت مصر تصدر إلى بـيزنطة، وإلى بابوات روما كثيراً من الأقمشة النفيسة التى كان يذهب جزء كبير منها إلى الكنائس المسيحية[٣].

كمـا حمـل الأقباط لواء هذه الصناعة لمدة طويلة، لم يشاركهم فيها أحد، ويدلنا على ذلك أن العرب كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية اسم قـباطى[٤]، وذلـك نسـبة إلى قبط مصر، الذين أظهروا مهارتهم الفنية فى صناعة النسيج، وقد روى المقريزى أن المقوقس أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أهدى قباء وعشرين ثوباً من القباطى[٥].

وقـد أظهر الصناع الأقباط فى هذه المناسج أو المصانع مهارة فائقة فـى تصميم نماذج من الزخارف الهندسية والنباتية، مما عثر عليه مرسوماً

---

[١] سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٥٢ .

[2] Jonshon : Byzantine Egypt, p. 153 .

[٣] زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ، ص١١.

[٤] المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣

** القباطى :نسيج يتميز بنوع خاص من اللحمات ذات ثقوب دقيقة عند حدود الزخرفة وقد تطورت زخرفة هذا النوع من النسيج ، ففى القرن الثالث الهجرى أخذت الكتابات الكوفية التى كانت تطرز عليه أشكالاً زخرفية متنوعة ، فكانت تنتهى حروف بعضها بأنصاف مراوح نحاسية ، فضلاً عن الخيوط الذهبية التى كانت تنسج منها . سعاد ماهر : المنسوجات المصرية فى عصر الانتقال ، ص ٥٠.

[٥] المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٣٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٩٣ .

علـــى أوراق الـــبردى ، كما يضم متحف برلين مجموعة من أوراق البردى علـــيها مســـودات توضـــح أن النساجين المصريين كانوا يرسمون على تلك الأوراق لبيان زخرفة النسيج بطريقة القباطى والتابسترى فى مصر قبل الفتح العربى[١].

وكان الهدف الأساسى من صناعة الغزل والنسيج فى مدينة قفط إنتاج مايحـــتاج إلـــيه أهـــل المدينة من المنسوجات من النوع الرخيص الذى يتفق ومستوى المعيشة[٢] واللازم لاستهلاكهم[٣].

وكانـــت هـــذه الصـــناعات فى المدينة منزلية ، فكن النساء يغزلن الصـــوف، والـــرجال ينســـجونه[٤] على مغازل ومناسج وأنوال يدوية فى منازلهم ، وقد ساعدت زوجة الفلاح فى غزل الصوف وإرساله إلى المناسج بالمديـــنة لكى تنسج به ما يلزمها من أغطية وأكسية وغيرها، كما كانت تبيع الزائد عن حاجتها فى سوق القرية، فيشتريه أصحاب المناسج الأهلية اليدوية، أما الآلات التى كانوا يستعملونها فعبارة عن مغازل وأنوال خشبية بسيطة[٥].

وانتشـــرت هـــذه الأنوال والمغازل فى بعض قرى مصر العليا مثل قرية دشنا[٦]، كذلك اشتهرت بلدة إسنا بمصر العليا بكثرة متاجرها التى تباع بها المنسوجات الصوفية والشقق بالنساء من صنع مصر العليا عامة[٧]، كما ازدهـــرت صـــناعة النسيج فى مدن كثيرة فى الديار المصرية[٨]، كما كان

---

(1) Jonshon : Ibid, p. 121.

(٢) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٤٠.

(٣) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٦٥.

(٤) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٤٨.

(٥)* وكانت بها أنوال النسيج على أكثر من سبعين نولاً ،جلبت بعض الأقطان اللازمة لتشغيلها من الدلتا والبعض الآخر من سوريا • راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٤٠ .

(٦) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١١ ، ص١٤.

(٧) على مبارك : المرجع السابق ، ج٨ ، ص٥٩ .

(٨) أدم متز : المرجع السابق والجزء ، ص٣٥١.

بعض الأفراد يتملكون بعض المصانع الأهلية الصغيرة فى الإقليم، وقد يملك الصـــانع محلاً صغيراً يشتغل فيه بنفسه، أو بمساعدة غيره، وقد يكون العمل فـــى البيت الذى يقطن فيه[١]، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن الزيات[٢] حيـــث يقـــول "وكـــان لـــه معمل قزازة[٣]، وكان يدير الدولاب بيده، وكان النســاجون يحصلون على الغزل من الأسواق حيث تجئ لبيع ماقمن بغزله، أومـــن الغزالين الذين يقومون بالغزل فى بيوتهم أو فى أوقات فراغهم، وفى ذلك يقول ابن الزيات وجاءت امرأة تبيع غزلها[٤].

ولقـــد بدأت العناية بالنسيج فى العصر الأموى ، ثم ارتفعت وتقدمت تقدمـــا ســـريعا فى العصر العباسى، حيث اتجهت صناعة النسيج اتجاهين، أحدهـــا شعبى والأخر رسمى، فقد وجدت المناسج والأنوال وأدوات النسيج الخاصـــة وذلـــك فضلاً عن المناسج التى تشرف عليها الدولة، وكان يطلق عليها دور الطراز[٥].

زخـــر إقلـــيم قفط بصناعة المنسوجات الصوفية كالملابس والشيلان والأبســـطة والأكلمة ويرجع الفضل فى انتشار هذه الصناعات فى إقليم قفط إلى توافر المادة الخام من الصوف[٦]، حيث كان إقليم الصعيد الأعلى تكثر به

---

(١) راشد البراوى : المرجع السابق والصفحة .

(٢) "الكواكب السيارة : ، ص٣٠٣.

(٣) القزاز : بائع القز وهو الحرير ، والمراد به النساج . الإدفوى : الطالع ، ص ٢٣٦ ، هامش (٤) .

(٤) ابن الزيات : المصدر السابق والصفحة .

(٥) عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص١١٥ .

الطراز : كلمة طراز فارسية الأصل مأخوذة من كلمة (طراز يدن) ومعناها التطريز وأطلقت على الثوب التى يزدان بشغل الإبرة ،والطراز تعنى ذلك الشريط المشتمل على كتابة منسوجة أو مطرزة، وكذلك أطلقت على الأقمشة المزخرفة بهذه الطريقة ،ثم صارت تطلق على المصنع أو المكان الذى تطرز فيه هذه الأشرطة وتنتج فيه هذه الأقمشة . السيد طه أبوسديرة :الحرف والصناعات ،ص ٢٧، هامش (١) .

(6) Johnson : Byzanhine Egypt. pp.120-121.

تربـية الأغـنام على أيدى القبائل العربية التى قطنت هذا الإقليم[1]، فكانت لاتخلو مدينة أو قرية بالإقليم إلا وكان فيها الأنوال والغزالين، إذا كان يشتغل بغزل أصواف الأغنام الرجال والنساء ، وتنسج من إنتاجهم أقمشة صوفية ، وكانت تستخدم هذه الأقمشة للملابس[2].

كمـا اهتمـت الحكومة فى العصر الفاطمى بصناعة النسيج ، لذلك قامـت بتعيين موظفين لتسجيل كل المبيعات فى سجلات رسمية، كما عينت موظفين لجبى الضرائب، مقابل قيامهم بعملية لف الأقمشة وحزمها وربطها وشـحنها، وكانت تباع الأقمشة على يد سماسرة معينين من قبل الدولة[3] كما أن تجـار بيع الأقمشة التى تنتجها المصانع الأهلية فى مصر العليا تحدد لهم الدولة أسعار لكل كل ثوب ، ففى وثيقة من أوراق البردى العربية ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ، عبارة عن قائمة حساب يتسلم أثواب مختلفة، وقد كتبت على كل ربطة مرسلة ثمنها ، وهذا يدل على تحديد سعر كل نوع من الأثواب[4].

ونخـتم الحديـث عـن صناعة النسيج بتناول نسيج الحرير، وكان يستورد خام الحرير من الهند والصين قبل إنتاجه محلياً فى الشام وفى مصر وكان يأتى عن طريق البحر الأحمر ومنه إلى مدينة قفط ثم يحمل عبر النيل إلى الفسطاط والإسكندرية[5] واستخدمت خيوط الحرير فى صناعة النسيج[6]،

---

(1) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٣٥.

(2) راشد البراوى : المرجع السابق والصفحة ، ومازالت هذه الصناعة رائجة إلى اليوم فى مدن كثيرة فى نقادة وإسنا ودشنا، بالإضافة إلى أنها تمارس هذه الحرفة فى قرى كثيرة بمحافظة قنا حتى العصر الحالى ولها عددها وآلاتها التى كانت فى العصر الإسلامى.

(3) المقدسى أحسن التقاسيم ، ص٢١٣ .

(4) جروهمان : أوراق البردى العربية ،ج٦، ص٧٥-٧٦ .

(5) Johnson : Op – cit , p.122.

(6) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٨٥.

وكان إقليم قفط من الأقاليم التى قامت بها صناعة الحرير[٣]، وقد عثر بإخميم وهى إحدى مدن الإقليم على لباس من الحرير كتب عليه اسم الخليفة مروان، ولـم يعـرف هـل المقصود مروان بن عبدالحكم أو مراون بن محمد أخر الخلفـاء الأمويين[٤] ، ومهما كان الاختلاف فى نسبة الإسم فإنه يكفى كدليل واضح على استمرار تلك الصناعة فى ذلك الإقليم.

حرفة الدباغة :

ترتـبط مـواد الصـباغة بصـناعة النسـيج ارتباطاً وثيقاً، وبرع المصـريون فى فن الصباغة، وانهم قد استخدموا أجود أنواع مواد الصباغة الطبيعـية، وقد ورث الأقباط عن المصريين القدماء هذه الحرفة[٥]، وعرفوا طـريقة اسـتخلاص الأصباغ والألوان المختلفة من خاماتها الطبيعية سواء أكانـت نباتـية – أو حيوانـية أو معدنية مثل الكركم وقشر الرمان والحناء والنيلة والشب وغيرها[٦]، وعرف المصريون كذلك كيفية استخراج الشب[٧] واسـتخدموا أمـلاح الحديد فى تثبيت الأصباغ على النسيج ، كما استخدموا بذور شجرة السنط (القرظ) الذى كان ينمو بكثرة فى إقليم قفط[٨].

وارتبطـت صـناعة النسـيج فـى إقليم قفط بحرفة صباغة الثياب وتلويـنها، وكان ذلك نتيجة لزراعة نبات النيلة فى الإقليم، فقد سهلت عملية الصـباغة، لاستخراجها من هذا النبات[٩]، وتشير شواهد القبور إلى انتشار

---

[٣] المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٦ ، زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر ، ج١ ، ص٨٨.

[٤] سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٨٥ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص٢٥.

[٥] السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق ، ص٣٩.

[٦] صفى على محمد : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى ، ص١٤٨.

[٧] الشب : مسحوق قابض استخدم منذ زمن بعيد فى تثبيت الألوان وفى أعمال الصباغة . السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ،ص٤٠ ، هامش (٤).

[٨] المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٠ ، عبدالعال الشامى : مصر عند الجغرافيين ، ص ١٦٩ .

[٩] ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص٢٥٤ .

حـــرفة الصباغة، فهناك شاهد كشف بالصعيد الأعلى يرجع إلى القرن الرابع الهجـــرى / العشر الميلادى باسم " عبدالغنى بن جعفر بن أحمد بن حميد بن ابراهـــيم بن سليم الصباغ[1]، وليس أدل على ذلك هو وجود سوق للصباغين بمديـــنة قفط[2]، كذلك ازدهرت صبغة اللبود - واللباد هو صانع اللبد - فقد كشـــفت شـــواهد القبور فى مصر العليا عن هذه الصيغة ، ففى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة شاهد قبر من سنة ٢٤٦هــ/ سنة ٨٦٠م باسم " حمدان بن محمد اللباد "[3].

كما ازدهرت حرفة الرفاء - وهى رفة الثياب وتطريزها - في إقليم قفط فقد وردت صيغة الرفاء على شاهد قبر بالإقليم مؤرخ فى ١٨شعبان سنة ٢٤٨هــ/ ١١ أكتوبرسنة٨٦٢م باسم " أمنة بنت اسحق الرفاء "[4].

وكمـــا راجـــت فى إقليم قفط حرفة البزاز[5] ففى وثيقة من البردى، ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى وأوردت هذه الصيغة باسم ابراهـــيم بـــن عيســـى الـــبزاز[6] والبردية عبارة عن حساب بأثمان أقمشة مصنوعة ومباعة، ونظراً لأهمية حرفة البز، فقد فرضت الدولة عليها أحكام الحسبة فكان المحتسب يأمر البزازين بحسن معاملة المشترى، وصدق القول وعدم الغش[7].

---

(1) Wiet : Stels Funeraire Cotalogue, Tom 7, p.87

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٥ ، ص٥٢ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج٢،ص٥٥٦

(٤) حسن الباشا : المصدر السابق والجزء والصفحة

(٥) البزاز : هو صانع الثياب ويتاجر بها ، وكانت لهم أسواق خاصة وحانات بهم فى المدن الكبرى ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج١ ، ص٣٠٣ .

(٦) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦، ص ٨٥ ، لوحة٨ ،

(٧) الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص٦٣

صناعة الفخار والخزف :

كانت صناعة الفخار من الصناعات المصرية القديمة[1] ومنذ العصر البيزنطي استخدم الصلصال فى صناعة الأوعية الفخارية وغيرها على نطاق واسع، وتخصصت بعض المدن المصرية فى إنتاج أنواع معينة كالجرار الفخارية التى اشتهر بها إقليم قفط وخاصة مدينة قنا، وجرار النبيذ التى كانت تصنع منها كميات هائلة تستخدم فى الأغراض الدينية وغيرها[2].

كما برع أهالى مدينة قفط فى صناعة الأوانى الفخارية للأغراض المنزلية المستخدمة فى طهى الطعام، وخاصة التى تصنع من معدن البرام[3]، وصنعوا الأزيار والقلل المستخدمة فى حفظ الماء، كذلك اشتهرت قرى ومدن الإقليم بصناعة الفخار وخاصة بلدة الأقصر اشتهرت بالفخار الأقصرى، وليس أدل على ذلك مما أورده ابن دقماق [4] فى وصف فخار الأقصر قائلاً: " ليس يعمل بديار مصر مثله ولا مايقاربه " فكان يصنع فيها الفخار الأبيض النقى الرفيع.

وقد اكتسبت مدينة قنا شهرة كبيرة فى صناعة الأوانى الفخارية على مر العصور القديمة وامتدت شهرتها فى هذه الصناعة إلى وقتنا الحاضر[5]، كما استخدم الفخار فى عمل المشربيات وغيرها من الأوانى الفخارية وكان يصدر إلى مدن وقرى الديار المصرية[6].

---

[1] Johnson : Econmic Studies; p. 113

وقد وجدت فى مدينة قفط نقوش على الفخار ولكن التاريخ المدون عليها غير مؤكد، وهذه النقوش تصف مصر القديمة واكتشفت (يونيو ١٩٣٥م) وهناك تصنيف من المصابيح الفخارية التى كشفت فى عام ١٩٣٩م ووجدت كذلك فى أرمنت. Johnson Ibid; p.113

[2] سيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات، ص ١١١ Johnson : Ibid; pp. 113-114

[3] الإدفوى : الطالع السعيد، ص٣٣، ابن دقماق : الانتصار، ج٥، ص٣٤، على مبارك : الخطط التوفيقية، ج٨، ص٢٤. Johnson Ibid; p.113

[4] الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، ص٣١.

[5] ابن دقماق : المصدر السابق والجزء والصفحة.

[6] أبوالفداء : تقويم البلدان، ص١١١.

ولاشك أن المادة التى كانت تصنع منها بقية الأوانى ومعظم الأوعية لحفظ الخل والعسل والنبيذ كانت من الطمى المتوفرة فى كل مكان بسائر أنحاء الإقليم ، وقد بلغ من انتشار صناعة الفخار أنهم كانوا يصنعون من تلك الأوانى والأوعية الفخارية بمختلف الأشكال والأحجام ومجموعات من لعب الأطفال بأشكال العرائس والفرسان والحيوانات كالحصان والجمل وغيرها[1]، كما انتشرت فى عصر الولاة صناعة الأنابيب الفخارية لاستخدامها فى توصيل وتوزيع المياه داخل الدور والمنازل فى المدن المصرية[2].

وقد شهد العصر الفاطمى تَطَوَراً ملحوظاً فى أشكال الأوانى وإنتاج القدور ذات الأحجام المتوسطة والجرار الكبيرة ، كما انتشرت صناعة الأختام الفخارية المزخرفة وغير ذلك من الأغراض[3].

صناعة الحصير :

كانت صناعة الحصر - ومازالت من أهم الحرف والصناعات الصغيرة، وقد عرفت مصر صناعة الحصير والسلال منذ العصور القديمة، وكان المصريون يستخدمون فى طريقة لحام الحصير أنواعاً لينة من القش كما كانوا يستخدمون سيقان الحلفا الصلبة، غير أنه يوجد حتى الوقت الحاضر نوع من الحصير يصنع من السمار، وهذا النوع يزيد فى ثمنه عن

---

(1) يضم المتحف القبطى مجموعة من لعب الأطفال مصنوعة من الفخار ، كما يضم وعاء مصنوع من الفخار ، عليه كتابة تتضمن دعاء لثلاثة من الرهبان ، وترجع صناعتها إلى القرن السابع وحتى القرن العاشر الميلادى ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص١١٢ ، هامش (٦).

(2) السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق والصفحة .

(3) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٥، ص١٣٧ .

وهناك الجرار المصنوعة من الفخار ، فقد ورد فى بردية من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (فانظر أعزك الله أن تأمر بمن يحمل إلى مركبه مائة جرة ، وسبعة عشر جرة) - جروهمان : المصدر السابق ، ج٥ ، ص١٣٦، رقم٣٣٩.

النوع العادى المصنوع من الحلفاء[1] المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد[2]، وتشير أوراق البردى إلى صناعة أنواع الحصر ذات الألوان المختلفة ، ففى بردية ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى مايتضمن من بين قائمة الثياب والأدوات المختلفة التى كان أحد التجار يبيعها أثمان حصر تستخدم للصلاة منها ما بيع بمبلغ ثمانية عشر قيراطاً ، ولأحد الأشخاص الأخرين بتسعة قراريط ودانق[3].

ومما لاشك فيه أن إقليم الصعيد الأعلى كان من الجهات التى انتشرت فيها صناعة الحصر والسلال والأطباق والمراوح والمكتل "المقاطف" وغيرها من الخوص ، مما نتج عنه أهمية قرى ومدن الإقليم وأهله فى هذه الحرفة ومدى تقدمهم لها ، كما استخدم سعف النخيل فى منازل قفط لصناعة المراوح اليدوية ، وذلك لطبيعة جو الصعيد الأعلى وحراراته فى فصل الصيف[4].

كما اشتهرت بلدة أرمنت وأهلها بهذه الحرفة ويتضح ذلك مما أورده الإدفوى[5] أن – ابن المنير – والى الحكم بأرمنت وإدفو كان يصنع المراوح حتى عرف حينذاك بالمراوحى، ولاشك أن التوسع فى بناء وإقامة المساجد والجوامع فى القرى والمدن فى صعيد مصر، كان يتطلب المزيد من صناعة الحصر والأسلاف، وقد ظهر أثر ذلك جلياً فى العصر الفاطمى حينما تطلبت عمارة المساجد زيادة الاهتمام بها وفرشها بالحصير، وجرت الأمور فى الشهور المباركة التى يحتفل بها أن تعمر المساجد والجوامع بالحصر

---

(1) نبات الحلفا : ينمو حول الجسور والترع والقنوات فى جميع أنحاء البلاد ، كما يوجد فى الوجه القبلى ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٧٥ هامش (٢).

(2) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص٤٨، ٤٩ ، ٥٠.

(3) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦، ص١١١ ، ١٠٠ رقم ٣٩٤.

(4) سعاد ماهر : محافظات الج.ع.م ، ص٢٨.

(5) ــــ : الطالع السعيد ، ص٣٣.

والقـناديل والزيـت وكثرة الإضاءة، فقد ورد في بردية مؤرخة من القرن الثالـث الهجـرى/التاسع الميلادى وبها قائمة بأشياء مباعة " على ابى بثمن حصر للصلوة على أبى الزيات ثمن حصر للصلاة[1] وكان يبلغ ثمن الحصير درهمين[2].

وهكذا ازدهرت صناعة الحصير في إقليم الصعيد الأعلى في العصر الفـاطمي، بـل كانت قصور الخلافة الفاطمية يوجد بها الحصير[3] وكانت صناعته رائجة في ذلك العصر.

حرفة الدباغة وصناعة الجلود :

ورث الدباغون الأقباط في مصر حرفتهم عن المصريين القدماء[4]، وكان من أهم الجلود التى استخدموها في الدباغة جلود الماعز والعجول التى بلغت درجة من التقدم والرقى قبل الفتح العربى[5].

وتحفل مدينة قفط بتربية الماشية والأغنام والماعز منذ فجر الإسلام، وكان يقوم بتربيتها القبائل العربية القاطنة إقليم قفط، وقد شاعت حرفة دباغة الجلـود فـى كثير من المدن المصرية وفي جهات متفرقة من البلاد، ومن أوراق الـبردى يمكـن الاستدلال على أسماء بعض الدباغين في مدينة إدفو بالصعيد الأعلى، فمن هؤلاء كان يزيد الدباغ حيث ورد اسمه في عقد زواج مـؤرخ فـى صـفر ٢٣٣ هـ، كما ورد ذكر صاحب منزل يدعى سواد بن بقونـس الدباغ في عقد بيع مؤرخ في ذى القعدة سنة ٢٣٩هـ، وهو على جلد أحمر[6].

---

(1) جروهمان : أوراق البردى، ج٦، ص١٠٠، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات، ص ٣٧٧.

(2) جروهمان : المصدر السابق والجزء، ص ١١١.

(3) Lane- poole : Ahistory of Egypt in the Middle Ages; p.150

(4) Johnson : Byzantine Egypt, pp. 118-120 .

(5) ابن عبدالحكم : فتوح مصر، ص ١٨٩-١٩١، المقريزى : الخطط، ج١، ص٣٥٥.

(6) جروهمان : أوراق البردى، ج١، ص١٤٧.

وقـد عرف الدباغون منذ فجر الإسلام طريقة صبغ الجلود بالألوان التى يرغبون فيها، فمنها كان اللون الزيتى، والبنفسجي والأصفر، والأسود، حيـث كان هؤلاء يقومون بغسل الجلود بالماء وعصرها جيداً ثم شدها بعد إضافة شئ من الزاج فى الماء أو البقم، أو بماء الأهليج الأصفر وغير ذلك مـن المواد بحسب لون الجلد المراد عمله، فكانت تطلى بها الجلود ثم تغسل بعد ذلك لتصبح صالحة للاستعمال[1].

وقـد اشـتهرت مدينة قفط وإقليمها بصناعة الأدوات والمصنوعات الجلدية ومنها السروج[2] والغرابيل واللجم[3] ويبدو أن أهالى المدينة كغيرهم مـن المصريين فى أوائل القرن الرابع الهجرى عملوا على اكتساب ومعرفة صناعة بعض أنواع الجلود من الزنوج[4].

اهـتم أهالى قفط بصناعة السروج لتغطية الدواب ، حيث كانت هى وسـيلة الاتصـال بين أنحاء المدن المختلفة لذا ازداد الطلب على السروج ، ولعـل مدينة قفط كانت توجد بها دواب مسرجة لموقعها على طريق الرحلة والحج، وكان الأهالى يقومون بتأجيرها مثلما كان يحدث فى مدينة الفسطاط، وتشـير إلـى ذلـك مـا أوضحه ناصر خسرو حيث قال : إن أهل السوق وأصحاب الدكاكين ، يركبون الحُمر المسرجة فى ذهابهم وإيابهم من البيوت إلـى السـوق ، وفى كل كورة على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها براذع مزينة ، يركبها من يريد نظير أجر زهيد وقيل أنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة كل يوم وتكرى ويركبها أيضا التجار القرويون وأصحاب الحرف[5].

---

(1) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٦٨ .

(2) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٦٤ .

(3) فوزى عباس : الحالة الاقتصادية فى مصر العليا ، ص٩٣ .

(4) الأصطخرى : المسالك والممالك، ص٥٥،٥٤ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢٠٣، ١٨٠، آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج١، ص٣٣٣ .

(5) ناصر خسرو: سفر نامة ، ص ٦١-٣٦ .

كمـــا راجت صناعة الروايا[1] من جلود الماعز وغيرها من الأغنام وكانـــت حرفة السقائين من الحرف الشائعة فى مدينة قفط ، وفى غيرها من قرى ومدن الإقليم، وكان الحمالون أو السقاءون يحملون الماء فى هذه الروايا أو القرب من النيل إلى المنازل[2].

ولاريب أنه منذ بداية الفتح الإسلامى كانوا يستخدمون بعض أنواع الجلـــود كالماعز بعد تجهيزها فى كتابة العقود وغيرها من أغراض الكتابة، كما تم استخدام الجلود فى مدينة قفط فى أعمال التجليد والمخطوطات[3].

وهـــناك بردية تشمل عقد بيع مؤرخ سنة ٢٣٩هـــ مكتوب على جلد يـــرجع إلـــى مديـــنة إدفـــو وهـــو عبارة عن عقد بيع لمعصرة زيت لأحد الأشـــخاص " معصرة النصر الزيات " ورد على قطعتيين من الجلد عليهما بالمدينة المـــذكورة[4].

وكـــان أهـــم مايصنع من الجلود فى مدينة قفط النعال أو الأحذية ، وتشـــير أوراق البردى إلى صناعة وإصلاح النعال الخفتان بالمدينة وغيرها من مراكز الصناعة ، فقد ورد فى إحدى الأوراق ما يفيد قيمة نعل فى حزام بمـــا يســـاوى درهم ، وفى بردية أخرى إشارة أخرى ثمن زوجى خفاف أو قـــيراطاً ونصـــف القيراط[5]، وهكذا كانت الأثمان تختلف بحسب صفة تلك الأخفاف[6].

---

(1) الروايا : وهى القرب التى تصنع من جلود الأغنام وتستعمل فى حمل الماء بعد ملئها من النيل إلى المنازل ، ويصعدون الدور كل طبقة بنصف دانق ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٧١.

(2) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج٢، ص١٩٢، ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٦١ .

(3) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٣٧٣.

(4) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج١ ، ص١٤٧.

(5) ورد ذلك فى قائمة بثياب مختلفة وأشياء أخرى مثل الأخفاف وهى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى - جروهمان : المصدر السابق ، ج٦، ص٩٩،٩٠ .

(6) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦ ، ص١١٣.

ومـن أسـماء هؤلاء المشتغلين بصناعة النعال والأحذية بمدينة قفط والـتى وردت مـنها للشاهد قبر من الصعيد الأعلى فى سنة ٢٨٠هـ/ مايو ٨٩٣م يقـرأ عليه لفظ الحذاء[1]، كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بلوح من الخشب عليه كتابة محفورة ترجع إلى حوالى سنة ٣٠٠هـ باسم معاذ ويكنى اباطالب عتيق بن عبدالله الحذاء [2].

وقـد اشـتهرت مديـنة قفط بصناعة الكثير من الأدوات مثل عمل الحقائـب ، وبعمـل الأنطـاع أيضاً من الجلود التى كانت تصدر منها إلى الفسـطاط ثم إلى بلاد الشام ، ومن الذين كانوا يعملون بصناعة الأنماط كما ذكر أبوالحسن القفطى فى ترجمته لصالح بن عادى العذرى الأنماطى ، وقد كان نزيل مدينة قفط ، واشتهر بهذه الحرفة [3] ، وكانت حرفة الأنماطيين من الحـرف الشائعة فى هذه المدينة ، حيث كانت كل ربة بيت تحتفظ فى بيتها علـى الأقل بجلد حيوان مزخرف بزخارف جميلة يفرش على المائدة لتناول الطعـام علـيها ، وكـان إعـداد مـثل هذه الجلود لهذه الغاية يشكل إحدى الصناعات الجلدية فى أسواق مدينة قفط [4].

استخراج المعادن والأحجار الكريمة :

دلت الأبحاث أن القدماء المصريين استغلوا مناجم ومعادن مدينة قفط والصـعيد الأعلـى مـنذ وقت بعيد، وقد وجد الذهب قديماً بالإقليم، وكانت الطـريقة لاستخراجه من خامات بسيطة وتتلخص فى غسل الرمل والحصى بالمـاء الحار عند وجود خاماته الطفلية حيث يحمل الماء معه المواد الخفيفة تاركـاً حبيـبات الذهب الثقيلة التى كانت تجمع وتصهر وتتكون منها الكتل

(1) wiet : Steles Funeraires, Tom b, No 1337 .

(2) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج١ ، ص٤٢٢ .

(3) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٢٦٨ .

(4) سعد الخادم : الصناعات الخشبية فى مصر ، ص٨٦ .

الصغيرة ، ومنذ القدم كانت مصر تعتمد على بعض المعادن التى كانت تستخرج من المناجم المصرية[1]، ويذكر جونسون JOHNSON بعد دراسته الوثائق العديدة فى العهد البيزنطى أن كلا من الذهب والفضة اللذان استخدما فى العملة ، وفى الفنون كانت تستخرج من مدينة قفط وقراها[2]، وعلى هذا يمكن القول بأن الصناعة المعدنية فى مصر قبل الفتح العربى قامت على أساس مايمكن استخراجه من هذه المعادن بجانب المواد الأولية الأخرى التى تأتى بها التجارة من جهات مختلفة ،والأخشاب والأحجار الكريمة التى تصنع بالديار المصرية ثم تصدر[3].

مناطق استخراج الزمرد :[4]

كان الزمرد الموجود فى شرقى النيل بمدينة قفط معروفاً منذ العصور القديمة[5]، وبعد الفتح العربى لمصر، أقبل العرب على استغلال مناجم معدن الزمرد[6]، بالقرب من قفط، وأوضح ذلك اليعقوبى على وجود معدن الزمرد بها عندما قال " أن معادن الزمرد وتقع فى حمل الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط[7].

---

(1) سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢ ، ١٩٨،١٨٠ .

(2) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies; pp 146-116

(3) Johnson : Op.cit ., pp. 144-146:

(4) الزمرد والزبرجد : اسمان يترادفان على معنى واحد ، الجاحظ : التبصر بالتجارة ، (الطبعة الأولى ،١٩٣١م) ص٢٧ السبيرونى : الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص١٦٠، ووصف لنا التيفاشى طريقة استخراج الزمرد من مناجمه إذ يقوم العمال بالحفر فيجدون الزمرد على هيئة عروق فى تربة حمراء لينة ، وربما وجد العرق منه متصلاً فيقطع وهو من أجود أنواعه ، أما النوع الصغير من الزمرد فيقوم العمال بالبحث عنه تحت التراب الذى يوجد فيه الزمرد. أزهار الأفكار ، ص٨٠-٨١

(5) سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢، ص١٧٢ .

(6) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص٢٧ .

(7) اليعقوبى : البلدان ، ص٣٣ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج٢،ص٢٣-٢٤ .

وحدد اليعقوبى المواضع التى قام المصريون باستخراج معدن الزمرد منها فيقول " فهو على بعد ثمانى مراحل من قفط ، يستخرج من جبلين عُرف أحدهما بالعروس والأخر بالخصوم[1]، كما يصف المسعودى طريقة استخراج الزمرد ، حيث كان العمال يحفرون عليه فى الجبل، فيجدونه على شكل عروق خضر فى تجاويف الأحجار البيضاء[2]، ويتم إخراجه واستخلاصه على هيئة قطع صغيرة كالحصباء منبثة فى تراب المعدن ، وكان عمال مناجم الزمرد ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل رمل التبر[3].

وكان الماء بعيداً عن موضع الزمرد مسيرة نصف يوم أو أكثر فى واد تتجمع فيه مياه الأمطار يعرف باسم غدير أعين ، حيث يتم نقل الماء من هذا الوادى إلى موضع تعدين الزمرد ، وهناك جماعات من أهالى قفط الذين يعملون باستخراجه ينزلون حول موضع الزمرد قريباً منه حيث تقوم بحفظه خفارته [4] ، ويحمل إلى قفط ثم ما يلبث أن يصدر إلى أسواق الفسطاط ، وقد كانت لأهميته أنه أصبح من أهم موارد الثروة فى هذه المدينة [5].

كما كان الزمرد القفطى لـه شهرة عظيمة فى الأسواق الخارجية ، وكان يحمل منها إلى سائر الأنحاء، وكان يستخرج الزمرد من مناجم له على

---

(1) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٣٣ ، والمرحلة : مسيرة يوم وتقدر بخمسة وأربعين إلى ستين كيلومتر بسير الإبل المحملة • عبدالعال عبدالمنعم الشامى : الصحارى المصرية فى العصر الوسيط ص ١٥٤ •

(2) المسعودى : مروج الذهب ، ج٢،ص ٢٣-٢٤ • ويذكر أن الزمرد كمعدن ينقسم إلى أربعة أنواع تبعاً لأوصافه فمنها النوع الذى يعرف بالمرء وهو أعلاها ، والنوع الثانى البحرى ، والثالث المغربى ، أما النوع الرابع فقد عرف باسم المكى ، ومبلغ العدسة منه عشرة دنانير ، وكان الزمرد المصرى ينافس الزمرد الهندى.

: مروج الذهب : ، ج٢،ص٣٤ • بينما يذكر التيفاشى أصناف الزمرد اربعة الزبانى ، والريحانى ، والسلقى ، والصابونى ، أزهار الأفكار وجواهر الأحجار ، ص٨٢ .

(3) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص١٤٧ .

(4) المقريزى الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢.

(5) Johnson : Op – Cit. 110-111.

مسيرة سبعة أيام من مدينة قفط[1] ، كما بلغ من أهمية معدن الزمرد فى مدينة قفط أن كان لـــه موضع خاص يوجد فيه شهود وكتاب، يقوم العاملين فيه بالانفاق على العمال الذين يستخرجون المعدن[2]، فكان يجمع مايستخرج منه ويحمل من مدينة قفط إلى الخزائن السلطانية بالفسطاط فيحجر منه مايرغب فيه ، والباقى يباع حيث يحمل إلى شتى البلاد [3].

معدن التبر (الذهب) :

كان استخراج التبر من مناجم بالصحراء الشرقية، معروفاً منذ القدم، كما كان يوجد فى مناطق شاسعة بين وادى النيل والبحر الأحمر، وقد استنفذ المصـــريون القدمـــاء الجزء الأكبر من مناجمه[4] حتى أنه كان أهم واردات مدينة قفط منذ العصر البيزنطى [5].

وهناك من يرى أن الفضة والذهب اللذان استخدما خاماتهما فى سك النقود منذ العصر الأموى، وكانت تضرب فى دور الضرب بمدينة قفط [6]، بلدة دندرة[7] ثم قوص فى العصر الفاطمى [8].

كمـــا يعتبر الذهب من أهم المعادن التى جذبت أنظار القبائل العربية إلى إقليم قفط، التى سعت وراء المكاسب العاجلة[9]، وقد جذب أنظار الكثير من المغامرين وطلاب الثروة الذين سمعوا بوجوده فى إقليم قفط[10]، وتحدث

---

[1] الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص ٢٣، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٣،ص٢٨٦-٢٨٧ .

[2] القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٥٩ ، المقريزى ، الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ .

[3] القلقشندى المصدر السابق والجزء والصفحة ، المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

[4] سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢ ، ص ١٩١-١٩٢ .

[5] johnson : Ibid . p146 .

[6] محمــد أبوالفرج العش : مصر والقاهرة علـى النقود العربية الإسلامية ، أبحـاث الـندوة العلمـية الدولـية ، لألفية القاهرة ، ص ٩١١،٩١٢،٩٤٧-٩٤٨

[7] محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير ، ص١٥٤ .

[8] محمد باقر الحسينى:مدن الضرب على النقود الإسلامية، المسكوكات ، العدد ٥١ ،سنة١٩٧٤، ص١١٣.

[9] Saleh : les migration Sou Mayen Age; p.10.

[10] المسعودى : مروج الذهب ، ج٢ .

كثـير مـن الرحالة والمؤرخين المسلمين عن معدن التبر حيث أشاروا إلى مـناطق وجوده بمصر، خاصة مايعرف بوادى العلاقى[1]، وكذلك مدينة قفط التى كانت مصدراً للذهب[2].

كمـا يشـير المسعودى[3] إلى وجود معدن الذهب بكثرة فى منطقة تسـمى الخربة على بعد سبعة أيام سيراً على بالإبل من قفط ، حيث ينتشر المعـدن فى المنطقة بين كورسكو البحر الأحمر بينما يذكر اليعقوبى[4] عدداً كبـيراً من المناجم التى يوجد بها معدن الذهب ، وتنتشر هذه المناجم خلال ثلاثة طرق ، يبدأ الأول من أسوان ، والثانى يبدأ من قفط ، والثالث يبدأ من عيذاب[5].

وقد وصف لنا الإدريسى[6] طريقة استخراج المعدن ، فذكر " أنه فى أوائل ليالى الشهر العربى ، وأخره " وهى أكثر الفترات إظلاماً لانعدام ضوء القمـر " يتجول طلاب الذهب خلال رمال الصحراء ليلاً بحثاً عن المعدن ، الذى يصدر منه لمعان فى الظلام يشير إلى أماكن تواجده ، فيعلم كل شخص عن المكان الذى عثر فيه على التبر بعلامة يعرفها ، ويبيت هناك ليلة ، فإذا

---

(1) كانت بلدة العلاقى على النيل ، وقد اختلف فى تحد اتساع وعمران هذه البلدة فيذكر اليعقوبى " أنها المدينة العظيمة ، لكثرة مايجتمع بها من طلاب المعادن والحركة فى التجارة الدائبة ، وانتشار الأسواق بها:اليعقوبى : كتاب البلدان ، ص٣٣٤ ، ويصفها الإدريسى من بعده " بأنها كالقرية الجامعة لكثرة من يزورنها طلباً للذهب ، الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص٢٦ ٠

(2) اليعقوبى : كتاب البلدان ، ص٣٣٣-٣٣٥ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج٢، ص١٨ ٠ ابن حوقل : صـورة الأرض ، ص٥٦ ، الإدريسـى : صـفة المغـرب وأرض السـودان ومصـر ، ص٢٦ ، العمـرى : المسالك والممالك ، ص١٧، ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ، ص٣٤-٣٥ ، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٦.

(3) مروج الذهب : ج٢، ص٢٣، أدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج٢، ص٢٣٢

(4) البلدان ، ص٣٣٣-٣٣٥ ، المسعودى : المصدر السابق والجزء، ص١٨

(5) اليعقوبى : البلدان ، ص٣٣٤-٣٣٥ ، الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٥، سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٧١ ٠

(6) صفة المغرب وأرض السودان ، ص٢٦

أصبحوا عمد كل واحد منهم إلى المنطقة التى وضع فيها علامته ، فيستخرج التبر من بين رمالها ثم يحمل الى الآبار، فيغسل من الرمال العالقة به ثم ليؤلف بالزئبق، ويسبك بعد ذلك، ويتبايع الطلاب فيما بينهم ما استخرجوه ثم يحمله التجار إلى سائر الأقطار، ومما لاشك فيه فإن عملية استخراج الذهب لم يقتصر على أبناء القبائل العربية الذين كانوا لايعملون فى شئ سواه[1]، إنما كان لتجار الذهب عبيداً يظلون فى المعادن ليس لهم عمل إلا استخراج الذهب[2]، وبعد استخراجه كان يتم حمله إلى المدن الكبرى ليتم بيعه للتجار الذين يقومون بدورهم ببيعه فى البلدان الكبيرة ، وقد راجت تجارة الذهب تبعاً لرواج مظاهر الحياة الاجتماعية والترف فى البلدان المصرية [3].

كما كان الياقوت يوجد بجبل زبارا ، كما كان من بين المعادن النفيسة التى أشار إليها HELIORORUS من معرض حديثه عن المناجم والحفائر التى كان يعمل بها المصريون خلال القرن الرابع الهجرى ، ويتم استخراجه من مناجم الذهب التى كانت تقع فى المنطقة الممتدة بين قفط وساحل البحر الأحمر [4]، وفى العصر الفاطمى راجت عملية استخراج الذهب فى إقليم الصعيد الأعلى بصورة مذهلة ، فقد أمدت البلاد الفاطمية بكميات كبيرة من الذهب[5].

---

(1) رضوان الجنانى : القبائل العربية فى مصر، ص١١٦،

Hassan : the Arabs and the Sudan ; p.57.

(2) Hassan : OP-eit. Pp.57 – 58.

(3) حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧١ ، ص١٤٦.

(4) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات، ص١٤٨.

(5) المقريزى : الخطط، ج١، ص٣٣٥، محمد سميح عافيه : التعدين فى مصر قديماً وحديثاً، (القاهرة ١٩٨٥م)، ص٩.

صناعة الحلى والجوهر :

تشـــهد الـــتحف الذهبية التى وصلت إلينا من مصر الفرعونية بحذق الصائغ المصرى ومهارته الفائقة ، فقد نجح هذا الصائغ فى طرق الذهب إلى أوراق غايـــة فى الرقة كان يستعملها فى تزيين الأثاث المصنوع من الخشب أو فـــى طلاء التحف النحاسية والفضية، وفى السنوات الأخيرة جرى بمصر اكتشاف فى بعض القطع من الحلى الثمينة التى ترجع إلى العصر البيزنطى، مـــنها عقود رائعة من الذهب تتوسطها أنواط تحمل صـورة الأباطرة، ومنها خواتم وأساور وخلاخيل ، تدل على مهارة الصياغ وذوقهم الفنى[1].

أنـــتج الصـــناع والصاغة فى مدينة قفط من أنواع الحلى من العقود والخواتـــم والأقـــراط الذهبـــية ماهو محفوظ فى المتحف القبطى وغيره من المتاحف المصرية ، يدلنا على ذلك فيما يحتفظ المتحف القبطى وهى عبارة عن مجموعة من أقراط مصنوعة من الذهب على شكل عناقيد ، وعثر بدير القصير ومدينة هابو بالصعيد الأعلى أيضاً على مجموعة من أدوات أدوات الزيـــنة مصـــنوعة مـــن الفضة والبرنز وتشمل أساور وخلاخيل وأقراطى وخواتم وقنينات للعطور وغير ذلك من أدوات الزينة والحلى [2].

وقـــد اســـتمر الصـــناع الأقباط فى عصر الولاة فى صناعة الحلى والجواهـــر الكريمة فى مدينة قفط وما تزينت به المرأة وذلك بوضع القرط الدائرى الواسع فى أذنيها أو أقراط على شكل عنقود العنب ، وتزين معصمها بأساور سميكة تنتهى برأس حية من كل ناحية ، وبعضها كان مبروما ينتهى بـــرأس حـــية من كل ناحية ، وبعضها مبروما ينتهى برأس حية من طرف وذيلهـــا مـــن الطرف الآخر ، وكان بعض حليها الذهبية مرصعاً بالجواهر

---

(1) Johnson : Economic Studies; p.116-117

(2) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص١٦٨ ، Johnson : OP- cit . 118.

الكريمة كما كانت تصنع عقداً ذهبياً اشبه " باللبة " المعروفة الأن بمصر[1].

ومما لاشك فيه أن وفرة أنواع الأحجار الكريمة من الزمرد والزبرجد والياقوت وما كان يستخرج منه فى مدينة قفط وساحل البحر الأحمر بالقرب من عيذاب[2] كانت من أهم أسباب تقدم صناعة الجوهر والمجوهرات فى مصر الإسلامية [3] .

كما ازدهرت صناعة الحلى فى قرى ومدن إقليم قفط وبصفة خاصة بلدة دشنا [4] ، ونظراً لأهمية هذه الصناعة فرضت الدولة عليها رقابة شديدة من جانب المحتسب ، فقد كان يأمر الصائغ بالأمانة فى صناعته وعدم الغش فيها ، كما يعاقب الصائغ الغشاش بالتشهير به[5].

ومما يدل على اشتغال أهالى قفط بالصناعات المعدنية ماعثر عليه من شواهد القبور التى تحمل أسماء هؤلاء العمال ، فقد اشتملت على أسماء لبعض الصناع الذين يقومون ببيع الحلى المعدنية الذهبية منها الفضة كالشاهد الذى كشفت بالصعيد الأعلى ، مؤرخ بتاريخ النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى باسم بانسيه ابنة زكريا بن يحيى الصائغ، وشاهد أخر بتاريخ ١٥ جمادى الأخر سنة ٣٨٤هـ ٢٧يوليو سنة ٩٩٤م باسم محمد بن على بن سراب ابن أحمد بن راود بن سليمان الصائغ[6] .

---

[1] محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الطولونيون ، (مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤)، ص١٠٩، ١٠٨ Johnson: Ibid. , pp. 117-118

[2] عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص١١٦، فريد الشافعى : العمارة العربية فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠م ص٥٣٥،

[3] السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص١٧٠ .

[4] على مبارك : الخطط التوليقية ، ج١١، ص١٧٠ .

[5] الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص٧٧–٧٨ .

[6] من شواهد القبور التى تدل دلالة قاطعة على انتشار الصناعات المعدنية من الذهب والفضة والتى عثر عليها محفوظة فى المنهد الفرنسى للآثار الشرقية بتاريخ سنة ٣٦٥هـ سنة ٩٧٦م باسم هبة بنت على بن عبدالله بن شبيب الصائغ ، وهناك شواهد محفوظة فى المتحف البريطانى ، كشفت فى الإقليم=

كمـــا تقدمـــت صناعة الحلى وعملها من المعادن الثمينة والأحجار الكـــريمة خـــلال العصر الفاطمى ، فكانت أدوات كثيرة من المصنوعة من الذهب تحلى بمختلف أنواع الجواهر والياقوت والزمرد ، وقد استخدم الذهب والفضـــة فـــى تحلية السروج والسيوف ، والمصاحف والتذهيب ، كما كانت الملابـــس الفاخرة يدخل فى صناعتها مقادير من الذهب والفضة تختلف تبعاً لقيمة الثوب والشخص المصنوع له وكان جل اعتمادهم على الذهب والزمرد المســـتخرج مـــن مديـــنة قفط [١] ، وقد أخرج من خزائن الخيم الفاطمية من الأعمدة الملبسة أنابيب الفضة والثياب الذهبية وغيرها [٢] .

**** الصناعات المعدنية والحرف الأخرى :-**

ومن الحرف الهامة التى اشتغل بها أهالى مدينة قفط حرفة الحدادة ، والحداد هو معالج الحديد، وصانع الأدوات الحديدية من سلاح ودروع وسهام وغـــيرها ، وللحداديـــن فى المدن الكبرى سوق خاصة بهم تجمع حوانيتهم ومصانعهم[٣] .

كمـــا أشـــارت شواهد القبور المكتشفة فى الصعيد الأعلى إلى أسماء بعـــض الحدادين فهناك شاهد قبر ، يرجع إلى القرن الثالث الهجرى/التاسع المـــيلادى باســـم بهرة ابنة اسماعيل بن عبدالله بن اسماعيل الحداد [٤] ، وقد

= الأول بتاريخ ٨ رمضان ٣٣٢هـ / ١٢مايو سنة ١٠٤١م باسم هارون بن يحيى الصائغ ، والشاهد الثانى بتاريخ صفر سنة ٤٥٥هـ/سنة ١٠٦٣م باسم بركة ابنت حسين ابن رزق الله بن على بن الحسين بن داود الصائغ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج٢،ص٧٠٠، ٧٠٢.

(١) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص٢٤٨ .

(٢) زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص٢٦٧،٢٤٨ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج١، ص٤٢١،٤١٨ .

(٤) حسن الباشا : المرجع السابق والجزء والصفحة .

فرضت الدولة على أصحاب حرفة الحدادة أحكام الحسبة ، لمنع غش الحديد، وعدم غشها بالحديد القديم [1].

ومــن الأســماء التى اشتهرت بحرفة الحدادة فى عصر الإخشيديين أيضاً ، كان أبوبكر محمد بن محمد بن جعفر الكتانى المعروف بابن الحداد، وقد أخذ العلم عن القفال المروزى (أى صانع الأقفال الحديدة)، وكان من الأئمــة الكــبار وقــد توفى ابن الحداد سنة ٣٤٤هــ بالفسطاط وكان أجداده وآباؤه يتوارثون هذه الحرفة فنسبت إليهم [2] .

الصناعات الخشبية :-

اشــتهرت مدينة قفط بإنتاج الأخشاب[3]، لما كان لــه أكبر الأثر فى الصــناعات الخشبية فى الإقليم ، وقد مهر المصريون منذ عهد الفراعنة فى الصــناعات الخشبية على الرغم من قلة الأخشاب الصالحة للنقش عليها فى مصــر ، فكانت الأنواع الموجودة فيها مثل أخشاب شجر السنط لاتصلح إلا لأعمال النجارة البسيطة [4] ، لذا استوردت مصر الأخشاب اللازمة لصناعة الأثاث والحفر عليها من الأقطار المجاورة لها كأشجار الأرز والصنوبر [5].

---

(1) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٧٩ .

(2) كما تحمل الشواهد الجيرية اسم محمد ابن طالب بن محمد الحداد مؤرخ سنة ٣٣٢هـ ، وشاهد أخر من عصر الإخشيديين يحمل اسم أحمد بن حماد الحداد ويرجع تاريخ وفاته إلى صفر سنة ٣٥٢هـ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص١٥٧ .

(3) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٦٠-٦٥ ، عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ج١ ، ص٢٢٠ .

انتشرت فى مصر أشجار السنط والجميز واللبخ والنبق وأشجار النخيل ، وكانت تستعمل الأخشاب المأخوذة من هذه الأشجار فى الأغراض المختلفة . عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص١٢٣ .

(4) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٦٣ .

(5) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٩٧ .

أولاً: صناعة الأثاث:

استخدم أهالى مدينة قفط وقراها الأخشاب فى عمل أثاث البيوت[1]، وقد ورث الأقباط أسرار هذه الصناعة من أجدادهم الفراعنة، فلعبت الأخشاب ذات الزخارف المحفورة دوراً كبيراً فى أثاث الكنائس والأبنية القبطية وزخرفتها على الرغم من عدم استعمال الخشب فى المساجد الإسلامية بالصورة التى كانت ضرورية فى زخرفة الكنائس، فلم يستعمل الخشب بالمسجد إلا فى السقوف والأبواب والمنابر[2]، كما كانوا يستعملون الأخشاب فى عمل السواقى والنوارج [3] والآلات الرافعة للماء[4] وكذلك الطواحين[5] والمحاريث وأسقف المنازل البسيطة والأدوات المنزلية اللازمة لحياتهم العادية[6] وعمل معاصر السكر التى كثرت صناعته فى مدينة قفط وسمهود[7]، وصناعة الأنوال والمغازل المستخدمة فى صناعة المنسوجات بمدينة قفط ودشنا [8].

وهكذا اشتهر إقليم قفط بحرفة النجارة ، وقد أشارت شواهد القبور الذين اقترنت أسماؤهم بلفظ نجار ففى شاهد قبر مؤرخ ٢٦ رجب سنة ٢٢٧ هـ / ١١ مايو سنة ٨٤٢م باسم بلال بن نادى النجار ، وشاهد ثان بتاريخ

---

(1) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٤ ، ص١٨٢، ج٥، ص١١ .

(2) زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر ، ج١ ، ص٩٢ .

(3) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٤ ، ص٨٢، ج٥، ص١١ .

(4) مثل الساقية والشادوف والعمالية .

(5) الطواحين : كان كثير من الأهالى يطحنون فى منازلهم بوسائل بدائية ، ولكن كانت هناك مطاحن مملوكة للأفراد من المسلمين والأقباط ، يطحنون بها لعامة الأهالى وتدار هذه الطواحين بالدواب ، وكانت غالباً من الأبقار ، وكان فى الطحين عمال يشرفون على عملية الطحن ، وإعادة القمح إلى أصحابه دقيقاً ووزنه قبل الطحين وبعده ، ومع هذا كانت عملية الطحن هذه تنتابها عمليات الغش وعدم الأمانة وقلة النظافة . ابن الحاج : المدخل ، ج٤ ، ص١٥٥-١٦٧

(6) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٧١ .

(7) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص١٣ .

(8) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج١١ ، ص١٤ .

٢٠ ذى الحجة سنة ٢٥٣هـ/ ٢١ديسمبر سنة ٨٦٧م [١] باسم ربيعة بنت محمد النجار ، وشاهد ثان بتاريخ ٣ شوال سنة ٤١١هـ / ٢٠ يناير سنة ١٠٢١م باسم مكية بنت إبراهيم بن على بن محمد ابن رمضان النجار ، وشاهد رابع مؤرخ بتاريخ جمادى الأخر سنة ٤٢٢هـ باسم محمد بن على بن ابراهيم بن رمضان النجار[٢] ، وهذه الشواهد التى تدل دلالة قاطعة على انتشار حرفة النجارة وصنع الأثاث فى مدينة قفط وقراها.

ثانياً : صناعة السفن :-

كما اشتهرت مدينة قفط بصناعة السفن بها فكانت تصنع بها المراكب ثم تنقل إلى نهر النيل أو ساحل البحر الأحمر ثم يعاد تركيبها وتجميعها مرة أخرى[٣]، مما يدل على اشتغال أهالى قفط وقراها بصناعة السفن والمراكب التى يمتلكها الأهالى وخاصة القوارب والمراكب النيلية ، فقد ورد فى خطاب خاص بدفع أموال أن أحد التجار عمل على تأجير قارب من صاحبه يدعى صدقة الإسناوى ويرجع تاريخ ذلك الخطاب إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى[٤].

حرفة البناء :-

كما اشتهر إقليم الصعيد الأعلى ومدينة قفط بحرفة البناء وفن العمارة، فكانت المعمارة والفن فى مصر الإسلامية عظيماً فى مقداره ،

---

(١) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج٣ ، ص١٢٦٩،١٢٦٨

** كما كانت شهرة البنائين القبط كانت ذائعة الصيت بلاد شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه لما أعادت قريش بناء الكعبة قبل الإسلام استعانت فى ذلك بنجار قبطى كان يسكن مكة ، وبتاجر بيزنطى اسمه باقوم كان البحر قد عصف بسفينته القادمة من مصر، فحطمت فى ثغر جدة ، وتهاون النجار القبطى والتاجر البيزنطى فى بناء الكعبة وكان أثرياء مكة يلجأون إلى النجار القبطى لعمل مايحتاجونه من الأدوات الخشبية ، زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص٤ .

(2) Wiet : Steles Funeraires Catalogue du Mussee Arab Tom 6 ; p.107

(٣) زكى محمد حسن : : بعض التأثيرات القبطية ، ص٧،١٠ ، الفن الإسلامى فى مصر ، ج١ ، ص٥٢.

(٤) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص٢٣١ .

ونوعــه بل لايوجد لـــه نظير فى سائر الأقطـــار الإسلامية فقد بنى العرب المدن والدور والمساجد والمستشفيات [1] .

كمـــا قامـــت على أكتافهم أهم العمائر الإسلامية فى العصور الأولى للإســـلام ، فقـــد كان من الطبيعى ألا يعرف العرب فى الجاهلية شيئاً يذكر العمـــارة ، حيـــث كان أكثرهم قوماً رحلاً متنقلين ، والحضر منهم أو أهل المـــدن كانوا يسكنون فى بيوت من الطوب اللبن أو الأجر لايمكن أن تكون نواة لما بلغته العمارة الإسلامية ويرجع الفضل الأكبر فى ارتقاء فن العمارة وازدهارها فى مصر إلى سكان مصر الأقباط [2] ، فقد شيد الأقباط كثيراً من الأبنية والكنائس، وتشهد بقايا بعض هذه الكنائس التى انتشرت فى قفط وإسنا وطيبة [3] .

وكما تقلد البناءون المسلمون التقاليد الفنية المعمارية التى انتشرت فى مصر القبطية[4]، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل طوروا مهنتهم من حيث الفـــن والصناعة ، مما أدى إلى جودة البناء وجماله خاصة فى بناء المساجد وزخرفتها ، كالجوامع العمرية فى قفط ، دندرة ، دشنا وإسنا وأسوان وإدفو الـــذى أنشئ سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م [5] ، وتعتبر مئذنة هذا الجامع من أقدم المـــآذن المدرجـــة فـــى مصر ، كذلك أنشئ فى مصر العليا مسجد أصفون بمركز المطاعنة بإسنا وجامع مدينة قفط [6] .

---

[1] زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص٩-١٠ ، الفن الإسلامي فى مصر ، ج١ ، ص٥٢

[2] زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص٩٦ .

[3] زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص٧-٨ .

[4] سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٧٦ ،٢٧٧، ٢٧٨ .

[5] حســـن عبدالوهاب : تـــاريخ المســـاجد الأثـــرية ، ج١،ص٦٦ ، ســـعاد ماهـــر : مســـاجد مصـــر وأولـــياؤها الصالحون ، ج١،ص٢٧٤ .

[6] سعاد ماهر : محافظات الج٠م٠ع ، ص٣٣ .

حرفة الزخرفة :-

وقـــد ارتبطت حرفة الزخرفة بالعمارة والبناء ، حيث كان النقاشون والمصورون يعملون فى تجميل الجدران فى داخل الأبنية ، كالتجميل بنقوش الفسيفســـاء ، الـــتى احتفظ الأقباط بأسرارها[1] ، كما ارتبطت بصناعة البناء حـــرفة نقـــر الحجر وتسويته وتشكيله، ليصلح للبناء[2] ، وقد وصلنا أسماء بعـــض النقاريـــن عـــن طريق الكتابات الأثرية الجنائزية ، ففى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، شاهد قبر من إقليم قفط يحمل هذه الصيغة ، باسم عزيزة بنت على بن الفضل النقار [3] .

رابعاً النشاط التجارى فى مدينة قفط :-

مـــثل النشاط التجارى أهمية كبرى فى مصر فى العصور الإسلامية لأن الـــتجارة كانت عصب الاقتصاد القومى ، وإحدى الدعامات القوية التى قامـــت علـــيها الحضـــارة الإسلامية[4]، وقد تطلب كل من النشاط الزراعى والصـــناعى ، التى اشتهرت به مصر نشاطاً تجارياً أيضاً ، مما ترتب عليه نشاط التجارة فى هذه البلاد. وكان من الطبيعى فى بلد زراعى كإقليم قفط أن يقـــوم الأهـــالى بتصريف فائض إنتاجهم سواء داخل القرية ، أو فى أسواق المـــدن التجارية المحيطة بهم ، وذلك لإنتاج بعض القرى أنواع مختلفة من

---

(1) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٦٢

(2) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٧٨

(3) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج٣،ص١٢٨٢ • وفى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك كتب إلى عامله على المدينة وهو عمر بن عبدالعزيز يأمره بإعادة بناء المسجد النبوى ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ، وثمانين صانعا من القبط من أهل الشام ومصر ، وكان ذلك فى سنة ٨٧هـ ، وكل ذلك فى الواقع ، تقديراً لمهارة المصريين فى البناء وفن العمارة ومن ثم كان الاعتماد على جهودهم فى هذا الميدان فى مصر وخارج مصر فى الأمصار الإسلامية الأخرى. سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٨٩ .

(4) Goitein : Documents On the Trode to India, South Arabia, and east Africa from the Eleventh and Twelfyh Centuries. P. 1

السلع بحسب نوع تربتها عن القرى الأخرى ، لهذا الغرض أقيمت الأسواق الدائمة فى المدن والأسواق الأسبوعية فى القرية [١].

الأسواق فى المدن والقرى :-

كانـــت أســـواق المدن على وجه الخصوص هى أهم مراكز تسويق المنـــتجات الصناعية داخلياً ، حيث كانت تتم بها عمليات البيع والشراء، وقد اهتم حكام مصر فى العصر الإسلامى الأول بالأسواق وتنظيمها، وقد تأثرت بمـــا كان سائداً قبل الفتح العربى من نظم إدارية واقتصادية، فكانت الأسواق الإسلامية عامة على غرار ماوضعته الدولة البيزنطية ، وكانت هذه الدولة قد أقامـــت أســـواقها فـــى المدن التابعة لها حول الميدان أو الكنيسة ، وأنشأت الدكاكيـــن علـــى جانبى الشوارع المختلفة ، وجعلت لكل صنف من أصناف الـــتجارة موضعاً خاصاً [٢] ، كما اشتهرت أسواق مدينة قفط بكثرة منتجاتها التى كانت فى غاية الجودة[٣] ، وكانت لشهرتها بتربية الأغنام والماشية أثراً بالغـــاً فى شهرتها بصناعة الصوف والمصنوعات الجلدية التى كانت تسوق مـــنها[٤] ، واشـــتهرت كذلك بأسواقها العامرة [٥] ، ويؤكد على ذلك ماذكره ياقوت أن الغالب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند وفيها أسواق ، وأهلها أصحاب ثروة [٦] .

وفـــى العصر الإسلامى ازدهرت التجارة فى قفط ازدهاراً عظيماً ، وراجت رواجاً كبيراً ، وحفلت أسواقها بالبضائع ، وأثرى أهلها ، وأصبحت

---

(١) نعمة على مرسى : الصعيد الأعلى منذ الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص٢٠٣.

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، حاشية ، ص١١ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٢١٣ ، المقريزى : الخطط ، ج١،ص١٨٦ ، جروهمان : أوراق البردى العربية، ج٦، ص١١١.

(٤) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص٤١.

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص٣١،٣٥،٥٩،٦٣ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٧ ، ص١٣٩ .

ممــراً للرحالة ، والتجارة والحجاج ، وأصبحت مركزاً تجارياً مؤثراً وفعالاً فـــى حركة التجارة فى الشرق[1] ، كما كانت فى كل العصور مفتاح التجارة خاصـــة مـــع الــبلاد الواقعـــة على البحر الأحمر وإنها واحدة من الأسواق الرئيسية بالديار المصرية[2] .

ولقد تمركز النشاط التجارى فى الأسواق ، شأنه فى ذلك شأن النشاط الصـــناعى ، وكـــان لكل طائفة من التجار قسم معين يجلسون فيه ، ويستمر البيع فى هذه الأسواق إلى مابعد الظهر ثم يتناول التجار غذاءهم ، ولايذهبون إلى بيوتهم إلا فى المساء[3] .

كمـــا اشـــتهرت مدينة قفط بأسواقها وكانت أسواقها متسعة المرافق كثيرة الخلق ، لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود ، وتجـــار الحبشة إليها[4] ، وكانت مركزاً لوصول ورحيل القوافل الذاهبة إلى الـــبحر الأحمـــر[5] ، واكتسبت شهرة كبيرة بسبب وقوعها بين ثغر عيذاب والقاهـــرة فكانت فى ملتقى طريق الحجاج إلى ثغر عيذاب ، وقد أنشئ فيها عدة فنادق لإقامة هؤلاء التجار [6].

أمـــا عن أسواق قرى مدينة قفط فقد اختلفت عنها من حيث تقسيمها ونظـــام البـــيع فيها فقد كان أهل القرية يأتون بما لديهم من السلع إلى سوق المديـــنة، وفى وقت محدد، حتى يستفيد الجميع من عمليات البيع والشراء[7]، ولم يكن سوق القرية مسوراً أو مقسماً إلى أسواق متخصصة كأسواق المدن، بل كان أهل القرية يجلسون فى ركن من أركان السوق ، ويعرضون سلعهم

---

(1) الإدريسى : المصدر السابق والصفحة ، ص٣٩.

(2) Dimitri Meekset Autrts : Egypt Libraire Hachette (Paris 1971) pp. 9-10

(3) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص٣٨٥ .

(4) ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص٤١.

(5) Garcin : Un Centre Musulman , p.6

(6) ابن جبير : الرحلة ، ص٣٧، ٣٩.

(7) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص١٩٦.

وكان نظام البيع والشراء في أسواق قرى مدينة قفط يتم عن طريق المقايضة[1]، لسير القرية على مبدأ الاكتفاء الذاتي، مما دعا إلى عدم الحاجة لاستعمال النقود [2] ، على أن البيع لايكون صحيحاً إلا إذا كان مصحوباً بقبول صريح من الجانبين ويذكر آدم متز[3] أنه في أثناء المساومة بين الطرفين ، يضع أحدهما يمينه في يمين الأخر ، فإذا قال البائع : " بعت " وقال الشارى " اشتريت " ترك كل يد صاحبه وتم البيع والشراء.

كما انتشرت الأسواق في بعض القرى التابعة لإقليم قفط فكانت بلدة إسنا حافلة بأسواقها[4] ، واشتهرت بتجارة المنتجات المحلية كالتمر والكروم[5] ، كذلك شملت أسواقها على كثير من الحوانيت والخانات ، وكان يجلب إليها من مصنوعات الأقاليم المجاورة كالبرد والأردية والشقق الحريمية الشيء الكثير[6] ، هذا بالإضافة إلى شهرة بلدة قنا بأسواقها الحسنة وكانت عامرة بالسلع الغذائية في العصر الإسلامي[7] .

كذلك كان التجار يتنقلون من سوق إلى سوق قرية أخرى في إقليم الصعيد الأعلى حتى إذا انتهى الأسبوع أتموا دورتهم التجارية ، ثم يبدءونها من جديد في الأسبوع الثاني بنفس النظام وبنفس الترتيب والمواعيد[8] ، كما كانت الأسواق السنوية ترتبط بالاحتفالات والمناسبات المختلفة التي تحدث

---

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول ، الكويت يونيو ١٩٨٠ ، ص٨٥

(2) سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، ص٨٧-٨٨ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣، سنة ١٩٦٤-١٩٦٥ ،ص٨٧-٨٨

(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢،ص٣٣٨ .

(4) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٣٧ .

(5) أبوالفداء : تقويم البلدان ، ص١٣ .

(6) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج٧ ، ص٥٩ .

(7) ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص٤٠ .

(8) سعد الخادم : الصناعات الشعبية في مصر : ص١٦

فى كل عام مثل الأعياد ، والمزارات المختلفة للأولياء والأديرة التى تقام لها مناسبات واحتفالات تكون فرصة للبيع والشراء[1] .

وكانت مدينة قفط فسطاطاً أمامياً بسبب مركزها التجارى ولوقوعها علـــى طـــريق الحـــج من الفسطاط إلى البحر الأحمر التى ازدهرت بثراء وعظمة تجارتها فى العصر الإسلامى[2]، وكانت الأسواق الموسمية فى قفط يـــتم فيها بيع وشراء المنتجات الخاصة بها من منتجات زراعية وصناعية ، وخاصة تلك السلع التى لاتتوافر فى أسواقهم المحلية المحدودة [3] .

كمـــا عرفت فى مدينة قفط وغيرها فى المدن الأسواق الأسبوعية ، حيث تقام فى أيام معينة فى الأسبوع[4] ، وكان يتم فيها للتبادل التجارى بين أهالـــى قفط وجيرانهم من القرى والمدن ، وكانت لكل قرية من قرى مدينة قفط أسواقا محلية التى تسوق فيها منتجاتها [5] حيث كانت تعقد فى يوم معين فـــبعض القـــرى كانت تعقد أسواقها يوم الإثنين وأخرى يوم الأربعاء وهكذا على مدار الأسبوع[6] .

كمـــا كانـــت الـــدواب وبخاصة الحمير هى وسيلة أهالى مدينة قفط وقـــراها فـــى الوصول إلى الأسواق والعودة منها وهى تشبه فى ذلك وسيلة

---

(1) كانت الأسواق فى العصر الفرعونى موضعها المعابد ، ثم فى العصر القبطى كانت فى الأديرة ثم تحولت بـدورها فـى بدايـة العصر الإسلامى حـول الأضرحة والمساجد ، ومنها بلغ بعد المزار أو الـضريح عـن العمران ، وهذا لايمنع رحيل الناس إليه سنوياً لإقامة الأسواق وإحياء ليالى المولد بجواره .

سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر، ص١٦.

(2) عبدالمـنعم ماجـد: نظـم الفاطمـيين ورسـومهم، (مكتـبة الأنجلـو المـصرية بالقاهـرة ١٩٥٣) ج١، ص١٧٠.

(3) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج٨، ص٢ .

(4) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٠٥، أدم متز : الحضارة الإسلامية ج٢ ، ص٣٨٠ .

(5) ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص٢٥-٢٦ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨.

(6) عـبدالغفار ابـن نـوح الأقـصرى : الوحـيد فـى سـلوك أهـل التوحـيد ، مخطـوط ، . بـدار الكـتب، رقم ٢٣٦ تصوف ، ج٢ ، ورقة ١٥ .

الانــتقال فى العاصمة " الفسطاط "[١] ، فى حين كان ركوب الخيل وقفاً على الجنود والمتصلين بالجيش [٢] .

كما كانت مدينة قفط من أهم المراكز التجارية فى الإقليم ، حيث كان بهــا العديــد من القباب بأعالى دورها وقيل أنه من ملك عشرة آلاف دينار يجعل لـــه قبة فى داره [٣]. كما حفلت بأسواقها وكثرة تجارتها وخيراتها[٤]، ولقد ازداد الاهتمام بالأسواق فى العصر الفاطمى حيث يذكر المقريزى نقلاً عــن "المســبحى" أن الخليفة الفاطمى العزيز بالله أمر بإيقاد المصابيح على الــدور فى الأسواق ، كذلك ذكر " أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر سنة ٣٩١ هـــ الناس بإيقاد القناديل فى سائر البلدان وفى جميع الحوانيت وأبواب الدور والســكك ، ففعلــوا ذلك ، وتناظروا ، واستكثروا منه فى الشوارع والأزقة وأنفقوا فى ذلك أموالاً طائلة " [٥] .

النيل كطريق تجارى هام :-

يعتــبر من أهم الطرق الداخلية لإقليم قفط وذلك لربط أجزاء الإقليم مــن الشمال إلى الجنوب ، كما عمل على تسهيل حركة المواصلات والنقل للناس والسلع الزراعية والصناعية التى اشتهرت بإنتاجها، وتطلب الأمر نقلها إلى أسواق الفسطاط أو إلى الموانئ المصرية لتصديرها خارج البلاد [٦]، كما

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٦١-٦٢ فذكر " أن أهل السوق ، وأصحاب الدكاكين يركبون الحمر المسرجة فى ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق وفى كل حى على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد لقاء أجر زهيد وقيل أنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى " . ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة .

(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة .

(٣) الإدفوى : الطالع ، ص٣، المقريزى : الخطط ، ج١، ص٢٣٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص٣٣

(٤) القفطى : أخبار الرواة ، ج١ ، ص٩، فى المقدمة ، على الخطيب : القفطى حياته وأدبه ، ص٢٥ ، محمد عبده الحجاجى : عالم وكتاب ، مجلة الأمة ، قطر ، العدد ١٦، ١٩٨٢ م، ص٢٢ .

(٥) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص١٠٧

(٦) محمد محمود أبوزيد : النيل ومصر ، ص٩١

اهـتم أهالى مصر عامة بطريق النيل اهتماماً عظيماً لقلة تكاليف النقل التى يـتحملونها عـن طريق البحر الأحمر " ولما فيه من شعاب بارزة ، ورياح معاكسـة ولهـذا كانـت الملاحة فيه بالنهار فقط ، أما بالليل فلاتسلك ، لذا احتفظ نهر النيل بأهميته كطريق تجارى هام يوازى البحر الأحمر [١].

كذلـك كانت على صفحة النيل تسير السفن النيلية والمراكب تحمل السـلع وأولهـا محاصيل مصر الزراعية فقد كان القمح والشعير والقصب والخشب من أهم المحاصيل التى كانت تنقل من إقليم فقط إلى الفسطاط سوق الاسـتهلاك الرئيسـى[٢]، وكذلك كانت المَصنوعات وبخاصة المنسوجات ، تنتقل بين مدن مصر إلى الأسواق المحلية عبر النيل ثم عبر الأسواق الكبيرة كالفسطاط ومنها إلى خارج مصر[٣].

وكما كانت الغلال من أهم السلع المحمولة على النيل حينذاك ، كذلك المحاصـيل الأخـرى وقصـب السـكر (ومماينتج عنه من عسل) وأيضاً الأخشاب ، ضمن المحاصيل التى ترسل من إقليم فقط إلى الفسطاط يدل على ذلـك ما أشارت إليه بردية من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى وفيها يقول وكيل لسيده " فانظر أعزك الله أن تأمر من يحمل إلى مركبه مائة جرة وسبع عشرة جرة " [٤]، كما أن هناك بردية أخرى ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٣٤هـــ / ٩٤٢م وهـى عبارة عن خطاب يشير فيه صاحبه إلى إرسال خشب يقول فيه "وصل بقية الخشب الذى بالأقصر وهو ست وعشرون قطعة

---

(١) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص٢١

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص٦٩

(٣) محمد محمود أبوزيد : النيل ومصر ، ص٩٦

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٥، ص١٣٥ ، ١٣٦ .

الجرة : جرة العسل وهى إناء من الفخار يوضع فيه العسل المستخرج من قصب السكر

وقد حملتها على معدية عيسى بن نتوس"[1] ، كما كانت الأغنام والماشية ضمن السلع التى ترد من مدينة قفط لتباع فى الفسطاط[2].

كما اهتم المصريون ببناء السفن والمراكب مختلفة الأغراض فأنشأت على ساحل النيل فى الديار المصرية دوراً لصناعة السفن والمراكب ، وشجع على إقامتها انتشار زراعة الأشجار اللازمة لهذه الصناعة فى مدن وقرى مصر المختلفة [3].

وليس أدل على ذلك من وصف الرحالة لانتشار السفن والمراكب التجارية على صفحة النيل والتى كانت فى حركة دائبة ومستمرة تحمل مختلف السلع والبضائع بين كافة مدن مصر الداخلية من جانب وأسواق الفسطاط والقاهرة من جانب أخر[4] ، فقد ذكر الأصطخرى أنه من حد أسوان إلى البحر " مدن وقرى منظومة متكاثفة[5] متصل بعضها ببعض وكان لكل من هذه المدن والقرى على النيل موانئ حسب المدينة أو القرية.

ولم يكن المسافر فى النهر يحتاج إلى أن يأخذ معه طعاماً أو غيره "لأنه مهما أراد النزول للشاطئ سيجد سوقاً يشترى منه مايريد ، كما يجد مكاناً يتوضأ ويؤدى الصلاة فيه ، والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مصر ، ومن مصر إلى مدينة أسوان من الصعيد"[6].

---

(1) جروهمان : أوراق البردى ، ج٥ ، ص٥٨ .

(2) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص٦٩

(3) ممدوح عبدالرحمن الريطى : اسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ١٩٩٢ م ، ص٣٩٦ – ٣٩٧ .

(4) ممدوح الريطى : المرجع السابق ، ص٣٩٧ .

(5) الأصطخرى : كتاب المسالك والممالك ، ص٥٠–٥١ ، ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٧١،٧٣.

(6) نفس المصدر السابق والصفحة .

الطرق التجارية الأخرى :-

استخدم أهالى مدينة قفط الطرق البرية لحمل منتجاتهم بين القرى والمدن ، فكانت هناك طرق موصلة بين القرى بعضها ببعض ، وقد استخدم الأهالى الجسور فى الانتقال بينها، كذلك كان هناك طرقاً برية تصل بين المدن الكبرى أيضاً[1].

كما اهتم أصحاب الكور بإنشاء الطرق البرية وبذلوا عناية كبيرة فى هذا المجال ، كذلك اعتنوا بالطريق الذى يربط بين العاصمة ومدن وقرى الصعيد الأعلى إلى أسوان[2] ، وقد بلغ من اهتمامهم بهذا الطريق أن عينوا موظفاً كبيراً يشرف عليه وتجديد عمارته ، كما خصصوا مبلغاً سنوياً لهذا الغرض يقدر بحوالى عشرة آلاف دينار[3].

بالإضافة إلى هذا الطريق البرى ، فقد أقيمت طرق أخرى تربط بين المراكز التجارية الهامة فى إقليم الصعيد الأعلى والثغور ، ومن ضمن هذه الطرق طريق يربط مابين مدينة أسوان إلى ثغر عيذاب [4]. وتشير وثيقة من أوراق البردى العربية إلى استخدام أهالى إقليم قفط لطريق أسوان فى تنقلاتهم ، ورد فى وثيقة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى وهى عبارة عن تقرير من وكيل إلى سيده عن إرسال المنتجات عن هذا الطريق بقوله " وقد كتبت إليك على يد يوسف واصل إليك عن طريق أسوان " [5].

وطريق أسوان عيذاب من الطرق البرية الهامة التى يستخدمها الحجاج فى القرون الأولى للإسلام فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة بمكة[6]، فكانوا

---

(1) محمد محمود على أبوزيد : الريف فى العصر الإسلامى ، ص٢٤٣

(2) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٤٣

(3) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة

(4) نعمة على مرسى: مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص٢١١ .

(5) جروهمان : أوراق البردى ،ة ج٥ ، ص١٧ ، بردية ٣

(6) كاتب مراكشى مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٨٧ .

يخترقون من أسوان الصحراء إلى عيذاب ومنها يركبون البحر إلى جدة ، ومنها إلى مكة مسيرة يومين[1] وقد سمى هذا الطريق بالوضح لخلوه من الجبال المتشابكة التى تحيط بطريق قوص عيذاب[2] .

كما كان طريق عيذاب – قوص من أقدم الطرق التجارية فى صحراء مصر الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط التى مهدت للربط بين موانى البحر الأحمر والمدن المقابلة لها على شاطئ النيل [3] غير أن طريق أسوان عيذاب كان أقدم منه ، فقد استخدم طريق أسوان عيذاب أكثر من طريق قوص عيذاب ، لأن الأول كان يمتاز بقصره [4] ، على حين أن الطريق الثانى قوص عيذاب كانت الإبل تقطعه فى سبعة عشر يوماً[5] ، كما كان هذا الطريق له أهميته التجارية فى العصر الفاطمى ، فقد كانت القوافل التجارية تسير خلاله وهى أمنه[6] مثلما كان الطريق من عيذاب إلى أسوان آمناً[7] ، وبهذا فقد خدم طريق عيذاب قوص التجارة فى مدينة قفط وفى مصر بشكل عام[8] .

كذلك هناك طريق أخر يتفرع من قوص إلى سواكن بالسودان ، ماراً بكيمان قفط ولقيطة ، وعيذاب ، وبنى عامر ، وحميثرة إلى سواكن[9] ، وهذا

---

(1) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص ١٣-١٤ .

(2) بوركهارت : رحلات بوركهارت ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(3) إبراهيم نصحى : دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة (القاهرة ١٩٥٩م)، ص ١٢١ .

(4) محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(5) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٠٢ .

(6) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١، ٣٦ .

(7) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٥ ، Hassan : The Arabs and The Sudan, p. 86

(8) نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى أواخر العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٣م) ، ص ٢٤٣ .

(9) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٣٧٣ ، ٣٧٤ ، عطية مشرفة : نظم الحكم فى مصر ، ص١٦٣

الطـريق مـن الطـرق الهامـة لنقل منتجات إقليم قفط إلى بلاد السودان ، وبالعكس .

كمـا أن هـناك طريق تجارى برى من قنا إلى ميناء القصير على البحر الأحمر متجهاً إلى الجنوب ، حتى يصل إلى بئر عنبر شرقى قفط فى مصـر العلـيا ثم يستقيم إلى جهة الشرق حتى يصل إلى ميناء القصير[1] ، كذلك سلك تجار إقليم قفط الطريق البرى عبر الصحراء الغربية ، الذى يصل بيـن مدن أرمنت والأقصر وإدفو وأسوان [2] ،إلى السودان فى زمن أقصر مـن الزمـن الـذى تستغَرقه القوافل ، لو استخدمت طريق النيل إلى دنقلة بالـنوبة، ومـنها إلـى دارفور ،وهذا تسير فيه القوافل التجارية إلى درب الأربعين ، حتى دار فور بالسودان[3].

** طريق القصير – قفط

ويعد هذا الطريق من بين الطرق التجارية الهامة إلى مدينة قفط التى اعتنى بها الحكام[4] ، حيث كان التجار العرب يترددون من خلاله إلى المدن المصـرية الداخلـية مـنذ أقـدم العصور[5] ، فقد خدم هذا الطريق القوافل التجارية ذهاباً وإياباً من القصير إلى مدينة قفط وبالعكس ، حتى أصبحت من أشهر مدن الصعيد الأعلى من الناحية التجارية [6] ، أما عن خط سير الإبل

---

(1) بدر عبدالرحمن : النشاط التجارى فى مصر فى العصر الفاطمى ، ص٦٧ .

(2) أرمنت وإدفو وأسوان من أعمال الصعيد الأعلى

ابن دقماق : الانتصار ، ج٥، ص٢٨ ، ٣٣، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص١٩١ .

(3) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص٩٩

(4) عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص٥ ، ويذكر البعض أن هذا الطريق أنشاه رمسيس الثالث ، عبدالمجيد عابدين : المرجع السابق والصفحة.

(5) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٠٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص١٦٦ ، سعاد ماهر ، محافظات الج . ص١٨١ .

(6) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج٥ ، ص١٧٧ .

أو القوافـل التجارية خلال هذا الطريق ، فقد كانت القوافل تبدأ من قفط أخذه فى الاتجاه ناحية الشرق فى خط مستقيم حتى تصل إلى القصير(1) .

كمـا كانـت أهم البضائع المنقولة عبر هذا الطريق " طريق وادى الحمامات " التوابل، الفلفل، والزعفران ، القرفة ، والزنبيل ، وجوزة الطيب، والعطور والبخور، مواد الصباغة(2).

**** طريق عيذاب - قفط :-**

يبدأ هذا الطريق عند كيمان قفط ، ثم يمتد فى قفار وجبال حتى يصل إلـى عين ماء تسمى " ليطة " على مسافة مرحلة من كيمان قفط ثم منها إلى عيـن ماء تسمى " الدريج" بالقرب من معدن الزمرد ، ومنها إلى حميثرة ، وهـناك توجد عين ماء أيضاً يستقى منها ثم إلى عيذاب ، وتقدر المسافة من كيمان قفط إلى عيذاب بعشرة أيام بسير الأثقال (3) ، كانت هذه الطرق البرية الـتى سلكها تجار إقليم قفط فى تنقلاتهم بين مدنها ، أضف إلى ذلك الطريق النهرى.

مراكز التجارة الداخلية فى إقليم قفط :-

اشـتهرت عـدة مدن فى إقليم قفط بتجارتها الواسعة، ومن أهم هذه المراكز التجارية الداخلية مدينة قفط وكانت بحكم موقعها على الضفة الشرقية مـن النيل ، وبفضل موقعها على طريق الرحلة الخاص بالحجيج فأصبحت

---

(1) سعاد ماهر : محافظات الج ، ص86 ، محمد مجدى : رحلة مجدى ، أو ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر (القاهرة 1310هـ)، ص120

(2) نعيم زكى فهيم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص191، 228 ، هيام عبد الرحمن سليم : العوامل الجغرافية وأثرها على تجارة مصر الخارجية فى العصور الوسطى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1977م، ص177 ، محمد حسن عبدالكريم : التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ب، جامعة القاهرة ، 1984، ص366 .

(3) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج14، 420-421 ، أبوصالح الأرمنى : تاريخ كنائس وأديرة مصر ، ص140

مدينة للتبادل التجارى وبرزت مكانتها التجارية ، حيث كانت تقع بالقرب من أرض المعدن وعلى بداية الطريق الصحراوى إلـــى معدن الزمرد[١] .

وقـــام بعـــض الـــتجار من أهالى قفط بممارسة التجارة مع البلدان المجاورة حيث لعبوا دوراً هاماً فى التجارة الخارجية، وذهـــبوا بتجارتهم إلـــى بـــلاد الهند ، كما كانت مركز القوافل ومفتاح التجارة خاصة مع البلاد الواقعـــة علـــى البحر الأحمر[٢] ، ويصف ياقوت أهميتها حينذاك فيقول .. "وهـــو الغالـــب ، على معيشة أهلها ، وكانت بداية الطريق إلى الهند وشرق أفريقيا ، وكانت المسافة بينهما وبين ضفة النيل نحو ميل وبينها وبين قوص نحو الفرسخ ، وكان أهلها أصحاب ثروة وحولها مزارع وبساتين كثيرة"[٣].

وكانـــت السـلع الـــتجارية تأتى إليها من موانئ البحر الأحمر عبر الصـــحراء الشرقية من عيذاب والقصير ، ثم عن طريق النيل من قفط إلى الفســطاط والإســكندرية [٤] ، ويذكر المقريزى " كانت مدينة قفط فى بداية العصر الإسلامى حاضرة الإقليم ، حيث كانت التجارة تأتى إليها من موانئ البحر الأحمر على قوافل العرب عبر طريق مدينة قفط ، ثم تسلك نهر النيل إلى الفسطاط بالمراكب النيلية ومنها إلى أسواق أوربا عبر البحر المتوسط [٥] ، وكذلك تجارة بلاد الحجاز فكانت تعبر البحر الأحمر إلى عيذاب ، وعندما تجتمع التجارة بعيذاب كانت تنقل على ظهور الجمال إلى أسوان[٦] .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : ج٢ ، ص٩٢.

(2) Dimitri Meekset Outres : Egypt Libroirre Hachette . pp. 9-10

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٧ ، ص١٣٩ .

الفرسخ : ثلاثة أميال ، الميل ٤٠٠ ذراع • عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص١٢٩ .

(٤) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص٤٨، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص١١-١٢.

(٥) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص١٦٦ .

(٦) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص٢٣٥ .

وكانت القوافل تقطع من أسوان إلى عيذاب بالجمال فى خمسة عشر يوماً ، ويبلغ طول المسافة مائتى فرسخ بالتحديد[١] ، وكان لتجار أسوان وكلاء مقيمون فى عيذاب لتسهيل التجارة وأعمالها ، ويصف ناصر خسرو هذا بقوله " أخذت من تاجر من أسوان ويدعى أبوعبد الله محمد بن فليج كتاباً إلى وكيله فى عيذاب جاء فيه: أعط لناصر مايريد وهو يعطيك الصك"[٢]، ويبدو أن تجار أسوان كان لهم وكلاء أيضاً فى مدينة قفط لتسهيل ونقل بضائعهم وتجارتهم[٣] .

ظلت مدينة قفط سوقاً لتجارة البحر الأحمر خلال العصر الإسلامى الأول ولكنها بدأت تفقد دورها التجارى منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى[٤] نتيجة عوامل عدة من أهمها :

تلك الغارات المريبة التى تعرضت لها المدينة على يد قبائل البجة قرابة قرنين من الزمان وذلك من أجل الاستيلاء على مناجم الزمرد ، مما كان له أعظم الأثر فى اضطراب الأمن وشيوع الفوضى الأمر الذى قلل من حجم التجارة المنقولة عبر طريق قفط القصير ، حيث توقفت بذلك حركة التجارة التى كانت تتطلب الأمن والاستقرار فى المقام الأول[٥].

كما كان لموضع مدينة قوص على النيل مما جعلها ميناءاً نهرياً أقرب إلى النيل من قفط ما يسهل عملية نقل التجارة المؤن والعتاد ، ونقل البضائع إلى المراكب النهرية[٦] فهى بذلك أقرب من مدينة قفط التى تبعد عن

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٧٢ .

(٢) ناصر خسرو: المصدر السابق ، ص٧٣

(٣) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص٢٩٠

(٤) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢

(٥) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط وتطورها السياسى ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع ، ١٩٩٥ ، ص٢٣٥ .

(٦) ممدوح عبدالرحمن الريطى : أسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه ، ص٤٦٩

النيل بحوالى ميل على حد قول ياقوت الحموى بل ثلاثة أميال كما ذكر ابن جبير [1].

وكذلك كان لاندلاع الثورات التى اتخذ أصحابها من الصعيد مسرحاً لهـم حيث لقى أهل الصعيد عامة وقفط بصفة خاصة كثير من العنت وسط هـذا التطاحن ، مما ترتب عليه نزوح أصحاب الحرف والصناعات وبعض الأهالى إلى مدينة قوص واتخاذها موضعاً لهم[2]

ولعل ذلك كان من اسباب تداعى قفط للخراب سنة ٤٠٠ وكما أشار الإدفوى [3] ، وذلك للهجرة هؤلاء الحرفيين والصناع إلى قوص مما أدى إلى تناقص الأهالى واضمحلال العمران بقفط تبعاً لذلك .

بالإضـافة إلـى ذلك وقوع قوص على النيل أكسبها وضعها كميناء للإقلـيم لـيس لشحن القمح إلى الفسطاط فحسب بل لصناعة وبناء المراكب للأغـراض الحربـية[4] ، وتحفظ لنا إحدى البرديات التى تقود إلى منتصف القرن الرابع رسالة عن شحنة من الأخشاب إلى ميناء قوص لاستخدامها فى صناعة المراكب الحربية[5] .

وهكذا فقدت مدينة قفط أهميتها لتوقف مرور القوافل التجارية ، هذا فضلاً عن أن مناجم الذهب والزمرد فيها لم تعد تعمل كسابق عهدها كان ذلك يبشر ببزوغ نجم قوص لتحل محل قفط فى زعامة الإقليم خاصة بعد وصول الفاطميـين إلـى مصر واتخاذهم قوص عاصمة لسائر بلاد الصعيد ، حيث

---

(1) ابن جبير : الرحلة ، ص٦١

(2) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١١١ .

(3) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٥٨ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢

(4) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٤٦٩ .

(5) Garcin : Un Centre Muslman , P.67 .

صـــارت همـــزة الوصل للتجارة المتجهة إلى النوبة خاصة بعد أن اتخذوها عاصمة لبلاد الصعيد بدلاً من قفط[1] .

مراكز التجارة الخارجية لإقليم قفط :

ثغـــر أسوان :

شـــهدت مديـــنة أســـوان نشاطاً ملحوظاً فى مجال التجارة الخارجية والداخلـــية ، وقـــد تكاتفـــت عدة عوامل جعلت لها مكانة مرموقة منها كثرة محاصـــيلها الزراعـــية كما كثرت بها زراعة النخيل[2]، والزيتون وأشجار أخرى [3].

كذلك اشتهرت بكثرة صناعتها الهامة كصناعة الفخار[4] ، وصناعة الحصـــير والسلال والأطباق من سعف النخيل والصناعات الخشبية ، وكان لموقـــع مدينة أسوان المتاخم لبلاد النوبة أثره الملموس ، بالإضافة إلى قيام الـــتجار النوبيين الذين كانوا يسيرون بقوافلهم فى أراضيها ، فيتاجرون بها ، أو يســـيرون عن طريقها إلى ثغر عيذاب[5] ، وقد جلبوا منهم منتجاتهم من الخرز والأمشاط والمرجان والرقيق[6].

كذلـــك كان للطريق البرى بين أسوان والفسطاط أهميته التجارية فى نقـــل منتجاتهم[7] ، كما كان لطريق أسوان عيذاب أهميته أيضاً وهو طريق

---

(1) ابـن سـعيد : الجغرافـيا ، (بـيروت ١٩٧٠م) ص١٣٠، حسـن ابراهـيم حسـن : تـاريخ الدولـة الفاطمـية ، ص٥٩٦

(2) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص٣١٨ .

(3) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٧١

(4) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٤ .

(5) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٢١ .

(6) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤١ .

(7) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

التجار والحجاج على السواء[1] ، وهكذا أصبحت أسوان مركزاً لتسويق منتجات أهالى قفط ومركزاً للتبادل التجارى بينهما[2].

ثغر عيذاب :

كانت عيذاب ثغراً من الثغور المهمة ، وقد كانت محاطه بالقبائل العربية من بلى وجهينه وقريش وغيرها من كل جوانبها ، ولم تشر المصادر القديمة إلى موضع الميناء بالتحديد ، فبينما نرى اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) وهو من الجغرافيين الذين زاروا مصر فى القرن الثالث الهجرى لا يزيد على القول بأن عيذاب كانت ميناءً تجارياً[3] .

وأصبحت عيذاب طريقاً للحج والتجارة بين مصر والحجاز وغيرهما من البلدان ، حيث كان حجاج مصر والمغرب لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب ، فيركبون النيل حتى مدينة قفط ويعبرون الصحراء إلى ميناء عيذاب ، ومنها يركبون إلى جدة وكان عرض البحر الأحمر فى هذه المنطقة كما ذكر لا يستغرق اجتيازه إلا مجرى يوم وليله يصل بعدها المسافر إلى جدة[4] ، كانت عيذاب مدينة صغيرة[5] فكانت أشبه بالضيعة كما قدر ناصر خسروا عدد سكانها عند زيارته فى منتصف القرن الخامس الهجرى لها بنحو ٥٠٠ نسمه وكانت مساكنها أخصاص ، وعلى الرغم من

---

(1) ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢١ .

(2) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(3) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٣٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٤١، ابو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٤١، ابن دقماق : الانتصار : ج٥ ، ص ٣٥ .

(4) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ، ص ٨٣٥ .

(5) المقريزى : الخطط ، ج١، ص ٢٠٢، وقد حاول العلماء فى العصر الحديث القيام بالأبحاث الأثرية لكشف موضع ميناء عيذاب، وانتهت بعض هذه الأبحاث إلى الكوم الأثرى الذى يعرف باسم سواكن القديمة هو بقايا وأنقاض ميناء عيذاب

Kamere : La Mer Rouge, l' Abyssinet Arabe de puisl antiquite , Tome, premeier 1929, vol, pp. 73-74.

مصطفى مسعد : البجة والعرب فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٤ .

مزايا الموقع بعض الشئ إلا أن موضعها لم يكن له خصائص تذكر فلم يكن بها غير ماء المطر ، فلابئر بها ، ولاعين وإذا لم تمطر السماء حمل البجاه على إحضار الماء وبيعه [١].

ومن أهم السلع التى كانت ترد إلى قفط عن طريق عيذاب ، البخور والفلفل والبهار والقرفة ، وكان تجار الصعيد يحملون إلى عيذاب أهم المنسوجات فضلاً عن أهم المنتجات التى اشتهرت بها بلاد الصعيد الأعلى[٢] الأمر الذى جعل حركة التجارة فى مدينة قفط دائبة النشاط .

خامساً : المعاملات التجارية والمالية :

١- الموازين والمكاييل :

كانت الموازين والمكاييل وسيلة التعامل فى البيع والشراء فى أسواق المدن والقرى ، وكان الرطل من وحدة الموازين فى مصر ، كذلك كان القنطار ، والأوقية والدرهم والجروف، من الملاحظ أن الأرطال اختلفت تبعاً لما يوزن بها ، فكان الرطل الذى يوزن به أصناف أخرى[٣] .

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص٧٣،٧٢ .

كما كان لايؤكل فيها شئ إلا مجلوب ، ويصف ابن جبير النشاط التجارى فى هذا الطريق : " رمنا فى هذا الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة ، فما تمكن لنا ولاسيما القوافل العيذابية التى تحمل سلع الهند الواصلة إلى اليمن وأكثر ماشاهدناه من ذلك أحمال الفلفل حتى خيل لنا لكثرتها أنه يوازى التراب قيمة ، ومما شاهدناه فى هذه الصحراء – المتاخمة لحدود قفط – أنك تلقى على قارعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة وغيرها من السلع مطروحة لاحارس لها لأنها تترك بهذا السبيل إما لإعياء الإبل الحامله لها أو غير ذلك من الأعذار وتبقى بموضعها إلى أن ينقلها صاحبها مصونة من الأدقات على كثرة المارة عليها. ابن جبير : الرحلة، ص ٣١، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٦ .

Hassan : The Arabs and the Sudan, pp. 46-47

(٢) محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا ، ص١٠٠ Hassan : Op- Cit, pp.69-70

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٥، وكما كان القنطار المصرى وهو مائة رطل ، واستهل كذلك الفتح المصرى ، وهو قدح صغير تقديره مائتان وإثنان وثلاثون درهماً كل ستة عشر قدحاً تسمى ويبه وكل ستة وتسعين قدحاً تسمى أردباً ، وكذلك هناك نوع من الكيل يطلق " المد " كل قدحين كيلة . القلقشندى : صبح الأعشى ،ج٣، ص ٤٤١، ٤٤٥ .

كمـا اختلفـت الأرطال فى داخل كل إقليم تبعاً لنوع السلعة المباعة والمشـترى فكـان رطل اللحم والخضر فى إقليم قفط يزن ثلاثمائة وعشر درهمـاً ، بيـنما تزن باقى الأرطال الأخرى مائتين وإثنين من الدراهم[1] ، كذلـك نجد أرطال تنسب إلى البلدة التى تزن بها ، فكان هناك بالإضافة إلى الرطل المصرى ، وهو الرطل المستعمل فى الفسطاط والقاهرة ويزن أربعة وأربعين درهماً[2] .

وكـان من الطبيعى على كل تاجر أن يكون على علم بأوزان بعض الأقالـيم التى يذهب إليها لتسهيل عمليات الشراء ، لهذا فقد أنشئت فى الديار المصرية ما يسمى بدار العيار . وهى الدار التى يصنع فيها الصنج وأدوات الأوزان ، ثم تباع للتجار لاستخدامها ، ويصلح بها ما اختل من الصنج[3] .

فكـان المحتسـب يراقب عمليات البيع والشراء فى الأسواق ، منعاً للغـش ، ويأمـر أصحاب الموازين مسحها وتنظيفها من الأدهان والأوساخ العالقة بها كل ساعة[4] .

أمـا بالنسبة للمكاييل فقد اختلفت من جهة إلى أخرى داخل إقليم قفط فمن ذلك اختلاف وحدة الكيل وهى القدح كما كان هناك اختلاف آخر بالنسبة لـلإردب فـنرى الإردب وهو يساوى ٩٩ تسعة وتسعين قدحاً[5] وهو ست

---

(١) ابن الأخوة : كتاب الرتبة فى الحسبة ، ١٤٥-١٤٦ .

(٢) ابن الإخوة : المصدر السابق والصفحة . أما رطل أهل قوص يزن ثلثمائة وخمسة عشر درهماً ، أما البغدادى . فى عاصمة الخلافة العباسية فيزن مائة وثلاثين درهماً أما الرطل الدمشقى فى بلاد الشام فيزن ستمائة درهم . ابن الأخوة : المصدر السابق والصفحة .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٣٣، ٣٣٤ .

(٤) ابن الأخوة : المصدر السابق ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٤٥ .

ويبات[1] ، يبلغ في بعض البلاد المصرية إحدى عشرة ويبة أو مائة وست وسبعين قدحاً[2]، أما الأردب فكان يحتوى على ثلاث ويبات[3].

وكذلك تشير أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى أن الأهالى استخدموا المكاييل فى العمليات التجارية وكيل الحبوب، ومن ذلك وثيقة من الصعيد الأعلى جاء فيها " دفع لأبى الفضل ويبات الثمن دينار وشعير أربعة عشرة أقداح[4] .

ومن المكاييل الأخرى، الحملة، وهى تساوى ثلثمائة رطل مصرى، والتليس يساوى مائة وخمسون رطلاً[5] أو ثمان ويبات[6] ، والبطة وهى كيل يسع خمسين رطلاً[7] والفرارة وتسع أرادب ونصف[8] ، والفسلة وتسع سبعة أرادب[9] وكما كان أهالى قفط يستخدمون الأقساط فى الكيل ، ففى إحدى الوثائق البردية ، نجد هناك القِسط والذى قدر أنه عيار وزنه ثمان وأربعون أوقية[10] .

---

(1) الويبة : تحتوى على ستة عشر قدحاً . القلقشندى : المصدر السابق والجزء والصفحة ،بينما يرى المقريزى الويبة تسعة وسدس أردب . إغاثة الأمة ، ص١٢ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص ٤٤٥ .

وهو يساوى ١/١٦ من الويبة أو ٣/٤ كيلو جرام تقريباً . جروهمان أوراق البردى العربية ، ج٦، ص١٢، وهو ما يساوى خمسة عشر ، أى ما يساوى سدس الإردب . جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٨٤ .

(3) المقريزى : الأوزان والأكيال الشرعية ، ص ٥٧ .

(4) جروهمان : أوراق البردى ، ج٦، ص١١٩، طراز رقم ٣٩٦ .

(5) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٥ .

(6) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٨٤ .

(7) ابن مماتى : المصدر السابق والصفحة ، البطة : وهو إناء على شكل البطة ، ابن ظهيره : الفضائل الباهرة ، ص ١٨٥ .

(8) ابن مماتى : نفس المصدر والصفحة . الفرارة : وهى وحدة للحبوب تسع إلتى عشر كيلاً . الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٧، هامش (٩) .

(9) ابن مماتى : نفس المصدر والصفحة .

(10) جروهمان : أوراق البردى ، ج٦، ص ١١٤-١١٥ .

السفاتج والصكوك :-

وقد استخدمت السفاتج[1] كوسيلة للدفع فى المعاملات المالية الضخمة حيث خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص[2]، وكان التجار أو الصيارفة أو المشــتغلون بالأعمــال المالية والتجارية يكتبون رقاعاً بقيمة المبالغ التى يأخذونها وتكون قابلة للصرف فى أى بلد لأى من عملائهم ، وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم[3] .

واســتخدمت الســفاتج فــى العصــر الفاطمى للتعامل التجارى بين الفسطاط ومدن وقرى الأقاليم المجاورة ومنها إقليم قفط ، كما يظهر ذلك فى وثائق الجنيزة ، حيث كانت السفتجة تأخذ طابع العملة[4].

الصكوك :-

وقد استخدمت الصكوك[5] منذ صدر الإسلام ، وكان الخليفة عمر بن الخطــاب أول من صك وختم أسفل الصكاك[6] ، والصكوك خطابات يكتبها الجهابذة[7] .

---

(1) السفاتج وهى جمع سفتجة وهى عبارة عن كتاب يرسله صاحب المال لوكيله بأن يدفع مالاً قرضاً ما يأمن به من خطر الطريق ، والسفتجة خطاب الحوالة فى التعبير المالى الحديث ، وهى الكمبيالة فى Letter dechane معناها واستعمالها ، صفى محمد عبدالله : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى ، (الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠م) ، ص ٣٦٣ .

(2) بدر عبدالرحمن :النشاط التجارى فى العصر الفاطمى ،رسالة ماجستير ،جامعة القاهرة،١٩٧٧م ،ص١٨٠

(3) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٢١٩ .

(4)Gotien , Bangers and accounts from the eleventh cementury Gournal of the econmic and sociad the story of the orient, vol, Ix part November 1966- p. 29

(5) الصك : وسيلة من وسائل دفع المال ، وهو عبارة عن شخص يدفع مقدار معين من النقد إلى الشخص الوارد اسمه فيه . محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ١٦٣ .

(6) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق والصفحة .

(7) الجهابذة : والجهبذ أما تاجر أو من المشتغلين بالأعمال المالية ، مهمته كتابة الصكوك وقبض الأموال من التجار. ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٣ .

وتشـــير أوراق الـــبردى العربية من القرن الرابع الهجرى / العاشر المـــيلادى إلى استخدام بعض المتقبلين لهذه الصكوك فى سداد دين شخص ، فقـــد ورد فى وثيقة من الصعيد الأعلى قول " يا أبا جميل أعزك الله ، ادفع إلى أبى الحسن متقبل أرض الأمير أيده الله أربعين ديناراً معسولة ، واحسب بها فى حسابك الجرى"[1] .

ازداد استخدام الصكوك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين كما أظهـــرت وثـــائق الجنيزة نظام التعامل بها فكان الشخص يرسل الصك إلى التاجر ، واسم السلع التى يريدها وثمنها ، وتحمل الوثيقة توقيعه ، فيرسل له التاجر ما يريد ، ويحتفظ بهذه الصكوك ثم يسلمها له ، ويأخذ منه ثمن ما أخذ من بضائع[2].

كما كان للتجار وكلاء فى مدينة قفط وعيذاب لتسهيل واستقبال السلع وكان هؤلاء الوكلاء يتعاملون بالصكوك فى معاملاتهم التجارية ويذكر ناصر خسرو فى هذا الصدد أنه لما أراد مغادرة أسوان فى طريقة إلى عيذاب أخذ من تاجر بمدينة أسوان يدعى " أبو عبيد الله محمد بن خليج " كتاباً إلى وكيله فـــى عيذاب جاء فيه " أعط ناصراً ما يريد ، وهو يعطيك صكاً للحساب "[3] فلما انفق ناصر ما معه من مال فى عيذاب أعطى الورقة للوكيل ، فأعطاه مـــا أراد بعد أن أخذ منه صكاً بذلك ، فقام الوكيل بدوره بإرسال الصك إلى أســـوان[4]. وهـــذا يـــدل دلالة واضحة على استخدام الصكوك فى التعامل التجارى فى إقليم قفط خلال العصر الفاطمى الأول .

---

(1) جروهمان : أوراق البردى ، ج٢، ص ١٤٣ .

(2) Goitein : Bangers and accounts ... , p . 29 .

(3) ناصر خسروا : سفر نامة ، ص ٧٤ ، ٩٦ .

(4) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة .

العملة "النقود" :-

أما النقود المستعملة في مدينة قفط في عمليات البيع والشراء فالواضح كما تدل عليه قطع الاوستراكا[١] ، أن المعاملات بها كما في مصر قبل الفتح العربي كانت تسودها العملة الذهبية[٢]، أما عن موقف العرب من هذه النقود عقب الفتح العربي لمصر فيذكر كاترمير Quatremere [٣] أن الكاتب القبطي بشندي Picendi أسقف قفط الذي عاصر فتح العرب كتب كتاباً إلى أساقفة أمته يقول فيه: "أن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة السيد المسيح وكتبوا محلها اسم نبيهم محمد الذي يتبعون تعاليمه واسم خليفة نبيهم ونقشوا الاسمين معاً على النقود الذهبية".

وهكذا ظلت العملة الذهبية سائدة في إقليم قفط ومصر ، منذ الفتح حتى عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ، الذي ضرب العملة الإسلامية وألغى السكة غير الإسلامية ، وقد خضعت مصر لعملة الخلافة ، ولم تستقل العملة المصرية عن تلك المستعملة في مصر الإسلامية إلا في عهد الطولونيين والإخشيديين.[٤]

وكما يقول المقريزي[٥]: "ومع هذا فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة ، وسكتها إنما سكة بني أمية ثم بني العباس إلا أن الأمير أبا العباس

---

(١) الأوستركا: قطع من الأحجار والفخار استخدمتها بعض الشعوب القديمة في الكتابة واستنبط منها علماء الآثار كثيراً من الحقائق التاريخية ، وكانت المعاملات قبل الفتح العربي كان أساسها الدينار في الكتابة واستنبط سوليدس Solidus ، وأجزاء الدينار تريميزيون Tremision سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ سنة ١٩٦٤م – ١٩٦٥م ، ص٨٧ – ٨٨ .

(٢) سيدة الكاشف : المرجع السابق والصفحة .

(3) Memoires Geohraphique et histoiriques Sur L ' Egypt T.J, pp. 343-344

(٤) سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، ص ٨٨ .

(٥) النقود الإسلامية : ص ١٣ هامش (٨) ، سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، ص ٨–٩ .

أحمـــد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية" وكذلك كان الحال فى عهد الأمراء الإخشيديين.

ولمـــا تم للفاطميين فتح مصر فى سنة ٣٥٨هـــ وبناء مدينة القاهرة ضـــرب القائد جوهر الصقلى فى مصر، الدينار المعزى[١] ، وهناك ظاهرة واضـــحة فـــى هذا العصر وهى تعامل الناس بالدراهم بجانب الدينار ، وقد تزايد أمر هذه الدراهم بصفة خاصة فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وصار الديـــنار يســـاوى أربعـــة وثلاثيـــن درهماً فى سنة ٣٩٩هـــ ، مما أدى إلى انخفـــاض الأســـعار واضطراب أمور الناس. عند ذلك أمر الحاكم ضرب دراهم جديدة وإلغاء الدراهم السابقة وصار الدينار يساوى ثمانية عشر درهماً من الدراهم الجديدة[٢].

ويقول المقدسى[٣] عن النقود المستعملة فى مصر : " والنقود القديمة المثقال والدرهم ولهم المزنفة خمسون بدينار ، ويكثرون التعامل بالراضى ، وقد غير الفاطميون النقود إلا هذين وأبطل القطع والمثاقيل".

كما كانت الدنانير تستخدم لتسهيل عمليات البيع والشراء ، فقد كانت قيمتها المادية تعادل ثمانية عشر وإلى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فـــى المعـــاملات التجارية ، اتخذ أهالى مدينة قفط والقرى التابعة لها نظام المقايضـــة فـــى عمليات البيع والشراء نظراً لعدم سهولة التعامل بالنقود فى العمليات التجارية الصغيرة.[٤]

---

(١) المقريزى : النقود الإسلامية ، ص١٣-١٤ ،ونقش عليه فى أحد وجهيه دعاء الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد وفى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله ،أرسله بالهدى ودين الحق ،ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين ٠المقريزى :المصدر السابق والصفحة

(٢) المقريزى : نفس المصدر ، ص ١٤ ٠

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٤ ٠

(٤) المقريزى:النقود الإسلامية ،ص١٤،جمال الدين سرور:تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ،ص١٦٣

وأشـــارت وثــائق البردى إلى تعامل أهالى إقليم فقط بالنقود الذهبية والفضية فى مختلف نواحى الحياة اليومية فى العصر الإسلامى الأول كسداد الديـــون ، أو دفـــع أجور العمال أو شراء السلع أو الأراضى كذلك فى جمع الضـــرائب مـــن جـــزية وخراج ، ومن ذلك وثيقة ترجع إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، عبارة عن بيع عدة أثواب جاء فيها " قد وجهت إليك من ذلك عشرة أثواب ، الثمن خمسة دنانير وعشرة شقة مشدودة الثمن ثلاثـــة دنانـــير وثمن"[1] وفى وثيقة أخرى عن تسجيل قطعة أرض زراعية مؤرخـــة بسنة ٣٤٨هــ جاء فيها " وطَلَبتَ إلى أن أسجلك من الأرض ثلاثة فدادين ، أرض طيبة سودا بثلاثة دنانير معسولة "[2].

وكذلك بردية أخرى مؤرخة بتاريخ سنة ٢٢٧هــ عبارة عن استخدام عامل لزراعة فول وردت العبارة " على أن يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينار لكل شهر درهمين"[3].

وقد استخدمت النقود فى سداد الديون يدل على ذلك أيضاً ما ورد فى وثيقة من القرن الرابع الهجرى جاء فيها " ادفع إلى أبى الحسن مقابل أرض الأمير أيده الله أربعين ديناراً معسولة"[4] وكانت السكة فى مصر منذ العصر الأمـــوى تضـــرب فـــى دور الضرب بكل الإسكندرية والفسطاط وأتريب ، والفيوم والفرماء ومدينة فقط[5] وبلدة دندرة[6] .

---

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦، ص ٧٥ .

(٢) جروهمان : المصدر السابق ، ج٢، ص٤٩، لوحة ٥ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٢، ص ٩٩ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٣ .

(٥) محمد أبو الفرج العش: مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية ، أبحاث الندوة العلمية الدولية، لالفية القاهرة ، ص٩١١-٩١٢ ، ٩٤٧-٩٤٨ .

(٦) ابن بعرة : كشف الأسرار بدار الضرب المصرية ، نشر عبدالرحمن فهمى (القاهرة ١٩٦٦م) ص ٧ .

واستمرت هذه الدور قائمة بمصر حتى استولى الفاطميون عليها فى سـنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م حيث ظلت دور الضرب فى الفسطاط والأسكندرية تعمل بصفة منتظمة فى سك العملات الذهبية تحت حكم الفاطميين[1].

والظاهـر أن دار الضرب بدندرة ظلت تعمل حتى مجئ الفاطميين إلـى مصر ،فليس هناك ما ينفى وجودها حتى كان عهد الخليفة الأمر حيث أمـر بإنشاء دار للضرب فى قوص[2] وكما كانت دار الضرب من المنشآت الـتى عـنى بها الخلفاء الفاطميون لارتباطها بحياة البلاد الاقتصادية حيث يشـرف عليها قاضى القضاه تعظيماً لشأنها ، وينص على إسنادها إليه فى جملـة ما يسند إليه من وظائف القاضى واختصاصاته ، وللقاضى أن ينيب عنه فى مباشرة شئون دار الضرب من يختاره من نواب الحكم ، وبقى الأمر علـى ذلك بعذر من الفاطميين[3] ولعل السبب فى إسناد مهمة الإشراف هذه إلـى القاضـى هو ضمان شرعية وزن الدنانير والدراهم، والتأكد من صحة العـيار وعـدم غـش الذهـب ، فقد كان القاضى يجتهد فى خلاص الذهب وتحرير عيارة[4].

وهكذا لعبت مدينة قفط دوراً فى حياة مصر الاقتصادية لا يستهان به فـى مختلف أوجه الأنشطة سواء الزراعية منها أم الصناعية والتجارية كما تمتع كثير من أهالى الإقليم بمكانة مرموقة لدى الولاة سواء فى عصر الولاة أو فى عهد الطولونيين والإخشيديين وأوائل حكم الفاطميين للديار المصرية.

---

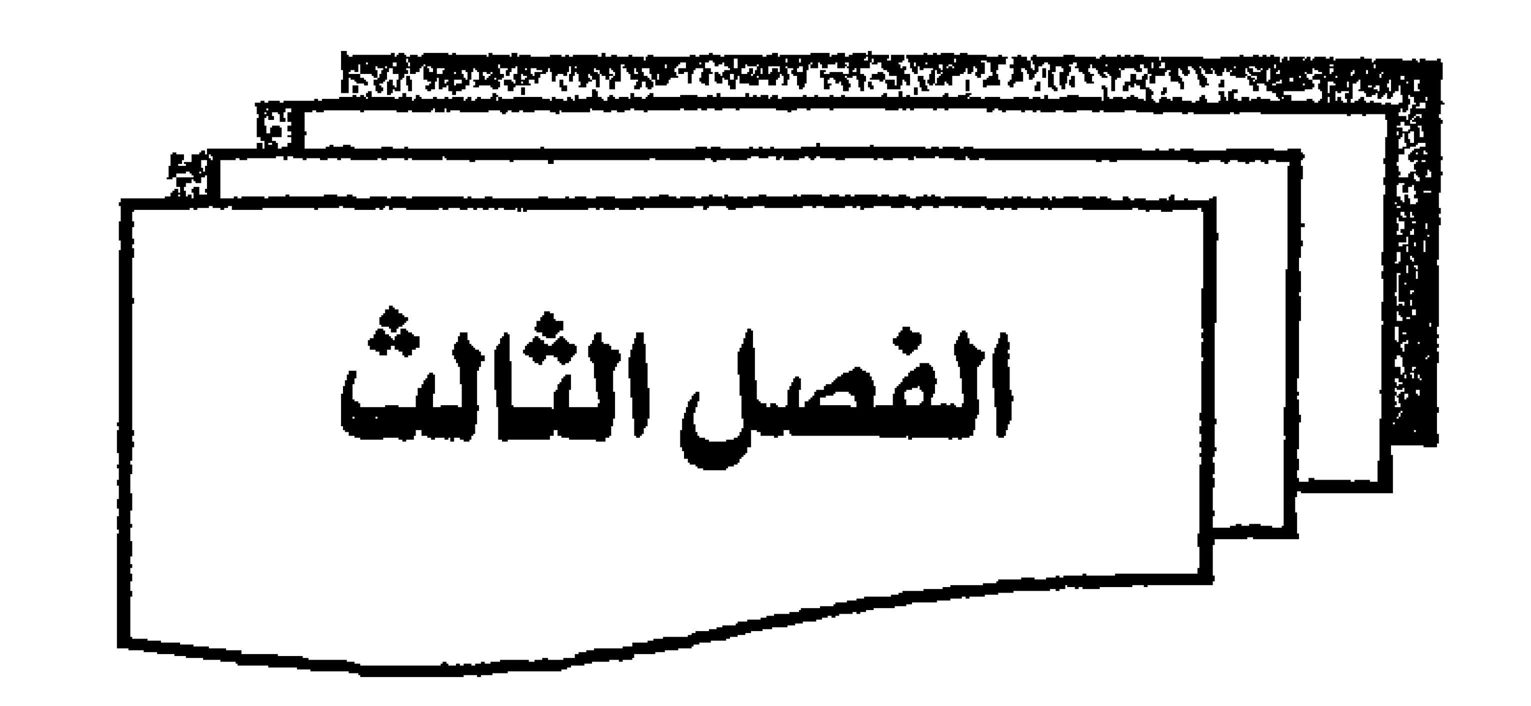
(1) القلقشندى:صبح الأعشى،ج٣،ص ٣٦٩، أبو المحاسن النجوم الزاهرة،ج٤،ص ٥٣ ،
Lane poole (st) : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 81 .

(2) عن إنشاء دار للضرب بقوص يذكر المقريزى أن الأمير مؤيد الملك تولى قوص سنة ٥١٦هـ وأمر أن يبنى فى قوص دار ضرب وجهز معه مهندسين وضرابين وسك العين والورق وعشرين ألف دينار وعشرين ألف درهم فضة ، فضربت هناك دنانير ودراهم وصار كل ما يصل من اليمن والحجاز من الدنانير وغيرها يضرب بها ،السيد طه أبو سديره :الحرف والصناعات، ص ١٩٤–١٩٥

(3) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٦٢ .

(4) المقريزى : الخطط ، ج٢، ص ١٠٦ .

فـى عهـد الدولـة الإخشـيدية " حـين تـولى الحسـن بـن زورعـة قضـاء مصـر ٣٢٤هـ/ ٨٤٨م تـولى أيضـاً الإشراف على المواريث ودار الضرب . الكندى : الولاة والقضاة ، ص٥٦٢-٥٦٣ .



البناء الاجتماعى لمدينة قفط
منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى
(٢٠-٤٨٧ هجرية / ٦٤٠ -١٠٩٤م)

أولاً : القبائل العربية وفروعها :

(١) القبائل العدنانية : بنو أمية – العمريون – العلويون – الجعافرة – العقيلات – مضر – شيبان – بنو ربيعه – بنو هلال – بنو سليم – بنو مخزوم – بنو كاهل .

(٢) القبائل القحطانية : بلى – جهينة – الأنصار .

(٣) عناصر سكانية أخرى : (النوبة – البجة – التكارنه – الرقيق – العبابدة – البشارية البدو (المعازة) .

ثانياً : المؤثرات العربية على المصريين :

* اختلاط العرب بالمصريين ونشر العروبة فى منطقة قفط .
* المظاهر القبلية بقفط (القبيلة – الحلف – الولاء –العريف) .

ثالثا : المظاهر الاجتماعية فى قفط فى العصر الإسلامي :

* الأخلاق والعادات والكرم والزواج .
* الحياة العامة .
* الأعياد والمواسم .
* حفل الختان .
* المأكل والملبس .
* المأتم والجنائز .
* دور المرأة فى المجتمع القفطى .
* المجالس الاجتماعية .

البناء الاجتماعي لمدينة قفط فى العصر الإسلامي :

أولاً : القبائل العربية وفروعها :

انتشـرت القـبائل العربية فى صعيد مصر منذ الفتح العربي لمصر (سـنه ٢٠ هـ / سنة ٦٤١ م)، واستقرت كل قبيلة فى المنطقة التي سكنت فيها وهاجرت إليها، وعاشت هذه القبائل كطبقة أرستقراطية متعالية على من سواها في المجتمع المصرى، بصفتها صاحبة السيادة العسكرية، التي قضت علـى الحكم البيزنطى، وتخلص أقباط مصر من الظلم والتعسف الروماني، وظـل العـرب على هذا الوضع إلى أنَ جاء العصر العباسي، وما تبع ذلك خلال القرن الثاني الهجري[1].

انعكسـت التغيرات السياسية التى شهدتها مصر خلال القرنين الثالث والـرابع علـى الحـياة الاجتماعية فيها، فقد صاحب قيام دولتي الطولونيين والإخشـيديين، ازدياد نفوذ وأعداد العنصر التركي ذلك العنصر الذي ينتمي إلـيه الـولاة أنفسهم، كذلك كثرت عناصر أخرى كالسودانيين، وفى العصر الفاطمي أُضيف إلى تلك العناصر المغاربة والروم وغيرهم[2].

ثـم ظهـر لون من الحياة المدنية نتيجة لاهتمام الولاة بمظاهر دور إمارتهم، ومحاولتهم التشبه بالخلافة العباسية كما فعل ابن طولون فى إنشائه مدينة القطائع[3]، أو كما فعل الفاطميون عندما أقاموا مدينة القاهرة واتخذوها عاصمة لخلافتهم وأنشأوا بها كثيراً من القصور[4]، وكانت هناك ظاهرة هامة كـان لهـا أثراً كبيراً فى تحديد معالم التطور الاجتماعي ، تلك هي ظاهرة انتشار الإسلام وما تبع ذلك من انتشار الثقافة العربية وانتقالها من الفسطاط

---

(١) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢١٢ .

(٢) رضوان محمد الجنانى : القبائل العربية فى القرنيين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٣٨ .

(٣) حسن أحمد محمود : مصر الطولونية ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(٤) آدم متز : تاريخ الحضارة ، ج٢ ، ص٣٦٧، ٣٦٨.

إلى مدن وأقاليم مصر الداخلية التى ظلت متمركزة فيها منذ الفتح، ولقد كان مرجع ذلك إلى انتشار القبائل العربية واستقرارها فى جهات مصر[١].

فمنذ أوائل القرن الثاني الهجري كان نزول – قيس – فى الدلتا من عوامل انتشار الإسلام[٢] وقامت القبائل العربية فى القرنين الثالث والرابع بعد نشـــر الإسلام والعروبة فى مناطق الوجهين القبلي والبحري ، واستقرت ما بين الدلتا وأقصى الصعيد [٣].

ومـــن أهـــم عوامل انتشار العروبة والإسلام ، القرار الذي أصدره الخلـــيفة العباسي المعتصم بالله عام (٢١٨ هـــ) ، وهو حرمان العرب من الديـــوان وقطع العطاء عنهم[٤] الأمر الذى ترتب عليه أن انطلق العرب نحو المجـــتمع المصـــري، واندمجوا فيه تعويضاً عن العطاء الذى سقط عنهم ، فتعلموا الحرف المصرية مما دعاهم إلى الاختلاط بالمصريين ومعاملتهم فى كافة المجالات اليومية[٥] كما نتج عن ذلك انتشار الإسلام والثقافة العربية فى مختلف أنحاء مصر، وتنازل العرب عن أرستقراطيتهم مع بداية القرن الثالث الهجـــري[٦]، وكـــان مـــن أثر هذا الاختلاط أن اندمجت القبائل العربية مع المصـــريين فى كافة أعمال الحرف اليومية ، وبالتالي حدثت مصاهرات بين العـــرب والمصريين ، الأمر الذى أدى إلى ظهور العرب كطبقة من طبقات

---

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة ، ص ١٢٠ .

(٢) ماكمايل : تاريخ القبائل العربية فى السودان ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٣) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٣٢ – ٣٣ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٣ ، ويذكر المقريزى : أن المعتصم العباسي أمر واليه على مصر " كيدر بن نصر الصفدى " بإسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم بمصر واستبدل مكانهم من الجند الأتراك والموال . مما أدى إلى انسياح العرب فى الريف والمدن ، وزاولوا نشاط السكان المستقرين. البيان والإعراب ، ص ١٧٣ ، ١٧٤.

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٦ ، سيد كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٦٣ .

(٦) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

المجتمع المصري لها خصائص جديدة فأصبح العرب مصريين وأصبح المصريون عرباً[1].

وانقسمت القبائل العربية التى أقامت فى مدينة فقط من حيث نسبها إلى قسمين كبيرين هما القبائل العدنانية التى تنتمي إلى معد بن عدنان - جدهما الأكبر ، والتى كانت تعيش فى النصف الشمالي من شبه الجزيرة العربية، ويطلق عليها العرب المستعربة[2] والقبائل اليمنية أو القحطانية، والتى كانت تعيش فى جنوب شبه الجزيرة العربية وأطلق عليهم العرب العاربة[3].

١- القبائل العدنانية :

نزحت غالبية تلك القبائل إلى أرض مصر زمن الفتح ، طلب الوالى حيثرة بن سهيل الباهلى ١٢٨هـ بعضاً من القبائل العدنانية لإنزالهم مصر حتى لاتستأثر القبائل اليمنية بالنفوذ والتفوق فى بلدان الصعيد ، وينقسم العدنانيون إلى قسمين وهما : قبائل مضر - وقبائل ربيعه ، وكل قسم من

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٨ ، مصطفى محمد سعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١١٠ .

(٢) العرب المستعربة : وهم عرب الحجاز فهم بنو عدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم(عليه السلام) وسموا بذلك لأن ما يتكلم به من لغة إسماعيل (عليه السلام) كان العبرانية ، والسريانية ، فلما نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة تزوج منهم فسموا بذلك المستعرب ويقال لهم المتعربة ويطلق عليهم أسم عرب الشمال القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١ ، ص ٣١٥ .

(٣) العرب العاربة : وهم عرب اليمن من ولد قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام) ويذكر عنهم العرب العرباء ، ويطلق عليهم أسم عرب الجنوب ، آبى الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، (استنبول ١٩٣٨ م) ، ج١ ،ص ٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١ ص ٣١٥ . * وهناك العرب البائدة : وهم العرب الأوائل الذين ذهبت تفاصيل أخبارهم لتقادهم عهدهم ، وهم قوم عاد وثمود وجدهم الأولى ، وكانت على عهد عباد ، فبادروا وانتهت أخبارهم ، ومن ناحية جرهم الثانية فهم من ولد قحطان ، وبهم أتصل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ولم يبقى من ذكر العرب البائدة إلا القليل . أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر(طبعة القاهرة بدون تاريخ) ، ج١ ، ص٩٩ .

هذيـــن القســـمين ينقسم إلى عدة فروع صغيرة ، وأهم القبائل العدنانية التى استقرت فى هذه المدينة هي :

بنوأميـة :

بطن من بطون قريش العدنانية [١] وتذكر بعض المراجع المعاصرة أن فـــريقاً من بنى أمية ، قد جاء إلى مصر فى زمن الخليفة الراشد " عثمان بـــن عفـــان " سنه (٢٤ - ٣٥ هـــ/ ٦٣٤ - ٦٥٥ م) ، ومن المعروف أن مصــــر أصـــبحت ولاية خاضعة لبنى أمية بعد أن ضمها معاوية بن سفيان لحوزتـــه فى سنة (٣٨ هـــ) [٢] ، الأمر الذي أتاح للأمويين حرية المجيء إلـــى مصر ، وبالتالي فقد زادت هجراتهم ، ولكن في العصر العباسي كانت هجـــرات الأمويـــين إلى مصر أكثر وضوحاً بعد أن تعقب العباسيون أبناء عمومـــتهم من الأمويين بالقتل والنفى والتشريد[٣] فهرب بعض الأمويين إلى مديـــنة قفط فراراً من المذابح التى كانوا يتعرضون لها[٤]، وأقام فريقٌ كبيرُ من جند عبيد الله وعبد الله – أبناء الخليفة مروان ابن محمد فى منطقة مدينة قفـــط[٥]، وكان من الذين فروا بأرواحهم وأنفسهم هو عاصم بن أبى بكر عبد العزيـــز بـــن مروان الذى فر بنفسه إلى مدينة قفط ومعه أخوة عمر وأولاده الـــثلاثة " عـــبد الملك، وإبان، ومسلمة[٦] واستقروا فى قفط ولما سمع الوالى

---

(١) قريش : مجموعة قبائل من نسل مالك بن النضير بن كنانة مدركة بن مضر نذار بن معد بن عدنان وقيل من ولد فهر بن مالك ، وقريش جماع نسب وليس بأم ولا باب ولا حاضن ، والتقرش عند العرب يعني التجمع . المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٢٣ ، ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٨٠

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩ .

(٣) مكى شبية : السودان عبر القرون ، (بيروت ١٩٦٥ م) ، ص ٢٧ .

(4) A.H Saleh : Le Migrations bedoiunes en Egypt Ou Orientale Dynopoli Mayen Age , Istituo Orient ale di Napoli (Napoli 1981) VOL 41, P. 12.

(٥) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٥، ٢٨٦ ، مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، ص ٢٠ .

(٦) الكندى : المصدر السابق ، ص ٩٨ – ٩٩ .

العباســـى صـــالح بن على خبرهم بعث فى طلبهم واعطاهم الأمن والأمان فنزحوا إلى الفسطاط سنة ١٣٣هـــ- ٧٥١م وفى الطريق تم القضاء عليهم(١).

ولـــم يقتصـــر ســـكنى الأمويين على مدينة قفط بل انتشروا فى مـــنطقة الصـــعيد الأعلى فمنهم من قطن فى منطقة عيذاب(٢)، وأيضاً ســـكنوا حـــول اخميم من ناحية الجنوب حتى مدينة قفط(٣) وقطنوا فى أسوان من ناحية الجنوب على مدينة قفط(٤)، وهكذا نرى قبيلة بنى أمية قد قطنت المدينة وشكلت عنصراً من عناصر السكان فى إقليم قفط حتى العصر الفاطمي(٥).

العمريـون :

وهـــم بطـــن من قريش(٦) ينسبون إلى عمر بن الخطاب الذى ينتمى نســـبه إلى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب(٧)، وقد جاء إلى مصر عناصر من بنى عدى منذ الفتح العربي لها(٨)، وقد سبقت الإشارة إلى الدور الذى قام

---

(١) الكندى : المصدر السابق . Garcin : Uncentre Musulman , PP .60, 61

(٢) المقريزى : البيان والأعراب ، ص ١٤٥ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ٢٥٦ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٤) ومن موالى بنى أمية بأسوان أحمد بن معاوية بن عبد الله الأسوانى العالم المتوفى سنة ١٧١ هـ وأيضا هارون بن يوسف الأسوانى من موالى عثمان بن عفان ، ومعاوية بن هبة الله الأسوانى المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، وبلال بن يحيى الأسوانى (ت ٢١٧ هـ) ومحمد بن عبد الوارث بن جرير (ت ٢٩٧ هـ) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥ ، ٦٨٩ ، ٦٤٨ ، ١٧٤ ، ٥٤٣ ، وعثر على شاهد فى جبانه أسوان يحمل اسم محمد بن حيوى بن حفص الاموى (ت ٢٥٤ هـ)

Abd Ar – rahman Abd Al – Tawab , Steles is Islamiques, VOL,I , p.126. (le caire 1977 , 1982 – 1986) Hassan : The Arabs and The Sudan , P : 57 .

(٥) مكى شبية : السودان عبر القرون ، ص ٢٠.

(٦) السمعانى : أنساب العرب ، (ليدن ١٩١٢ م) ج١ ، ص ٣٨٦.

(٧) القلقشندى : صبح الأعشى ،ج ١ ص ٣٥٥.

(٨) محمد بن حامد المراغي : شذا العرب الندى فى تراجم علماء بنى عدى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٨٠١ ، ميكروفيلم ١٦٥٦ ، ورقة ٤ .

بـــه عـــبد الرحمن العمرى الذى ينحدر من ذرية عمر بن الخطاب فى بلاد الـــبجة المتاخمة لحدود مدينة قفط[1] إذا استطاع أن يجمع الحشود من ربيعه وجهيـــنة وغـــيرهم وزحف إلى بلاد البجة والنوبة، واستطاع أن يضع حدا لغارات البجة على حدود مصر الجنوبية[2]، ومن المحتمل أن ذرية أبى عبد الرحمن العمرى ظلت فى أرض المعدن ومنطقة الصعيد الأعلى[3].

وعـــثر على شاهد قبر نقش عليه إسم أم أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العمرى المتوفاه سنة ٢٥٩ هـــ[4] الدليل على ذلك أن بعض العمـــرية من بنى عدى قد جاء إلى مصر ولحقوا بإخوانهم فى منطقة مدينة قفط فى أواخر العصر الفاطمي.

قبيلة قريش :

تنتمـــي هـــذه القبيلة إلى ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركـــة بـــن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[5]، ويطلق نسب قريش على مجموعة من القبائل العربية التى وفدت إلى مصر فى زمن الفتح العربي[6] فقد نزل البعض منهم الفسطاط وكانوا من ضمن أهل الراية[7] وفى

---

(١) المقريزى : المقفى الكبير ، ج٤ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ .

(٢) المقريزى : البيان والأعراب ، ص ١٢٠ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ م ، ص ٩٦ .

(3) Saleh : Les Migrtions bedoiunes Egypt ou Mayen Age , p . 12 .
محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص : ١٩٨ .

(4) Hawary et Raehed, Steles Funeraire , vol , III , p . 52 .

(٥) المقريزى : البيان والأعراب ، ص ٣٣ .

(٦) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٨٥ .

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٩٨ ، ابن دقماق : الأنتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤، ص ٣ . المقريزى البيان والأعراب ، ص ٩٩ .

العصر الأموي والعباسي وفد إلى مصر من القريشين الذين هاجروا مع ولاة الأمويين والعباسين[1].

وقـد بدأت بطون قريش منذ الربع الأخير من القرن الأول الهجري الـزحف تجاه الجنوب، كما فعل بنو أمية من قريش، حيث فروا إلى منطقة مدينة قفط ، خوفا من اضطهادات بني العباس لهم ، ومما يؤكد وجودهم فى هـذه المنطقة، ثورة دحية بن مصعب الأموي فى سنة ١٦٧ هـ[2]، وتغلبه علـى عامة المنطقة، وهذا دليل علي وجود عصبية قرشيه قوية هناك، ومن موالـى قـريش ظهـور بعـض الـثوار العلويـين مـن قـريش كـابن الـصوفى[3]، وبغا الأكبر وبغا الأصغر ما بين عامي (٢٥٣ هـ - ٢٥٥ هـ) ولوجود عدد كبير من القرشيين فى هذه المنطقة، ومن العرب بصفة عامة، ما خرج هؤلاء الثوار على السلطة الحاكمة فى هذه البلاد خلال عهد أحمـد بن طولون[4] وذلك على نحو ما أوضحنا من قبل ومشاركتهم فى تلك الأحداث السياسية .

وفـى منتصف القرن الثالث الهجري جاءت هجرة من القرشين إلى مـنطقة قفط حتى بلغوا أسوان وكثر عددهم[5]، وصارت لهم الغلبة فى بلاد هـذه المنطقة[6] ولم يقتصر سكنى القرشيين على قفط بل انتشروا فى منطقة

---

(1) Macmical , Ahistory of the Arabs in the Sudan , vol I , p . 141.

(2) أبـو المحاسـن : الـنجوم الزاهـرة ، ج ٢ ، ص ٤٩ . ومـن مـوالى قـريش ذى الـنون الإخميمـى الـزاهد ياقـوت الحمـوى : معجـم الـبلدان ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، عـبد الله خورشـيد الـبرى : القـبائل العـربية ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(3) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٥٦ هـ .

(4) الكندى: الـولاة والقضاء، ص ٢١١. وهناك شاهد قبر باسم "بلقيس أبنت هاشم بن عبد الرحمن بن على بن وردان القرشى Wiet:Steles Funereires Catalogue du Mussee, Arabe,Vol II, P: 72

(5) المسعودى :مروج الذهب، ج ٢ ص ١٨، عبد الله الخورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر، ص ٨٩.

(6) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٩٠ ، Saleh : Ibid ,p . 12

الصـــعيد الأعلى وشاركوا أبا عبد الرحمن العمرى فى حروبه ضد البجة ، واســـتوطنوا أرض المعـــدن وتـــزاوجوا مـــع البجة[1]، ويؤيد ذلك ما ذكره المقريـــزى أن فـــريقاً مـــن القرشـــيين إستقروا فى وادى العلاقى وإشتغلوا بالتعدين[2].

ويذكر ماكمايكل[3] أن فريقا أخر من القرشين قد عبروا البحر الأحمر فى عصر الطولونيين (٢٥٤ – ٢٩٢ هـــ / ٨٦٨ – ٩٠٥ م) ، واستقروا فـــى المـــنطقة المـــتأخمة لحدود مدينة قفط من ناحية الجنوب[4]، وقد أظهر الفاطمـــيون مـــيلا إلى العرب وخاصة القرشيين ، ورحبوا بهم، وقد توافدت قبائل قريش على بلاد منطقة قفط والصعيد الأوسط التى صارت تعرف باسم " بلاد قريش"[5].

وقـــد عثر على شواهد قبور يحمل أصحابها أسماء تأتى فى نهايتها كلمـــة القرشى مثـــل عمارة بنت موفـــق بن يحـــيى بن عبد الله القرشـــي (ت١٩٠ هـــ)، وآمنة بنت عبد القرشى (ت ١٩٨هـــ)[6] وحين بن يوسف بن يعقوب القرشي (ت ٢٥٠ هـــ)[7].

العلويـون :

هـــم أبـــناء البيت الهاشمي، وينتمون إلى على بن أبى طالب ابن عم النبـــي صـــلى الله عليه وسلم، وينقسم العلويون إلى فريقين وهما: الحسنيون والحسينيون، وقد تأخر ظهورهم فى مصر[8]، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن

---

(1) عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان ، ص ١٧١ .

(2) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ١٠٧ .

(3) Mac micheal : Ahistory of the Arbsin the Sudan, p. 142

(4) القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ١٨٦ .

(5) Yusuf Fadl: the Arabs and the Sudan, p. 94.

(6) Hawary et Rached, Steles Funeerair, Vol, I, p . 15 . 25.

(7) Wiet : Steles Funeraire vol, p 178.

(8) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر، ص ١١١ .

الحسن والحسين لم يشهدا الفتح العربي لمصر، ولم يتحرك العلويون نحو مصر إلا فى أواخر العصر الأموي بسبب ما تعرضوا له على أيدي حكام بنى أميه من القتل والتشريد[1].

وأشار ياقوت الحموي[2] على وجود العلويين فى مدينة قفط بقوله: "أن مدينة قفط وقف على العلوية من أيام على، وليس فى ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها وأيضا سكنوا فى المنطقة المتأخمة لحدود قفط من ناحية الصحراء الشرقية ، فقد وجدت بعض العناصر العلوية منذ العصر الطولونى ، وأن أبا عبد الرحمن العمرى قد تمكن من قتل جعفر بن إسحاق بن عبد الله من أولاد جعفر الصادق بعد أن تغلب على البجة، ولم يكن تجاوز سبعا وعشرين عاما ، ولم يزل قبره موجودا فى المنطقة[3]، وقد أشار بعض الباحثين إلى وجود عناصر علوية فى مدينة قفط فى العصر الفاطمي[4]، مما يؤكد على وجود عناصر علوية فى مدينة قفط .

أ- الطالبيون :

الطالبيون هم بطن من البيت الهاشمي ، ممن ينتمون إلى أبى طالب من بنى هاشم ابن عبد مناف عم الرسول علية الصلاة والسلام ، وكان يعرف بمصر كل من ينتمي إلى العباسيين والعلويين والجعافرة وبنى هشام وهم بطن من عبد المطلب بن هاشم من قريش من العدنانيين[5].

ومن ذرية على بن أبى طالب التي عاشت بإقليم قفط أحفاد الحسن والحسين، من فاطمة بنت الرسول علية السلام، وقد عرف أحفاد الحسن

---

(1) أحمد حسين النمكي : صحراء مصر الشرقية فى العصر الفاطمي ، ص ١٣٢ .

(2) معجم البلدان : ج٧ ، ص ١٣٩ .

(3) ابن فندق : لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ، تحقيق السيد الرجائي (بيروت بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(4) محمد عبده الحجاجي : عالم وكتاب القفطي وأخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مجلة الأمة ، قطر ، العدد السادس عشر ، (١٩٨٢م) ص٢٤٢ .

(5) القلقشدى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص : ١٤٢ .

بالحسـنيين، أمـا أحفاد الحسين عرفوا بالحسنيين[1] وينتمون إلى محمد بن عبدالله عندما ظهرن دعوة بني الحسين ١٤٤هـ - ١٤٥ وبعد فشل حركته اضطر للاختفاء في قرية من أعمال قفط بالصعيد[2] نذكر أن الحسينين ممن عاشوا في مدينة قفط ، فقد ظهر على إحد شواهد القبور الذي يؤيد وجودهم بالمنطقة من يحمل إسما ينتمي إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٣١٥ هـ)[3].

وكانت هناك ظاهرة هامة أن الحسيتين أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، وهي أن الأسماء التي تنسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب يسبق معظمها كلمة الشريف أو الشريفة ، ويبدو أن أحفاد الحسين بن علي هم الذين عـرفوا بالأشـراف دون غيرهم من ذرية علي بن أبي طالب ، ومن رواية للقلقشـندي تـرجح أن لقب الأشراف قد أقتصر على أحفاد الحسين بن علي دون غـيرهم[4]، كما عثر على شاهد قبر لشخصية تنتمي إلى ذرية علي بن أبـي طالب من ولده محمد الملقب بابن الحنفية (ت٨١ هـ)، تلك الشخصية هـي زينب ابنة علي بن عيسى بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب ، والمتوفى حوالي منتصف القرن الثالث الهجري[5].

ب - قبيلة الجعافرة :

وهم الفرع الأول من البيت الطالبي الذي ينتمي إلى جعفر الطيار بن علي بن أبي طالب حيث نزلت منهم بمنطقة مدينة قفط[6]، وفي أعقاب الفتنة

---

(1) محمود الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص ١٩٥ .

(2) الكندي : الولاه والقضاة ، ص ١١١ - ١١٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١ - ٣ .

(3) Wiet : Steles Funeraire , Vol, IV, P: 180.

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(5) Wiet : Steles Funeraire , Vol , VI , PP: 177 – 178 – 190 .

(6) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر ، ص : ٦٧ (دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م) ، عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص ١٥٩ . =

التى حدثت فى عهد الخليفة عثمان ابن عفان نزحت إلى مدينة قفط[1]، ويشير المقريــزى أن الجعافــرة المنســوبين لجعفر بن أبى طالب، وسمى بجعفر الطــيــار[2] بينما يذكر القلقشندى[3] فى هذا الصدد أن جماعة الجعافرة هى التى تنتمى لجعفر الصادق من أحفاد الحسين بن على قد استوطنوا فى مدينة قفط،ومــن بطونهــم الجــبارة وهم أولاد حيدرة والسلاطنة وهم أولاد أبى جحــيــش[4] وقد قطن الجعافرة مدينة قفط الذين ينحدرون من سلالة جعفر الطــيار بــن أبــى طالب ، وقد أتوا إلى مصر فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميــلادى[5].

وأشــارت شواهد القبور التى عثر عليها وأصحابها هم "إبراهيم بن محمد بن محمد بن يحيى ابراهيم بن محمد بن جعفر اين ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (ت٣٨٥هــ)[6]، ومحمد بن ياسين بن محسن الجعفرى(ت٣٤٥هــ)[7] وجوهرة مولاه أم الحسين المعروفة ببليانة

---

* جعفر الطيار : وكنى بذلك لانه عندما قطعت يده بمؤتة سنة ٨ هـ ، من أرض الشام بعد زيد بن حارثة ووجد أكثر من ثمانين جرحاً ، وكان عمره أربعين سنة فحزن عليه النبى حزناً شديداً ، ثم رأى فيما كشف له أن له جناحين مملوئين بالدم يطير بهما مع الملائكة فى الجنة ولهذا سمى بجعفر الطيار .
المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ،
عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ١١٤ .

(1) عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص ٣٢ .

(2) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٣٣-٣٦

(3) : صبح الأعشى ، ج١ ، ص ٣٥٩ .

(4) وأشار المقريزى إلى جماعة أخرى فى أسيوط من سلالة أولاد إسمعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن بى طلب يعرفون بأولاد الشريف قاسم . البيان والإعراب ، ص ٣٣-٣٤ .

(5) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، ص ٣٣ .

(6) Wiet : Steles Funeraire , Vol. , VI, P : 3 .

(7) Wiet : op-cit , Vol. , VI, P : 3 .

ابـــنه محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن جعفر بن ابى طالب (ت ٤٥٥ هـــ)[١].

ج – العقيلات :

وهـــم الفـــرع الـــثانى من البيت الطالبى فهناك فرع بنى عقيل الذى انحـــدرت مـــنه قبـــيلة العقيلات أو العليقات[٢] والتى سكنت منطقة قفط فى العصـــر الإسلامى الأول بجوار بنى عمومتهم الأشراف الجعافرة والعلويين من حسنيين وحسينيين .

يشير المقريزى إلى أن العليقات عشيرة من جملة العشائر التى تعمل فى وادى العلاقى بعد أن أجدب الوادى ولحق به الدمار والخراب فنزحوا إلى إقليم قفط وهم ينتمون إلى عقيل بن أبى طالب[٣]، وقد جاء بعض من أشراف العقيلات إلى مدينة قفط منذ عصر الولاة (٢١- ٢٥٤ هـــ/٦٤١ - ٨٦٨ م) وظهر منهم مسلم بن بكار العقيلى (١٧٧ - ١٧٨ هـــ/ ٧٩٤ -٧٩٥ م)[٤]، كما تم العثور على أحد شواهد القبور وهو لأحد العقيليين نزلت العليقات فى قـــوص واســـتقروا بجانب الحاجر الشرقى من النيل وامتلكوا فيه الأراضى الواســـعة والـــبعض الأخر من فروع تلك القبيلة نزحت إلى وادى العلاقى، وكانـــت العلـــيقات فى مدينة قفط إما أن يكونوا من فروعها، أو من عربان أخرى دخلت فى العليقات بالحلف والولاة [٥].

---

(١) محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ١٩٧ .

(٢) وتنسب قبيلة العليقات إلى ذرية مسلم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابى طالب المبرد : نسب عدنان وقحطان (القاهرة ١٩٣٦ م) ، ص : ١٤ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر ، ص ٧٩

(٣) المقريزى : البيان والإعراب ، ص : ١٦٠ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص : ١٣٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

(٥) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص : ١٢٨ ، ١٣٧ .

البيت فى قشير *** والعدد فى عقيل

البرى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

وتـــزايد العليقات فى مدينة قفط فى عهد الفاطميين، وتزايدت أعداد أحفاد الهاشميين من حسنيين وحسينيين وذلك لقرابتهم القوية بهذه الدولة من جدتهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

(٥) قبيلة مضر :

أمـــا مضر فهى قبيلة عربية عدنانية ، وهى من مضر بن نزار بن عدنـــان ، كانـــت ديارهم باليمامة شرقى شبة الجزيرة العربية ، وكانت لهم الرياسة فى مكة والحرم[2]، ولكنها نزحت من المشرق وتركت أوطانها تحت ضغط بنى الأخيضر لهما ونزلوا مصر ولحقوا بإخوان لهم فى الفسطاط[3]، حيث واصلوا رحلتهم جنوباً إلى الصعيد الأعلى بالعيالات والذرية ، فاستقروا حول مناجم الذهب فى سنة ٣٣٢ هـــ فى منطقة قفط [3].

وهـــذا ما أكده المسعودى بقوله[4]: "وتزوجوا من البجة فقويت بمن صـــاهرها وقويت بالبجة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضـــر بن نزار فمن سكنوا تلك الديار" وفى منتصف القرن الثالث الهجرى طلب عبد الرحمن العمرى من المضرية مساندته فى حرب ضد البجة الذين قـــتلوا أخاه إلا أنهم رفضوا ذلك ولم تنضم إليه فنظم قصيدة القى فيها باللوم والسخط على مضر جاء فيها[5] :

---

(١) أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر ، ص ٨٦ .

(٢) المضريون : هـم أولاد نزار بن معد بـن عدنـان ومـنهم مضـر وربيعة وإياد أولاد نـزار ، ابـن حـزم الأندلسى جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون(القاهرة ١٩٨٢ م) ،ج١ ، ص١٠ – ١١.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص : ١٢٦ – ١٢٧ .

(٤) اليعقوبى : البلدان ، ص ١٢٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣١ ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧ – ١٩٨ ، عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص : ١٠٦ – ١٠٧ .

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص ١٨ .

(٥) المقريزى : كتاب المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ – ٤١٠ .

(٦)

إذ جــزى الله أقــوامــاً بعــاديــة

فلا جـزى مضـراً عنــا بإحســان

أعنى الذين بشط النيـل مسكنهـم

ما بين قوص إلـى ساحـات أســوان

عليـا تميـم ومــا كــانـت بخاذلـة

فى النائبـات ومــا كانــوا بـدلان

ويتضح من ذلك أن منطقة قفط قد امتلأت بالسكان من قبائل مضر فقد تحالفوا مع قبائل ربيعة فى هذه الأماكن وقبيلة مضر تمتعت بنفوذ قوى فى بلاد البجة واستمروا بها حتى العصر الفاطمى[1].

بنوشيبان

هم أحد فروع قبيلة ربيعة وبطن من بطونها وينسبون إلى شيبان[2]، وقد هاجر فريق منهم إلى مصر سنة (١٢٧ - ١٢٨ هـ /٧٤٦ - ٧٤٧م)، وفى سنة(٢٠٧ هــ / ٨٢٢ م) نزح فريق من بنى شيبان مع القائد خالد بن يزيد الشيبانى الذى جاء إلى مصر بأمر من الخليفة العباسى المأمون من أجل الإستيلاء علــى مصــر من يد الوالى عبيد الله بن السرى، ويبدو أن خالد الشيبانى فشل فى تلك المهمة وخرج من مصر عائداً إلى بلاد الحجاز[3].

ومما لاشك فيه أن أفراداً من بنى شيبان من الذين جاءوا مع القائد خالد الشيبانى استطابت لهم الحياة فى مصر، وبصفة خاصة فى مدينة قفط[4].

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨ – ٢٢ ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، اليعقوبى : البلدان ، ص ١٢٣ .

(٢) شيبان بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١، ص ٣٣٨ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٧٤ – ١٧٧ ، وعبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ١٤٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ١٣٩

وكـــان مـــنهم من يقطن بالقرب من مدينة قفط من بيوت بنى شيبان نذكــر منهم محمد بن محمد بن عيسى بن نحام بن نجده بن معتوق الشيبانى الشـــاعر[1]، ويذكـــر الكندى[2] أن خلق من ربيعة وفد إلى مصر سنة (٢٠٧ هـــ / ٨٢٢ م) فى حملة عسكرية بقيادة خالد الشيبانى استطابت لهم الحياة فى مصر ومدنها[3].

ويشير الأدفوى[4] إلى أن نزوح بنى شيبان بالقرب من قفط وفى بلده تدعـــى الطود[5] قائلا: "وكان طود بلداً بحراً وكان بنو شيبان ممدوحين" وقد قطنـــت جماعـــات من بنى شيبان جنوب مدينة قفط ، بينما فريق منهم نزلوا بـــأرض المعـــدن مـــع أبـــناء عمومتهم من بنى قيس بن ثعلبة[6]، وقد أشار المقريـــزى إلـــى وجـــود بعـــض من بنى ثعلبه فى صحراء مصر الشرقية المتأخمة لحدود مدينة قفط[7]، ومما يؤكد على ذلك وجود شاهد قبر نقش عليه اسم حسين بن مقبل مولى بشر بن شعيب بن داود الشيبانى المتوفـــى سنـــة (٣٨٧ هـــ) وجد فى الجنوب من مدينة قفط[8].

**حيث وردت بعض أسمائهم والتى كان من أشهرها الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن احمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة الشيبانى(ت ٦٤٦هـ) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٤٣٦-٤٣٧.

(1) الأدفوى : المصدر السابق ، ص ٦١٣ .

(2) الولاة والقضاة ، ص ١٧٤ ، عطية القوصى : تاريخ دول الكنوز الإسلامية ، ص٢٢ ، ٢٣ .

(3) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٧٤ ، ١٧٦ .

(4) : الطالع السعيد ، ص : ١٧ .

(5) قرية الطود : هى إحدى القرى التابعة لمدينة الأقصر ، وهناك جماعات من بنى شيبان فى منطقة مدينة قفط التى سكنها قبائلهم من قبل خلال العصر الإسلامى الأول ، ففى قرية الطود مركز الأقصر – وقرية المخزن – مركز قوص تابعة لمحافظة قنا لا تزال تعيش فيها سلالات يعرفون بقبيلة الشيبانية . على الخطيب : القفطى حياته وأدبه (الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٨٣) ص ٢٨– ٢٩ .

(6) محمود محمد الجويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٠٣ .

(7) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٤٤ .

(8) Wiet : Steles Funeraire , Vol , VI, P : 49 .

قبيلة "الكنوز"

تنتمـــي إلى نزار بن معد من عدنان[1]، وكانت ديارهم في تهامة من بـــلاد شبة الجزيرة العربية[2]، فهاجر بعض منهم إلى مصر على زمن الفتح العربـــي لمـــصر[3]، وقـــد تمـــت هجرة ربيعه لمصر تحت ضغط من بني الأخيـــضر الذين أجبروهم على الجلاء عن اليمامة فنزحوا إلى مصر[4]، ثم جاء منهم جيش كبير سنة(٢٠٧ هـــ)مع خالد الشيباني – الذي تولى مصر حيـــنذاك[5]، ولكـــن الهجـــرة الفعلية لربيعه إلى مصر تمت في عهد الخليفة المـــتوكل على الله العباسي سنة (٢٤٠هـــ – ٨٥٤ م) حيث نزحوا في أعداد كبيرة، وانتشروا في منطقة قفط[6].

وأرتفـــع نجم ربيعه عندما استطاعت بقيادة أبي عبد الرحمن العمري ســـنة (٢٥٥ هــــ) أن تضع حدا لغارات البجة على مدينة قفط فقد اتصلت ربـــيعه منذ ذلك الحين بالبجة وأصهروا إليهم[7] فقويت ربيعه بذلك إلى حد اســـتطاعت معه أن تحتل وادي العلاقي وأن تسيطرعلى معادن الذهب به[8]، وفي حوالي القرن الرابع الهجري ، سيطرت ربيعه وأمتد نفوذها على مدينة قفط ومصر العليا نظرً لكثرة رجال بني ربيعه وتميزت بكثرة رجالها وتفوقها

---

(1) ابن الحنبلي : الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٩٠٧ ح ميكروفيلم ٥٠٣٧٨ ، ورقة ٣٠٢ .

(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ ، عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية ، ج ٢ ص ٤٢٤ .

(3) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر ، ص ١٣٩ .

Saleh : Les Migratiens bedoiunes Egypt ou Mayan Age , p . 14

(4) المقريزي : المصدر السابق والصفحة .

(5) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر ، ص ١٤٠ .

(6) المقريزي : البيان والإعراب ، ص ٤٨ .

(7) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٨

(8) المسعودي مروج الذهب ، ج٢ ، ص ١٨ . المقريزي : الخطط ج١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

العـــددى الأمر الذى جعلها تقوم بدورٍ هامٍ فى تزاحمهم على الذهب ودخولهم فـــى حـــروب القبائل العربية الأخرى من أجل السيطرة على تلك المناجم ، وعلى المناطق الواقعة فى أرض المعدن والتى تقع شرق مدينة قفط[1]، وكما اســتمر تواجدهم فى تلك الجهات حتى عصر الفاطميين ، يشير إلى ذلك أن أحد أحفاد إسحاق بن بشر ويدعى أبو المكارم هبة الله وكان مواليا للفاطميين وقــد نجـــح فى إلقاء القبض على الثائر الأموي أبى ركوة الذى خرج على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وخلع علية الحاكم لقب كنز الدولة كما أشرنا مـــن قـــبل ومنذ ذلك الحين صار لقبا توارثته القبيلة فأشتهروا ببنى الكنز[2] وعـــرفت بهذا الاسم وظل متداولا لها حتى عصرنا الحاضر ، وإستطاع بنو ربـــيعه فى العصر الفاطمي أن يؤسسوا لهم إمارة عرفت بأسمهم فى وادي العلاقى وقد أعترف بها الخلفاء الفاطميون[3].

بنــو هــلال :

تعتبـــر قبـــيلة بنى هلال[4] من أقوى وأشهر القبائل العربية العدنانية التـــى سكنت منطقة قفط ، وأشارت المصادر التاريخية إلى ظهور بنى هلال فى مصر فى منتصف القرن الثالث الهجري، فظهر منهم عبد الله بن حليس الذى قاد ثورات أهل الحوف ضد الدولة العباسية سنة (٢١٤ هــ-٨٢٩م)[5]،

---

(١) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، ص ٣٥ ،

Saleh: Les Migations bedoiunes Egypt ou Mayen Age p . I4

(٢) المقريـزى : البيـان والاعـراب ، ص ١٢٤ – ١٢٥ ، ويوسـف فـضل : المعـالم الرئيـسية فـى الهجـرة العـربية إلى السودان ، ص ١١٧ .

(٣) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ١٢٣ ، ماكمايكل : دخول العرب السودان ، ص ١٤.

Arkell : A History the Sudan From the ear liast Time to (1821) p . 20 .

(٤) بنو هلال : فهم ينتمون إلى هـلال بـن عامـر مـن صعـصعة بـن معاويـة بـن بكـر بـن هـوازن بـن منـصور بـن عكـرمة بـن خـصفه بـن قـيس بـن مـضر بـن نـزار بـن عـدنان . المقريـزى : البيان والإعـراب ، ص ٢٨ ، ابـن حبيب : مختلف القبائل العربية ومؤتلفها تحقيق إبراهيم الابيارى ، ص ٤٧ .

(٥) السيد طه ابو سديرة : الهلاليه فى صعيد مصر ، ص ١٦ .

ويؤيد ما ذكره القلقشندى[1] من أن ظهور بنى هلال فى مصر كان متأخرا، وعلى الرغم من ذلك إلا أنهم انتشروا فى منطقة قفط وبلاد الصعيد كلها[2].

وتشير المصادر التاريخية فى نفس الوقت إلى نزوح بطون من بنى هلال إلى منطقة الصعيد الأعلى ، فقطن منهم بنو رفاعة وبنو حجير ، وبنو عزيــز ، كمــا أقام بنو عقبة وبنو جميلة فى أسنا وهى إحدى مدن إقليم قفط آنذاك ، ولم يقتصر سكنى بنى هلال على منطقة مدينة قفط بل انتشروا حول أخمــيم ومن بطونهم بنو قره ، وبنو عمرو بساقية قلتة وقطنوا بها من ناحية الجــنوب حتــى مدينة قفط[3]، كما قطن من بنى هلال بمنطقة قفط الدويحية والغزارية بأسنا[4]، ووجدت أعداداً كبيرة منهم بمدينة قفط وما فوقها من بلاد الصعيد الأعلى[5]، بينما يرى البعض أن قبائل السعادى بالواحات تنتسب إلى الهلالــية حيث أقامت أعداد كبيرة منهم بالواحات ، ويرجع نسبهم إلى سعدى بــنت غازي الهلالية[6] الذين استوطنوا مدينة قفط[7]، وبنو هلال من القبائل العربية التى تتصف بشدة المراس ، وفى كل مكان كانوا يقيمون فيه يحدثون لــونا من الشغب وخاصة في العصر الفاطمي ففى سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) هزموا الجيش الفاطمي ولكنهم هزموا بعد ذلك[8]، ومن ثم حاول الوزير أبو

---

(1) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، ص ٢٧٠ ، المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٢٩ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١ ، ص ٣٤١ ، السيد طه ابو سديرة : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(3) القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٣٥٦ ، قلائد الجمان ، ١١٩ ، المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٢٨ ، ١٢٨ ، Hassan : the Arabs and the Sudan , p . 137 ،* ومن بنو هلال : بنو قره الدين سكنوا قرية بمدينة أسيوط تحمل اسمها إلى يومنا هذا ، المقريزى : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(4) القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(5) القلقشندى : نهاية الأرب ، ص ٢٠٢ ، المقريزى : البيان والأعراب ، ص ٢٧ .

(6) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٥٥ .

(7) أحمد لطفى السيد : القبائل العربية فى مصر ، ص ٥٦ .

(8) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٢ ، ص ١٣١ ، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، ص ٢٩٩ ، السيد طه ابو سديرة : الهلالية فى صعيد مصر . ص٥١ ،٥٥ .

محمد الحسن اليازورى (٤٤٢ - ٤٥٠ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥٨ م) وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أن يتخلص من بنى هلال الذين أستفحل خطرهم فى الصعيد الأعلى وبخاصة فى قفط وخوف الفاطمين منهم فأرادوا أن يتخلصوا منهم عن طريق السماح لهم بعبور النيل والتوجه إلى بلاد المغرب للقضاء على غريمهم المعز بن باديس الصنهاجى صاحب القيروان[١].

بنوسُلَيمْ :

وقد نزل ما يقرب من مائة أسرة من قبيلة بنى سليم إلى الحوف الشرقي فى هجرة قيس الكبرى (١٠٩ هـ)، على يد ابن الحبحاب[٢]، ويبدو أنهم نزحوا إلى مناطق إقليم مدينة قفط حيث أشتغل أفرادها بالزراعة وتربية الخيول نظرا لطبيعة البيئة التى تشبه بيئتهم[٣].

وهم من القبائل العدنانية التى جاءت إلى مصر فى العصر الفاطمى وكانوا يقطنون منطقة الحجاز بين المدينة بالقرب من الطائف وكانوا يطيفون رحلة الشتاء والصيف وأطراف العراق والشام ، وكانوا يغيرون على الحجاج

---

(١) السيد طه أبو سديره : الهلالية فى صعيد مصر ، ص٦٠ ،٦٧ .

كما إشتهرت السيرة الهلالية فى سائر المدن والقرى المصرية ، كما ذاع صيتها فى البوادى وتغنى بها الشعراء كما ذاع صيت هذه السيرة أو إسطورة بنى هلال وبنى سليم أيام العلامة المؤرخ ابن خلدون ، وقد أورد بعض ما كانوا يزعموه حول أسباب هجرة الهلالية وبنى سليم من نجد إلى تونس ، وما جرى بعد زواج الجارية (الجاز) من الأمير حسن بن سرحان وهروبها معه إلى افريقيا (تونس) ثم فارقها للأمير سرحان وزواجها بعد ذلك من الماضى "بم قرب" زعيم الهلالية ومحاولتها مرة أخرى العودة إلى قبيلتها بعد أن غاضبت زوجها ....إلخ .

السيد طه ابوسديرة : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٥٨ .

(٢) البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٠٩.

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٧٦ - ٧٧ ، راضى دغفوس:مراحل الهلالية فى المشرق،ص ٢١٩ - ٢٢٠.

وكثيراً ما أرسل الخلفاء العباسيون قادتهم لتأديبهم حتى انضموا إلى القرامطة ونقلوا بعد هزيمتهم إلى منطقة قفط[١].

وقـد هاجر بعضهم فى نهاية القرن الثالث الهجري إلى مدن وقرى مـنطقة مدينة قفط باستخراج معدن الذهب والزمرد[٢]، وبمضي الوقت بدأو يعيـثون فساداً فى مدينة قفط[٣]، مما أضطر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أن أجاز لهم عبور النيل ، كما هو الحال لبنى هلال والذهاب لقتال المعز بن بـاديس[٤]، الخـارج عن طاعة الفاطمين والذى أعلن استقلال المغرب عن سـلطتهم[٥]، ودعا للعباسين فيها ومن ثم أقام بنو سليم ، وبنو هلال في بلاد المغرب بعد انتصارهم على المعز بن باديس وقسموا هذه البلاد فيما بينهم ، وبعـد ذلك انتشروا فى مدينة قفط والجزء الجنوبي منها حتى صحراء مصر الشرقية[٦].

---

(1) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٣ .

(2) اليعقوبي : البلدان ، ص ١٢٣ ، البرى : المرجع السابق ، ص٤٠ .

(3) المقريزى : البيان والاعراب ، ص٦٦. Saleh Op – Cit , p. 10 .

*لم يكتف المعز بن باديس أن يجهر باستقلاله،بل بالغ فى ذلك فأمر بامنهم فى الخطب ولما كان عيد الأضحى أمرالخطيب أن يسب بنى عبيدفقال:"اللهم والعن الفسقة الكبار"السيد طه أبو سديره:الهلالية في صعيد مصرص٦٠،هامش٢

* ويذكر الكندى أن هجرة بنى سليم إلى مصر كانت ضمن هجرة قيس الكبرى ، فأنزل الوالى عبيد الله بن الحجاب سنه ١٠٩ هـ / ٨٢٨ م البعض منهم فى منطقة بابيس ، والبعض الآخر في منطقة القلزم ، واشتغلوا مع إخوانهم من بني هلال كجمالين ، الولاة والقضاة ، ص ٧٧ .

(4) المعز بن باديس : أعلن أستقلال المغرب عن الفاطميين ، ودعا إلى الخليفة القائم بآمر الله العباسي وقطع الخطبة للفاطميين ، ودعا للمذهب السني ، ونقش اسم الخليفة القائم على السكة بدلا من اسم الخليفة المستنصر ، أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص٥١٧ .

السيد طه أبو سديره : الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي الأول ، ص ٥٨ .

(5) المقريزى : البيان والاعراب ، ص ١٢٦ .

(6) المقريزى : المصدر السابق والصفحة .

بنو مخزوم :

بـــنو مخزوم هى إحدى قبائل قريش ، وهم بنو مخزوم بن يقظة بـــن مرة بن كعب ، وبه اشتهرت القبيلة يقظة لكثرة عقبه ، ومنهم خالد بـــن الوليد أحد أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو جهل بن هشام وأخوه العاص بن هشام اللذان قتلا كافرين يوم بدر[١] .

ومـــن بـــنى مخـــزوم جماعة بصعيد مصر الأعلى اشتهرت باليأس والشدة [٢]، وأنهم عاشوا فى منطقة قفط فى العصر الإسلامي الأول وقد عثر علـــى شواهد قبور لأفراد من بنى مخزوم من بينهم ابن صدقة بن أحمد بن سيار بن أحمد المخزومى (ت ٤١٠ هـــ)[٣] .

الكواهـل :

لقـــد اختلف الباحثون فى نسب الكواهل ، وهناك رأى يقول أنهم كانوا حلفاء بنى ربيعه على حين أرجعهم البعض الآخر إلى بنى ربيعه، وفى رأى ثالث أنهم يرجعون إلى القبائل العربية العدنانيه إلى كاهل بن أســـد بن خزيمة [٤]، واستقروا فى المنطقة الواقعة بأرض المعدن حتى

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٢) القلقشندى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(3) Wiet : Steles Furneraire , VI , P : 58

كما ظهر منهم ضياء الدين إبراهيم بن مكي بن عمر بن نوح بن عبد الواحد الدمامينى المخزومى · وكن منهم عتيق بن محمد الدمامينى المخزومى · وكل هؤلاء ينتسبون إلى إحدى قرى منطقة قفط وهى قرية الدمامين ، ولم يقتصر سكنى بنى مخزوم على قرية الدمامين بل انتشروا فى المنطقة الواقعة غرب قمولا التابعة لمنطقة قفط · ومنهم نجم الدين أبو العباس أحمد بن مكى بن يسن القرشى المخزومى القمولى · الإدفوى : الطالع السعيد ، ٣٥٩ ·

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٤٣ .

شـــمال مدينة قفط وكانت معهم ذرياتهم كما يرى البعض أنهم ينتسبون إلى البجة[1].

ويتضـــح من هذه الروايات من هذه الروايات اتصال البجة بالكواهل ســـواءً من ناحية النسب أو الجوار، فكان البجة يفضلون الانتساب تحت اسم الكواهل لأنهم كانوا يفضلون النسب العربي على نسبهم المنتهى إلى فراعنة مصـــر[2]، ويـــبدو أن الكواهل مثلهم مثل بقية القبائل العربية التى صاهرت البجة واندمجوا فيهم لم يعد لهم وجود أو كيان مستقل عنهم[3].

ويذكر المقريزى أن الكواهل سكنوا مدينة قفط وصحراء مصر الشـــرقية ، وإنهم عملوا مثل غيرهم فى استخراج معدن الزمرد[4]، ولم يقتصـــر سكنى الكواهل على مدينة قفط بل انتشروا فى المناطق القريبة مـــنها جـــنوب عيذاب[5]، الأمر الذى يدل على أن بنى كاهل كانوا أحد عناصر السكان فى منطقة قفط فى العصر الفاطمي .

القبائل القحطانية :

تنســـب القـــبائل العربية إلى جدهم الأعلى قحطان ، وهم الذين ســـكنوا الجـــزء الجنوبى من شبة الجزيرة العربية ، ويعرفون بالعرب العاربـــة ، أو العـــرب العرباء أى العرب الحقيقيون ، وكان هذا الفرع العظيم من القبائل العربية منقسم بدورة إلى عرب كهلان وعرب حمير، وقد نزحت إلى مصر قبائل قحطانية عديدة ، البعض منها جاء قبل الفتح

---

(1) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(2) أحمد حسين النمكي : صحراء مصر الشرقية فى العصر الفاطمى ، ص ١٣٨ .

(3) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(4) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ١٦٤ .

(5) المقريزى : المصدر السابق والصفحة ، ابن بطوطه : الرحلة ، ج١ ، ص ٣١ .

العربي لمصر والبعض الآخر جاء بعد الفتح العربي لمصر، ثم انتشرت هذه القبائل في الصعيد الأعلى حتى العصر الفاطمي وهي من أهمها :

بلـي :

كانـت بلـي[1] من أشهر القبائل العربية القحطانية التي قطنت منطقة قفط قبل الفتح العربي لمصر، حيث قطنوا المنطقة التي تقع بين قـنا والقصير، وكان الاعتماد عليهم في نقل التجارة الهندية قبل ظهور الإسلام[2]، وانتشرت بلي بين صعيد مصر وبلاد الحبشة[3].

وتعد بلي من أكبر قبائل العرب التي هاجرت إلى مصر ، حيث يذكر المقريـزي[4] أن حملـة العـرب على بلاد النوبة (٣١ هـ) كانت عدتها عشـرون ألـف كان أغلبهم من قبيلة بلي اليمنية المقيمة بمنطقة مدينة قفط وكانـت مصر بعد نزول بلي إلى منطقة قفط قد تنازعت في بداية الأمر مع قبيلة جهينة، حيث جرت مفاوضات الصلح بينهما ، ونتيجة لذلك قطنوا أرض إقلـيم الصعيد الأعلى من البحر شرقا إلى النيل غرباً ومن القلزم شمالا إلى عيذاب جنوبا [5].

---

(١) بلي : تنسب هذه القبيلة إلى عمرو بن الحافي بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمـير بـن سـبأ بـن يشـجب بـن يعـرب بـن قحطـان . العمـري : مسـالك الأمصـار، ص ١٥٨ ، المقريزي : البيان والإعراب ، ص ٢٩ ، القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٨٠

Hassan : The Arabs Of The Sudan , PP: 14-15 .

(٢) جرجي زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٣ .

(٣) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، محمد أحمد محمد : القبائل اليمنية في ولاية عمرو بن العاص ، ص ٩٦ .

(٤) الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، ممدوح الريطي : دور القبائل العربية ، ص ٢٦٩.

Hassan : Op-cit, pp 137 – 138 .

ولـم يقتصـر سـكنى بلى على منطقة قفط والصحراء الشرقية بل انتشـروا كذلـك فى منطقة مصر الوسطى بالإشمونيين ، وظلوا هناك حتى العصـر الفاطمي إلى أن طردوا منها ليفسحوا المجال أمام قبائل قريش التى شـجعتها الدولـة على الاستقرار بالإشمونيين ، ولهذا اضطرت بطون بلى وحليفتها جهينة إلى النزوح إلى مدن وقرى مصر العليا[1].

وهكـذا كـثرت بطون بلى فى إقليم قفط بحثا عن الثروة ، كما اشـتغلوا فـى استخراج معدن الزمرد والذهب، ومن بطونها بنو هنى، وبنو هرم ، وبنو سواده ، وبنو خرافة ، وبنو رايس ، وبنو ناب ، وبنو شادى [2].

كذلـك اسـتقرت بعض بطونها فى قفط وهم بنو خيار[3]، وقد شـاركت قبـيلة بلى فى كثير من الأحداث السياسية التى شغلت الإقليم حيـث اشـترك أبـناؤها فى ثورة ابن الصوفي العلوي ضد أحمد بن طولون، وكان ذلك لانتشار المذهب الشيعى بين أفراد القبيلة [4].

جهينة :

وهي من القبائل العربية التى تنتمي إلى زيد بن ليث بن أسود بن أسـلم بن الحافي ابن قضاعة[5]، وبعد ظهور الإسلام دخلت جهينة فى

---

(1) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٣٧ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ، ص ٤ .

(2) المقريزى : المصدر السابق والصفحة .

(3) العمـرى : مسـالك الابصـار ، جـزء قـبائل فـى العـرب فـى القـرن٧ ،٨ هــ(بـيروت ١٩٨٥ م) ، ص ١٥٨ القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٥- ٤٦ ، المقريزى : البيان ، ص ٢٩- ٣١ .

(4) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ .

(5) ابـن حـزم : جمهـرة انسـاب العـرب ، ج٢ ، ص ٤٤٤ ، المقريـزى : البـيان ، ص ٣٢ ، القلقشـندى : نهايـة الأرب ص ٢٢١ .

الإسلام بدون مقاومة، ثم ما لبثت جهينة أن انتشرت بعض فروعها فى بلاد العراق مثل الكوفة والبصرة[1].

وتشـــير المصادر أن الغالبية من قبيلة جهينة توجهت إلى مصر منذ الفـــتح العـــربى لها، وهذا ما أشار إليه المقريزى[2] "من أن جيش عمرو بن العـــاص كان يشمل على عدد كبير من أبناء قبيلة جهينة، حيث اختطوا حول مسجد عمرو بن العاص فى الفسطاط مثل بقية أهل الراية[3]، غير أن جهينة لم تتقيد بمساكنها فى الفسطاط، وزحفت بطونها نحو مدن وقرى إقليم الصعيد الأعلـــى ومنها مدينة قفط"[4]، وعاش عدد كبير من عناصر قبيلة جهينة فى منطقة قفط والجهات المجاورة لها ، ومنها الساحل الصحراوي لدشنا[5]، كما يذكـــر البتنونى أنهم أقاموا قرية حجازة من ناحية الجنوب حتى مدينة قفط ، وهـــناك فرع منهم يدعى – بنو موسى – والذى انحدر منة البراهمة بمركز قفط[6].

كمـــا اســـتوطن بنو مالك الذى تفرع منه العيايشه من قبيلة جهينة، بقـــوص ، وهكـــذا يمكن القول بأن قبيلة جهينة قطنت سائر الإقليم فى عهد الولاة[7]، لم تستمر قبيلة جهينة في مواطنها فى مدينة قفط ، بل نزح أفرادها إلـــى مـــنطقة النوبة ، فمهدوا السبيل إلى نشر الدين الإسلامي فى هذه البلاد المســـيحية، وكذلـــك اللغـــة العربية ، فحطمت جهينة بذلك قوة مملكة النوبة

---

(1) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٢٣٩ .

(2) البيان والإعراب : ص ٣١ ، محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٠٩ .

(3) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٨ – ٩٩ ، ابن دقماق : الإنتصار : ج ٤ ، ص ٣ .

(4) السويدى : سبائك الذهب ، ص : ٢٥ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٢٣٩ .

(5) عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص ٣٢ .

(6) البتنونى : الرحلة الحجازية : (القاهرة ١٩٦١م) . ص ٥١.

(7) البتنونى : المصدر السابق والصفحة.

وخطرها على منطقة إقليم قفط[1]، وخاصة بعد زيادة قوة جهينة بسط نفوذها في منطقة النوبة[2].

وأشــار بعض المؤرخين إلى أن الجيش العربي الذى اقتحم صحراء مدينة قفط في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بقيادة أبى عبد الرحمن العمــرى كــان يشتمل على عدد كبير من جهينة[3]، وقد ساهمت جهينة فى الحمــلات الحربــية الموجهة إلى بلاد البجة فى العصر الطولونى[4]، ومن موالى قبيلة جهينة الذين إستقروا فى مصر العلياء سهل بن الربيع الأخميمى (ت ٢٤٩ هــ) ، وابنة أحمد بن سهل (ت ٢٨١ هــ)[5].

قبيلة الأنصار :

وهــى مــن فروع القبائل القحطانية التى قطنت مدينة قفط وما حولهــا فــى العصر الإسلامي الأول وهى تنتسب إلى قبيلة الأزد التى أنحــدر مــنها الأوس والخــزرج ، وقد عرفوا بالأنصار لأنهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم[6].

---

(١) مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٧ .

(2) Miacmichel : History of Arab Tri bes in the Sudan_, PP : 138- 139 .

(٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالي : ص ٢٠٩ .

(٤) ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأ أو الخبر،ج ٢،ص٢٤٧،٥١٦،المقريزى:البيان والإعراب ، ص ١٤٩.

(٥) الكــندى : الــولاة ، ص ٢٠٢ ، ويشير الـرحالة ابـن بطوطـه ، إلى أنـه شـاهد منازل جهينة فـى عيذاب ، وأنهم قد اختلطوا في تلك المنطقة مع بنى كاهل ورفاعة فانتشرت منازلهم على شاطىء البحر الأحمر وسكن الـبعض مـنهم أطـراف صحراء مصـر الشـرقية عـلى حـين ان الـبعض الأخـر مـنهم فضـلوا حياة البداوة على حياة الحضر ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب قديماً وحديثاً ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ٣٢٢ .

(٦) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٤٧ .

وممـــا لاشك فيه أن هناك فرع من الأنصار قطن فى مدينة قفط أو بالقــرب منها[1]، وتشير المصادر التاريخية إلى ذلك ، وليس أدل على ذلك مــن أســماء علماء ترجم لهم الأدفوى فى سائر القرى والمدن بمنطقة إقليم قفـــط[2]، وهناك ثمة شواهد تنتمي أصحابها إلى قبيلة الأنصار، نذكر منها علــى بــن الحجــاج بــن فرقد الأنصارى (ت٢١٥ هـــ)وأحمد بن نادي الأنصـــارى(ت ٢٥٧ هـــ) ، وزينب ابنه بن عثمان ابن نادى الأنصـــاري (ت ٣٤٩ هـــــ) ومحمد بن سليمان الأنصاري (ت ٤٢١ هـــ)[3] ولا زالت تعيش فى مدينة قفط بطون تعرف بالأنصار حتى وقتنا الحاضر.

عناصر سكانية أخرى :

وهـــناك عناصـــر سكانية أخرى شاركت فى البناء الاجتماعي لمديـــنة قفط ، لعل منها من استوطن المدينة قبل الفتح الإسلامي ومنها من نزح إليها فى أعقاب الفتح ونذكر من المجتمعات القبلية :

النوبة ، البجة، التكارنة، الرقيق، العبابدة، البشارية، البدو، المغازة .

* النوبيـــون :

ومــن العناصـــر الســكانية التى عرفتها مدينة قفط فى العصر الإســـلامي الأول وهـــم النوبـــيون معروفون فى مصر بالبرابرة[4] فقد

---

(1) المقريزى : البيان والإعراب ، ص٤٧ .

(2) الأدفــوى : الطــالع الســعيد لنجــباء الصــعيد ، ص ١٦٥ – ١٦٦ ، ويــبدو أن قبــيلة الأنصــار نــزح أحــد فروعها إلى مدينة قفط وقراها ومنها إسنا ، ومما يؤكد ذلك هـو وجـود إحدى عائلتها ينتسب إلى هـذه القبـيلة ، ويعــرفون باسـم الأنصـار حــتى الوقــت الحــالى ، ولــيس أدل عــلى ذلــك مــن قــول بعـض المؤرخــين المعاصــرين فمسند القــرن الأول الهجــرى أقــام الأنصــار فــى أســوان ، ويــبدو أنهــم نــزحوا إلى أســوان عــن طــريق مدينــة قفـط وقــد عــثر عــلى شــاهدين لــرجلين مــن تلــك القبــيلة إشــتركا فــى فــتح مصر فى مدينة أسوان .

Wiet : Steles Funoraire , Vol , V III , P : 34 .

(3) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٠٨ .

(4) بوركهارت : رحلاته فى بلاد النوبة والسودان ، ص : ١٧٠ – ١٧١ .

شغلوا مساحة واسعة على ضفاف النيل جنوبي أسوان حتى شمال مدينة قفـط[١]، وقـد أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادى النـيل الممـتدة علـى جانـبى هـذا النهر العظيم بين مدينتين أسوان والخـرطوم الحالية وعرفوا بلادها مصر بإسم - القصر - وهى تبعد عن أسوان خمسة أميال إلى الجنوب[٢].

ويـبدو أن أحـد فـروع سلالة النوبيين قد قطن بمدينة قفط فى العصـر الإسلامى الأول ، وتنتسب تلك المنطقة إلى قاطنيها من هؤلاء السكان ، وليس أدل على ذلك مما أشار إليه جاستون فيت[٣] من إنه قد عـثر علـى شواهد قبور يرجع تاريخها إلى القرون الإسلامية الأولى يحمل أصحابها أسماء عربية مسلمة تنتهي بكلمة النوبي آمنة ابنة مهدى بـن يحـيى النوبي (ت ٢٥٥هـ) وكامل موسى النوبي (٢٥٨ هـ)، وأبـو بكـر أحمد عمرو النوبي (ت ٢٦٥ هـ) وحنه إبنة كامل النوبي

---

[١] ولعل لفظ بربر هو الأصل فى الاسم الذى يطلق على النوبيين ، ويعنى به البرابرة وهو لفظ لا يستعملونه هم فى بلادهم ، فهم يسمون أنفسهم النوبيين والكنوز ، نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ،ج ١ ، ص ٥١ .

(*) بوركهارت : المرجع السابق والصفحة .

[٢] عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٤١ . ** ويرجح البعض تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام ، عطية القوصى : المرجع السابق ، ص ٤١ .

والنوبة كالبجة من بقايا الشعوب التى تألفت منها المملكة الأثيوبية القديمة وقد اختلفت الآراء فى أصلهم فمنهم من قال أنهم والبجة من أصل واحد ومنهم من ألحقتم بالنوبة السود والذين هم إلى جنوب كردفان ، ومنطقة النوبيين الخلص تمتد من كيلو ١٨٣ جنوب أسوان حتى ٣٥٠ متر جنوب أي حتى التقاء حدود مصر الجنوبية بجمهورية السودان ، وتبدأ القرى التى كانوا يسكنونها بقرية كورسكو فى الشمال وتنتهي بقريتي بلانة وأدندان فى الجنوب وأشار أحد الباحثين أن النوبيين كان منهم من يقطن مدينة قفط فى العصر الإسلامي الأول ، وحتى هذا العصر الذى نعيش فيه الآن يطلق اسم النوبة على منطقة سكنية كبيرة فى إقليم قفط نعوم شقير : تاريخ السودان ، ج١، ص ٥١-٥٢ ، محمود الحويرى: أسوان فى العصور الوسطى ،ص٢٥٥.

[3] Wiet : Steles Funeraire , vol VIII , PP : 30 – 156 .

(ت ٢٧٢هـــ) ويوسف ابن يعقوب ابن سلام النوبي (ت ٢٦٠ هـ) وزبيدة ابنة جابر النوبي (ت ٣٠٧ هـ) .

• البجة (البجاة) :

فإن اسم البجة ورد صريحا فى بعض النقوش الأكسومية التى ترجع إلـى القـرن الثانـي والثالث قبل الميلاد[1] وتأتى أول إشارة إلى البجة فى المصـادر العربـية بعـد ظهور الإسلام فى كتاب فتوح مصر والإسكندرية للواقـدى[2]، والمعروف لدى المؤرخين أن الجزء الجنوبي من مدينة قفط قد سكنته قبائل حامية عرفت باسم البجة ، وهم عنصر قديم سكنوا تلك المنطقة منذ آلاف السنين ، فهم مثل شعب النوبة ذو عروق متأصلة فى القدم[3].

ويبدو أن أفراد منهم عملوا بالبريد بين قفط والفسطاط أو مصر كمـا عرفت فى عصر الإخشيديين حيث ما زالت إحدى محطات البريد تحمل اسمهم حتى وقتنا الحاضر .

أمـا عن أوطان البجة فى إقليم قفط فى العصر الإسلامي الأول فهم يحـتلون المـنطقة الواقعة فيما بين البحر الأحمر ونهر النيل[4] ولم يقتصر سـكنى الـبجاة على تلك الجهات وإنما انتشروا فى أرض الحبشة من جهة

---

(1) Paul : A History of the baga tribes of the Sudan_. PP : 24 – 25 .

(2) الواقدى : فتوح مصر والإسكندرية ،(بيروت ١٩٦٠) ص ٢٧ .

(3) يسرى الجوهرى : السلالات البشرية (القاهرة ١٩٦٦ م) ص ٣٤٣ ، محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ، ص ١٠ ، (القاهرة بدون تاريخ) ، وقيل أيضاً أنهم أقدم شعوب القارة الأفريقية وهم كما يقول القلقشندى من أنقى السودان لوناً ، بينما يذكرهم القزوينى بأنهم جنس من الأحباش ، أما المسعودى فيرى أنهم من ولد كوش ابن نوح عليه السلام ، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، ص ١٧٩ صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، أثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨ مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤ ، سعاد ماهر ، محافظات الجمهورية ، ص ١٧٩ .

(4) الهمدانى : البلدان ، ص ٧٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

الجنوب ، ومن جهة الشمال أرض الصعيد "صعيد مصر"[1] واستطاع البجة فـــي تلك المنطقة أن يتشعبوا فرقاً كثيرة[2]، لذا يبدو أن أهل البجة أهل نجعة وارتحـــال مـــن أجـــل تربية الماشية[3]، ولذلك فهم يتنقلون وراء الأعشاب والكـــلأ[4]، فاســتقر الــبعض منهم بالقرب من مدينة قفــط في منطقـــة عيـــذاب[5] والبعض الآخر في المنطقة الواقعة جنوب مدينة قفط حيث الذهب والزمـــرد[6]، بالإضـــافة إلى أن غالبية سكان البجة انتشروا بطول الطريق التجاري الممتد من مدينة قفط إلى عيذاب[7]، وبلغ البجة من الكثرة في منطقة قفط حتى أن أبا مروان بشر بن إسحاق زعيم ربيعة كان يسير في ثلاثين ألفا مـــن حراب البجة[8]، كان لهم في القرن الثالث الهجري ملك يدعى كنون بن عـــبد العزيز[9]، والراجح أن أمه بجاويه ووالده من ربيعة حيث كان العربى ابن البنت أو ابن الأخت .

العبابدة :

ويعتـــبر العبابدة من أهم فروع البجة وهم الفرع الثاني ويرون أنهم ينسبون إلى الزبير بن العوام وهو أحد صحابة رسول الله صلى الله علـــية وسلم ، الذى جاء إلى مصر زمن الفتح العربي لمصر إذ أرسله

---

[1] الإدريسي : صفة بلاد المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٣٦ .

[2] المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص١٨،. Hassan: The Arab sand the Sudan. PP: 38 – 39

[3] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ ، نادية بدوى : حلايب ، ص ٩٧ ، ١٧٣ .

[4] المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

[5] القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠

[6] شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، ص ٣٢٧ . Hassan : Op – Cit , P: 67

[7] نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ، ص ١٧ . Hassan : OP –CIT, P 67

[8] المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨ .

[9] المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

عمــر بن الخطاب نجدةً لعمرو بن العاص خلال معارك الفتح(١)، ومن الواضح أن اسم العبابدة قد اشتق من اسم جدهم عباد الذى أختفي ذكره مــن أحــداث الــتاريخ غير أن اسمه ظل باقيا يطلق على وادى عباد المواجهــة لمدينة إدفو جهة الشرق(٢)، ويجدر الإشارة إلى الرأى القائل بــأن كل القبائل الرحل المستقرة فى مصر(٣) يرجع جذورها إلى أصل عــربى وبالــرغم مــن ذلك نجد أن العبابدة التى استقرت فى مصر لا تنــتمى إلــى أصل عربى مع أنها إحدى القبائل الطليعة فى صحروات مصر(٤).

أشــار إليها كحالة: "إن العبابدة من قبائل العرب فى مصر وينسبون إلــى عــرب الحجاز"(٥)، بينما يرجح الدكتور محمد عوض محمد(٦) أن اسم العــبابدة والبشارية ما هو إلا أنهم من سليل البجة القدامى الذين روى عنهم المؤرخون فى كتاباتهم على أنهم من الجنس الحامى(٧).

ويشير البعض أن مناطق استقرار العبابدة كانت فى إقليم قفط ، حيث عــاش العبابدة جنوب خط يمتد بين سفاجا وقنا شمالاً، والبحر الأحمر شرقاً ووادي النــيل غربا والحدود الإدارية جنوبا ولهم امتداد طول طريق القوافل التجارية القديمة من حدود مدينة قفط الجنوبية حتى السودان(٨) .

---

(١) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ١٦٣ ، نعوم شقير : تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٢) نعوم شقير : المرجع السابق والجزء والصفحة ، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ، ص ١٨٠ .

(٣) القبائل الرحل : هى القبائل التى تركزت بصحراوات مصر فى العصور الإسلامية ، وخاصة بمدينة قفط فى الجزء الجنوب منها قبيلة بلى ، العبابدة ، البشارية .

(٤) دى بوا ايمية (علماء الحملة الفرنسية) : وصف مصر ، القبائل العربية فى صحراوات مصر ، ص ٢٦٧ .

(٥) عمر رضا كحالة : معجم العرب القديمة والحديثة ، ج ٢ ، ص ٧١٧ .

(٦) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ٢٥٦ .

(٧) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٨) محمد رياض : العبابدة دراسة فى الاقتصاد الصحراوى ، ص ١٠١ ، كوثر عبد الرسول : العبابدة دراسة فى الاستقرار البدوى فى الصعيد والنوبة ، ص ١٤١ .

ويشير المقريزى[١] إلى مواضع إستقرارهم بقوله: "وتمتد من صحراء قوص[٢] إلى أول بلاد الحبشة وهم أهل بادية يتبعون الكلأ حيث كان المرعى ويلبسون أخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء".

بالإضافة إلى ذلك كانت لهم قرى ومدن تحمل أسماء العبابدة فى مناطق متفرقة من إقليم قفط[٣]، حيث لم يقتصر سكنى العبابدة على مدينة قفط ذاتها بل انتشروا فى مناطق متفرقة إلى الشرق منها حتى حدود القصير على ساحل البحر الأحمر[٤].

ومن الجدير بالذكر أن العبابدة كانوا على صلات وثيقة بأهل مدينة قفط، حيث مارسوا نشاطهم فى قرى ومدن الإقليم بحرية تامة، فكان العبابدة يعتمدون جل اعتمادهم على حرفة الرعي حيث كانت حرفهم الرئيسية، نتيجة لذلك أنهم خالطوا الحضر على النيل ، وكانوا يتنقلون فى مدن وقرى الصعيد الأعلى حتى مدينة أسوان ، فكانوا يذهبون إليها بماعندهم من الإبل والفحم وغيرها ، ويرجعون إلى مدينة قفط محملين بالغلال والبضائع[٥].

---

(١) الخطط ، ج١ ، ٣٦٣ ،

(٢) حيث كانت مدينة قوص فى العصر الإسلامي أقل شهرة عن مدينة قفط حيث كانت حاضرة الإقليم حتى العصر الفاطمي ، لذلك كانت قوص تابعة لمدينة قفط . الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) بوركهارت : رحلاته ، ص ٣٤١ ، محمد رياض : العبابدة ، ص ١٠١ ، كوثر عبد الرسول : العبابدة ، ص ١٤١ ** حيث كانت هناك قرى تحمل اسم العبابدة فى إسنا ونجع حمادى وأبو تشت وقوص والكلاحين وقنا .

(٤) سمير خواسك : فى بلاد العبابدة ، (القاهرة ١٩٨٣) ص ١٥ ، ٥٤ .

(٥) بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ص ٣٤١ ، نعوم شقير : تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ٥٠ ، محمد رياض : المرجع السابق، ص ١٠١ – ١٠٢ ، كوثر عبد الرسول : المرجع السابق والصفحة .

*ومن المعروف أن العبابدة ينقسمون إلى أربعة بطون أو عمائر أو بدنات وهى لعشابات ، والليكان والعباديون ، محمد عوض محمد : السودان الشمالي : ص ٨٤ ، محمد رياض : العبابدة ، ص ١٠١ ، ويذكر = أن لبعض من العبابدة يعيش فى جبل عتباى ويذهبون إلى هذا المكان فى كل صيف وكانت لهم فى تلك المنطقة اتصالات وثيقة بينهم وبين إخوانهم من البشارية ، رحلات بوركهارت ، ص ١٦٩ .

البشارية :

وأمـــا القـــسم الثانـــي من فروع البجة فهم البشاريون أو البشارية ، ويعتقد هؤلاء أيضا مثل بنى جنسهم العبابدة ويرجعون بنسبهم إلى الزبير بن العـــوام لكي يكتسبوا منه الأصل العربي[١]، بينما يرى أحد الدارسين إلى أن البـــشارية يرجعون بنسبهم إلى رجل يقال لـــه بشر بن مروان بن اسحق[٢]، وهذا ما أشار إليه المسعودى بقوله: "وسكن فى تلك الديار "ديار البجة" خلق من العرب من ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، فاشتدت شوكتهم وتزوجوا فى البجة ، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعه، وقويت ربيعة بالبجة على مـــن ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الـــديار، وصاحب المعدن فى وقتنا هذا - وهو سنة (٣٣٢ هـــ) أبو مروان بشر بن إسحاق، وهو من ربيعة، ويركب فى ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها مـــن مـــضر والـــيمن وثلاثـــين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف الـــبجاوية، وهم الحداربة ، وهم المسلمون من بين سائر البجة ، وباقي البجة يعبدون الأصنام[٣] ".

أمـــا أهم مناطق انتشار البشارية وأماكن توزيعهم فى مصر بالصعيد الأعلـــى فمعظم البشارية يقطن فى النصف الشمالي من أوطان البجة تتصل بأسوان وتشرف على البحر الأحمر[٤].

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٧٠ .

وأطلق إسم البشارية نسبة إلى لفظ فى اللغة يعنى الجمال . وذلك لعملهم بتجارة الإبل .

محمد مجدى : رحلة مجدى أو ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر سنة ١٣٠ هـ (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٤٠ .

(٢) محمـد عـوض محمـد : المـرجع الـسابق : ص ٩٠ . ناديـة بـدوى : حلايـب ، ص ٤٩ ، محمـود الحويـرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٢٣ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى . ص ٦٢ . نادية بدوى : حلايب ، ص ٦٨ - ٦٩ .

جاءت بطون وعشائر تنتمي إلى البشارية تعيش على الساحل الغربي مـــن صحراء مدينة قفط ويطلق عليهم - الحواجر - والبشارية ، تتكون من أربـــع مجمـــوعات رئيـــسية[1]، وأيضاً سكنوا على جانبي الطريق من قفط القصير[2]، وكانوا يشتغلون بتجارة الإبل وجنوا من ورائها دخلاً كبيراً لدرجة أصبحت مصدر هاماً من مصادر الثروة المعيشية والرزق[3].

ويعتبـــر ســـوق "دراو"[4]هو الملتقى الرئيسي والهام لقبيلتي العبابدة والبشارية إذ تعرض فيه إبلهم ، ومنتجاتهم ، ويأخذون منها ما يحتاجون على سبل حياتهم اليومية[5].

وتجـــدر الإشارة إلى هو اعتماد البشاريين على أسواق كلاً من دراو وأســـوان اعـــتماداً كلـــياً وعلى أهم ما يبيعونه فيها من الإبل والفحم النباتي والأغـــنام[6]، وكان الفحم النباتي يباع فى منطقة قفط وموانى البحر الأحمر، ويقوم ببيعة والاتجار فيه العبابدة من ممتلكي الإبل الذين يقطنون فى حواجر النيل الشرقية حيث تنتشر العبابدة والبشارية فى تلك المناطق من منطقة قفط وزراعة الأشجار من السنط فى أوديتها والتى تستخدم بعد قطعها فى أغراض الفحم المتعددة[7].

---

(1) هم العليان ، الحمد وراب ، والشنصيراب ، والعمراب ، محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص٦٢ ونادية بدوى : المرجع السابق ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(2) سعاد ماهر : محافظات جمهورية مصر العربية وآثارها الباقية ، ص ١٨١ .

الحواجر : وهى تقع من قنا جنوباً حيث إقليم بطن الحجر إلى الجنوب من وادى حلفا الغربية فى إسنا وإدفو تقوم فيها مجموعات عبادية ، كما تقطن العبابدة و البشارية فى إسنا والكلاحين وكلاهما تابع لإقليم قفط ويعيشون فى الحواجر الغربية الملاصقة للوادى أيضاً

محمد خليل الهممى : إقليم قوص منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر المماليك ، ص ٣١٣ .

(3) Hassan :The Arabs and the sudan,p.74 .

(4) دراو : إحدى مراكز محافظة أسون الأن.

(5) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٦٧ .

(6) محمد عوض محمد : العبابدة ، ص ١٣٠ ، ١٣١ . محمود محمد الحويرى : أسوان ، ص ٢٢٠ .

(7) محمد رياض : المرجع السابق ، والصفحة . . Hassan : Op-Cit, P.74

وأطلق اسم البشارية نسبة إلى لفظ بشار فى اللغة العربية يعنى الجمال ، وذلك لعملهم بتجارة الجمال . محمد مجدى ورحلة مجدى أو ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر، ص ١٤٠ .

العبيد " الرقيق " :

من العناصر التى وفدت إلى مدينة قفط الرقيق الأسود، المجلوب من بلاد النوبة، ووفقا لاتفاقية الصلح ، التى عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وقليدروث ملك النوبة والتى ترجع إلى سنة (٣١ هـ) كان على أهل النوبة تقديم ثلاثمائة وستين شخصا[١] من أوسط رجالهم سنويا إلى حاكم الإقليم كما أوضحنا من قبل[٢].

ومن الجدير بالذكر أن غالبية هذا العدد من العبيد كان يبقى فى أرض مدينة قفط للإنتفاع به ، والقيام بالأعباء المنزلية ، كما كان يرسل منهم إلى العاصمة الفسطاط للخدمة فى القصر أو الانضمام إلى صفوف الجيش[٣].

كذلك كانت الديار المصرية من أعظم أسواق الرقيق الأبيض المجلوب من أوربا[٤]، وكان المسلمون يحسنون معاملة عبيدهم ، وذلك عملا بروح الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة وقد أقتنى كثير من الأثرياء فى الصعيد الأعلى الكثير من الجواري والعبيد ، وذلك للقيام بالأعباء المنزلية والزراعية ، أو لإقامة حفلات الغناء والطرب وقد وصل كثير من الجواري إلى مكانه كبيرة لدى أسيادهن حتى أقاموا لهن شواهد قبور[٥].

فمن شواهد القبور التى بلغ أصحابها مكانة عند اسيادهن ، شاهد قبر يحمل اسم سيده جارية عثمان بن سعيد (ت ٢٢٤ هـ) وشاهد آخر باسم مارى جارية اسحق بن كثير بن بدر (ت ٢٤٣ هـ) وشاهد ثالث باسم طائفية جارية أمية بن ميمون (ت ٢٠٥ هـ) حيث بلغ هؤلاء من المكانة

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ٢٥٣ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ٣٣٧ .

(٣) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح الإسلامى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ٢٥٦ .

(٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

(٥) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

عـــند أسيادهم ، فشيدوا لهم شواهد تحمل ذكراهم فعلى سبيل المثال : شاهد قبر باسم مرزوق مولى عبد الرحمن بن عباس بن سلام (ت ٢٥٥ هـــ)(١).

وتشير أوراق البردي إنه أتيح لبعض الجواري(٢) فرصة التعليم إلى درجـــة كبـــيرة من العلم، وبرع منهن في الفنون والأداب ، كما أشارت إلى النظام المتبع في بيع الجواري، حيث كن الجواري تباع وتشترى في أسواق الإقليم، ففي وثيقة كشفت بالقرب من مدينة قفط من ناحية الجنوب في أدفو، تـــرجع هـــذه الوثيقة إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عبارة عن خطاب ببيع جارية نوبية الرقيق وشراء عبد صغير بدلاً منها(٣).

كمـــا كان من عوامل إزدياد أعداد هؤلاء العبيد إقبال كثير من أفراد القبائل العربية على إقتناء العبيد في بيوتهم ، للأعمال الزراعية ، كما انضم بعضهم إلى الخدمة في صفوف الجيش(٤)، وما زالت عائلات في قرى ومدن الإقلـــيم تنتمي لقبائل عربية يستخدمون إلى اليوم أسراً من نسل هؤلاء العبيد للخدمة في البيوت كما هو الحال السائد إلى الآن في إحدى مدن إقليم قفط إلى الآن في أسنا(٥).

وممـــا يجدر ذكره أن استخدم العبيد من الذكور في الفلاحة والزرع فـــي مدينة قفط ، أما الإماء من النساء فقد إستخدمنّ في الخدمة بالمنازل لما

---

(1) Wiet : Steles Funeraires , T , 3 , P : 52 .

(٢) الجواري : هن النساء البيض اللاتي يتم أسرهن وبيعهن في الأسواق وما كان يقع في إيدي المسلمين من الفرس والاتراك والصقلية ونحو ذلك
حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٣٣٩ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، فيذكر الخطاب " فقد أخذت لك تبرس – عبد – صغير بدينار ، وما أعطياته صاحبة حتى أخذت بيعه ترس كبير " جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) سيده كاشف : مصر في عصر الأخشيديين.(الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩ م) ، ص ٢٤٤ .

(٥) محمد خليل هميمي : إقليم قوص من الفتح العربي إلى نهاية عصر المماليك ، ص ٣٠٨.

لهــن مـــن خــبرة فى الطهو والخدمة ، كما عملن حاضنات ومرضعات[1]، ورعاية أبناء سادتهم[2].

قبيلة التكارنة " التكاررة " :

أشــتمل أيضـــا البناء الاجتماعي لإقليم قفط خلال العصر الإسلامي الأول ، علـــى جماعات قليلة من التكاررة[3]، وساعد طريق الحج عبر مدينة قفــط علـــى استيعاب الحجاج من هؤلاء التكارنة بعد قضائهم لفريضة الحج ورجوعهم إليها ، فكثيرا منهم ما كانت تطيب لهم الإقامة فى مدينة قفط دون الرجوع إِلَى أوطانهم مرة أخرى ، وكان التكاررة فى طريقهم إلى الحج عن طــريق قفــط استمروا على ملازمة الحجاج المصريين[4]، وهم الموسرون مــنهم، أمـــا الفقراء منهم فيجتازون الطريق النيلي حتى يصلوا مشارق من ناحية الجنوب[5].

وقــد ساعد ازدياد أعداد على التكارنة استمرار فريضة الحج فى كل عــام حيث كانت مدينة قفط محطة رئيسية للحجيج ، ونتيجة لذلك فقد عاش كثــير مـــن الــتكارنة فى مدينة قفط وقراها حيث كان لوقوعها على طريق

---

(1) الإماء : السود من النساء، بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ص ٢٥٠ .

(2) محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى، ص ٢٢٥ .

(3) * لفظ تكروري – أو تكروني – الذى يطلق على الواحد منهم نسبة إلى إقليم التكرور من السودان فى أقصى الجنوب الغربى ، وأهلها أشبة الناس بالزنوج : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ . وهناك رأى آخر يعارض هذا الرأى حسب ما أشارت اليه كتب الرحالة والجغرافيين العرب منادة أن لفظ تكرور إنما هى مشتقة من الفعل تكرر- أى تنقى – ويقصد من هذا المعنى أن مشاعر التكاررة الدينية قد تنقت وتطهرت بحفظهم للقرآن الكريم ، وآدائهم لفرائض الحج •

بوركهارت : رحلاته فى بلاد النوبة والسودان، ص٤٠ . ، محمود محمد الحويرى : أسون فى العصور الوسطى، ص ٢٢٥ – ٢٢٦

(4) بوركهارت : رحلات فى بلاد النوبة والسودان ، ص ٣٢٢ .

(5) محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٢٦ .

الـــرحلة إلى عيذاب ومنها إلى مكة[1]، كما تشير الدراسات إلى ما تتمتع به هؤلاء ، لا سيما وقد استطاب لهم العيش فيها حيث سبل الحياة المتوفرة[2].

البدو أو المعازة :

وهناك فرع من البدو يطلق عليهم عرب المعازة العطوانى ويقطنون جـبال البحـر الأحمـر ويعيـشون عيـشة الـبداوة كجيرانهم من العبابدة والبشاريـــة[3].

وكـــان هــؤلاء البدو لهم علاقة وطيدة بمدينة قفط لأنهم يقطنون فى شمال المدينة فى الطريق المؤدى إلى القصير ، وعملوا كأدلاء للقوافل عندما أقـــصوا وأبعدوا جيرانهم من العبابدة الذين كانوا من قبل أدلاء أيضاً لها من طـــريق قفـــط - القـصير ومنها إلى قنا حيث نجحوا فى عدم إعطائهم من الأرباح التي يدرها هذا العمل والتزموا به من وإلى مدينة القصير[4]. ونذكر أن قوما منهم عاشوا بمدينة قفط الذين أطلق عليهم المعازة والعطوانى وذلك بالإضـــافة إلى توطنهم بجوار العبابدة والبشارية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر بالقرب من إقليم مدينة قفط لفترات طويلة[5].

ثانياً : المؤثرات العربية على المصريين :

اختلاط العرب بالمصريين ونشر العروبة فى مدينة قفط

انتــشرت القـبائل العربية فى صعيد مصر منذ الفتح العربي لمصر سنة(٢٠ هـــ/ سنه ٦٤١ م)، واستقرت كل قبيلة فى المنطقة التي سكنت فيها وهاجــرت إلـــيها ، وعاشت هذه القبائل كطبقة أرستقراطية متعالية على من ســـواها فـــى المجـــتمع المصري ، بصفتها صاحبة السيادة العسكرية ، التي

---

(1) بوركهارت : رحلات في بلاد النوبة والسودان . ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(2) بوركهارت : المرجع السابق والصفحة . ومحمود الحويرى . أسوان فى العصور الوسطى. ص٢٣٦.

(3) بوركهارت : المرجع السابق . ص ١٢٨ .

(4) بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان . ص ١٢٩ .

(5) بوركهارت : المرجع السابق والصفحة .

قضــت علــى الحكم الروماني ، وخلصت أقباط مصر من الظلم والتعسف الرومانـــي وظل العرب على هذا الوضع إلى إن جاء العصر العباسي ، وما تبع ذلك خلال القرن الثاني الهجري[1].

ولقد عبر ماكمايكل عن ظاهرة انتشار القبائل العربية وتمركزها فى قــرى ونواحي مصر بقوله : " أنه ابتداء من سنة ٢١٧ هــ " ٨٣٢ م " بدأ الــتزايد العددي للمسلمين على المسيحيين فى مصر ، وبدأت القبائل العربية فــى الاستقرار والتمركز فى القرى والأراضي المصرية ، ولم تقتصر كما كان فى البداية على المدن الكبرى فقط ، بل أصبحت مصر منذ هذا التاريخ ولأول مرة بلداً إسلامياً[2].

انعكســت التغيرات السياسية التى شهدتها مصر خلال القرنين الثالث والــرابع علــى الحياة الاجتماعية فيها ، فقد صاحب قيام دولتي الطولونيين والإخشــيديين ازدياد نفوذ وأعداد العنصر التركي ذلك العنصر الذى ينتمي إليه الولاة أنفسهم ، كذلك كثرت عناصر أخرى كالسودانيين[3].

ونتــيجة لإســقاط العــرب من الديوان فى النصف الأول من القرن الثالــث فقد هجرت القبائل حياتها الأولى التى كانت تعتمد فيها على العطاء الــذى تمــنحه الدولــة وأخذت تسعى إلى كسب عيشها بمخالطة المصريين ومشــاركتهم أعمالهم ، ولقد كان هذا تحولا كبيرا فى حياة القبائل فقد نزلت مــن علــيائها وترفعها وخالطت المصريين ثم أخذ ارتباط القبائل بالأرض المصــرية يزداد فقد أصبح العربي ينتسب إلى قرى ومدن مصر كما ينتسب إلى قبيلته[4].

---

(١) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢١٢ .

(2) Macmichael : A History of Arab Tribes , L , P . 163 .

(٣) رضوان محمد الجنانى : القبائل العربية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٣٨ .

(٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

وكان لاختلاط العرب بأهالى قرى ومدن إقليم الصعيد الأعلى له أثرة الملموس فى انتشار الإسلام وازدياد إقبال المصريين عليه ودخولهم فيه، وكذلك الحال بالنسبة لانتشار اللغة العربية حيث أصبحت ليس فقط لغة العلم بل أيضا صارت لغة الحديث والتخاطب[1]، وما تبع ذلك من انتشار الثقافة العربية وانتقالها من الفسطاط إلى مدن وقرى أقاليم مصر الداخليةالتى ظلت مستمركزة فيها منذ الفتح ولقد كان مرجع ذلك إلى انتشار القبائل العربية وتمركزها فى جهات مصر المختلفة[2]، فمنذ أوائل القرن الثاني الهجري كان نزول - قيس فى الوجهين القبلي والبحري من عوامل انتشار الإسلام ، وتنازل العرب عن أرستقراطيتهم مع بداية القرن الثالث الهجري[3].

ولاشك أن هذا الاختلاط كان له أثره فى تكوين مجتمع جديد عمادة الشعب المصري بدمه العربي ودينه الإسلامي ولغته العربية ، ومن مظاهر ذلك أن الجزية التى كانت تفرض على أهل الذمة تناقصت قيمتها[4].

كما أن اللغة العربية فى القرن الرابع الهجري أصبحت هي اللغة السائدة فى مصر حيث إنعدمت اللغة القبطية[5]، كما نتج عن اندماجهم وامتزاجهم بالمصريين فى كافة أعمال الحرف اليومية ، إن حدثت مصاهرات بين العرب والمصريين ، الأمر الذي أدى إلى ظهور العرب كطبقة من طبقات المجتمع المصري لها خصائص جديدة ، فكان ان تمصر العرب فى الوقت الذى تعرب فيه المصريون الأقباط [6].

---

(1) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة، ص ١٢٠، ماكمايكل : تاريخ القبائل العربية فى السودان، ج ١ ص ١٦٣ .

(2) ماكمايكل : المرجع السابق والجزء ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(3) المقريزى : الخطط، ج ١ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(4) حسن أحمد محمود : مصر الطولونية، ص ٥٤ .

(5) رضوان الجنانى : القبائل العربية فى مصر فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(6) حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٢٢٦ .

وبطبيعة الحال فقد كان لذلك أثره فى انتشار بعض العادات العربية، ولقــد كــان طبيعــياً أن تزداد وتنتشر تلك العادات التى تشابهت مع عادات المــصريين بيــنما وجدت بعض العادات العربية المقاومة فكان أن ضعفت واضمحلت[1].

المظاهر القبلية بمدينة قفط :

أ – القبيلة :

عرفت بالقبيلة لتقابل الأنساب فيها كما ذكر الماوردى[2]، ومن أشهر قــبائل العــرب بلى وجهينة ومضر وربيعة، وكان من الطبيعي مع انتشار وتمركز القبائل والاختلاط بالمصريين أن ظهرت بعض بطون القبائل وحيث أصــبحت أكثر شهرة ونفوذاً، بل فاق بعضها نفوذ وشهرة القبيلة نفسها ومن تلك القبائل كانت قبيلة ربيعه ببلاد البجة جنوب مدينة قفط التى أصبحت من أكثر القبائل فى إقليم المدينة[3].

كانــت قبيلــتا ربيعه وجهينة تتمتعان بالقوة والسيطرة فى سائر بلاد الصعيد الأعلى[4]، ثم اتجهت إلى صحراء مصر الشرقية المتاخمة لحدود قفط مــن ناحــية الــشرق ، حيث إستقر بعضها فى بلاد العلاقى ، على حين أن الــبعض الآخــر استقر فى المنطقة الواقعة بين قفط وعيذاب والنوبة وبلاد

---

[1] رضوان الجنانى : القبائل العربية فى مصر ، ص١٥٥ .

[2] الأحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

[3] القلقشندى : قلائد الجمان، ص ١٤ ، وذكر القلقشندى أن طبقات الأنساب ست طبقات هى الشعب وهو النسب أو الأبعد ، والطبقة الثانية القبيلة ، وهى ما إنقسم فيها النسب أو لتقابل الأنساب ، ولطبقة الثالثة العمارة وهى ما انقسم منه أقسام القبيلة كقريش وكنانة ، والرابعة البطن ، وهوما إنقسم فيه العمارة كبنى عبد مناف والخامسة الفخد وما إنقسم فيه البطن كبنى هاشم وبنى أمية ، ولطبقة السادسة هى ما إنقسم فيه أقسام الفخد ، قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان ، ص ١٢، ١٣ .

[4] المقريزى : البيان والإعراب، ص ٤٤ ، القلقشندى : قلائد الجمان، ص ٤٤ .

السبجة[1]، كذلك ظهر بنو الكنز أحد بطون ربيعه الذين دخلوا مصر فى عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) وازداد نفوذهم فى منطقة قفط وجنوبها حتى كان عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله - الذى أكرمهم ومنحهم لقب كنز الدولة - تقديرا لما بذلوه فى مواجهة أبى ركوة الثائر الأموي على نحو ما أشرنا من قبل حيث تم القبض عليه بمساعدة بنى الكنز فكان منحهم هذا اللقب[2].

كان من سمات النظام القبلي فى إقليم الصعيد الأعلى بصفة عامة ومدينته قفط بصفة خاصة ، ان لكل قبيلة عربية مسجدا خاصا بها ، فى الوقت الذى سعت كل تلك القبائل مجتمعة لكي تشيد جامعاً لتصلى فيه صلاة الجمعة ، حيث لم تقتصر الجوامع على كونها دورا للعبادة فقط بل كانت المكان الوحيد الذى يجتمع فيه المسلمون لدراسة أمورهم وما يستجد من أى تغيرات فى الديار المصرية[3]، وكانت الأوامر التى تصدر من الولي أو الخليفة تلقى على القبائل من داخل هذا الجامع ، كما كان معمولاً به فى جامع قفط وسائر الجوامع بالصعيد الأعلى[4].

ورغم أن العرب كانوا دائما يميلون إلى ذكر اسم القبيلة قبل اسم البلد، إلا أن كثرة الاختلاط بالمصريين جعل اسم البلد يطغى على اسم القبيلة، ومما يدل على ذلك شواهد القبور التى تشير إلى أسماء عربية خلال القرن الثالث الهجري اتخذت اسم البلد بدلا من القبيلة[5] حيث كان الانتساب للبلد بمثابة شرف يفتخر به هؤلاء ومن أمثلة ذلك صالح بن عادى القفطى

---

(١) المسعودى : مروج الذهب، ج ٢ ، ص ١٨ ، والمقريزى :الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧- ١٩٨ .

(٢) المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٤٦ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٨ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(٥) ممدوح عبد الرحمن للريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢١٥ .

(ت ٢٩٣ هـ)[١] وعلى بن أحمد بن جعفر القفطى خطيب مدينة قفط[٢]، وكذلك أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر القفطى (ت ٣٦٢ هـ)[٣] وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت العصبية القبلية هى السمة المميزة للقبائل العربية فى قرى ومدن الصعيد الأعلى ، حيث كانت تستغل هذه العصبية لتأمين الحياة ضد المصاعب والعجز والمرض ، وإذ فى هذه الأحوال لا يجد العربي من يقف إلى جواره إلا عصبيته[٤].

وظلت الروح القبلية والانتساب لها ببلاد الصعيد طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة / التاسع الميلادي وما يليه ، إلا أن الأفراد العرب صاروا لا يأنفون من الإنتساب كذلك لحرفهم ومهنهم فيذكرون اسم المهنة التى يعملون بها على شواهد القبور، سواء كان حياطا أو عطارا أو نجاراً أو صياداً أو طحاناً او خبازاً أو فراناً .. إلخ[٥].

ومنها محمد بن حسن الخياط (ت ٢٤٣ هـ)[٦]، ومحمد بن ناصح الصباغ (ت ٢٤٩هـ)[٧] واحمد بن نادى الخباز (ت ٢٤٤هـ)[٨]، وجعفر بن يعقوب الصياد (ت٢٤٩هـ)[٩]، ومحمد بن مسلم الطحان (ت ٢٨٠ هـ)[١٠]، محمد بن على حجاج بن صالح الحلاب (ت ٢٨٧هـ)[١١] وعلى

---

(١) الادفوى : الطالع السعيد . ص ٢٧٨ .

(٢) الادفوى : المصدر السابق . ص ٣٦٥ .

(٣) الادفوى : المصدر السابق . ص ٧٣ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة . ص ١٢٨ ، ١٣٠

(٥) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل فى صعيد مصر . ص ٢١٨ .

(6) Abd Al Rahman Abd Al Tawab . Stelests Islamiques de la : Necropole of Aswan , Vol , I , P : 60 .

(7) Abd AL Rahman Abd Al Tawab Op - Cit . p.61

(8) wiet : Steles Funer aires . . vol . 11 p bl

(9) Wiet : op – cit . vol . v . p. 350

(10) Abd Al Rahman Abd Al Tawab . Op- Cit . P: 94 .

(11) Ibid vol . I p 94

بـن سـويد البناء (ت ٣٥٠ هـ)[١] والحسن بن محمد بن إبراهيم بن سلمه الصائغ (ت ٤٢٧ هـ)[٢].

ب - الحلف :

نظـام عربـي قـديم تظهر فيه ملامح العصبية كما هو فى العصر الجاهلى حيث كان العربى يرتبط بعصبيته وذلك كارتباطه بقبيلته و قد تطغى على عصبية القبيلة حتى إذا ضعف الحلف عادت العصبية القبلية للظهور[٣] وكان التحالف يقوم بين الأفراد كما يقوم بين القبائل[٤].

ويعتبر الحلف من أهم سمات القبيلة فى الصعيد الأعلى، وهو ارتباط مـشترك بـين الطـرفين أو عدة أطراف من قبائل تشترك فى أصل واحد، وبمقتضاه تتحمل هذه القبائل المتحالفة أعباء ما يقع عليها من ضرر[٥].

وفـى إقلـيم مديـنة قفط تحالفت قبيلتا ربيعة وجهينة تحت زعامة العمـرى لصد الهجمات التى تكررت من البجة على المسلمين فى الإقليم[٦]، ونتيجة لهذا التحالف أولاً تم التغلب على البجة، تم القضاء على ابن الصوفي العلوي، وقد اتبع ذلك التغلب على جيوش أحمد بن طولون وإن دل ذلك فإنه يدل على قوة هذا التحالف، وربما لم يتضمن ربيعه وجهينة فقط بل لعله ضم كثيرا من القبائل والبطون التى قطنت وتمركزت فى هذا الإقليم [٧].

---

(1) Ibid , vol , 11 , p 110 .
(2) Wiet : op - cit , vol . vl , p . 115 .

(٣) عبد الحميد يونس : الهلالية ، ص ٨٦ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٢٨٩ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٢٧ .

(٥) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٦) الكندى : المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

(٧) رضوان محمد الجنابى : القبائل العربية فى مصر القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٤٤ .

ومــن الأحلاف التى شهدتها مدينة قفط حلف ربيعة والبجة ، وذلك لموجهـــة الخطـــر التركى الحاكم لمصر[1]، عندما تزايد العنصر التركي فى مصر وزاد نفوذه ، فلما أحس العرب بالخطر يحدق بهم ولهذا قامت أحلاف عربـــية قبلـــية كـــان هدفهـــا مواجهة هذا الخطر الذى حرمهم من مكانتهم وممـــيزاتهم فى الديار المصرية[2]، بالإضافة إلى ذلك كان هناك حلف قبيلة ربيعه بين مجموعة من القبائل بإقليم قفط مثل بلى وجهينة والبجة ، لمقاومة أخطار النوبة الذين يقطنون جنوب الإقليم[3].

كمـــا سعى أبو عبد الرحمن العمرى إلى تكوين حلف فى بلاد إقليم قفط، ضم تحت لوائه قبائل ربيعة وجهينة ، ومضر ، واستطاع بهذا التحالف قمـــع الخطـــر النوبي من جهة الجنوب حيث صار زعيما على قبائل العرب والـــبجة لكن هذا الحلف إنتهى بمقتل أبى عبد الرحمن العمرى على نحو ما أشرنا من قبل ثم إنفردت بزعامة المنطقة قبيلة ربيعه[4].

جـ - الـولاء :

هو الانضمام تحت لواء قبيلة من القبائل والدخول فى كنفها، والمولى يحمل اسم القبيلة وينتسب إليها وقد كثر موالى القبائل فى مصر وكانوا طبقة ظاهـــرة فى المجتمع المصري حتى أن مؤرخا مثل الكندي خصص لهم أحد

---

(1) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٤ . وهناك حلف قرشى فى بلاد الأشمونيين ، وانتصر حلف قريش على قبيلة جهينه وبلى أثناء العهد الفاطمى ، وانضم عسكر الفاطميين لقريش ، وتمكنوا من طرد قبيلة جهينة وبلى من بلاد الصعيد الادنى إلى بلاد الصعيد الأعلى .

القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٤ ، المقريزى : الخطط ،ج١ ، ص ١٩٧

(2) عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب ، ص١١٥ – ١١٩

(3) القلقشندى : المصدر السابق والصفحة .

(4) البلوى : المصدر السابق والصفحة .

مؤلفاته " كتاب الموالى"[1]. وهذا يدل على كثرتهم وأهميتهم ولو وصلنا كتاب الكندى هذا لأضاف كثيرا إلى ما لدينا عن هؤلاء الموالى[2].

ولقــد كان لظهور الموالى منذ وقت مبكراً فى مصر أن ظهر منهم يــزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨ هــ) وهو من موالى قبيلة الازد ، حيث كان "أول مــن أظهــر العلــم والمسائل والحلال والحرام بمصر وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن"[3] وقد أسند ابن عبد العزيز الفتيا فى مصر إلى ثلاثة كان اثنان منهما من الموالى ولما غضب العرب قال لهم "ما ذنــبى أن كانــت الموالى تسموا أنفسها صعدا وأنتم لا تسمون"[4]، وكان من جملــة الموالــى إبراهــيم بــن يوسف القفطى، بن داود بن سابق المصري القفطـــــى[5]، المعــروف بــورش المقرئ وهو مولى لأل الزبير بن العوام س(ت ١٩٧ هــ)[6].

وكــان لبنى أمية كثيرٌ من الموالى فى مصر وأغلبهم رواة محدثين وفقهاء[7]، ومن أشهرهم أبو عمرو الحارث مسكين قاضى مصر سنه ٢٣٧ هــ / ٨٥١ م[8]، وهم من فقهاء المالكية بمصر[9].

---

(1) الكندى : الولاة والقضاء ، ص ١٠

(2) هناك إشارات كثيرة لهذا المؤلف وردت فى المراجع التى أخذت عن الكندى على سبيل المثال انظر الادفوى : الطالع السعيد ، ص١٤٥ ، ابن حجر : رفع الأصر ، ج١ ، ص١١٥ .

(3) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج٢ ، ص١٨٤ ، ١٨٥ .

(4) المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٣٢ .

(5) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٧١ .

(6) يــاقوت : معجــم الأدبــاء ، ج٣ ، ص٤٨١ ، ٤٨٣ طــبعة دار الكتــب بــيروت ١٩٩١ م وكــان مــن جملــة المــوالى ابــن سـليمان الحيزى العـالم الجليـل ، وهــو مـن مـوالي قبيلة مـراد . ولـد سنه ١٧٤ هـ / ٧٩١ م وكان من أئمة الشافعية فى مصر ، احمد أمين : ظهر الإسلام ، ج١ ، ص ١٦٢ ، ج٢ ، ص ٢٠٥ .

(7) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥ ، ١٧٤ .

(8) المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٢٥٠ .

(9) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٣٣١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٢١.

ولمـــا كان الأمويون قد انتشروا فى مدينة قفط ، فإن مواليهم كثروا هـناك، ومنهم ورش القفطى (ت ١٩٧هـ)[١]، أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر القفطـى (ت ٣٦٢ هـ)[٢] على بن أحمد بن جعفر القفطى[٣]، ولم يقتصر ظهـورهم على مدينة فقط فحسب فظهروا أيضا فى مدينة أخميم فى شمال إقليم الصعيد الأعلى وكان منهم العالم الصوفي الكبير ذى النون المصري الأخميمـى فهو من موالى قبيلة قريش بصعيد مصر (ت ٢٤٥ هـ)[٤] كما ظهـر أيضا فى مدينة أسوان فى جنوب الإقليم ومنهم محمد بن عبد الوارث الأسـواني، وهـو من المحدثين ومعاوية بن هبه الأسواني والاثنان عالمان اشتهرا برواية الحديث والفقه[٥].

د - العريف :

وهـى وظيفة ظهرت فى مدينة قفط كغيرها من مدن الصعيد الأعلى والديار المصرية عامة وقد نقلتها القبائل العربية ومنها إلى هذه المدن، وهى وظيفة شيخ القبيلة أو زعيمها، أو رئيسها إلا أنه اتخذ صورة جديدة بعد الفتح الإسـلامي وأطلـق عليه اسم العريف - ومن الطبيعي أن يكون لكل قبيلة عـريفاً أو رئيـساً، فقد جعل عمرو بن العاص على رأس كل قبيلة عريفاً،

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ، ج٣ ، ص ٤٨١ - ٤٨٣ - أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٧٣ .

(٣) الادفوى : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٤) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص٢٢٠ ، ويوجد شاهد قبر بمدينة أخميم لابنته السيدة (عزيزة بنت ذى النون الاخميمى ، ولدت سنه ١٩٠ هـ وتوفيت سنة ٢٦٠ هـ ، وكانت من أهل التقوى والورع والصلاح بأخميم ، ممدوح عبد الرحمن الريطى : المرجع السابق والصفحة .

(٥) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٤٣ ، ٦٤٨ .

وكان لكل عريف مكان خاص به وهو وأصحابه ليديروا شئون القبيلة والبت في مصالحها[1].

وتمثلت مهام العريف في مدينة قفط في كونه المسئول الأول في المدينة عن عمال الحراسة والأمن وتنفيذ أوامر الوالي وتقديم المجرمين والخارجين عن القانون في المدينة إلى الحاكم أو من ينوب عنه في الأقاليم[2] كما كان على العريف أن يقسم الضرائب والمغارم المفروضة على أهالي المدينة كل على حسب طاقته وربما استدعى أحد الأمراء أو أحد موظفي الدولة الكبار، هؤلاء المشايخ ليفرض عليهم المغارم جملة، فيجمعونها ويسلمونها له حيث هو لا يكلف نفسه مئونة المرور على القرى[3].

كما كان العريف يقدر مساحة أراضي مدينتة فكانت مساحة مدينة قفط ٥٤١٣ فدان عبرتها ٥٤٣٣ دينار باسم أمير المدينة[4]، التي شملها الفيضان بالري ، ليرفعوا ذلك إلى صاحب الخراج ثم يوقع شيخ القبيلة على ما يسجله صاحب الخراج من مساحة[5].

وكان شيخ القبيلة في مدينة قفط، أكبر شيوخ القبيلة سناً ، ومن أقوى فروعها ، وهو الذي يحكم بين الأطراف المتنازعة من القبائل العربية طبقاً لأحكام القرآن والسنة النبوية ، فعندما قام نزاع بين قبيلتي ربيعة وبني يونس في إقليم قفط ، لجأت القبائل إلى شيخ قبيلة مضر ويدعى أبو عبد الله من أجل فض النزاع ، وقد تمت المصالحة بينهم على شرط رحيل بني يونس

---

(1) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ٢٢١ .

(2) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٦١ .

(3) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٨٢ .

(4) ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، ص ١٩٥

(5) النويري : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ ، ابراهين طرخان : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة – ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م) ، ص ١٠.

إلى الحجاز مرة أخرى ، وقد نفذ حكم عبد الله شيخ قبائل مضر وعادت قبيلة بني يونس للحجاز[1].

بالإضافة إلى ذلك كان العريف في مدينة قفط لـــه الحق في أن يحكم على الخارجين على النظام بالضرب بالعصا أو الدرة ، وفي أحيان نادرة له الحق في إصدار عقوبة الموت وهذا ما كان يحدث إلا نادراً كما أن للعريف أعوان يساعدوه في مهامه[2].

الحراس " المحرس " :

أمـــا الجوار فهو نظام يتم داخل القبيلة هو أن تفرض القبيلة حمايتها علـــى شخص معين يستنجد بها فتجيره فتعلن أنها مسئولة عنه تجاه أي عداء فيعتـــبر عـــداء علـــيها ، لأنها منحته حق الجوار[3] ، وكان من أهم صفات القبائل آنذاك أنها تخصص رجالاً أقوياء منها يقومون بحراستها ليلاً وكانوا مثل الخفراء ، ويطلق عليهم الحراس " المحرس "[4].

وكـــان هؤلاء الحراس يحافظون على الأمن ، وتنفيذ أوامر الحكومة لذلـــك نجـــد أن التعليمات التي كانت تصدر عن الوالي ثم إلى العريف للقيام بتنفيذها جماعة الحراس بالإضافة إلى حراستهم الطرقات حفاظاً على سلامة الأهالي وأرواحهم[5]، وكان من واجبات الحراس في مدينة قفط و كذلك الأمر بالنســـبة للقـــرى والمـــدن الأخرى في إقليم قفط ، وهي الحفاظ على الأمن ومطـــاردة المجرميـــن والبحث عن القتلة والخارجين على القانون وتسليمهم

---

(1) المقريزي : البيان والإعراب ، ص ٤٠ .

(2) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

(3) ** وكانت نساء رئيس القبيلة مثل باقي النساء في القبيلة فيقمن بتجهيز الطعام ، ويغزلن الصوف والملابس ويغسلنها وسط المخيم ، ويحملن الجرار لجلب الماء من العين المجاورة ، ويجلبن اللبن من الأغنام التابعة له ، ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ٢٢٢ .

(4) عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر ، ص ٢٣٥ .

(5) عبد الله خورشيد البري :المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

للعدالة[1]، وحراسة الحقول والحفاظ على الزروع[2] ، والقبض على المفسدين أو الذيـن يقومـون بأعمال السلب والنهب ، حيث كانت مدينة قفط تقع على طـريق الـتجارة الداخلية والخارجية[3]، كذلك تقع على عاتقهم تنفيذ أوامر العريف أمام نائب الوالي وفي مساعدته في القبض على قطاع الطرق[4].

ثالثا : المظاهر الاجتماعية في قفط في العصر الإسلامي

الأخلاق والعادات والكرم :

تجلـت أخلاق وعادات المقيمين في مدينة قفط في أمور عديدة منها إكرام الضيف فكان إكرام الضيف من الصفات المألوفة لديهم ، ومن ذلك أنهم أقـاموا عدة رباطات لإقامة الضيوف والغرباء وقت نزولهم ببلادهم وجعلوا فيها الطعام ، حتى يتسنى لمن ينزل بها الإقامة الطيبة[5].

وكـان مـن أهم عادات أهالي قفط في إكرام الضيف فيقوم صاحب المنزل ويعد ما يلزم لإكرامه ، ومن ذلك أن يقوم بذبح خروف أو شاه ، فإذا ازداد عدد الضيوف إلى ثلاثة نحر لهم جملا ، أما إذا كان صاحب المنزل لا يمتلك شيئا من ذلك ذبح من أقرب ما يجده من الماشية له أو لغيره ، فإذا لم يجد من ذلك شيئا ذبح راحلة الضيف ثم يقوم بتعويضه عن ذلك خيراً [6].

ولعـل ما شاهده ابن بطوطه[7] من كرم العادات كان إمتداداً لما كان يجـري في إقليم قفط منذ قرون عديدة فهو يصف ذلك بقوله "كان سفري من مصـر على طريق الصعيد ، فبت ليلة خروجي بالرباط، وجعل فيه الطعام

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(2) المقريزي : السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٥٣٥ .

(3) الأدفوي : الطالع السعيد : ص ٤٦٦ ، المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٣٦ .

(4) المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(5) عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين العرب وشرق السودان ، ص ٢٢٣ .

(6) المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(7) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٦ .

الـوارد والصادر " وكانت معظم قرى ومدن إقليم قفط فى العصر الإسلامي الأول تشـتهر بحسـن معاملـة الضـيوف وإكـرامهم ، وإقامة الرباطات والضـيافات لإقامـتهم فقد بنيت فى بلدة قمولة – تابعة لإقليم قفط مرصداً للضيافة "حتى أن الإنسان متى حضر ليلاً أو نهاراً وجد الطعام مهيئاً بها"(١).

كمـا إشـتهر أهالي مدينة قفط بإغاثة المستغيثين(٢) وصدق الحديث والعفة ، ولم يقتصر ذلك على مدينة قفط بل امتد حتى مدينة أدفو وغيرها من الـبلاد ، فقـد قـيل عـنهم " وأهلها معروفون بالعفة ، مشهورون بالفضل والصدق ، والتحرز فى الأقوال ، وإكرام الوارد، وإغاثة الملهوف"(٣).

وكان من عادات أهل مدينة قفط، زيارة البربى(٤) والاعتقاد بما رسم فـيها، والذهاب إليها للتبرك بها ، امتلأت أماكن كثيرة فى مدن وقرى إقليم قفـط بالـبرابى، ومن أمثال ذلك بربى بلدة دندرة(٥) وبربا الأقصر(٦) وكان هناك بربا فى أرمنت، وأخرى فى أسنا(٧).

---

(١) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٩ .

(٢) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٥ ، ابن دقماق : الإنتصار ، ح ٤ ، ص ٢٩ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) البربى : مبنى من الحجارة ، فى داخلة نقوش وكتابة للأوائل ، لا تفهم ، ولا تقرأ ، وبها صور لبعض الحيوانات ، وقيل هى بيوت الحكمة لعبادة الأوائل ، رقموا فيها تواريخهم ، وصوروا فيها صور الأمم التى حولهم ، فمتى قصدتهم أمة من الأمم ، أوقعوا بصورهم المصورة من النكال ، مما أرادوا ، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقعوة بصورهم ، أبن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ . كذلك قيل أن تلك البرابى بيوت لعبادة الكواكب السبعة ، المسعودى : التنبية والإشراف ، ص ٢٠ .

(٥) بربا دندرة : وكانت بربة عظيمة ، قيل أن بها ثلاثمئة وستون كرة ، تدخل الشمس كل يوم من كرة منها وتخرج من أخرى ، حتى تأتى على أخرها ثم تكر راجعة إلى حيث بدأت ، إبن إياس : نشق الأزهار فى عجائب الأمصار – مخطوطة رقم ٤٣٩ جغرافياً ، بدار الكتب المصرية ، ورقة ٢٤ .

(٦) بربا الأقصر : ومن بقايا هذه البربى صنم عظيم من حجر الصوان الأملس ، قائم فى عهد القلقشندى أمام ضريح أبى الحجاج الأقصرى ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ .

(٧) القلقشندى : المصدر السابق ، والجزء والصفحة .

وقد تمثلت بعض العادات الاجتماعية فى مدينة قفط فيما يخص أمور الزواج، وهو من أهمها فالزواج تسبقه بعض العادات التى لا تشذ كثيراً عن العادات الموجودة فى أكثر المجتمعات المتحضرة ومن هذه العادات أن يسبق الزواج خطبة وهى فى العادة يتولاها الأب بدلاً من ابنه، فيذهب إلى أهل الفتاه ومعه بعض الأقارب، وفى الغالب أن طلب ابن العم أو العمة أو الخال لا يرد إلا إذا وجد سبب قوى يحول دون ذلك، لأنهم يفضلون فى العادة زواج الأقارب حتى أن والد الفتاة كان لا يعطى ابنته لزوج غريب إلا بعد أن يعلم جميع أقاربه الصالحين للزواج[1].

وقد كشفت أوراق البردي العربية أموراً كثيرة تتصل بعقود الزواج ، حيث أظهرت أن الصداق يختلف بحسب ثروة الزوجين، ومكانتهما الاجتماعية[2]، فقد تزوج جبريل جعفر على صداق دينارين[3]، بينما ترى أن حميد بن شهران أصدق زوجته عشرين ديناراً [4]، وفى بعض الزيجات ، كان الصداق دفعه واحدة ومقدماً، فتشير "بردية مؤرخة برجب سنه ٢٩٩هـ إلى أنها قبضت من زوجها جبريل بن جعفر دينارين مثاقيل عن صداقها وحازت وأبرأت زوجها جبريل بن جعفر من هذين الدينارين براءه قبض واستيفاء"[5].

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٤٦ ، عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان ، ص ٢٣٣ .

(٢) لذلك أختلف الفقهاء المسلمون فى تحديد قيمة الصداق فمالك يشترط أن يؤدى مبلغ لا يقل عن ثلاثة دراهم صداقا للزوجة ، والشافعى يجعل الصداق عشرة دنانير على أن يؤدى نصفها مقدما ، ونصفها مؤخرا . جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج١ ، ص ٧٦ .

(٣) جروهمان : المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٢ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٣.

(٥) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ١ ، ص ١١٢ .

وفــى كثيــر من الأحيان، كان يعجل بأداء نصف الصداق، ويؤخر نــصفه، فقــد أشــارت بــردية جاء فيها هذا ما أصدق حميد بن شهران بن شـــهران، أصدق من العين الجيد المصري عشرين ديناراً، تاما وافيا وابراءة مــن ذلك براءة قبض واستيفاء، ويبقى لها كذا دينار مؤخر لها عليه، إلى أن تنقضي ثماني حجج متواليات"[1] هذه البردية تشير إلى تحديد مدة معينة وهى ثماني سنوات لإتمام باقي الصداق المقرر على الزواج.

كــذلك كان يشترط فى بعض عقود الزواج ، حسن معاملة زوجته ، وألا يمــنعها حقــوقها وأن يقــيما بالمعروف ، وتشير بردية أخرى فى هذا الــصدد يرجع تاريخها إلى سنة ٢٦٤ هــ وقد تضمنت حسن معاملة الزوج لــزوجته : " ولا يمنعها من أهلها ولا يمنع أهلها منها ، وعليه أن يتقى الله فــيها ، ويحــسن صحبتها بالمعروف كما أمره الله تعالى، والذي لزم ذكره، وجل ثناؤه ، وسنة نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

الحياة العامة فى مدينة قفط :

كانــت الحــياة العامــة فى قرى ومدن منطقة قفط تسير على وتيرة واحدة ويرجع ذلك إلى ارتباط الفلاح فى مدينة قفط بأرضه ومنزله ، وكانت حــياته العامة تتأثر بعوامل الطبيعة المحيطة به سواء حياته فى الحقل أو فى المسكن، ومن هذه العوامل النيل وفيضانه الذى تفاوت مقداره من عام لآخر لــذلك حدد النيل للفلاح نظام العمل فى الحقل وحياته فى المسكن[3]، وكذلك حدد النيل مكان مسكنه، حيث كان الفلاح يسكن القرى والكفور بجوار عمله، وممــا يجــدر ذكره أن المزارعين فى قرى إقليم قفط بلغوا من العدد سبعين

---

(1) جروهمان : أوراق البردى، ج١ ، ص١٤٦ .

(2) جروهمان : المصدر السابق والجزء ، ص٨١ .

(3) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الاسلامى ، ص ١٩٧ .

ألــف مــزارع ، بينما بلغ عددهم فى الوجه البحري خمسين ألف مزارع[1]، وكان ذلك فى بداية عهد الطولونيين[2]، وكانت الجسور والمراكب هي وسائل الانتقال بين أهالي القرى زمن الفيضان[3].

وأمــا عن مساكن القرية ، فكانت غالبية مساكن الفلاحين فى مدينة قفط كغيرها من قرى مصر فكانت تتكون من طابق واحد يضع فيها مواشيه ومحصــوله[4] وكان مسكن الفلاح مبنياً بالطوب،أما مساكن المدينة فى قفط فكانــت على العكس من ذلك ، إذ كانت من المباني المبنية بالحجر، ويصف ابــن جبــير مدينه قفط بأنها من المدن المذكورة فى الصعيد حسنا، ونظافة بنــيان، وإتقان وضع[5]، وكانت القرى والمدن فى إقليم قفط مليئة بالمنشآت والمرافق[6].

وقــد تميزت الحياة العامة فى القرية بمظاهر خاصة تجلت فى أمور عديدة، منها ما جاء فى أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرنيين الثالث والرابع الهجريين ما يكشف لنا عن أثاث الفلاح فى المنزل من أواني الشرب والطهى، والكراسي والأسرة، والصناديق الخشبية التى كان يحفظ فيها أشياءه الخاصــة[7]، كانت غالبية أثاث الفلاح من أشياء بسيطة مصنوعة مما توافر لـــه فى البيئة الزراعية[8]، وكان مأكل الفلاح بسيطا، فهو لا يأكل إلا الجبن،

---

(1) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٠٠

(2) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(3) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٤٣

(4) محمد محمود أحمد أدريس : الحياة الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمي – رسالة ماجستير – جامعة القاهرة – أغسطس ١٩٧٦ م ، ص٢٦٦ .

(5) ابن جبير : الرحلة ، ص٦٤ .

(6) الادفوى : الطالع السعيد ، ص١٢ .

(7) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج٦ ، ص٩٩ .

(8) محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى مصر ، ص٢٦٦ .

والبصل والشعير[1]، وكان فى روح التعاون بين الفلاحين عاملاً من عوامل المشاركة والعزاء.

الأعياد والمواسم :

أحتفل المسلمون والنصارى فى إقليم قفط بأعيادهم الخاصة فى صور شتى ومظاهر متنوعة، ففي عيد الفطر كانت الجموع من سكان القرى والمدن تحتشد بالمساجد لأداء صلاة العيد، وبعد انتهاء الصلاة يعودون إلى منازلهم فى صحبة أمام المسجد يكبرون طول لطريق[2].

وجرت العادة فى مدينة قفط إذا حل يوم عيد الفطر أن يرتدى الفلاحون ثيابا جديدة واعتاد أهل المدينة أن يهرعوا إلى القرافات ، ومعهم نساؤهم وأولادهم، وكان أهالي مدينة قفط يقصدون نهر النيل حيث يستأجرون المراكب للنزهة[3]، وكان المسلمون يزكون بأموالهم إلى الفقراء، كما أمرهم الله تعالى[4].

واهتم المسلمون أيضا – بالاحتفال بعيد الأضحى فى منطقة قفط وذلك كسائر المناطق الأخرى من الديار المصرية، فيضحى بعضهم بالذبائح وتوزع على المحتاجين من المسلمين[5]، وكان الكبار يتصدقون بآلاف الدنانير ومئات الأرادب من الغلال[6].

---

(1) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الاسلامي– ص١٩٩

(2) ابن الحاج : المدخل ، ج٢ ، ص٢٨٥ .

(3) المقريزى : السلوك ، ج٣ ، ص ٦٧٢ .

(4) النويرى : نهاية الأرب ، ج١ ، ص١٨٤ .

(5) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٤٩٢ .

(6) الأدفوى : الطالع ، ص ٢٤٠ ، ٤٨١ ، ٦٦٦ .

كمــا كـــان مـــن عـــاداتهم الإقبال على تجهيز بيوت الفقهاء بلوازم الــضيافة[1] فـــي تلـــك المناسبات الدينية حيث كان*يمثّلون إلى عقد ما يشبه الــندوات العلمــية ، كــذلك حلقــات الذكر التى كانت تقام ليلاً فى مثل هذه المناسبات[2].

وكـــان عامــة الـــناس يحـــتفلون بعيد الأضحى بالذهاب إلى النيل والقــرافات، وتتـــزين النـــساء بغايـــة الزينة[3]، وتخرج جماعة منهن إلى الطرقات، ويأخذن فى الغناء ، ويطفن بالأسواق والحوانيت والبيوت لجمع ما يجـــود بـــه الناس عليهن[4]، ويزورون بعضهن بعضاً، ويذهبن إلى مساجد قراهن ، لتأدية فريضة الصلاة [5].

وكـــان شـــهر رمضان من أهم المواسم الدينية التى عنى بها أهالي مديـــنة قفط فكثرت اجتماعاتهم وزيارتهم فى شهر رمضان، وعمد كثير من الأهالـــى إلـــى إحياء رمضان فى الجوامع والمساجد بالذكر والصلاة وإقامة الـــشعائر الدينية ويصومون نهاره، وقد كان الاحتفال بهذا الشهر على درجة كبيـــرة مـــن الاهـــتمام والتجلي والخشوع[6]، فكان المسلمون يتوافدون على المساجد طوال هذا الشهر، لصلاة التسابيح فى الأيام الأخيرة من هذا الشهر المبارك[7]، وكانت فى هذا الشهر تضاء المساجد والشوارع بالأنوار ابتهاجاً

---

(1) الأدفوى : الطالع السعيد، ص ٤٨١ .

(2) نعمة علي مرسي : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٢٧٤ .

(3) ابن الحاج : المدخل ، ج١ ، ص ٢٨٦ .

(4) ابن الحاج : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(5) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الاسلامى ، ص ٣٠٢ .

(6)* وكان المسلمون إذا أتى العيد أقاموا الاحتفالات والمهرجانات بقدوم العيد . وقد ألفوا موكبا دينيا فى القرية يجوب بكل خشوع بين عزف الطبول وأصوات الأدوات .
محمد ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى . ص ١٤٣ .

(7)* ومن عادة الخلفاء الفاطميين فى هذه الأعياد إقامة الأسمطة فى القصر . يحضرها الخليفة بنفسه ، وقد بلغ طول أحد تلك الأسمطة ثلاثمائة ذراع فى سبعة أذرع فكان إذا صلى الخليفة صلاة العيد جلس وملك الناس من ذلك السماط الممدود . * آدم متز : المرجع السابق . ج ٢ ، ص ٢٩٧ ٢٩٨ .

بحلوله [١]، ويسهر الفلاحون فى أماكن يجتمعون فيها لسرد القصص الدينية والاستمتاع بالوعظ والإرشاد من فقهاء الإسلام ، كما كانوا يتناولون طعامهم جماعياً ، كما جرت العادة فى مثل المناسبات [٢].

ومـــن عـــادة المسلمين فى هذا الشهر ، تقديم الزكاة وإطعام الفقير ، والمحـــتاج ابـــتهاجا بهذا الشهر الكريم ، وطلبا لمغفرة من الله عز وجل[٣]، وكـــان الأثـــرياء فى ليالي رمضان في مدينة قفط يتصدقون فى وجوه البر والإحسان وكان المشايخ من علماء المسلمين يستقبلون الفقراء ويقيمون على رعايـــتهم مـــن حيث المأكل والمشرب والملبس ، وكان الخطيب الأموي فى مديـــنة قفـــط وهو أبو الحسن على بن أحمد بن جعفر بن عبد الباقي الأموي العثمانـــي- موئـــلاً لاجتماع الفقراء المتجردين فى شهر رمضان من كـــل سنـــة[٤].

وكـــان التســـحير فى رمضان يتم بالطواف على بيوت القرية ، وهم يضـــربون بالطـــبلة ، أو بالدق على الأبواب " وينادون عليهم قوموا كلوا"[٥] ومن المواسم التى اهتم بها الأهالى فى مدينة قفط وبالغوا فى إحيائها "موسم عاشوراء" حيث أشتد إقبال العامة على الطعام والحلوى وتجمهروا فى أماكن مخصوصـــة فـــى المســـاجد ، واشتدت رغبة الكبار من الرجال فى الجود والعطاء[٦].

---

[١] آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٢٩٧،٢٩٨

[٢] ابن بطوطه : رحلة ابن بطوطه ، ص ٢٩ ، آدم متز : المرجع السابق والصفحة والجزء .

[٣] ابـو صـالح الارمينى : كـنائس وأديـرة مصـر ، ص١٢٩ ، محمـد ادريـس : الحـياه الزراعـية فـى مصـر فـى العصر الفاطمى ، ص١٤٣ .

[٤] الزركلى : الأعلام (بيروت سنه ١٩٦٩)، ج٣ ، ص٢٦٥ .

[٥] ابن الحاج : المدخل ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

[٦] ومما قيل عن هذا الجود والعطاء أن القاضى ابراهيم بن عرفات ابن صالح القنوى كان يتصدق فى كل سنة فى يوم عاشوراء من أهل بلده بصعيد مصر بألف دينار . الادفوى : الطالع السعيد ، ص٥٦

وكانت الأسواق فى منطقة قفط فى ليلة النصف من شهري رجب وشعبان مزينة بأبهى معالم الزينة وكان يعرض فيها الحيوانات أمثال الخيول والسباع والقطط وغيرها مثل سائر أعمال مصر وصعيدها[1]، وكانت هذه الأنواع فى متناول الأغنياء والفقراء على السواء، وفى ذلك يذكر المقريزى[2]، " فلا يبق جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده".

ومما تجدر ملاحظته أن مطابخ ومعاصر السكر انتشرت فى مدينة قفط الأمر الذى ساعد الأهالى على عمل صناعة الحلوى[3]، وحرص كثير من الأهلي على إحياء هذه المواسم بالصيام ، وبزيادة وقود القناديل والشموع بالجوامع والاجتماع بها للذكر والقراءة والخروج إلى المقابر[4].

وكان للاحتفال بليلة مولد النبي - صلى الله عليه وسلم شأن كبير فى مدينة قفط وقد حافظ أهالي هذه المدينة على العادات التى ورثوها عن العصور السابقة حتى رسخت وتأصلت فى النفوس إلى وقتنا الحاضر ، ومن المظاهر الدينية المألوفة فى هذا العيد قراءة القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة فى المساجد ، وصنع الحلوى ، ويقبل الأهالى على شرائها ، ويحتفلون بذلك احتفالاً كبيراً[5]، وكان الاحتفال بمولد النبي - صلى الله عليه وسلم فى العصر الفاطمي له شأن عظيم وذلك تكريما لهذا اليوم العظيم وكانوا يحتفلون به احتفالاً باهراً يليق بمكانة الرسول صلى الله علية وسلم لما

---

(1) المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص١٠٠

(2) المقريزى :المرجع السابق والجزء والصفحة .

(3) الادريسى : نزهه المشتاق ، ص٣٩ .

(4) محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ، ص٢٣٣ ،(الطبعة الأولى ، مطبعة الأمانة ١٤٠٨ هـ - ١٩٧٨ م) ص٢٣٣ .

(5) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص١٦٦ .

لــه مــن أثــر فى نفوس المسلمين ، وكان يحتفل به منذ بداية القرن الرابع الهجري[1].

أما عن أعياد الأقباط فى مدينة قفط ، فقد تنوعت بين الأعياد العامة التى يحتفل بها فى سائر الديار المصرية ، والأعياد الخاصة التى يحتفل بها داخــل الأديرة، ومن الأعياد العامة التي تعددت فى منطقة إقليم قفط، أربعة عشــر عــيداً منها، سبعة أعياد تسمى الأعياد الكبار والسبعة الأخرى تسمى الأعياد الصغار[2].

وتشــير المصــادر التاريخية إلى أن المسلمين قد أبقوا على احتفال القبط بأعيادهم، بل أنهم شاركوا فيها ، وكانت غالبية تلك الاحتفالات تقام فى مــناطق الــريف والمنتزهات التى تشغلها أراضيه ، والمحيطة به والأديرة العامرة بزهورها ومناطق اللهو بها[3].

أما عن أول الأعياد الكبار فهو عيد البشارة ، واحتفل القبط فى مدينة قفــط كسائر الديار المصرية - بهذا العيد ، فى اليوم التاسع والعشرون من بــرمهات من شهورهم[4] ومرجع الاحتفال بهذا اليوم أساسه أن السيدة مريم العذراء ، بشرت بمولودها فى هذا اليوم[5].

وثانى هذه الأعياد الكبار عيد الزيتون، احتفل به القبط احتفالاً كبيراً، ويعرف هذا العيد بعيد الشعانيين، ومعناه التسبيح، وقيل أنه ذكرى اليوم الذى دخــل فيه السيد المسيح مدينة القدس، وكان قبط مصر يحتفلون به فى اليوم

---

(1) وكان ذلك بدعه فى نظر المتمسكين بالعادات الإسلامية الأولى . آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص٢٩٢ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤١٥ .

(3) المسعودى : مروج الذهب ، ج١ ، ص١٦٣ ، ١٦٤ المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٦٨- ٦٩ ، العمرى : مسالك الأبصار ، ص٣٦١ ، الشابشتى : الديارات ، (تحقيق كوركيس عواد، (بغداد١٩٦٦م) ص٢٨٤ ، ٢٩٩ .

(4) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤١٥ .

(5) النويرى : نهاية الأرب ، ج١ ، ص١٩١ .

الثانـــي والأربعين من الصوم[1]، وفى هدا لعيد تزين الكنائس بمصر وسائر الـــبلاد بأغـــصان الزيتون، وقلوب النحيل[2]، ويورع منها على الناس على سبيل التبرك[3].

ولم يقتصر احتفال الأقباط بهدا العيد فى مدينة قفط ، بل كان يحتفل بـــه أيضاً فى مدينة أخميم من شمال مدينة قفط، حيث كان يخرج القساوسة الشماسة بالمباخر والصلبان والأناجيل والشموع[4].

ويقفــوا على باب القاضى ، ويبخروا ، ويقرأوا فصلاً من الإنجيل ، يمدحـــونه ، ثم يكررون ذلك المشهد على أبواب أعيان المسلمين ، وقد بالغ الأهالى فى تنفيذ هذه العادة[5].

وأحتفل الأقباط فى مدينة قفط بعيد الفصح ، وهو العيد الكبير عندهم وقـــيل أن ســـبب الإحـــتفال به أن المسيح قام بصد الصلبوت بثلاثة أيام[6]، فأصبح يوم قيامتة عيداً لديهم ، وهذا اليوم خروج موسى عليه السلام، وقومه من طغيان فرعون مصر[7].

ومـــن أعـــياد الأقباط فى إقليم قفط، ليلة الميلاد، وهى الليلة التاسعة والعـــشرون مـــن كيهك، وهو اليوم الذى ولد فيه السيد المسيح عليه السلام، فقـــيل أنـــه ولد فى يوم الاثنين، فيجعلون عشية لأحد ليلة الميلاد عيداً لهم، ويـــوقدون المـــصابيح بالكـــنائس ويزينونها[8]، وفى هذا العيد تباع الشموع

---

(1) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر. ج١ ، ص٩١ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى. ج٢، ص٤١٥ .

(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية . ج٢ . ص٢٨٥ .

(4) المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٥١٧ .

(5) على مارك : الخطط التوفيقية . ج٨ . ص٣٨ .

(6) النويرى : نهاية الأرب. ج١. ص١٩١ .

(7) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص٣٧٧ .

(8) النويرى : نفس المصدر السابق . ج١ . ص١٩٢ .

الملونـــة بالأصـــباغ والتماثيل الصغيرة ، ولا يبقى أحد منهم ، الا ويشترى لأولاده وأهلـــة منها ، ويطلقون عليها اسم الفوانيس ، كما كان القبط يذهبون إلى كنائسهم ، ويصلون بها ويدعون الله ، ويقيمون النيران ويلعبون بالجوز فى هذه الليلة [1] .

واحـــتفل أهالي قفط من القبط بعيد خميس العهد ، وهو يوافق اليوم الســـادس والعشرون من بشنس من شهور القبط [2]، وقيل أن سبب اتخاذهم هـــذا العيد أن روح القدس حلت بتلاميذ المسيح ، فتعرفت عليهم ألسنة الأمم فـــتكلموا بجمـــيع الألســـنة ، وتوجه كل واحد منهم إلى بلد يتكلم بنفس لغته ليدعوهم إلى دين المسيح[3] .

كذلك احتفل الأقباط فى منطقة قفط بعيد خميس الأربعين ، وهو اليوم مـــن إفطارهم ، كانوا يمكثون أربعين يوماً صائمين وهى الأيام التى قيل أن المســـيح علـــيه السلام أقام فيها فى الأرض بعد صلبه، وفى هذا اليوم خرج وصـــعد المســـيح إلـــى السماء بعد القيام فكان الأقباط يحتفلون فى هذا اليوم بصـــعود المسيح إلى السماوات، ويرتدون أبهى ملابسهم، ويزينون كنائسهم، بشرى وبهجة وإكراما لهذا اليوم [4].

وقـــد شـــارك الفاطمـــيون الأقباط فى مصر فى الاحتفال بهذا العيد، فكـــانوا يوزعون الطعام والحلوى على كبار الموظفين فى ذلك اليوم[5]، وقد امـــتدت المشاركة بهذا العيد إلى إقليم قفط فقد ذكر أبو صالح الأرمنى[6]، أن فى ليلة عيد الميلاد المقدس من كل سنة، يوقد المسلمون والنصارى شموعاً،

---

(1) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٢٨٧ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤١٦ .

(3) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ج١ ، ص١٩١ .

(4) القلقشندى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(5) سيدة الكاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، ص٢٥٢ .

(6) تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمينى ، ص١٢٩ .

ومـصابيح وإحطاب بجملة كبيرة"، ابتهاجا بهذا العيد ومشاركة من المسلمين للأقـباط فـي هذه المدينة التي كان أقباط مدينة قفط يشاركون فيها الاحتفال بأفراح المسلمين وأعيادهم، ولم يقتصر ذلك الاحتفال على مدينة قفط بل امتد بلدة إسنا وهي جنوب مدينة قفط وقد جرت العادة هناك إلى مشاركة المسلمين فـي أعراسهم ، فكانوا يسيرون بعض الأقباط أمام موكب العريس ، ينشدون ويغنون في الشوارع والأسواق[١].

ومن الأعياد الكبار لدى الأقباط عيد الغطاس ويكون في اليوم الحادي عـشر مـن طـوبة[٢] وسبب اتخاذهم لهذا العيد ما يزعمون من أن يوحنا المعمدانـي غـسل المسيح عليه السلام في بحيرة الأردن في هذا اليوم[٣] لذا كـان قـبط مـصر يغطـسون في ماء النيل، ويزعمون أن هذا يشفي من الأمـراض كما اعتاد المصريون الاحتفال بهذا العيد في العصر الإسلامي وكان من أعيادهم العظيمة ويروي المسعودي تفاصيل الاحتفال بهذا العيد كما شاهدها بنفسه سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م وكان على رأس الاحتفال محمد بن طفج الإخـشيدي الـذي خرج مع حاشيته وكبار رجال دولته بالمواكب إلى داره المعـروفة بالمخـتار بالجزيرة في وسط النيل وقد أمر رجاله فأشعلوا على ضفتي النيل ألف مشعل غير ما أضاءه أهل مصر من المشاعل والشموع وقد احتـشد الألاف مـن أهـل مـصر على ضفتي النهر واجتمع الكثيرون في الزوارق النيلية[٤].

---

(١) أبو صالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبو صالح الأرميني، ص١٢٩ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٧ م) ص١٦٠ ، ١٧١ .

(٢) القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) النويري : نهاية الأرب ، ج١ ، ص١٩٢ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص٢٩١ ، الأنطاكي : تاريخه ، ص١٩٦ .

وكـــان الخلفاء الفاطميون يعنون بهذا العيد ، فيقوم صاحب الشرطة بمديـــنة الفسطاط ونواب عنه في باقي أقاليم مصر ومنها إقليم قفط بالركوب فـــي موكب كبير، حيث توقد الشموع بين يديه ، في تلك الليلة ، ويطوف به شوارع المدينة، وينادي في الناس ، ألا يختلط المسلمون بالأقباط وألا يكدروا علـــيهم عيدهم[1]، فقد كان لليلة الغطاس شأناً كبيراً لدى القبط إذ لا ينام فيها أحـــد منهم حتى الصباح[2] فهي أحسن الليالي سروراً وبهجة ، ولا تغلق فيها الـــدروب[3] ويذهبون إلى الشواطئ على النيل ، ويحضرون معهم ما يمكنهم إحضاره من طيب المأكل والمشرب ، ويلبسون الملبوسات الزاهية ويتزينون بالجمـــال والمجوهـــرات[4]، وفي خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي أمر بمنع الاحتفال بهذا العيد لما كان يحدث فيه من اللهو والمجون بين الأقباط[5].

كـــذلك احـــتفل أقباط مدينة قفط بعيد حد الحدود وعيد التجلي وعيد الصليب[6] ومن الأعياد الخاصة بالأقباط عيد النيروز، والنيروز عيد فارسي الأصـــل ، ويعمل في اليوم الأول من السنة القبطية[7] وفي هذا اليوم يظهر الأقباط من الفرح والسرور، وإيقاد النيران وصب المياه في الطرقات الشيء الكثير[8] وقد أمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمنع هذا العبث عندما بالغ فيه العامة في سنة ٣٦٣ هـــ وسنة ٣٦٤ هـــ[9].

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٢٨٩ .

(٢) المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٣) المقريزي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، ص٢٩١ .

(٥) المقريزي : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٦٤ .

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤١٨ .

(٧) سيدة الكاشف : مصر في العصر الأخشيدين . ص٣٥٣ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٢، ص٤١٩.

(٩) سيدة الكاشف : المرجع السابق والصفحة .

ومن الأعياد الخاصة في إقليم مدينة قفط وفاء النيل ، وقد كان الاحتفال يأخذ طابعاً قومياً، حيث يحتفل المسلمون والأقباط معاً[1].

وقد شارك أهالي مدينة قفط في العصر الإسلامي في كل هذه الاحتفالات الدينية والاجتماعية وحرصوا على المساهمة فيها ، فالمسلمون كانوا يحتفلون بأعيادهم ومناسبتهم وكذلك كان الأقباط ، وكانوا يشاركون بعضهم البعض في هذه الأعياد ، ويحتفلون بالعديد منها معاً .

حفل الختان :

كان من أهم مظاهر العادات والتقاليد عند العرب الذين عاشوا على أرض منطقة قفط هو حفل ختان أطفالهم، فكانت الفرحة تعم القبيلة كلها، حيث يقام حفل سعيد يحضره جميع أفراد القبيلة، وكان للختان في مدينة قفط صورتين وهما الختان الفرعوني ، والختان السني ، فالختان الفرعوني هو طريقة قديمة منذ أقدم العصور ، أما الختان السني فهو الذى عرفه أهل الإسلام[2]، وكان الاحتفال بهذه المناسبة أثناء الليل ، فتسمى ليالي فرح الختان تكريماً لأولادهم[3].

وقد جرت العادة بأن تحتفل القبيلة في مدينة قفط بيوم ختان الولد وتقام له الأفراح وتدعو القبيلة جيرانها للاحتفال بهذا اليوم[4].

---

(1) النويرى : نهاية الأرب ، ج1 ، ص263 ،

* وعيد وفاء النيل يتم عند بلوغ فيضان النيل سته عشر ذراعا ، وهو الحد اللازم لرى معظم الأراضي ، المصرية ، بينما كان الحد اللازم لرى الأراضي الزراعية في منطقة الصعيد الأعلى عند بلوغ اثنين وعشرين ذراعا . آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج2 ، ص336 .

(2) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص43 .

(3) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل في صعيد مصر ، ص226 .

(4) عبد الرحمن حسب الله الحاج : العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج – رسالة ماجستير ، ص229 .

وكان القبط في سائر قرى ومدن مصر يحتفلون بعيد الختان وهو من أهم الأعياد العائلية عند الأقباط[1] حيث يختنون أولادهم بخلاف غيرهم[2]، وكانوا يحتفلون به في السادس من شهر بؤونه ، ويعتقدون أن المسيح ختن في هذا العيد ، وهو الثامن من الميلاد[3].

المأكل والملبس

تفاوت العرب في تلك المظاهر بتفاوت مراتبهم الاجتماعية وليس بتفاوت قبائلهم وبطونهم[4]، كذلك فقد تتفاوت صورة تلك المظاهر في القرنين الأول والثاني عنها في القرنين الثالث والرابع، عند الفتح كان طعامهم "المرق من اللحم" ولباسهم الأكسيه[5] والبرود[6] ولقد فرض عمرو على الروم لكل رجل من أصحابه ديناراً وجبه وبرنسا وعمامه وخفين[7].

ويبدو أن الصورة لم تختلف كثيراً في القرنين الأول والثاني الهجري، ويحكى أن عبد الله ابن عبد الرحمن بن حجيره الخولاني كان قاضياً لمصر زاره صديق بعد انتهائه من غذائه فأمر جاريته بأن تعد الغذاء للصديق "فأتت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء فقال أبلل وكل"[8].

---

(1) آدم متز : الحضارة الاسلامية ، ج٢ ، ص٢٨٦ .

(2) آدم متز : المرجع السابق والجزء والصفحة .

(3) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٢ ، ص٤٢٧ .

(4) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٧٤ .

(5) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص٦٠ .

(6) الكندى : الولاة والقضاة ، ص٣٢٧ .

(7) الكندى : المصدر السابق ، ص٤٢٣ ، ٤٦٩ .

(8) أحسن التقاسيم ، ص١٨٣ - ١٩٦ ، ومن أفخر مأكول أهل مدينة قفط " البسار " مكونه من الفول والملوخيا الجافة ، وهو " غالب مأكولهم خصوصا في رمضان وقت الفطور والسحور . ، مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م) ص٢٣٤ .

وقــدم لــنا المقدسى[1] وصفاً شيقاً لملابس ومأكل أهالي مدينة قفط قائلاً: "يلبسون كساءً واحداً بلا سراويل ولهن الأفزنة، وللقريايتين الطوابين، تــنور في الأرض صغير، فقد فرش بالحصى فيوقد الزبل حوله وفوقه، فإذا احمــر طرحت الأرغفة على الحصى وبه طباخون للعدس والبيسار، ويقلون الفــول المنبوت بالزيت ويملحون الترمس، ويكثرون أكله، ويصنعون زلابيه فى الشتاء من العجين، ويأكلون لحم التيس، ويقدون سقف البيت وبنيانهم من طين".

وأشــارت أوراق الــبردى العربية إلى الملابس المستخدمة فى إقليم قفط، وأثمانها يومئذ ومنها جبه صوف، بأربعة دراهم[2] وتوب وثياب[3]، كما جاء فيها أيضاً رداء[4] وسروال وسراويل[5]، وشقه[6]، ومنديل للرأس وشاش وعمامة[7]، ومما يؤكد ذلك ما ذكره البلاذرى، عند حديثه عن شروط الصلح بين المسلمين وأهل مصر وأن على الأخريين "جبه صوف وبرنسا أو عمامة وســراويل وخفيــن أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً"[8] وكان أكثر الملابس الشائعة عندهم من القطن ، وأن العلماء منهم كانوا يرتدون الملابس القطنية ، وتميز العالم والشيخ يلبس جبه قطنية[9] وعرف أهل مدينة قفط بلبس العمائم والطيالس القطنية[10].

---

(1) جروهمان : أوراق البردى ، ج٦ ، ص١٠٦ .

(2) عبد المنعم عبد الحميد سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى (دار الثقافة العلمية – الإسكندرية،١٩٩٩) ص٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ .

(3) عبد المنعم عبد الحميد سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ص ٣٠٢ .

(4) جروهمان : أوراق البردى ، ج٥ ، رقم ٣٤٩ ، ص١٥٤ ، ج٢ ، ص١٠٨ .

(5) الشقة : هى ثوب من نصفين مخيطين ، المصدر السابق ، ج٥ ، رقم ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ص١٧ ، رقم ٣٩٢ ص٨١– ٨٦ .

(6) عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ، ص٣٠٣ .

(7) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٢٥٢ .

(8) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٦٥٨ .

(9) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٣٣٣ .

وكانت المرأة من العامة ترتدى فوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفي كل جسدها[1] بالإضافة إلى النقاب الذى يحجب وجه المرأة أثناء وجودها خارج دارها[2] وكان من وظيفة المحتسب منع النساء من ارتداء الملابس الخليعة والتى لا تلتزم ستر جسدهن وعدم إبراز مفاتنهن[3].

أما ملابس رجال العامة فكان التجار وخاصة أصحاب الحوانيت منهم يرتدون ملابساً لا تختلف كثيراً عما يرتديه الفقهاء ورجال الدين فكانت ملابسهم تتكون من ثياب واسعة وعمائم مدورة وطيالس سابلة[4]، أما أرباب الحرف والصناعات فكانوا يرتدون غطاء الرأس الذى يعرف بالقلنسوة[5] والتي تصنع من الحرير أو الكتان[6] وأحياناً يرتدون العمائم المجدولة[7] وكانوا يسترون أجسادهم بالسراويل والقمصان التى تتميز بسعة أكمامها[8].

---

(1) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص١٠٨ .

(2) ياقوت معجم الادباء ، ج٤ ، ص٥٩ ، عبد المنعم سلطان ، الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى، ص٣٠٣ .

(3) ابن الأخوة : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص٢٤٣ .

(4) الطيلسان : يبدو أنه كان نوع من الأغطية التى توضع على الرأس والكتاف أو يقال طرحة ، ولكننى أعتقد أنه نوع بسيط من الحمار الذى يطرح على الرأس والكتفين أو يلقى على الكتفين فقط وهو خاص بالقراء أو اساتذه الفقه والشريعة . ويبدو أن هذا شبه بما يعرف اليوم بالشال . عبد المنعم سلطان : الحياه الأجتماعية ص٢٨٤ ، هامش (٤) ، وفى مدينة قفط الأن يختلف الشال الذى يلبسه العامة عن الذى يرتديه المشايخ والمقرئين على الرأس مثل العمامة ، وهي ما يلات على الرأس تكويرا .
عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ص٣٠٣ هامش (٦) .

(5) القلنسوه والقلنسييه جمعها قلانس وقلانيس وقلنس يلبس على الرأس مثل العمامة ، وهى ما يلاث على الرأس تكويرا . عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية، ص٣٠٣ هامش (٦).

(6) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٦٨ .

(7) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص١٦٢ .

(8) ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٥٤ ، ويروى المقريزى فى حوادث ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، أن عبد الله بن طاهر الحسينى دخل على جوهر فى مجلسه وبرفقته القضاه والعلماء والشهود وكان يرتدى طيلسانا كحليا فاستاء جوهر من لبسه هذا اللون ومد يده فشق الطيلسان ، فغضب بن طاهر وتكلم محتجا فامر جوهر غلمانه بتمزيق الطيلسان وهو يضحك ثم أمر بإحضر عمامه خضراء ورداء أخضر وقام بنفسه والبس ابن طاهر وعمه . المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص١١٩ ، ص١٣٢ . عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ص٢٨٤ .

المآتم (الجنائز) :

ومـن العـادات المتـبعة فى منطقة مدينة قفط عند دفن الموتى قبل الإسلام خروج النساء من منازلهن عقب الوفاة مباشرة ويقمن بالضرب على صـدورهن ويلطخـن وجوهن بالطين ، ويتركن الميت فى الدار ويجلن فى المديـنة لاطمات ، كاشفات صدورهن ، ومعهن كل أقاربهن[1] فلم يكن يتم دفـن الميت قبل أن " تفعل الأمور الكفريات التى ترتكبها النساء من أعمال الجاهلـية من اللطم على الخدود وشق الجيوب والنياحة، ودعوى الجاهلية "، لذلـك تخصصت بعض النساء لفعل هذا العمل وتنظيمه، وربما استعانوا فى عمله بالدفوف[2] ومن عادة الرجال كانوا يطلقون شعر الرأس واللحية[3].

وعندما جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الأفعال بقوله: "وليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوة الجاهلية". وبعد الانتهاء من الدفن ينصب أهله الخيام التى يتلقون فيها العزاء من جميع الجيران وأهل البلاد المجاورة[4].

كـان لسكان مدينة قفط عده طرق فى دفن موتاهم ، فكانت مظاهر الحـزن علـى الميـت وإعداده للدفن لا يختلف كثيراً عما هو معروف فى العصـور الإسلامية، وكان الميت يغسل طبقاً للتقاليد المتبعة فى هذا الشأن، ومنها ما هو متبع ومعروف لدى المسلمين والأقباط بمنطقة الصعيد الأعلى، فكـانوا يضعون الميت فى قبر تحت الأرض وهناك طريقة أخرى، وهى أن

---

(1) الصيرفى : ابناء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشى ، دار الفكر العربى(القاهرة ١٩٧٠) ص١٣٤
ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٤ ، ص٧٦ .

(2) هيرودوت : هيرودت يتحدث عن مصر ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(3) هيرودوت : المرجع السابق ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

(4) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٧ ص ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٠٠ .

يخفوا الميت فى الأرض ثم يهيلوا عليه التراب[1]، واختلفت قبيلة العبابدة فى مديـنة قفط فى دفن موتاهم فقد كانت لهم طريقة وهى أن يضعوا الميت فى حفرة ، ثم يغطوها بالحجارة تماماً ، وظلت هذه الطريقة تمارس عند العبابدة حـتى الآن[2]، وكان الكفن تتناسب قيمته وثراء الميت ومكانته الاجتماعية، وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء، وتخصص لذلك الأوقاف للإنفاق منها على هذا الغرض[3].

وكانت من عادة الناس الخروج خلف الجنائز لتشييع الميت إلى مثواه الأخـير وهم مرتجلون. وكانت الملابس السوداء اللون تعبر عن الحزن قبل العصـر الفاطمـي ، أما ملابس الحداد فى العصر الفاطمي فكانت غالباً من اللـون الأخضـر الذى لا يشاركه لون أخر، ويبدو أن اتخاذ هذا اللون كان راجعـاً لكره الفاطميين استخدام اللون الأسود شعار الدولة العباسية. وكانت قراءة القرآن من مظاهر الترحم على الميت، فتتلى الآيات القرآنية أثناء غسل الميـت وإعـداده للدفن، كما كانت تلاوة القرآن تستمر على قبر الميت لمدة شهر[4].

المرأة فى إقليم قفط وأثرها فى الحياة الإجتماعية :

مـنح الإسـلام المرأة حقها فى الحرية ، والتعليم، كما منحها الحياة الكـريمة الفاضـلة، وقـد ظهرت كثيرات من النساء الفضليات فى العصر الإسلامي الأول وصلن إلى مكانة ممتازة فى العلم والأخلاق ، ومنذ العصر الأمـوي ، فرض عليهن الحجاب فقد أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بلبس الحجاب [5].

---

(1) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(2) المقريزى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(3) عبد المنعم سلطان : الحياه الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

(4) عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ، ص ٢١٠، ٢١١.

(5) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

كما اشتركت المرأة فى ميدان الحرب على أرض إقليم قفط ، فمنهن "نعم" من قبيلة العلويين بالصعيد الأعلى وهى أم الثائر العلوي "إبن الصوفى العلـوي" وشـاركت بنفسها فى المعارك التى دارت على أرض الإقليم ضد جـيوش الدولة العباسية[١] كما أوضحنا من قبل، وكانت نعم زوجة دحية بن مصـعب الـذى دعـا لنفسـه بالخلافة فى عهد الخليفة العباسي المهدى[٢] واشتركت "نعم" فى هذه الحرب حتى أنشد فيها شعراً[٣].

ومـن الجديـر بالذكر عن وضع المرأة فى منطقة مدينة قفط ، فقد كانت محجبة بحيث لا يظهر منها إلا العينان فقط ، وكانت نساء شمال مدينة قفط خاصة لا يظهرن على المارة أو فى الطرقات ، فقد ذكر إبن جبير قائلاً: " إن من محاسن قنا[٤] المأثورة صون نساء أهلها والتزامهن البيوت فلا تظهر فـى زقـاق من ازقتها امرأة البته صحت بذلك الأخبار عنهن ، وكذلك نساء دشنا[٥]، ولا شك أن ما ذكره ابن جبير عن نساء مدينتى قنا ودشنا ينطبق فى العـادات علـى نسـاء مدينة قفط ، وكان للرجال الدور الأساسى فى صون نسـائهن ، فكـان لطبيعة البيئة فى إقليم قفط والتنشئة دورها فى ذلك ، فقد كانـت النسـاء لا تخرجن فى الأسواق ولكن الرجل هو الذى يتولى قضاء

---

(1) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل فى صعيد مصر ، ص ٢٢٣ .

(2) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٦٠ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(3)

فلا ترجعى يانعم عن جيش ظالم	تعـود جـيوش الظـالمين وتجنـب
وكـرى بـناظروا عـلى سـابح	إليـنا بالمـنايا الكافـرين يقـرب
كـيوم لـنا لازلـت أذكـر يومـنا	بقـاو ويـوم فـى بويـط عصـيب
ويـوم بأعـلى الديـر كانـت نحوسـه	عـلى فـئة الفضـل بـن صـالح تغلـب

ممدوح عبدالرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص١٣٨-١٣٩

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٣٦ – ٤٠ .

(٥) قنا : مدينة لطيفة بصعيد مصر بينها وبين قوص يوم واحد وهى فى ضفة النيل الشرقية (القاموس الجغرافى ، ق ٢ ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

المصالح الخارجية مثل التسوق والاستسقاء إما بنفسه أو يرسل خادمة إذا كان من الأثرياء ، ومن العادات الخاصة بالنساء أن المرأة بإقليم قفط إذا أرادت زيارة أهلها لا تخرج إلا فى صحبة زوجها [١].

أما نساء مدينة قفط المثقفات منهن فكن يجلسن فى مجالس العلم ، ويتفقهن فى أمور الدين ، والثقافة الدنيوية ، وقد أشار الأدفوى إلى بعض أسمائهن مثل تاج النساء ابنة عيسى ابن على بن وهب[٢] والتى كانت فقيهة فى علوم الدين والقراءة[٣].

وقد سيطر المحتسب على مجالس العلم التى يَحْضَرها النساء ، فكان المحتسب يتفقد مجالس الوعاظ ولا يدع الرجال يختلطون بالنساء ، ويجعل بينهم ستاراً ، فإذا انقضى المجلس خرج الرجال ، وذهبوا فى طريق ، ثم تخرج النساء ويذهبن فى طريق أخر[٤].

وتشير ورق البردى العربية إلى امتلاك بعض النساء من عليه القوم للجواري وحقها فى عتق جواريها، وورد فى أوراق البردى أن "أسطورة هيوه بنت سرجه بن ابليدة فى صحة عقلها وبدنها، وجواز أمرها، طايعة غير مكره ولا مجيرة طيبة بذلك نفسها، صحيحة البدن، كاملة العقل، أعتقت صغراه بالعربية، واسمها بالقبطية وحاشية جارية،عتاقة العبيد من مواليهم[٥].

كذلك كن للنساء الحق فى قبض صداقهن ممن يرغبن، الزواج بهن كما شهدن الكثيرات من النساء مقابر فخمة عند موتهن، ويدل على ذلك

---

(١) دشنا : بلد بصعيد مصر ، بشرق النيل ذات بساتين ومعاصر للقصب (رمزى : المرجع السابق والجزء ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٨٥ .

(٣) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٠٠ .

(٤) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ١١٠ .

(٥) جروهمان : أوراق البردى ، ج١ ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

شــواهد القبور التى كشفت ، مثل شاهد مؤرخ سنة ٤٠٦ هــ باسم "عائشة ابنه حسين بن حسين بن جدير الزيات"[١].

أمــا النساء في قرى ومدن منطقة فقط ، فكن يساعدن أزواجهن فى أعمــال الحقل ويقمن بتنظيف المنزل ، وإعداد الطعام لأزواجهن ، ومساعدة أزواجهــن فــى المعيشة اليومية ، بغزل الصوف لإرساله إلى مناسج القرى اليدوية لكى ينتج منه ما يلزمهن من أغطية وأكسية كذلك كن يبعن الزائد عن حاجتهن فى سوق القرية، وكن يقمن بتربية بعض الطيور الأليفة فى بيوتهن، وبــيعها فــى الأســواق ، لمساعدة أزواجهن على الحياة اليومية[٢]، وكانت القواعــد الاجتماعــية تــرمى إلــى المحافظة على المرأة ومنع تعرضهن للمضايقات فى حياتهن العامة والخاصة ، فكان من المحظور أن يختلى رجل بأمــرأة ليســت لــــه بمحــرم فى طريق و غيرة ، وكان أعوان المحتسب يراقــبون الآداب العامـــة ويتفقد المواضع التى يكثر ازدحام النساء فيها مثل الحمامات وسوق الغزل والكتان[٣]، ويمنع الشباب من الانفراد بالنساء إلا فى عمــل يــتعلق بالبــيع والشراء " فكثير من الشبان المفسدين يقفون فى هذه المواضع وليس لهم حاجة غير التلاعب على النسوان"[٤].

---

(1) Wiet : Steles Funeraires Catalogue du Mussee Arabe , Tom , p. 43 .

(٢) آدم منز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص٣٥١ .

(٣) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ص١١٣.

(٤) الشــيرزى : نهايــة الرتــبة ، ص١٠٩ ، ١١٠ ، محمــد عبدالســتار عــثمان : المديــنة الإســلامية ، ص٣٦٢ ويبدو في العصر الفاطمي أن بعض النســاء قد أسأن استخدام الحرية التى يتمتعن بها ، وكن يخــرجن ليلاً ويختلطن بالرجال ، ولم يستجبن لزجر أزواجهن أو من يعولهن لمنعهن من ذلك وغلــب النســاء أزواجهن عــلى الخــروج ممــا دعــا الخليفة الحــاكم إلى إصــدار قــرار في سنة ٣٩١ هــ / ١٠٠١ م بمــنع النســاء مــن الخروج من دورهن بعد العشاء عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

المجالس الاجتماعية :

كانــت المجالس القبلية فى إقليم قفط عبارة عن مجالس قضاء حيث كان يسود فيها العرف ، وتجتمع من أجل الفصل فى بعض الخصومات التى تحدث بين أفراد القبلية أو فيما بين القبائل العربية ومن المعروف أن القبائل العربية عموما أنهم يحيون العدالة ، ويقسمون الحق والواجب[١] ومما تجدر الإشارة إليه إذا وجد فى مدينة قفط بينهم من يرتكب جرائم مخلة بالشرف أو يقوم بشهادة الزور ، فإن أول عقاب له أن يمتنعوا عن تزويجه من بناتهم[٢]، ومن الأمور التى تدعوا إلى الإعجاب أن هذه المجالس " أو العرف السائد " كانــت تفصــل فى الخصومات بين القبائل بصورة مدهشة ، فقد كانت تلك المجــالس لها قوة القانون ، فإذا قضى مجلس القبيلة بأمر لا ينبغى لأحد أن يخالفه وخاصة أن القبائل المتنازعة كانت تعلم أن الحكم الصادر كان مستمداً من أحكام الشريعة [٣].

كذلك كان على قاضى القرية أن يعقد عقود الزواج ، وإثبات وتوثيق عقود البيع والإيجار وهى ما عرفت باسم "سجلات الأراضي"[٤]، وعليه أيضا إثبات رؤية الهلال بشهادة عدول، وكذلك كتابة المحاضر على من ارتد عن الإســلام، أو من تعدى على الدين الإسلامي بالسب أو ما شابه ذلك[٥]، ومن أهم أعمال قضاه منطقة إقليم قفط عامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبلــيغ أوامر الحاكم إلى الأهالي[٦]، هذا فضلا عن أن الأوقاف والصدقات

---

(١) نادية بدوى : حلايب ، ص٦٧ .

(٢) رفعت الجوهرى : شريعة الصحراء عادات وتقاليد ، ص١٦٧ ، (القاهرة ١٩٦١ م)

(٣) المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص١٩٤

(٤) ابن حجر : أبناء الغمر ، ج٤ ، ص٥٧ ، ٥٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٣ ، ص١٤٤ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب ، ج٨ ، ص٢٥٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج٤، ص٢٨٦ .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص٤٠ ، ٤١ ، مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية ، ص٦٤ .

والتبـــرعات أرصـــدة بتلك المنطقة لأبناء السبيل وعمل الخير كانت بأيدى هؤلاء القضاة[1].

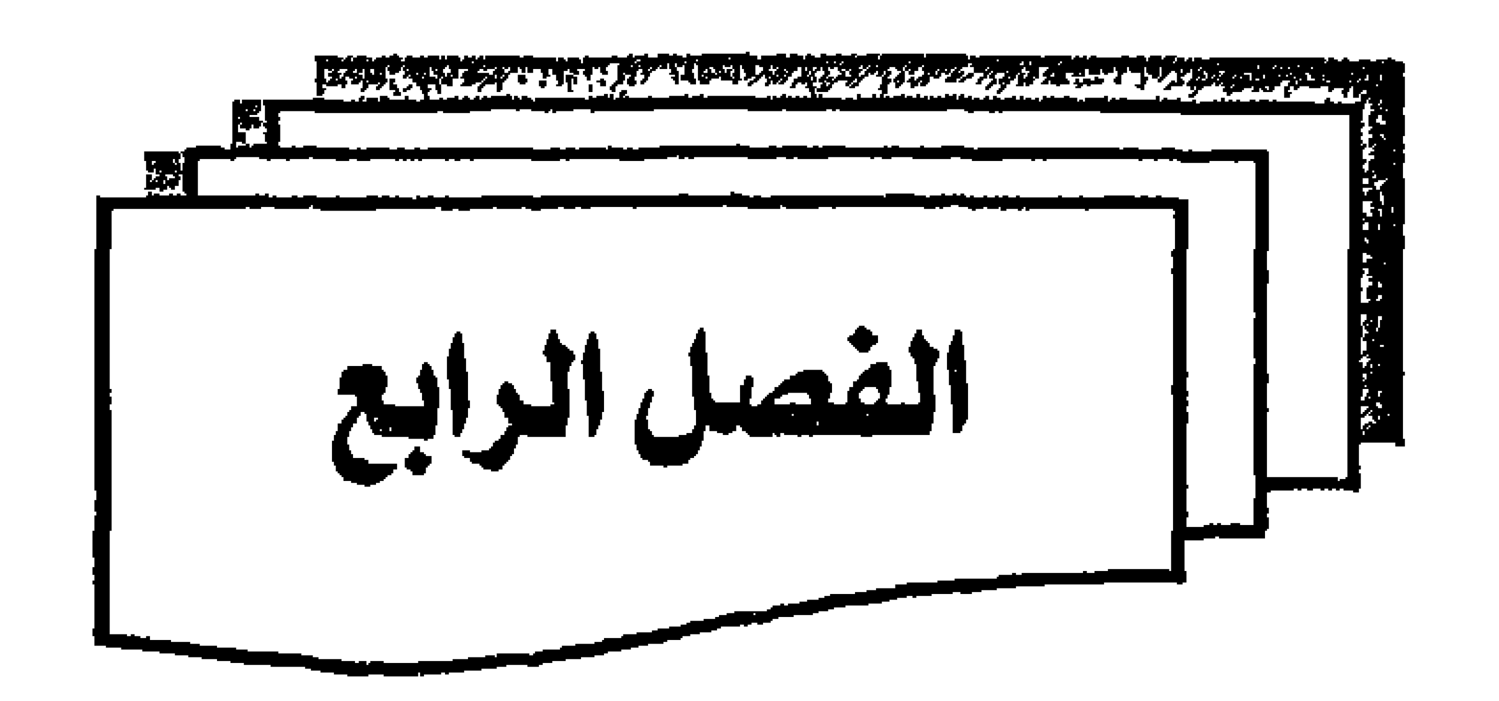
ومما لا شك فيه أنه كان للقاضى سجناً يعرف باسم "سجن القاضى أو ســجن الحاكم " يتم فيه تنفيذ الأحكام ، ولكن قد لا يوجد فى كل قرية سجن ينفذ فيه حكم القضاء، لذلك فإن الأحكام التى كانت تقضى بالسجن كانت تنفذ فى سجن القاضى، أو فى سجون الفسطاط ولا سيما أن القضايا الكبرى التى كانت تحتاج إلى إفتاء وإصدار الحكم بالعقوبات الشديدة أو القصاص ، كانت ترفع إلى قاضى الولاية وقد ترفع إلى قاضى القضاة فى العاصمة[2].

وهكذا كانت المجالس الاجتماعية وغيرها مما عرفته مدينة قفط من المظاهـــر الاجتماعية والاحتفالات بالأعياد والمناسبات المختلفة التى سادت الإقلـــيم، وهـــى لا تختلف كثيراً عما ساد فى سائر الديار المصرية الأخرى خلال العصر الإسلامى.

---

[1] مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية، ص٦٤ .

[2] مجدى عبد الرشيد بحر : المرجع السابق والصفحة .



النهضة الثقافية فى مدينة قفط منذ الفتح العربى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

أولاً : عوامل النهضة الثقافية بمدينة قفط .

ثانياً : مراكز الثقافة فى مدينة قفط

المساجد

الكنائس والاديرة

ثالثا : العلوم النقلية فى مدينة قفط

* علم القراءات
* علم التفسير
* علم الحديث
* علم الفقه
* علوم اللغة والأدب
* التاريخ
* ظهور آراء الصوفية فى مدينة قفط

النهضة الثقافية فى مدينة قفط :

أولاً : عوامل النهضة الثقافية فى مدينة قفط :-

تعـــددت العوامـــل التى أدت إلى ازدهار الحركة العلمية بمدينة قفط حـــتى تقدمـــت شتى ألوان الفكر والمعرفة ، حيث كان لموقعها على طريق الرحلة بين الفسطاط والبحر الأحمرأعظم الأثر فى تنشيط الحركة العلمية إذ أصبحت محطةِ للهِجرات القادمة من الجزيرة وشرق آسيا عبر البحر الأحمر إلـــى مصر العليا (صعيد مصر)، كما كان لانتشار القبائل العربية فى أعقاب الفتح الإسلامي أثر كبير فى تعريب المصريين [1] .

هـــذا وقـــد استمرت موجات الداخلين فى الإسلام من القبط تتابع فى أعقـــاب الفتح حتى أواخر عصر الولاة أيضاً ، وكان للصحابة الدور المؤثر فـــى نشـــر الإســـلام والنهضـــة فى مدينة قفط ، والتى اصطبغت بالصبغة الإسلامية فى أعقاب توافد العلماء والشعراء والأدباء الذين اختطوا المسجد الجامع وأطلق عليه جامع قفط[2].

وكذلك كان للتجار وطلاب العلم دور هام فى مدينة قفط ، حيث كانوا يســـافرون فى رحلاتهم للتجارة وطلب العلم ولأداء مناسك الحج ، وفى أثناء عودتهم يعرجون على مدينة قفط لتلقى العلم وشتى أنواع المعرفة [3] ، حتى غـــدت مركزاً علمياً هاماً فى فجر الإسلام فكان يفد إليها طلاب العلم خاصة من قرى ومدن الصعيد الأعلى [4] .

---

(1) بتلر: فتح العرب لمصر ، ص٣٥ .

(2) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٢٦٥ ، ٢٦٨ .

(3) الإدفوى : المرجع السابق والصفحة .

(4) ابن حوقل : صورة الارض ، ص٥١ ، ٥٢ .

وقد كان لهؤلاء الفقهاء جهوداً عظيمة فى نشر الإسلام ، حيث كانت الدراسات فى سنى الإسلام الأولى دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه[1] ، وشجعهم على ذلك حرص الحكام المسلمون على العناية بنشر الدين الجديد فنرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبعث بعضاً من كبار الصحابة والمتفقهين فى الدين إلى الأمصار الإسلامية ليقوموا بتعليم أهالى تلك الأمصار القرآن الكريم وأصوله ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شديد الحرص على نشر العلم وتشجيع العلماء على نشره وحث الرعية على الأخذ عنهم[2] .

ولقد شهد عصر الولاة انتشاراً واسعاً للإسلام فى مصر ، ووضح ذلك جلياً فى إمارة أحمد بن طولون على مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حيث كان الغالبية من أقباط مصر قد اعتنقوا الإسلام ، وصار المسلمون يمثلون الأغلبية العظمى بين سكان مصر وصار أهل الذمة أقلية قليلة ، ومن ثم سادت الصبغة الإسلامية فى العادات والتقاليد بل فى الحياة الفكرية بصفة عامة[3] .

كما كان لتوطن القبائل العربية فى منطقة قفط واختلاطهم بالمصريين الأثر الكبير فى امتزاج العرب بالأقباط مما أدى إلى انتشار الثقافة العربية بهذه المدينة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك

---

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ، (القاهرة ١٩٤١ م) ص ١٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٦١ .

* عن سالم بن عبد الله قال : كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت فقلت مات عالم الناس اليوم . فقال ابن عمر يرحمه الله ، فقد كان عالم الناس وحبرها . مزقهم عمر فى البلدان . ابن سعد : المصدر السابق والجزء والصفحة

(٣) حسن أحمد محمود : حضارة مصر فى العصر الطولونى ، ص ٥٤٠

Zaki Hassan :Les Tulinides , p . 216

فحسب بل سادت عناصر الثقافة العربية فى منطقة الصعيد على وجه العموم(١).

على أن أهم عوامل النهضة العلمية فى مدينة قفط توافد هؤلاء الأجناد العربية الذين أسقطت أعطياتهم بداية من منتصف القرن الثالث الهجري، فى عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ -٢٢٧هـ)(٢) وانصهر المصريون والعرب وتصاهروا معاً(٣)، و ترتب على ذلك تزاوج المسلمون من الأقباط(٤).

كذلك كانت هناك علاقات ثقافية بين الحواضر الإسلامية الأخرى في ذلك الوقت مثل الفسطاط، والبصرة وبغداد، والمدينة المنورة ببلاد الحجاز، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والدينية بها فى تلك الآونة(٥).

ومن أهم عوامل النهضة العلمية أيضاً هو تشجيع ولاة مصر المسلمين للفقهاء وطلاب العلم آنذاك، فالأمويون فتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء ، وبذل حكام الدولة الأموية لهم الأموال ، إما بالنسبة للعلوم الفلسفية فقد جرى الاهتمام بها فى عهد الدولة العباسية، بسبب تشجيع خلفائها منذ خلافة المأمون الذي كان شغوفاً بالعلوم العقلية، والذى يرجع إليه تشجيع حركة الترجمة إلى اللسان العربى(٦).

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢١٨ ،

ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج٤ ، ص٤١٣ .

(2) Mac Micheal : Ahistory of The Arabs in The Sudan , pp- 109 – 132 .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٢٧٧ ،

سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٣٨٢ .

(4) Mac Micheal : Op – cit , pp- 109 – 132 .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص٦١ .

(٦) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية ، ج٢ ، ص١٢١.

كمـــا اســـتمر أمـــراء الدولة الطولونية والإخشيدية أيضاً فى تشجيع الحركة العلمية والعلماء ، ليس فقط عن طريق الهبات وإنما أيضا عن طريق تقريب العلماء والأدباء ومجالستهم لهم (١) .

وكـــان لهـــؤلاء المحدثين فى الفسطاط عظيم الأثر فى إثراء الحركة الفكـــرية بالمدينة حيث تتلمذ على أيديهم طائفة من طلاب العلم الذين رحلوا إلـــى حاضرة الديار المصرية ثم عادوا إلى المسجد الجامع بمدينة قفط لعقد حلقـــات العلم والدرس به وخاصة فى مجالس العلوم النقلية ، وكان من أبرز هـــؤلاء أحمد ابن أبى بكر أبو جعفر القفطى، وكان راوياً للحديث وعالماً فى علوم القرآن الكريم ،كما أسس علم القراءات بالصعيد والتى نقلت عن القارى الشهير وَرْش(٢) .

وشـــارك بعـــض أهـــل الذمـــة فـــى مجالس الأدب والعلم فى بلاط الطولونييـــن وفـــى مقدمتهم أحمد بن طولون الذى كان مولعاً بمعرفة علوم المصريين وآثارهم وتاريخ مصر وجغرافيتها. فاستدعى إلى دار الإمارة أحد أقـــباط الصـــعيد الأعلـــى ، وكان يدين بالمذهب اليعقوبى، ومشهوراً بالعلم وبدراســـة المذاهـــب الفلســـفية والملل والنحل المختلفة ، عالماً بأخبار البلاد والملوك وبالفلك والنجوم وغير ذلك من العلوم. وقد استفسر منه الأمير ابن طولون عن كثير من أخبار مصر وجغرافيتها.(٣)

وكـــان أحمد بن طولون يدعو العالم القبطى إلى مجلسه بالقصر فى القطـــائع لعقد المناظرات بينه وبين العلماء والمسلمين أو بين القبط واليهود.

---

(١) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(٢) سيده كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٣٢٨–٣٢٩ ، أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج١ ، ص١٦٩–١٧٠ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ج١ ، ص٣٤٧–٣٥٣ .

وقد سأله ابن طولون عن مذهبه ودين النصرانية[١]، وكان من بين الحاضرين طبيب الأمير سعيد بن نفيل ، فاستأذن ابن طولون فى منازلة هذا القبطى الذى أخذ يحط من شأن اليهود[٢]، وقد أكرمه ابن طولون وقربه إليه، ثم مالبث أن عاد مكرماً إلى الصعيد الأعلى.[٣] ومن المرجح أن هذا القبطى من مدينة قفط حيث كانت مركزاً علمياً هاماً بالإقليم آنذاك.

وقد نشطت الحركة العلمية فى الصعيد الأعلى فى العصر الإخشيدى، الذى كان أهم مايميزه نشاط الفقهاء والعلماء والأدباء حيث برز عدد كبير من الفقهاء والمحدثين ، نذكر منهم أبوبكر بن حداد وتلميذه محمد بن موسى، والنحوى الشهير ابن ولاد ، وأبوجعفر النحاس الذين كانوا لهم نشاط ملحوظ فى البحث والتأليف فى مجال العلوم النقلية لاسيما فى علوم اللغة والأدب[٤].

ولعل أهم مايميز هذه الفترة آنذاك هو انتشار كتب هؤلاء الفقهاء والعلماء والأدباء فى مدينة قفط والصعيد الأعلى.

ولاشك أن من أهم العوامل التى لايمكن إغفال دورها فى النهضة العلمية فى مدينة قفط حركة الترجمة والنقل من التراث الفارسى واليونانى والهندى إلى الثقافة العربية ، أهم الطرق لانتشار الثقافات الأجنبية إلى الثقافة

---

(١) أجاب القبطى عن سؤال ابن طولون قائلاً دليلى على صحتها متناقضة ، فلما سأله الأمير عن التضاد الذى فيها قال : وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووضعهم الأقانيم والجوهر، وهل الثالوث ، وهل الأقانيم فى أنفسها قادرة عالمة أم لا ؟ وفى اتخاذ ربهم القديم بالإنسان المحدث وما جرى فى ولادته٠٠٠ ووصف للأمير ما حدث فى صلبه. المسعودى : المرجع السابق والجزء ، ص٣٥٣-٣٥٤ ٠

(٢) المسعودى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥٤-٣٥٥ ٠

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء ، ص٣٥٥-٣٥٦ ٠

(٤) وفى عهد كافور الإخشيد رحل الشاعر المشهور أبوالطيب المتنبى إلى مصر ومدحه بعدة قصائد ، وكان يعقد حلقاته الأدبية فى مسجد ابن عمروس حيث يجتكمع لديه الأدباء والشعراء ٠

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٤٣١ ، السيد طه أبوسديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص١٩ ، Lane-poole : Ahistory of Egypt , P.90

العربــية[1] حيــث ترجمــت العديد من كتب الطب[2] والفلسفة والرياضيات وغيرها ، كان لها أثرها الواضح فى تقدم الدراسات فى مجال العلوم العقلية فــى مصــر فى ذلك العصر. كما كان لانتشار اللغة العربية فى بداية القرن الرابع الهجرى وقبيل مجيء الفاطميين للبلاد[3]، وانتشار صناعة الورق فى الفسطاط وغيرها من المدن المصرية وشيوع استخدامه[4] من الأسباب القوية التى أدت إلى انتشار الحركة الفكرية فى مدينة قفط ودفعها قدماً إلى الأمام.

كمــا ســاعد على ازدهار النهضة العلمية فى مدينة قفط توفر البيئة العلمية حولها، حيث ظهر كثير من أهل العلم والأدب بمدينة إدفو[5] المجاورة لهــا، كمــا ذاع صيت أسر، مثل بنى نوفل وغيرهم ومجموعة من علمائها الذين اشتهروا بالورع والتقوى[6].

ولعل ذلك يصدق فى قول الإدفوى فى وصفه للنهضة العلمية بالإقليم وبهــا ثمانــية وعشرون موضعاً لتعليم العلوم والأدب وقد عبر عن ذلك فى قصيدة له قائلاً[7]:

بــلاد بهــا أهــل المكــارم والــنهى ... وللعــلم فـــيها طـــارق وتلـــيد

---

(1) ابن النديم : الفرست ، ص ٣٥٣ •

(2) اهتم الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور (١٣٦–١٨٥هـ) بالطب فعمل على تشجيع حركة النقل والترجمة ، ولما أصيب المنصور بمرض فى معدته أخذ يهتم بالطب وبترجمة كتبه ، فاستدعى جورجيوس بن بختشيوع رئيس أطباء جند يسابور وكان يعرف اليونانية والفارسية والعربية فنقل له عدد من الكتب الطبية إلى العربية• ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص١٨٣–١٨٥ •

(3) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٢٥ •

(4) وهناك سوق للوراقين بالفسطاط وماكانت تدور بها من المسجلات العلمية والأدبية مما يدل على شيوع استخدام الورق ونشاط الحركة العلمية والأدبية ، وكان الوراقون فى ذلك الوقت يشتغلون بعمل الورق وتجارته والنسخ والتجليد وبيع الأقلام والحبر وخلافه • السيد طه أبوسديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص٢٢ •

(5) ابن دقماق : الانتصار ، ج٥ ، ص٢٩ .

(6) الإدفوى : الطالع السعيد ، ص٤٥ .

(7) : المصدر السابق ، ص٢٩ .

صعيد علا فوق الإقليم قدره ... به العيش حلو والمقام حميد

ـه من الآداب وعلم وسؤدد ... صعيد ومن للمكرمات مفيد

كما نقل الإدفوى عن أبى إسحاق البيهقى فى وصفه لإقليم قفط قوله: "والغالب غلى إقليمه العلم والفهم والدين ... "[1].

مراكز الثقافة فى مدينة قفط :-

أصبحت قفط تضم العديد من مراكز العلم والثقافة كالمساجد الجامعة وغيرها من مجالس العلم ، وما كان يجرى فى الكنائس والأديرة قبل ظهور الإسلام، من أوجه النشاط فى مجال التعليم ونشر العلوم والمعارف والتى عرفت بعلوم الأوائل كالطب وغيره من العلوم العقلية والأدبية.

فقد أشارت أوراق البردى التى تم العثور عليها إلى أن كلا من الأدب اليونانى، والأدب اللاتينى كان لايزال رائجين، وأن الرهبان ورجال الدين فى القرن السادس الميلادى كانت لهم مؤلفات كثيرة[2].

كذلك كان العلماء والفقهاء فى مدينة قفط كغيرهم فى الأمصار الإسلامية يعتمدون فى كتاباتهم على ورق البردى "وهى القراطيس أو الطوامير ... التى يكون طول الواحد منها ثلاثين ذراعاً أو أكثر فى عرض شبر"[3].

---

[1] الادفوى : الطالع السعيد، ص٤٥ .

** وإذا قارنا ماحدث فى مصر بما حدث فى غيرها من البلاد المفتوحة نجد أن فتح العرب لايزال مثلاً والهند لم يقض على لغتها القومية ولم يقض على العقائد الدينية التى وجدت فيها عند الفتح قضاءاً تاماً ، ولم يمنع اعتناق الأتراك الدين الإسلامي من احتفاظهم بلغتهم القومية. والأندلس التى كانت تزدهر فى الحضارة الإسلامية بعد فتح العرب لها تغلب على أمرها فى أواخر العصور الوسطى وتعود ثانية دولة مسيحية الدين بعيدة عن اللغة العربية ٠ سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٢٦٠.

[2] كانت أشعار الرومان تدرس فى إقليم قفط ومنها أشعار جوفينال أو يوناليس ، كانت تدرس فى القرن السادس الميلادى فى الكنائس والأديرة فى مصر.

أيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص١٨٨ ،١٨٩ .

[3] السيوطى : حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص١٩٢ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج٢ ، ص٣٥٩ ** أما فى القرن الرابع الهجرى فنجد " كواغيد سمرقند " عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون عليها لأنها أحسن وأنعم وأرفق أوفق ولا تكون إلا بسمرقند ، والصين ، ويقول كراباتشيك=

١- المساجد :

ولكننا نبدأ بالحديث عن المساجد[١] التى حرص قادة الفتوح على إنشائها فى أعقاب فتوحاتهم للأقاليم، وذلك بقصد العبادة وأداء الصلوات، ثم لعقد مجالس العلم والتفقه فى الدين، وقد كان المسلمون يحرصون على بناء المساجد الجامعة عند إنشائهم المدن فى الأقاليم المفتوحة وكان المسجد هو أبرز صورة للتعبير عن سيادة الدين الإسلامى، وأبلغ رمز للتعبير عن وحدة المسلمين فى تلك الأمصار"[٢].

كما كان الفاتحون العرب يحرصون بادئ ذى بدء على بناء المسجد فور فتحهم للبلدان ليكون إحدى دور العبادة ومركزاً ثقافياً للتفقه فى الدين، وعلوم القرآن وفى هذا استشرقت مدينة قفط عصراً زاهراً بعد فتح العرب لمصر وأصبح " جامع قفط من الجوامع الشهيرة فى الإقليم.

وكان لجلوس المحدثين والفقهاء فى المساجد الجامعة دوراً هاماً فى عقد حلقات العلم والدرس والتصدى للفتيا، فعلى كل واحد منهم أن يتصدى لما ليس له بأهل "فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد[٣] وكان ذلك منذ

=Kerabacek أنه من المرجح أن صناعة تجهيز ورق البردى بمصر للكتابة قد أصبحت منتهية والأحمال حوالى منتصف القرن العاشر الميلادى الرابع الهجرى . وذلك أن الورق البردى المؤرخ ينتهى (٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م) انتهاء تاماً على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد الذى نقلت صناعته من الصين يبدأ تاريخها منذ ٣٠٠هـ/٩١٢ م.

آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج٢ ، ص٢٦٠ .

[١] المسجد : جمع مساجد كل مكان يسجد فيها ويتعبد فهو من الألفاظ الإسلامية لم تعرفها الجاهلية . وللمسجد نوعان واحد لاتقام فيه صلاة الجمعة ، بينما تجرى فى الآخر " المسجد الجامع ، أو الجامع . أو الجامع الكبير ، أو مسجد الجمعة ، أو المساجد الجامعة " وحدها تزود بالمنابر وعددها يرقى قليلاً فى المدن مهما اتسعت وكثر سكانها ، وغالباً مايكون للمدينة مسجداً جامعاً واحد.

عبدالرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ، وسبرس . الطبعة الأولى يروت ١٩٨٨م ، ص٣٨١ .

[٢] على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٥٠ .

[٣] الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٨٨ .

• وقد بلغ من أهمية هذه الحلقات التى كانت تعقد فى المساجد ، أن صارت موضع إهتمام الفقهاء الذين استوجبوا على الدولة ، منع الناس فى الجوامع والمساجد من إستطراق حلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها،

عهـد الرســول صلى الله عليه وسلم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس بالمسجد النبوى بالمدينة، ويلتف حوله المسلمون يستمعون إليه ويتلقون عنه مبادىء الإسلام وتعاليمه وفى ذلك قال ابن الأثير: ورسول الله صلى الله علـيه وسـلم بين أصحابه مكان المائدة بين القوم حلقه دون حلقه يقبل إلى هـؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم[1] ويبدو أن طريقة التدريس ونظــام التعليم فى جامع قفط كانت تسير على هذه الطريقة، فقد كان يتحلق طــلاب العلم حول الفقيه أو المحدث لتلقى العلم عنه، كذلك تعلم به كثير من رجال العلم والأدب، اشتهر منهم ابن غازى العذرى الأنماطى (المتوفى فى أواخــر القــرن الثالــث الهجرى) حيث كان يجلس للدرس والإفادة بالجامع ولتدريس علوم اللغة والأدب التى ذاع صيته فيها[2]، وكانت مواد الدراسة فى معظمهــا تــدور حول العلوم النقلية ،أما العلوم العقلية كالطب والرياضيات والمنطق فلم تحظى حلقات المساجد إلا بالقليل منها[3].

لم تقتصر أهمية جامع قفط على أداء الشعائر الدينية فحسب ، بل كان كغــيره من المساجد الجامعة فى الفسطاط وغيرها من المدن المصرية فكان دار عــبادة وإدارة وقضـــاء فقد نقل الطبرى عن الرواة : " أن ولاة الخلفاء الراشــدين اتخــذوا من المســاجد أماكن مختارة يصرفون فيها شئون الحكم ويحفظــون فــيها أمــوال المســلمين" ومكاناً لعقد حلقات العلم والأدب على اختلافها[4].

فقد روى عن النبى صلى الله علية وسلم ، أنه قال : لا حمى إلا فى ثلاث ثله البئر ، وطول الفرس، وحلقه القوم. فام اثله البئر فهى منتهى حريمها – وأما الفرس فهو ما دار فيه بمقوده إذا كان مربوطاً ، وأما حلقه القوم فهو استدارتهم فى الجلوس للتشاور والحديث .

الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص١٨٨ – ١٨٩ .

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ، ج٤ ، ص٤٧٦ .

(٢) ابن القفطى : انباه الرواه على ابناء النحاه، (طبعة القاهرة ١٩٥٠ م) ج٢ ، ص٨٤ .

(٣) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص٨١.

وقد جمع هذا المسجد حلقات العلم والفقهاء الذين صار لهم أكبر الأثر فى الاجتهاد والاستباط، وهم الذين أظهروا للناس كافة فقه الأئمة المجتهدين علـــى اختلاف مذاهبهم[١]. كما تعددت الحلقات العلمية بمسجد قفط مثل غيره مـــن المســـاجد الجامعة فى المدن المصرية الأخرى حيث كانت حلقات العلم والدرس التى تعقد فى المساجد هى الطريقة السائدة فى التعليم خلال العصر الإسلامى الأول[٢].

وكـــان من الفقهاء من يحافظ على المذهب السنى فى قفط والمنطقة المجـــاورة، ومـــنهم صـــالح بـــن عادى (المتوفي فى أواخر القرن الرابع الهجـــرى) الفقـــيه يقـــوم بإلقاء دروسه فيه ما بين الظهر والعصر وقد انتفع ببركته وعلمه كل من صحبه[٣]. وأيضاً الفقيه النحوى شيث بن الحاج القفطى فكانت لـــه حلقة وتلاميذ يحافظون على مذهب أهل السنة[٤]، وكان لـــه أخاً عالماً بعلوم القرآن، مفيداً للناس، له حلقه للدرس وكانت توجد حارة مفردة له ولأهلـــه تعـــرف بحارة ابن الحاج وكان بها مجموعة من المساجد التى تقوم بتعلـــيم الأهالى العلوم الدينية وغيرها[٥] كما كانت لـــه حلقات أخرى للدرس وتعليم للصبيان بمساجد القرى المجاورة مثل دير البلاص بالقرب من قفط[٦].

---

[٤] الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٩١ ، على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ،ص١٥٥

[١] الكندى : الولاة والقضاة ، ص٤٤٣ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج٤ ، ص٧ .

[٢] الكندى : المصدر السابق والصفحة .

[٣] الادفوى : الطالع السعيد ، ص٢٦٥ ، ٢٦٨ .

[٤] ابن القفطى : ابناه الرواه ، ج٢ ، ص٥٣ * وقد قام شيث الفقيه بتصنيف العديد من المصنفات منها المختصر والمقتصر من المختصر فى علم النحو ، لم يأت أحد بمثله فى بابه .

ابن القفطى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، ص٧٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٨٣ .

[٥] ابن القفطى : المصدر السابق والجزء ، ص٧٣ .

[٦] ابن القفطى :أخبار العلماء ، ص١١٧ .** ذكر ابن القفطى لما توجه إلى هذه الناحية وهو دير البلاص قاصداً أحد المشتغلين بعلم الفلك وأحكام النجوم ، نزل هناك بمسجد فيه رجل مغربى يعلم الصبيان المصدر السابق والصفحة .

وكانـــت حلقـــات الدرس تشمل العلوم الدينية وسيرة النبى صلى الله علـــيه وسلم وأحاديثه وبعض القصائد الدينية ، أما طلاب العلم الكبار فكانوا يدرسون تفسير القرآن والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والأدب . بينما كان الصغار يتعلمون فيها القراءة والكتابة، وقد تعددت حلقات الدرس بجامع قفط مثل غيره من الجوامع فى الأمصار الإسلامية[1].

ومما تجدر إليه الإشارة أن هؤلاء الفقهاء والعلماء فى جامع قفط ، لم يتقاضـــوا أجـــراً كغيرهم من العلماء والفقهاء فى الأمصار الإسلامية ،حيث رأت طائفة كبيرة منهم كالأحنف وابن حنبل وسفيان الثورى وغيرهم أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليم القرآن والحديث[2]. ذلك لأن إقامة سنة رســـول الله صلى الله عليه وسلم وإرساء قواعد الإسلام وإرشاد عباد الله إلى الحـــق . قـــد استوجب على القائمين بأمر التدريس أن يكون تعليمهم العلوم الدينـــية ابتغاء وجه الله تعالى والقيام بتعليم تلك العلوم تطوعاً[3]، وخير دليل علـــى ذلـــك هو ما أشار إليه ابن خلدون " من أن القائمين بأمور الدين من القضـــاء والفتـــيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم فى الغالب"[4].

وتعوزنا المصادر لإلقاء الضوء على هؤلاء الفقهاء الذين كانوا يلقون دروســـهم فى جامع قفط وعن رواتبهم ، ومن المرجح أن جزء من رواتبهم

---

(1) صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية ، ص٦٥، هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية ، ج٢ ، ص ١٢٦ .

(2) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج١ ، ص ٣٠٣ .

(3) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ج١ ، ص٣٣ .

فحين فرض سعد بن أبى وقاص إبان ولاياته على العراق (١٤-٢٠هـ) عمن يقرأ القرآن فى الفين ألفين ٠٠٠٠ كتب إليه عمر بن الخطاب ألا يعطى على القرآن أحد ٠ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٥٥٨ ٠

(4) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل السابع ، ص٣٩٣ .

كـــان يحصلون عليه من طلاب العلم أما الجزء الأخر فكان من تلك الهبات والعطايـــا الـــتى تغـــدق الدولة بها عليهم قياساً بما فعله الخليفة العزيز بالله الفاطمى بالجامع الأزهر[1] .

ولعـــل الوزيـــر الفاطمى يعقوب بن كلس هو أول من فكر فى اتخاذ الأزهـــر معهـــداً للدراســـة المنتظمة، فى سنة (٣٧٨هـــ) أشار على الخليفة العزيز بتحويل الجامع الأزهر إلى جامعة فاطمية[2]، واستأذن العزيز فى أن يعيـــن بالأزهـــر جماعـــة مـــن الفقهاء للقراءة والدرس. يحضرون مجلسه ويلازمونه ، ويعقدون مجالسهم بالأزهر فى كل يوم جمعة بعد الصلاة حتى العصر فأذن لـــه وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً. كما أنشأ لهم داراً للسكنى بجـــوار الأزهر، وخلع عليهم فى يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات تشريفاً لهم، كما أجرى عليهم ابن كلس أرزاقاً من ماله الخاص[3].

وكذلـــك كان لازدهار الحياة الثقافية فى مساجد المدن المجاورة أثراً كبـــيراً فـــى تبادل العلماء ومد الحركة الفكرية بالثراء العلمى بين هذه المدن ومنها مدينة إسنا والتى لعبت مساجدها دوراً كبيراً منذ الفتح الإسلامى حتى بدايـــة العصر الفاطمى، وقد انفردت أسر بأكملها فى هذا المجال، فكان بنو الســـديد من أرباب العلم وتولى المناصب الدينية وبنو الخطيب لهم شهرة فى الاشـــتغال بالعلوم[4]، كما كان بنو النضر من أجل العلماء الذين ذاع صيتهم فقاموا ببناء جامع الخطبة[5] وكان من أشهر علمائهم على بن النضر فقد نبغ

---

(1) ** وفى مصر كان أول من عرف من أقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر فى خلافة العزيز بالله . نزار بن المعز فى وزارة يعقوب ابن كلس . فعمل ذلك بالجامع الأزهر . المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٣٦٣ .

(2) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٣٦٢ .

(3) السيد طه أبوسديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص١٩-٢٠ .

(4) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٣٧ .

(5) الادفوى : المصدر السابق ، ص٣٨ .

فى علوم عصره، وكان لــه القدح المعلى فى العلوم العقلية ، ومن الأفاضل المشاهير فى علوم الدين واللغة والأدب(١).

كذلــك أنشأ الفاطميون المساجد بإقليم قفط لنشر المذهب الشيعى فقد بــنى الوزيــر بدر الجمالى مسجداً بإسنا أطلق عليه مسجد النصر(٢)، وكان يطلــق علــيه الجامع العتيق أو الجامع العمرى(٣)، ونجح الفاطميون إلى حد كبير فى نشر مذهبهم بمدن الصعيد الأعلى كلها ، وأصبحت مدينة قفط تموج بتيارات علمية وفكرية متباينة بين الشيعة وأنصار المذاهب السنية(٤) .

وهكذا كانت مساجد إقليم قفط كغيرها من المساجد الجامعة فى صعيد مصر تعقد بها حلقات العلم والدرس حيث أصبحت من مراكز العلم والثقافة الهامة فى العصر الإسلامى .

ب - الكنائس والأديرة :

عرف العالم نظام الديرية من صعيد مصر ومن إقليم قفط على وجه الــتحديد ، وهو نظام يختلف عن الرهبنة الإنطوانية ، وقد أسس هذا النظام كما تذكر المصادر باخوميوس من بلدة كنيوبوسكيون Kenoboskion ويقال أن مكانها الحالى بلدة قصر الصياد بالقرب من قفط (٥).

---

(١) ابن القفطى : أخبار العلماء ، ص١٥٩ ، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص٨٦ .

(٢) السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق والصفحة .

(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج١ ، ص٦٤ –٦٥ ،
Quatremere : Memores Sur L'Egypt , T,11 , p . 87 .

(٤) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص١٠٩
Garein : Un Centre Musulman , p . 19
Quatremere : Op – Cit , p 87 .

(٥) عبدالحفيظ محمد على : الحركة الديرية فى مصر وأثرها على بلدان البحر المتوسط فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، بحث ضمن مجموعة مقالات فى كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، دار الفكر العربى الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ١١٣، ١١٢ .

وتشير المصادر إلى أن دراسة الأدب اليونانى كانت تتم فى تلك الأديرة بالقرب من قفط وخاصة داخل كل بيوت الرهبان الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية ، فقد كان النظام الداخلى لأديرة باخوميوس تحكمه قاعدة وذلك لضبط السلوك وفرض النظام كالنظام العسكرى تماماً ، حيث كانت تلك الأديرة تضم بيوتاً عديدة منفصلة لهؤلاء الرهبان كل منها يحتوى على ثلاثين أو أربعين راهباً وله مشرف وخازن وبعض العاملين ، وكانت تقام كثير من الشعائر الدينية فى هذه البيوت للرهبان [1].

وقد كانت عملية تنظيم بيوت الرهبان تتم على أساس الحرفة التى يجيدها الراهب ، فكان للخبازين بيت وللنجارين بيت ، ولصانعى الفخار بيت، وللنساجين بيت، ولصانعى الأحذية بيت ، وكان من أهم البيوتات ذلك البيت المخصص لهؤلاء الرهبان الذين يتحدثون اللغة اليونانية فلاغرو إن بذلوا جهدهم فى سبيل دراسة أشعار اليونانيين أو الرومان خلال القرن السادس كما أشارت إلى ذلك أوراق البردى[2].

وتضم مدينة قفط العديد من الكنائس والأديرة مثل كنيسة قفط ودير العذراء ، وكذلك شيدت ثلاث كنائس باسم السيدة العذراء والملاك ميخائيل، بالإضافة إلى ذلك وجدت كنائس وأديرة أخرى مثل يوحنا المعمدانى ودير الشهداء بإسنا[3] ودير البلاص[4]، وضمت هذه الأديرة وغيرها مكتبات عظيمة تحتوى على الكتب الدينية بصفة خاصة، إلى جانب مؤلفات فى الطب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم وكان الرهبان يقومون بترجمة الكتب

---

(1) هـ- أيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص١٨٨، ١٨٩.

(2) عبدالحفيظ محمد على : الحركة الديرية فى مصر ، ص ١١٥، ١١٣ ، مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة ، ص ١٢٧، ١٢٦ .

(3) أبو المكارم : الكنائس والأديرة ، ج١ ، ص٩ .

(4) نعمة على موسى : مصر العليا ، ص٣٦٤ .

اليونانية إلى القبطية إلى جانب كتابتهم فى التاريخ وجغرافية بلادهم والأدوية الطبية وسير القديسين والبطاركة ومؤسسى المذاهب الدينية والقواعد الديرية وغـــيرها من نواحى النشاط الفكرى[١]، وخاصة فى ميادين الفلسفة والعلوم الدينية والفلك والأدب وغيرها من العلوم[٢].

كما كان كل دير من الأديرة المنتشرة فى مدينة قفط يضم عدداً من الرهبان المثقفين الذين يقومون بنسخ الكتب القديمة ، قد أشتهر بعض الرهبان بجودة الخط [٣].

كـــان بيزنتـــبوس أسقف مدينة قفط يهتم باقتناء الكتب والمخطوطات القديمـــة لا ســـيما المتصـــلة بعلوم النصرانية وقد خلف ثروة كبيرة من هذه المخطوطات وأوصى بها وهو على فراش الموت بكل ما عنده من الكتب إلى صديقة موسى الذى خلفه وكتب ترجمة حياته [٤].

كما شيدت الكنائس والأديرة فى قرى ومدن إقليم قفط مثل دير باسم بطـــرس وأخـــر باسم القديس ميخائيل بأرمنت[٥]، كذلك شيدت ثلاث كنائس باســـم الســـيدة العـــذراء مريم، والملاك ميحائيل، ويوحنا المعمدانى، ودير الشـــهداء بإســـنا[٦] ومما يجدر ذكره أن نصارى مدينة إسنا كان من عاداتهم زيارة هذا الدير والتبرك به.[٧]

---

[1] Munier : L' Egypte Byzantine , p. 87 –89

[2] Munier : Op – cit , p . 89 .

[٣] أبـو المكـارم : المصـدر السـابق والجـزء ، ص ٩ – ١٠ ، * ديـر السـيدة العـذراى بقفـط يمـتاز هـذا الديـر بحسن البناء وباللون الأبيض الذى اشتهر به ، وتلحق به أفنية واسعة ، ويشرق الدير على حقول واسعة مزروعة يحيط بها اشجار النخيل . أبو المكارم : المصدر السابق والجزء والصفحة .

[٤] بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٦٦ .

[٥] أبوالمكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج١ ، ص١٦ –١٩ ٠

[٦] نعمة على مرسى : مصر العليا ، ص٢٦٤ ٠

[٧] على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج٨ ، ص٦١ ٠ =

كذلك كان من بين العلوم التى يهتم بها الرهبان داخل الأديرة الطب، ولم يواجه القبط أى اعتراض على العمل فى هذه الميادين طوال تاريخ مصر الإسلامية ومع ذلك لم يصل إلينا من كتابات القبط فى هذا الشأن إلا قدراً قليلاً ، وكانت النصوص الطبية تتكون من فقرات يختص كل منها بمرض أو ألم معين مع الإشارة إلى نوع العقاقير المناسبة لعلاجه ثم تحتوى هذه الكتابات على بعض الكلمات المبهة بعضها أسماء ملائكة والبعض الآخر ليس إلا خطوطاً على هيئة حروف بغرض الإبهام[1]، كما كانت الأديرة العديدة المنتشرة فى أطراف مدينة قفط وضواحيها مجالاً روحياً لنشاط الشعراء، الذين كثيراً ما كانوا يرتادونها للاستمتاع بمناظرها الخلابة.

وقد كان لطبيعة هذه الأديرة كأماكن للهدوء والخلوة وما يكتنفها من مناظر بديعة تثير النفوس الظامئة إلى التجديد والتمتع بتلك الميزات. مما كان له أثره فى إذكاء قريحة الكتاب والشعراء والأدباء الذين كانوا كثيراً ما يرتادونها بكثرة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ويفتنون بجمال ما يحيط بها من مناظر وجنان[2].

= ومن الملاحظ انتشار الأديرة فى منطقة قفط التى لجأ إليها الكثيرون للرهبنة ، ولما كان الراهب لايملك شيئاً ، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة فى العصر الرومانى. وقد حافظ العرب المسلمون على هذا التقليد ووجد كثير من الأقباط فى ذلك فرصة للهروب من دفع الضرائب فلجأوا لهذه الأديرة.

Munier : L, Egypt Byzantine, P. 77

(1) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى. ج٢، ص٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(2) The Coptic Encye Lopeadia . Aziz . S. Atiya . v. 7. art (Qift)

أما رجال الدين المسيحى ودورهم الدينى فى المدينة فأننا سنجدهم مرتين فى السلك الكهنوتى إلى درجات أولهم " الأسقف" وهو نائب البطريك ، لذا يبدو أنه كان يشرف على مجموعة من المدن أو على إقليم كامل ، وكان من مهامه عمل " الرقاع " وهى كشوف بأسماء جوالى المسيحيين الرواتب والطوارئ ومن بلغ منهم الحلم ومن مات ومن أسلم ، ويقدمها إلى البطريرك الذى يقدمها للجهات المختصة ، ثم " المطران " وهو بمثابة قاضى المسيحيين يقضى فى المنازعات التى تنشأ بينهم خاصة دون أن يكون أحد طرفيها مسلماً . ثم "القسيس " الذى يقرأ للمسيحيين الأناجيل والمزامير . وهو المسول عن عقود الزواج بمساعدة الشماس وهو بمثابة قيم (أى خادم) الكنيسة . =

** العلوم النقلية في مدينة قفط :

تركزت الجهود في العصر الإسلامي الأول في سائر الأمصار، على دراسة العلوم الإسلامية الخالصة حيث كان أكثر العلماء الذين برزوا حينذاك من طائفة المحدثين والفقهاء من أرباب اللغة العربية والعلوم الشرعية الخالصة كالتفسير والقراءات والحديث والفقه تستوجب على دارسيها وقوفهم على العلوم المساعدة وهي علوم اللغة والنحو وغيرها[1].

١ - علم القراءات :

نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين في مدة تزيد على العشرين عاما وكان على الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من المسلمين حفظ كلام الله بما دونه كتاب الوحي حيث كان هؤلاء الكتاب يكتبون السور والآيات على المواد المتوفرة مثل العسب[2] والرقاع[3] والقراطيس[4] وقطع الأديم [5] والأقتاب[6].

= النويري : نهاية الأرب ، ج٨ ، ص٢٤٢ - ٢٤٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٥، ص٤٧٢ - ٤٧٤.

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٣٥-٤٣٦

كما ازدهرت بالكنائس والأديرة مجموعة من العلوم العقلية " علم الطب والنجوم والهندسة والحساب والفلسفة" ، وكان نصيب مدينة قفط من مجموعة العلوم العقلية ضئيل القيمة إذا ما قورن بالعلوم النقلية التي استأثرت بجل مظاهر النشاط الثقافي ليس في مدينة قفط وحدها بل في الأمصار الإسلامية الأخرى وقد تأثر طلاب العلم بمدرسة الاسكندرية وعلومها قبل دخول الإسلام ، وكان يدرس فيها الطب والفلسفة بصورة مدرسية واضحة ، فقد كان التلاميذ يجتمعون في كل يوم على قراءة إمام من أئمة الكتب ، وكانت تلك المدارس ملحقة بالأديرة وكانت غالبيتها لاهوتية دينية يسمح في الكثير منها بدراسة العلوم الدنيوية كالنحو والبيان في تلك المدارس يقوم على أيدي الكهنة " رجال الدين " ، ويبدو أن مدينة قفط تأثرت بعلوم مدرسة الإسكندرية العقلية .

ابن خلدون : المصدر السابق في العلوم العقلية وأصنافها ، ص ٣٦٨،٤٧٨ ، ٤٧٩ ،

صفي علي محمد : الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط ، ص٥٩٥ .

(٢) العسب : جمع العسيب وهو جريد النخل .

(٣) الرقاع : جمع رقعة وهي من جلد أورق

(٤) القراطيس : جمع قرطاس وما كان يعمل من سيقان البردي وقد اشتهرت مصر بانتاج أوراق البردي أو هذه القراطيس .

(٥) الاديم : هو الجلد

(٦) الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل أو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير . =

ومما تجدر إليه الإشارة أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى حياة أبى بكر الصديق ، حيث تم تدوين ما حفظ فى صدور الرجال وما تم تدوينه بمعرفة كتاب الوحي ، وقد عهد الصديق إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بذلك[1]. أما جمع القرآن النهائى فقد تم فى عهد الخليفة عثمان بن عفان [2] .

ومن المعروف أن جيش عمرو الفاتح قد ضم عدداً كبيراً من هؤلاء الصحابة وغيرهم من الحفاظ والقراء لكلام الله العزيز ... وقد نزلوا بالفسطاط واختطوا بها الدور والمنازل [3]، وكان جل اهتمامهم آنذاك هو نسخ المصاحف وحفظها ، بحيث كان الصحابى لا يخرج من داره صباحاً إلا وقد نظر فى المصحف الشريف[4].

وقد حث الإسلام المسلمين على تعلم القرآن وتعليمه للناس ، وكما يذكر ابن عبد الحكم فإن عمر بن الخطاب خطب فى الناس فأوصاهم بالقرآن وقراءته على الناس، وأن يكونوا أشد الإخلاص فى ذلك ، وألا يريدون به الدنيا، وأنهى خطبته هذه قائلاً لهم: "ألا فأريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم"[5].

= وللمزيد من الدراسة راجع الدكتور السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى عصر الولاة (٢١ هـ - ٢٥٤ هـ) (دار الفكر العربى القاهرة ١٩٩٠ م) ص٩٥ .

[1] السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص ٧٢

[2] ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ، حوادث سنه ٣٠ هـ

[3] ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص١٤١ - ١٤٥ .

[4] السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق والصفحة .

[5] ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

كما كان للقراءة شأناً عظيماً فى فجر الإسلام لقلة الذين كانوا يقرأون يومئذ، فكان الذين يحفظون القرآن هم القراء ، تميزاً لهم عن سائر الصحابة لأنهم كانوا أميين [١].

كذلك كان لطبيعة الخط العربى وخصائصه للرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، ترتب على ذلك ظهور أكثر من قراءة للقرآن الكريم فى آن واحد [٢].

ولعل السبب فى ظهور القراءات المختلفة للقرآن لم يكن راجعاً إلى اختلاف لهجات العرب أو فيما دب من خلاف بين جند الشام وبين أهل العراق ، وأنما كان مرجعه إلى طبيعة الخط كما ذكرنا آنفا ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل فى العربى قد يجعل للكلمة حالات مختلفة من حيث موقعها من الأعراب وبالتالى من حيث قراءاتها فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ الإسلام[٣].

وهكذا كان منشأ القراءات المتنوعة وقد عبر ابن خلدون عن تلك القراءات واختلافها بقوله:

"وهو متواتر بين الأئمة إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله عليه وسلم على طرق مختلفة فى بعض ألفاظه وكيفيات الحروف فى أدائها"[٤]،

---

[١] وفى ذلك يقول بن خلدون " القراء الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين لأن الأمية صفة عامة فى الصحابة، بما كانوا عرباً ، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء ... إشارة إلى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنة ، والمأثور عن الله لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث " . : المقدمة ، الفصل الخامس والثلاثون ، ص ٤٥٣ ، عن أنس بن مالك قال : مات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : " أبى الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبى زيد " . الذهبى : تذكرة الحفاظ ، ج٨ ، ص٢٢ .

[٢] طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، تحقيق كامل بكرى ، عبد الوهاب أبو النور ،(القاهرة دار الكتب الحديثة – مطبعة الاستقلال الكبرى ، ج١ ، ص١٤٧ .

[٣] حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج١ ، ص٥٣٨ .

[٤] ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الخامس ، ص٤٣٧ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ج٣ ، ص٦٦ ، ٦٨ .

وكـــان مـــن أشهر هؤلاء الصحابة القراء الذين يحفظون كتاب الله ويعلمونه للآخرين، أبو ذر الغفارى الذى وفد على مصر وأختط بها بعد الفتح[1] وعبد الرحمن بن ملجم المرادى (ت ٤٠ هـ)[2].

وقــد كانت قراءة القرآن الكريم تنال عناية خاصة منذ الصدر الاول وقـــد اهتم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اهتماماً خاصاً بإرسال القراء الى الأمصار الإسلامية المفتوحة لتعليم أهلها القرآن وتفقيههم فى أمور الدين[3]، ومما يدل على رغبة أمير المؤمنين الصادقة فى نشر الدين الاسلامى وحفظ القرآن أنه كان يعود فيبعث بمن يمتحن الناس[4] وأشـــارت المصادر إلى أن كل القراءات فى مصر رواية عن نافع بن نعيم فقيه أهل المدينة الذى احتلت قراءته مركز الصدارة فى المدينة[5]، وقد حضر نافع إلى مصر أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز فقد بعثه الخليفة إلى مصر ليعلم أهلها السنن[6].

---

(1) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص١٥٣ . * اختط بالفسطاط تلك الدار التى ذكر أسمها ابن عبد الحكم وهى دار العمد ذات الحمام .المصدر السابق والصفحة .

(2) المسعودى : مروج الذهب ،ج٢ ، ص٤٢٣ .

(3) صفر على محمد :الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط ،ص١٨٥.

(4) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، ج٣، ص٣٨ .

(5) ابـن خلكـان : وفـيات الأعـيان ،ج٢، ص١٥١،الذهـبى .طـبقات القـراء ، ص٣١ – ٣٢ ، يـاقوت الحمـوى : معجم الأدباء ، ج١٢ ، ص١١٧ – ١١٨ .

نافع : هو ابن عبد الرحمن بن أبى نعيم أحد القراء السبعة، كان ممن عنى من القراء الأوائل بمعرفة الوقف والابتداء فى القرآن أى معرفة المواضع من الآيات التى يحسن بالقارىء الوقوف منها ثم يبدىء بما بعدها ، وكان نافع قد قرأ على ابى ميمون مولى :أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يلبث أن ذاع صيته بعد أن استمع الناس الى قراءته فاعجبوا بها واقبلوا عليها يتعلمونها، وهكذا تجاوزت المدينة إلى سائر الأمصار حيث انتهت إليه رياسة القراء آنذاك عبد المنعم ماجد :تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص١٦٨ – ١٦٩ .

(6) السيوطى :حسن المحاضرة ، ج١ ، ص١٦٢ ، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ،ج١ ، ص١٧ .

ظهور قراءة ورش المصرى فى مدينة قفط :-

كـــان عثمان بن سعيد المعروف بورش من الموالى المصريين الذين أسلموا فهو مولى آل الزبير بن العوام[1]، ونبغ فى قراءة القرآن بعد أن رحل إلـــى المديـــنة وأخذ عن نافع طريقته فى القراءة وهو الذى لقب بورش لشدة بياضة ، ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر وأشتغل بالإقراء فى جامع عمرو، وقد ذاعت شهرته حيث أنتهت إليه رياسه الإقراء يومئذ[2].

وكـــان نتيجة لتعمقه فى الدراسات النحوية واللغوية، أن يختار لـــه طريقة تختلف عن القراءة التى تلقاها عن شيخه نافع، وذلك من حيث مخالفته فـــى بعض الأصول العامة وفى قراءة بعض الحروف المنتشرة فى القرآن، وقد توفى سنه ١٩٧هـــ[3] بعد أن حمل قراءته كثير من تلاميذه الذين صاروا فـــيما بعـــد مـــن أئمة القراءات حيث عملوا على تعليم قراءة ورش فى قفط وخارجهـــا، كان منهم ورش أحمد بن صالح، ويونس بن عبد الأعلى، وداود بـــن هارون وكثير من أئمة القراءات الذين أخذوا عن ورش، ونقلوا مدرسته إلـــى المغـــرب والأندلـــس[4] وكانـــت من أهم أثاره كتاب التقريب والفرش

---

(١) الورش : شيء يصنع اللبن لقب به لبياضة وقيل هو طائر ولقب به عثمان بن سعيد لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصيراً إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه ثم خفف فقيل ورش .
ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج١٢ ، ص١١٧ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٣٢٨ .
السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى عصر الولاة ، ص٧٧ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج١٢ ، ص١١٦ – ١١٧ ، الذهبى : طبقات القراء ، ص٤٧–٤٨ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٢٠٧

(٣) الذهبى : طبقات القراء ، ص٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة، ج١ ، ص٢٠٧ ، ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ، ج١ ، ص١١١ ، قرشى عباس دلدراوى : تاريخ تراث الصعيد الأعلى ، ص٣٦ .

(٤) ياقوت الحموى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١٥٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٢٠٧ .

المتضـــمن لقراءات قانون ورش[1] وكتاب الاختلاف بين يعقوب فى رواية رويـــس وروح عنه وبين نافع فى رواية ورش عنه[2]، بالإضافة إلى كتابه فـــتح المعطى وغنيه المقرى فى شرح مقدمة ورش المصرى، وتوجد رسالة مشـــتملة على مسائل لحمزة وهشام وورش[3]، رسالة أخرى فى ذكر مابين قانون وورش من الخلاف[4]، الكشف فى شرح رواية ورش من طريق أبى يعقـــوب الأزرق يوســـف بـــن عمر بن يسار ٢٤٠ هـ متن رسالة ورش بشـــرحها المســـمى هداية المريد إلى رواية أبى سعيد المعروف بورش عن طـــريق قصـــيد نظم رسالة ورش[5]، ونقلت مؤلفاته عن طريق تلاميذه إلى مدينة قفط التى كان لها الأثر الأكبر فى حلقات الدرس فى جامع قفط ، وكان أنبغ تلاميذه أبو على الفحام الأسوانى(٣١٨ هـ)[6]، وقد سمع من يونس بن عـــبد الأعلـــى، وبحـــر بـــن نصر، وقد سمع منه على بن جعفر الرازى[7] وانتشـــرت كتـــب ورش فى كافة جوامع قفط والكور المجاورة لها فى كافة الإقلـــيم ، وكانت قراءات ورش موضع اهتمام الولاة والقضاء خلال عصر الولاة ، كما كان وقف المصاحف على المساجد تقرباً إلى الله ومصدراً هاماً من مصادر حصول جامع قفط على حاجاته المتزايدة من المصاحف[8].

ومـــن الجديـــر بالذكر أنه حتى أوائل القرن الثالث الهجرى لم تكن هـــناك تصـــانيف فـــى القراءات وذلك على الرغم من كثرة عدد القراء فى

---

(١) قرشي عباس دندراوى : تاريخ تراث الصعيد الأعلى ، ص٣٧ .

(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي، ص٢٢ .

(٣) فؤاد سزكين : المرجع السابق والجزء والصفحة .

(٤) قرشي عباس دندرواى : تاريخ تراث الصعيد الأعلى ، ص٣٧ .

(٥) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، ج١ ، ص٢٢

(٦) هو الحسن الحسين بن يوسف بن يعقوب أبو على الفحام الأسوانى . الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٢١٩ .

(٧) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٢١٩ .

(٨) أحميد أمين : ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص٥٠ – ٥٢ .

الأمصار واختلاف القراءات ، جعلها بعضهم سبع قراءات ، وأصبح يعرف أصحابها بأصحاب القراءات ، وهى لنافع من المدينة ، وابن كثير من مكه ، وابـن عامـر من الشام ، وابى عمر من البصرة ، وعاصم(ت ١٢٧ هـ) وحمزة (ت ١٥٦ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) من الكوفة واعتبر نافع أهمهم بسبب أن مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكى كان يقرأ على نافع ، الـذى قرأ عليه معظم القراء المصريين حتى ورش القفطى التى شاع ذكرها فى ذلك الوقت بين المصريين[١].

وهكذا حفلت مدينة قفط فى العصر الإسلامي الأول بطائفة من اشهر القراء والعلماء وذلك بفضل سياسة الخلفاء والولاة الذين كانوا يشجعون أمثال هؤلاء العلماء ، والعمل على اجتذابهم من خارج البلاد ، حتى أصبحت قفط من أهم المراكز العلمية فى علم القراءات .

علم التفسير :

كـان تفسـير القرآن الكريم أحد فروع العلوم الدينية الإسلامية التى ساهم فيها علماء المدرسة الدينية بمدينة قفط.[٢]

كـان القـرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام ، ولذا لابد من فهم آياتـه ليكون فهمها منهاجاً لاستباط تلك الأحكام وكان هذا الفهم هو الخطوة الأولى للتفسير[٣] وللسيوطى قول طريف فى ذلك: "أن تفسير القرآن فى كل عصر من العصور يتأثر بالحركة العلمية فيه، ويكون صورة منعكسة لما فى

---

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية (الطبعة الثانية) ص١٦٨ .

(٢) والتفسير فى كلمة موجزة " يعنى فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانية واستخراج أحكامه وحكمه "الزركشى : البرهان في علوم القرآن ، (الطبعة الأولى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧ م) ، ج١ ، ص١٣.

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص٢٢٩ .

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب العرب فى كلامهم فألفاظه عربية إلا ألفاظاً قليلة عربت وأخذت من اللغات الأخرى ولكن هضمها العرب ، وأجريت عليها قوانين العربية وأساليب القرآن هى أساليب العرب فى كلامهم ففيه الحقيقة ، فيه المجاز ، وفيه الكفاية ... ألخ ، على نمط العرب فى حقيقتهم ومجازهم ، وهذا طبيعى لأنه يدعوا العرب أولاً إلى الإسلام فلابد من أن يكون بلغة يفهمونها .

أحمد أمين لمرجع السابق والصفحة .

هــذا العصر أو ذلك من آراء ونظريات عامية أو مذهبية ، فيمتلئ بألفاظها ومصــطلحاتها"[1] فالــنحوى يمــلأ تفســيره بمسائل النحو وأوجه الأعراب والأخبارى يكثر فيه من القصص والأخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلـــة والفقــيه يسود فيه أبواب الفقه والميراث وصاحب العلوم العقلية يغمره بأقوال الحكماء والفلاسفة [2].

كمــا أن مديــنة قفــط تزخــر بهؤلاء الأئمة المجتهدين الذين كانوا يتعرضــون لتفســير بعــض الآيات القرآنية أثناء مجالسهم العلمية، وكانت التفســيرات عــبارة عن روايات متناثرة تداولتها كتب التراجم والسير، وإن افــتقرت إلـــى تدويــن تفسيرى منظم وكانت التفاسير الأولى كلها بالمأثور المرفوع إلى الرسول ﷺ ، وغالباً ما كان تفسير القرآن بالقرآن"[3].

فقــد بلغ التفسير مبلغا عظيماً خلال العصر الإسلامى الأول وكان للتفســير شأناً عظيماً فى مصر على يد أئمة فى الفسطاط وبصفة خاصة فى جامع عمرو بن العاص ورحل أبناء قفط إليه لتلقى العلم على يد شيوخهم فى حلقات المسجد الجامع ونقلوه بعد عودتهم إلى مدينتهم نذكر من هؤلاء أحمد بن معاوية بن عبد الله (ت ٢٧١ هــ)[4]، ومحمد بن سليمان داود المتوفى فى

---

(1) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن (القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص٣٠٤ – ٣٠٥.

(2) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ص ٣٢٤ – ٣٢٥

(3) ابن تيميه : مقدمه فى أصول التفسير ، ص٦٩ .

وأهم مصادر التفسير الخاصة بالقرآن الكريم والتى يوجزها السيوطى عن الزركشى فى كتاب البرهان بقوله : " للناظر فى القرآن الكريم لطلب التفسير وما أخذ كثيره أمهاتها أربعة :الأول النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ... والثانى الأخذ بقول الصحابى فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ... والثالث الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربى والرابع التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ..."" السيوطى:المصدر السابق ص ٣٠٤ – ٣٠٥

(4) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥

أوائــل القرن الثالث الهجرى [١]، ومن النحاة المفسرين بإقليم الصعيد الأعلى أحمد بن ابراهيم القفطى (ت ٣٦٢ هـ)[٢] .

لاشــك أن جامــع قفط كانت تعقد فيه حلقات العلم [٣] ، وإذا اعتبرنا جامع قفط بمثابه صدى لجامع عمرو بن العاص ، فكان يأتى إليه الأئمة وهم فى طريقهم إلى الحج وكثير منهم قطن بالمدينة ومن هؤلاء صالح بن عادى القفطى المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى[٤]، ومحمد بن على بن أحمد (ت ٣٨٨ هـــ) [٥] الــذى كــان يعقد دروسه فى جامع قفط ، وكان ملماً بالعلــوم الدينية فى عصره والتى صار لها أبلغ الأثر فى تفسيره ، فقد سمع الحــديث من سعيد بن السكن وكان سيد عصره[٦] وقد برع فى علوم القرآن الكريم ، حيث أعتاد تلاميذه مجالسته ، فأخذ عنه جماعه وله كتاب فى تفسير القرآن فى مائه وعشرون مجلداً، ومنه نسخه بمصر[٧].

وهكــذا ازدهــر علم التفسير فى إقليم قفط والمشتغلين بعلوم القرآن الــذين اســتطاعوا أن يجتذبوا علماء التفسير من الأقطار الإسلامية الأخرى نذكــر من هؤلاء عبد الرحمن بن مروان الأنصارى القرطبى، وأبو يوسف القردينى شيخ المعتزلة [٨].

---

[١] الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٢٣

[٢] الادفوى : المصدر السابق ، ص ٧٣

[٣] الادفوى : الطالع السعيد ، ص١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ص٣٣ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٢٣٢ .

[٤] الادفوى : المصدر السابق ، ص٢٦٨ .

[٥] محمد بن على بن أحمد الأمام أبى بكر الأدفوى المصرى المقرىء النحوى المفسر الذى صحب أبا جعفر الـنحاس ولازمــه الــسيوطى : طـبقات المفــسرين (طـبعة لـيدن ١٨٣٩ م) ص ٣٨ ، الإدفــوى : المــصدر السابق ، ص٥٥٢ .

[٦] السيوطى : المصدر السابق والصفحة .

[٧] السيوطى : المصدر السابق والصفحة .

[٨] أبو العماد الحنبلى : شذارات الذهب ، ج٣ ، ص٣٨٥ .

علم الحديث[1]:

بدأت رواية الحديث فى جامع عمرو بن العاص فى أعقاب تشيده سنه ٢١ هـ على يد هؤلاء الصحابة الذين حرصوا على العلم والتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من كبر سن بعضهم[2]، حيث شاركوا فى جيش عمرو ، ولم يكن مضى على مفارقتهم الرسول إلا زمن يسير، وذلك بعد أن سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام وشاهدوا عمله بينهم، ومن ثم بدأوا يحدثون بما رأوا وما سمعوه لغيرهم من النازحين إلى مصر والتابعين[3].

كما ذاعت شهرت عبد الله بن عمرو يومئذ برخصة الرسول بالكتابة عنه فى صحيفته التى أسماها " الصادقة " والتى نقلها معه إلى مصر[4]، وكان حديثه أو ما يحدث به أغلب الظن منها ، ولعل ذلك جعل أهل مصر يتبعون فى الأكثر فتاويه وتوفى بمصر عام ٦٥ هـ /٦٨٤ م [5].

اهتم الولاة فى العصر الأموى بما يجرى فى جامع فقط من حفظ الحديث وروايته ، كما شجع هؤلاء حفاظ الحديث وغيرهم من طلاب العلم ولاغرو فأمراء الأمصار أو الولاة هم الخطباء فى نفس الوقت والأئمة المحدثون الذين أسندت إليهم الخلافة ولاية الصلاة والحرب فى هذه الأمصار[6].

---

(١) هو ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وحكم أصدره فى موضوع عرض عليه ، ويتألف من قسمين : الأول هو سلسلة رواة الحديث على التوالى ويسمى الإسناد والسنة ، لأنه يثبت صحة الخبر ، والقسم الثانى للحديث لمتن أو محتويات لحديث . ابن خلدون : المقدمة ، ص٤٤١ .

(٢) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص٤٧ .

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص٢٠٨ .

(٤) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ، ص٢٢ .

(٥) السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق والصفحة

(٦) محمد عبده الحجاجى : الأقصر فى العصر الإسلامى ، (دراسة تاريخية – المكتبة الثقافية ، العدد ٣٤٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٧)، ص٨٧–٩٠ .

وقـــد ســـارع أهل قفط إلى حفظ الحديث والانتفاع به حتى يساعدهم علـــى فهـــم النصوص القرآنية وذلك بغية الاستفادة منها فى استنباط الأحكام الشرعية، وعلى نحو يعينهم على تدبير سئون الحياة التى وجدوها فى مصر والتشـــريع لهـــا، وهكذا أصبح عليهم أن يجمعوا الأحاديث ويحفظوها ، كما أصبح كل حديث من أحاديث الرسول كنزاً لايقدر بثمن[1].

كما يأتى الحديث فى الأهمية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشـــريع الإســـلامى اتضـــحت ملامحـــة فى مصر ، واستمر نشاط الحفظ والـــرواية وتدوين الحديث على يد الطبقة الثالثة[2] ، حتى انتشرت فى أنحاء شتى الديار المصرية نشط عدد كبير من الرواة الذين قطنوا مدينة قفط نذكر مـــنهم عـــبد الرحمن بن حاتم المرادى القفطى(ت٢٩٤ هـــ)[3] وكان يعقد حلقـــات درسه فى جامع قفط ، وأحمد بن ابراهيم بن بكر الملقب بأبى جعفر القفطى (ت٣٦٢ هـــ)[4].

ومـــن هؤلاء المحدثين الفقهاء المشهورون فى جامع قفط نذكر منهم محمـــد بـــن ابراهـــيم بن خالد الأسوانى (ت٣١٥ هـــ)[5]، لؤلؤ بن عبد الله (المـــتوفى فـــى أوائل القرن الثالث الهجرى)[6] ، فقير بن موسى أبا الحسن الأسوانى (ت ٣٢١ هـــ)[7].

---

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص٢٤٩،٢٨٧ ، عاش عمرو بن العاص بمصر قائداً أو معلماً ومحققاً للهدف الأسمى الذى رسمه الخليفة أمير المسلمين عمر بن الخطاب لعامله على الأقاليم المفتوحة وهو نشر تعاليم الدين الإسلامى، فقد آثر عنه أنه قال : " .... إلا أنى انما ابعث عمالى ليعلموكم دينكن ويعلموكم سنتكم، ولاأبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم "٠ الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص٣٠ .

(٢) كان يزيد بن حبيب من أوائل المحدثين بمصر بن وهب تلميذ بن لهيعه من أوائل جامعى الحديث أخذ عنه أكثر مادة كتابه الجامع فى الحديث . السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص ١٣٧ هامش (٣) .

(٣) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ، ج٣ ، ص١١٧ .

(٤) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٧٣ .

(٥) الأدفوى : المصدر السابق ص٤٧٩

(٦) الأدفوى : المصدر السابق والصفحة .

(٧) الادفوى : المصدر السابق ، ص٤٦٦ ، ٤٦٧ .

وكذلك محمد بن هارون الأسوانى (المتوفى فى منتصف القرن الثالث الهجـــرى)[1] فكـــان من شيوخ علم الحديث وكان ينتقل بين مدن الإقليم وقام بالـــرحلة إلى مدينة قفط ويعقد حلقات دروسه فى جامع قفط ، وسمع الحديث من ابن سليمان البزاز ، وابن حلف بن قديد والإمام الطحاوى ، كما قرأ على ابـــن عبد الله الباهلى وهم من علماء الحديث المشهورين فى العصر الفاطمى الأول[2] وهكذا تقدمت الحركة العلمية التى اصطبغت بالصبغة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى وكان أبرز دليل على ذلك أن تقدم علم الحديث حيث تم وضـــع الكتب السته المشهورة فيه ، والتى زار أصحابها مصر الإسلامية[3] وبهذا استقل علم الحديث بعد أن كان مختلطاً بالفقه [4].

علم الفقه :[5]

فقد بلغ مبلغاً عظيماً خلال فترة البحث حيث تعددت المذاهب الفقهية فى مصر وزخرت الفسطاط وغيرها من المدن المصرية بالعديد من العلماء والفقهـــاء، وخاصة فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى، وبلغت أوج ازدهارهـــا فى عصر الدولة العباسية ، حيث أخذ الفقه يكتسب لنفسه ملامح

---

(1) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٦٣٦ .

(2) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص١٦٢ ، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية، ص١٤٣

(3) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل السادس ، ص٢٤٢ ، بدأ التدوين المنظم للحديث فى القرن الثالث الهجرى ، حيث ظهرت ، مجموعات من كتب الحديث كان أهمها صحيح البخارى (٢٥٦هـ /٨٧٠م) وصحيح مسلم (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) وسنن الترمزى (٢٧٩هـ /٨٩٢ م) والنسائى (٣٠٣هـ /٩١٥ م) وسنن ابن ماجه (٢٧٣هـ /٨٨٦م) ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

(4) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٤٤٤ .

(5) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٤٤

وكان مقترناً بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة المذهب الحنفي الذى ينتسب إلى الإمام أبى حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) ، المذهب المالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحى (ت١٧٩هـ). المذهب الشافعي الذى أسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعى(ت٢٠٤هـ) بمصر . المذهب الحنبلى نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيبات (ت٢٤١هـ) . جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى(القاهرة دار الهلال ١٩٥٨م) ،ج٣،ص٧٩ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص٣٢٢ ،

جديــدة متمــيزة ، فأصبح مذهب أبى حنيفة هو مذهب الدولة الرسمى بينما مذهب مالك هو مذهب أهل الحجاز[1]، وقد عبر ابن خلدون عن ذلك فى قوله " لمــا عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب... وكمــل الفقه وأصبح صناعة وعلماً ...... وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين ، طــريقة أهــل الرأى والقياس وهم أهل العراق ، وطريقة الحديث وهم أهل الحجــاز[2]، ولاشــك أن إقلــيم قفط تأثر بمذاهب أهل السنة والجماعة التى انتشرت فى مصر بصفة خاصة[3].

وكـــان من ثمار ذلك أن انتشر مذهب أبى حنيفة[4] حيث أصبح لـــه أتــباعه فـــى مصر فى جامع عمرو هذا فى الوقت الذى اتجه أبناء قفط إلى الفســطاط وتأثروا به بعد عودتهم وعملوا على نشره فى مدينتهم ، نذكر من مشـــاهير هؤلاء التلاميذ أحمد بن ابراهيم القفطى (ت٣٦٢هــ) وعبدالرحمن بن حاتم المرادى القفطى (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)[5]، محمد الإسناوى الذى طاب له المقام بها حتى مات[6].

---

(1) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ،ص٣٥١، حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج١، ص٨٠.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق ، الفصل التاسع ، ص٤٦ .

(3) حسن أحمد محمود : مصر فى عهد الطولونيين ، ص١١٩ ، ١٢٠ .

(4) الإمام أبى حنيفة : اسمه النعمان بن ثابت التيمى مولاهم الكوفى فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام ، وأحد الأئمــة الأربعــة أصــحاب المذاهــب المتــنوعة ، وهــو أقدمهــم وفــاة ، لأنــه أدرك عصــر الصــحابة ورأى التابعين،وقد تلقى الفقه على يد أبى اسماعيل حماد بن سليمان ، ولم يدون أبى حنيفة مذهبه فى كتاب وإنما دونـه مـن بعـده تلـيمذه أبويوسف يعقـوب بـن محمـد القاضـى (١١٣-١٨٣هـ) ومحمـد بـن الحسـن (١٢٣-١٨٩هـ) توفـى أبـى حنيفة سنة ١٥٠هـ فـى بغداد ، وكـان عمـره سبعون سنة ، وقد ترك عدة كتب منها ، كتاب الفقه الأكبر ، وكتاب رسالة إلى السبتى وكتاب العلم والمتعلم الرد على القدرية ، وكتاب العلم براً وبحراً وشرقاً وغرباً ٠ ابن النديم الفهرست ، ص٢٠٢ ، عطية مشرفة : القضاء فى الإسلام ، ص٥٧.

(5) الإدفوى : الطالع السعيد : ص٧٣.

(6) الإدفوى : المصدر السابق ، ص٢٨٦.

على أن مذهب مالك[1] وإن كان لم يقدر له الذيوع والانتشار الواسع فـــي مدينة قفط مثل مذهب أبى حنيفة إلا أن المصادر حفظت لنا الكثير ومن أشـــهر هـــؤلاء العلماء معاوية بن هبه الله (ت٢١٨ هـــ)[2]، ووليد بن بلال الأسوانى (ت٢٤٣ هـــ) [3]، وهارون بن محمد بن هارون(ت٣٢٧ هـــ)[4] ، وهارون بن يوسف (ت ٣٣١ هـــ) [5] .

كمـــا نذكر من فقهاء مالك فى قفط الذى كانت له حلقة فى جامع قفط الفقـــيه أحمـــد بن محمد بن هارون بن موسى (ت ٣٧٤ هـــ)[6] الشهير أبو جعفر الفقيه المالكى الصواف ، ولا يفوتنا فى هذا الصدد أن نشير إلى محمد بن يوسف بن بلال المالكى (ت٣٧٦ هـــ)[7]، وسعيد بن بكار القوصى (ت ٣٥٨)[8] لعـــل هؤلاء العلماء الذين تصدروا لتدريس مذهب مالك فى جامع قفط عملوا على نقل هذا المذهب إلى بلدانهم فى إقليم قفط[9].

---

(1) هو الأمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو الأصبع الحميرى ، أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة فى زمانه روى مالك عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الأئمة ولد بالمدينة المنورة سنه ٩٣ هـ وقيل ٩٥ هـ وتوفى بها سنه ١٧٨ هـ ، وقيل سنه ١٧٩ هـ ، تعلم بها وأصبح حجه فى الحديث ، وكما كان يعتمد على الحديث الشريف أكثر من أبى حنيفة، فلما كثرت البدع ، كلفه الخليفة المنصور العباسى برد مفترياتهم ، فكتب الموطأ فى الحديث، وكان معظم من رحلوا إليه وتتلمذوا عليه من المغاربة ، وأهل شمال افريقية ، والأندلس وقد أخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبى نعيم وسمع الزهرى ، ونافعاً مولى ابن عمر بن الخطاب وروى عن الاوزاعى ويحيى بن سعيد الانطاكى ، وأخذ عن ربيعة الراى . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ١٣٥ ، عطية مشرفة : القضاء فى الإسلام، ص٥٨ .

(2) الادفوى : الطالع السعيد ، ص٦٤٣ .

(3) الادفوى : المصدر السابق ، ص٧٦ .

(4) الادفوى : المصدر السابق ، ص ٦٨٦ .

(5) الادفوى : المصدر السابق ، ص٦٨٩ .

(6) الادفوى : الطالع السعيد ، ص١٤٣ – ١٤٤ .

(7) الادفوى : المصدر السابق ، ص٦٤٣ .

(8) Wiet : Steles Funer aires Catalogue de Mussee Arab , Tom 10 , p 29

(9) Garcin : Un Centre Musulman , p . 171 .

وثالــث المذاهب الفقهية التى انتشرت بصورة واضحة فى إقليم قفط المذهــب الشافعى[1] واعتنقه كثير من علماء الإقليم ، حيث انتشر مذهبه فى القرى والمدن ، ولعل كان من بين العوامل التى أدت إلى انتشار هذا المذهب أن الإمام الشافعى من آل البيت وينتمى إلى آل البيت ، ويقطن فى كثير من هذا الإقليم كثير من الحسنيين ، وحفظت لنا المصادر العديد من اتباع المذهب الشــافعى، نذكر منهم قحزم بن عبد الله أبو حنيف (ت ٢٧١ هــ)[2]، ومحمد بــن أحمد أبو رجاء الإسوانى (ت ٣٣٥ هــ)[3]، ومحمد بن أحمد ابن الربيع بن سليمان ابن أبى مريم (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)[4]، ولا يفوتنا ذكر عبد الرحيم بن الحسن الأرمنتى (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى)، الذى كان لــه طول باع فى المذهب الشافعى وكانت لــه حلقة فى جامع قفط بصفة الأدفوى: "وهو من بيت علمٍ وحلمٍ ورياسة" سكن مدينة قفط وتوفى بها[5].

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعى ولد سنه ١٥٠ هـ / ٧٦٢ م بغزة أو بعسقلان أو اليمن أو منى ، ونشأ بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وأذن فى الإفتاء وعمره خمس عشرة سنه ، ثم لازم مالكاً بالمدينة وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وأقام بها حولين وصنف بها كتابه القديم ثم عاد إلى مكة ، ثم خرج إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة كالام والأمالى الكبرى والاملاء الصغير ومختصر البويطى ومختصر المزنى ومختصر الربيع والرسالة والسنين ومات بمصر سنه ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ،ج٤، ص١٦٣ وقد ذاع مذهب الشافعى فى مصر ، وجرى فى تدوين مذهبه على الجمع بين طريقتى أهل الحديث الحجازيين، وأهل الرأى ، والقياس العرقيين وله من الكتب كتاب " المسوط فى الفقه " يحتوى على عدة كتب فيه كتاب فى الصلوات والزكاة والصيام . ابن النديم الفهرست ، ص٢١٠ .
السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(2) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٤٦٩ .

(3) الأدفوى : المصدر السابق ، ص٤٨٥ .

(4) الأدفوى : المصدر السابق والصفحة .

(5) الأدفوى : المصدر السابق ، ص٣٠٤ .

أما المذهب الحنبلي[1] فلم يقدر له الانتشار بمقارنة المذاهب السابقة ، وكان من الطبيعي أن ننوه إلى المذهب الشيعي الذى انتشر فى عصر الدولة الفاطميـة ، وكانـت قفـط واحـدة من مراكز الدعوة لهذا المذهب مما حدا بالادريسي أن يصف أهلها بالتشيع حين قال بأن "أهلها كانوا من الشيعة"[2].

استمرت حلقـات تدريـس الفقه في جامع قفط وغيره من المساجد الجامعةفى العصر الفاطمي الأول على مذاهب أهل السنه سواء مذهب الأمام مـالك ، أو مذهـب الشافعي ، وذلك على الرغم من انتشار الثقافة المذهبية الخاصة بالدعوة الفاطمية ، حيثِ كان علماء المذهب يناظرون للفقهاء السنيين المصـريين ويقـارعونهم الحجـة بالحجـة ، ولا غرو فقد كان الفاطميون يختارون دعاتهم من الفقهاء النابهين ، ومن هم على علم وافى بمذاهب الفرق الإسلامية كلها[3].

على أن هذه المذاهب لم تجد جدلاً واسعاً من اتباعها بعضهم وبعض، وظلـت هـذه المذاهب تسير جنباً إلى جنب كالنمير الهادى غايتها رسالتها الدينية[4].

---

(1) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، ولد ببغداد سنه ١٩٤ م وتوفى بها سنه ٢٤١ هـ ، أخذ الفقه عن الامام الشافعي مده أقامته ببغداد، وكان امام من ائمة السنة بالعراق ، وأخذ الحديث عن أبى حنبل محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري .

عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الإسلامية ، ص٥٨ • عطية مشرفة : القضاء في الإسلام ، ص٥٩ .

(2) الأدريسي : صفة المغرب وارض السودان والأندلس ، ص٤٨-٤٩ . ، والحميري : الروض المعطار ، ص٤٧٧ .

(3) يقول المؤيد فى الدين داعي الدعاه وفيلسوف المذهب فى عهد المستنصر :

فما أبو حنيفة والشافعي — حيثهم قد نفعوا بنافع

ويقول مرة أخرى :

ونزيل ابن الشافعي ومالي — بيان زين العابدين وجعفر

وقياس قياس غدا متبرجا — بالاعتزال وترهات المجبر

محمد كامل حسنين : فى أدب مصر الفاطمية • دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٦٣ م) ص١٠٢-١٠٣ .

(4) الكندى : الولاة والقضاة ، ص٢١٠-٢١١ .

السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٤٨٠ .

علوم اللغة والأدب :

لم تقتصر حلقات العلم والدرس بجامع فقط على رواية الحديث والعمل على تدوينه بعد ذلك ، أو قراءة القرآن ودراسة الفقه والفرائض، كما عقد كثير من الصحابة مجالس الأدب وإنشاد الأشعار، ولابن خلدون قول طريف في ذلك: "وجعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطبهم واصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم"[1].

ومن نافلة القول تطور الشعر فأصبح وسيلة التعبير القوية عن حوادث الفتح وأعمال الجهاد في سبيل الله حينذاك ، وقد كان عمرو بن العاص، يجيد الشعر كما أشتهر بالفصاحة[2] وقد انشد لمعاوية بيتاً من الشعر حين ولاه مصر حين قال :

فإن تعطني مصر فأربح بصفقه أخذت بها شيخاً يضر وينفع[3]

ولما استحرى القتال وكثر البلاء والجهاد بين العرب الفاتحين وأهل النوبة، عبر الشاعر كذلك كما نقل الكندى حينما قال[4]:

والخيل تعدو بالدروع المثقلة لم ترعيني مثل يوم دمقلة

وهكذا تطورت أغراض الشعر، فبعد أن كانت قاصرة على المباهاة والتمدح بالعصبية من نسب وحسب، أو الهجاء والمراثى والوصف والتشبيب صارت سجلاً صادقاً لأحداث الفتح وسائر الوقائع التى وقعت بين العرب والمسلمين أنفسهم، ومرآة تعكس سائر الاتجاهات الدينية والمذهبية المختلفة[5].

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ص٥١٦ .

[2] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص٧٢ .

[3] صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط ، ص٣٥٧ .

[4] الكندى : الولاة والقضاة ، ص١٣ .

[5] السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص١٠٤ .

كما شجع الولاة العباسيون أهل العلم والأدب كما اجزلوا العطاء للشعراء الوافدين عليهم من بغداد وغيرها من حواضر الإسلام ، وكان من هؤلاء الشاعر المشهور أبو نواس، قدم إلى مصر على الخصيب بن محمد ، وكان صاحب الخراج يومئذ من قبل الخليفة هارون الرشيد ، وقد استأذن الخصيب في إنشاده بعض قصائده وأذن له ، ومما يذكر أنه لما شغب أهل مصر على الخصيب لزيادة في أسعارهم حينذاك ، طلب الشاعر أبو نواس أن يأذن له في الخروج إليهم ، فكان أن خرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه فخطب فيهم وأنشد بعض الأبيات ، قيل أنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع من الناس تفرقوا فلم يبق أحد منهم[١]، ثم رحل إلى بغداد حيث توفى بها سنه ١٩٥ هـ[٢].

وكانت مجالس الأدب تعقد في جامع قفط ، فقد كان لهؤلاء الأدباء من أهل البلاغة والبيان أسلوبهم في التعبير عن آراءهم حول تلك القصائد الشعرية وأصحابها من الشعراء المبتدئين لا سيما بعد أن وضعت القواعد والأوزان وعرفت تلك البحور، وهو ما عرف أيضاً بعلم العروض ، فضلاً عما قام به الأدباء في ذلك الوقت من جمع الأشعار وتدوينها بعد أن كانت تنشد في مجالس الأدب وجامع قفط وغيره من المساجد[٣].

---

(١) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص ، ص١٠٦ .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٥٥٩ .

(٣) وضع الخليل ابن أحمد عالم النحو والعروض في البصرة(ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) بحور الشعر التي تعطى له موازين محددة ، وقد حصرها في خمسة عشر بحراً ، وإن زاد عليها الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ وقيل ٢٢١ هـ) بحراً واحداً وهو ما عرف بعلم العروض . ابن النديم : الفهرست . ص ٦٣ - ٦٤ ، ٧٧ - ٧٨ . والسيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو ، ص ١٤٣ . هامش (٤) .

ونعتقد من هؤلاء الأدباء الذين شاركوا فى مجالس الأدب بجامع قفط الشـاعر على بن الحسن الذى قال شعراً أثناء الاحتفال بعيد الفطر المبارك يهنىء فيه بن حسان بالعيد وفى الوقت نفسه يمدحه[1].

عـيد يعـود بأجـزال الـنعماء — فـى كـل عـام زائـد بصـفاء

يـبقى جلالـك كـل يـوم عـندنا — عـيد وحـق مكـون الأشـياء

أن المجمـل لكـل عـيد وافـد — لازلـت محفوفـاً بكـل هـناء

يـا نجـل حسـان الموفـق عـزمه — فـيما يحاولـه مـن الأعـباء

فقت الكرام من الأوائل فى العطا — حـتى لقـد عـدوا مـن الـنجلاء[2]

كما نعتقد أن الشاعر أحمد بن محمد الأسوانى كان من شعراء جامع قفط البارزين الذى مدح بنى الكنز ونظم قصيده شعرية فى مدحهم منها :

هـل المجـد إلا مـا افتنـته الصـوارم — أو الجـد إلا مـا بنـته المكـارم

أو العـز إلا مـا أشـاد ومـناده — وقـائع يـبقى ذكـرها وملاحـم

أو الفخـر إلا مـا المـتوج لابـس — حـلاه وراق فـى عـلاه وراقـم[3]

ومـن الشعراء المجيدين ابراهيم بن محمد الأسوانى (ت٤٧٢هـ)[4] الـذى كـان حاكمـا لقفـط حيـنذاك وهو الذى رثاه ابن النضر بقصيدته المشهـورة[5]، وعلى بن ابراهيم ابن الزبير (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى) ومن شعره:

يـا سـائلى عمـا لقيـت مـن الأسـى — لفـراقكم مـا الشـوق ممـا يوصـف

حـتى مـتى يـتجلد القلـق الحشـا — وإلى مـتى يـتكلف المـتكلف

أحبابـنا والله مـا لى حـيله — فـى الـبعد إلا انـنى أتشـوق

---

[1] الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٣٨٢ .

[2] الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٣٨٢ – ٣٨٤ .

[3] الأدفوى : المصدر السابق ، ص١٣٠ .

[4] الأدفوى : المصدر نفسه ، ص٦٧ .

[5] الأدفوى : المصدر نفسه والصفحة .

أنا من عرفتم لا أميل عن الهوى	عمن عرفت به لمن لا أعرف
لتطب نفوسكم الغداة فإن لي	نفسا تفيض مع الدموع وتذرف
قالوا بكيت دماً فقلت وهمتم	ما كنت إلا من جفوني أرغها
لو لم يكن قلبي قتيل هواكم	لم تمسن أجفاني جراحاً تنزف [1]

كذلك كان من أبرز علوم اللسان العربي في النحو واللغة التي ازدهرت بمدينة قفط، والنحو من أهم العلوم اللسانية لأنه طبيعي على لسان كل متكلم، لأن الإنسان يتكلمه وهو يتعلم النطق إذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكار [2].

وكان القرآن الكريم هو المنبع الذي استقلت منه الدراسات اللغوية والنحوية، فهو والحديث يحملان إلى ناحيتها الدينية ناحية أخرى لغوية وبلاغية [3]، ومنذ البداية كانت قراءات القرآن الكريم هي الأساس في تتبع المواد اللغوية ، وكان أئمة القراءات يجيدون النحو والعربية ، فقد كان نافع بن أبي نعيم(ت١٦٩ هـ) قارئ أهل المدينة وأحد القراء السبعة يجيد النحو والعربية [4]، وكان أبرزهم في العربية والنحو "ورش القفطي (ت١٩٧م) [5].

كذلك برع كثير من أبناء قفط في اللغة العربية والنحو، ففي خلال القرون الأولى للهجرة ظهر كثير من أبنائها ومنهم أحمد بن ابراهيم القفطي (ت ٣٦٢ هـ) [6]، كما ظهر كثير من العلماء في العلماء في مدينة قفط من المناطق المجاورة لها لأنها على طريق الحج وحاضرة الإقليم وقبلة العلماء

---

(١) الأدفوي : الطالع السعيد ، ص ٣٦٤ .

(٢) جرجي زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية (القاهرة ١٩٣٧ م) ، ج٢ ، ص١٤٨ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص١١ ، ١٢ .

(٤) ابن خلكان . وفيات الأعيان ، ج٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص١٦٦ ، ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، ج١ ، ص١١٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج١ ، ص١٧٠

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٢ ، ص١١٨ ، الذهبي : طبقات القراء ، ج١ ، ص٥٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص٢٧٧

(٦) الأدفوي : المصدر السابق ، ص ٧٣

كمـــا أوضحنا آنفاً فظهر بها العالم عبد الرحيم بن الحسن بن على بن عمر الأمـــوى الأســـنوى (المتوفى فى أوائل القرن الرابع الهجرى) حيث كان نحويـــا وأصـــوليا وأديباً وعالماً فى اللغة العربية وفروعها[1]، وكذلك ظهر أيضا بمدينة قفط أبو بكر الأدفوى (ت ٣٨٨ هـ)[2] وكان تلميذاً لأبى جعفر الـــنحاس، وذاع صيت أبى بكر فى علم النحو ، وعلوم القرآن الكريم، وألف كتابا فى علوم القرآن بلغ مائة وعشرين مجلداً[3].

كذلـــك تعلم المصريون اللغة العربية فى قفط وتفاهموا بها ، وكتبوا مؤلفاتهم خلال القرن الرابع بها ، ومن ذلك تجد إثناسيوس أسقف المدينة قد كتب النحو القبطى باللغة العربية حتى يتسنى لهم قراءته ودراسته ، لأن اللغة العربية أصبحت لغة ألسنتهم حديثاً ، وكتابةً وقراءةً [4].

التـاريـخ :

حظـــى علم التاريخ بمكانة مرموقة عند العرب[5] حيث أخذت حركة التدويـــن فـــى مصـــر تتحرر من الحديث تدريجياً حتى نهاية القرن الثالث

---

(1) السيوطى : بغية الوعاة فى طبقات النحويين والنحاة ، ص٣٠٤ – ٣٠٥ .

(2) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج٢ ، ص٢٠٥ .

(3) أحمد أمين : المرجع السابق والجزء والصفحة .

(4) يقول آدم متز Metz : أن معارف العلماء المتقدمين كانت مفككه لا رباط فيها . إذ كانوا يضعون معارفهم بعضها إلى جانب بعض وكان أهتمامهم ينصب على الجزئيات على حادثة واحدة أو صورة من صور التعبير واحدة أو كلمة واحدة ومثال ذلك ما يوجد فى كتاب المبرد (ت ٢٨٥ هـ / ٣٩٨ م) .
وفى القرن الرابع الهجرى تطورت الدراسات اللغوية والنحوية فقد شعر أئمة اللغة بضرورة وضع منهج يسيرون عليه وإلى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة وأكبر ما تم على ايدى علماء اللغة هو تحديد معانى الكلمات وعمل المعاجم .
آدم متز: الحضارة الاسلامية فى القرن الهجرى ، ج١، ص ٤١٦، ٤١٧ .

(5) حيث كثرت حجرات النسخ التى انتشرت فى الأديرة والكنائس خى المراكز الرئيسية حينذاك ، وفى بعض الأحيان كان الرهبان والقساوسة يستأجرون الناسخين والفنانين المحترفين لنسخ المخطوطات وتوشيتها بالرسوم التوضيحية ، لكنهم غالباً ما كانوا يقيمون بهذه الأعمال بأنفسهم ، ونتيجة لانحصار التعليم فى الأواسط المنسية قل الإقبال على الكتب .
بيريل سمالى : المؤرخون فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم ، ص١٥ ،١٦.

الهجــرى[1]، وعندئذ أخذ التاريخ يستقل بنفسه واتخذ المؤرخون لــه منهجاً خاصاً ، حيث نبغ عدد منهم فى إقليم قفط ومنهم تلاميذ المؤرخ أبو سعيد عبد الرحمــن بن احمد بن يونس(ت ٣٤٧هــ) الذين جاءوا من الفسطاط وعملوا على نشر كتبه فى جامع قفط ومنها "المفيد فى تاريخ الصعيد "[2].

وأهتم المصريون بتاريخهم فى مدينة قفط ويظهر ذلك جليا فى رسالة عــثر علــيها فــى إقليم قفط ورد فيها إسم قبطى من طيبة " الأقصر حالياً " ويدعــى الشــماس حنا مرقص كانت وجهتها إلى بعض المسلمين من أهالى الإقلــيم، وهــى خاصة بالمعتقدات الدينية داخل الكنائس والأديرة بالإقليم[3]، وترتب على هذه الرسالة عناية المصريين والأقباط وخاصة الرهبان منهم فى الأديــرة كمــا أوضــحنا من قبل ، حيث قاموا بنسخ المخطوطات والكتب وزخرفتها والعمل على تجليدها ، وكان اهتمامهم بتجليد الكتب ، شأنها شأن عنايتهم بنسخ الأنجيل والكتب الدينية إلى اللغة العربية[4] .

كمــا حظى علم التاريخ بمكانة مرموقة بمدينة قفط منذ فجر الإسلام ويــتجلى ذلك من رسالة الراهب القبطى بشندى Picendi ، ومما يدل على وجــود بعــض مــن تصدوا للكتابة التاريخية فى كنائس قفط وأديرتها تلك الرسالة التى كتبها بطريك قفط إبان الفتح الإسلامى للديار المصرية فقد ذكر فــيها عدة حوادث وقعت بمصر من جانب الفاتحين المسلمين ، ولعل يوحنا النقيوسى صاحب كتاب تاريخ مصر قد أفاد منها عند كتابته لكتابه هذا ، كما تضــمنت رســالة أســقف قفــط ما قام به العرب من استيلائهم على النقود المرســوم عليها صورة الصليب وصورة السيد المسيح ، والذى أشار أيضاً

---

(1) عطية القوصى: الحضارة الاسلامية ،ص١٨١ ، السيد طه أبو سديرة :الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص٢٠٣ .

(2) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج٣ ، ص١١٧ ، ١١٨.

(3) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص٤٢٦ .

(4) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص١٧ .

إلى أنه سيعمدون إلى إزالة تلك الصورة واستبدلها باسم النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى ذكر اسم الخليفة ويقصد به بطبيعة الحال اسم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب[1].

وقـد شـجع على نشاط الرواية التاريخية فى المسجد الجامع وعلى التألـيف توافـد بعـض المؤرخيـن المشاهير آنذاك إلى مصر، نذكر منهم عـبدالملك بـن هشـام بن أيوب المعافرى[2] كان مولدة بالبصرة حيث تلقى تعلـيمه فـيها ، ثـم رحل إلى مصر وأقام بها وكان إماماً فى اللغة والنحو والعربية، وكان عالماً بالأنساب العربية[٣]، وقد اشتهر ابن هشام بتأليفه لكتاب السـيرة النـبوية الشهير، فإن اقامته بمصر كان لها أثرها فى نشاط الحركة العلمـية فـى الأمصـار الإسـلامية وبصفة خاصة فى مجال اللغة والأدب والتاريخ[٤].

وقـد نهج أحمد بن طولون على منوال الخليفة معاوية بن أبى سفيان الـذى اهتم بمعرفة أخبار البلاد والملوك، ومما يدل على ذلك عندما استدعى أحـد المهتميـن بأخبار الأمم والبلاد السابقة[٥]، وهو العالم القبطى الذى تم

---

(1) Quatrmere : Memoires geogrophiques, P.343

سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٠،

سعاد ماهر : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، ص١٦٢ .

(٢) نسبة إلى المعافر وهى قبيلة يمانية كبيرة ينسب إليها خلق كثير بعضهم باليمن وكان معظمهم بمصر أيام أن وفد بن هشام عليهم بمصر ، ومن المعروف أن المعافر كانت من قبائل الفتح التى أختطت بالفسطاط وظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجرى .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٣ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج١ ، ٥٣١ .

(٤) روى عنه عبد الله بن عبد الحكم ، وابنه عبد الرحمن وغيرهما من المؤرخين المصريين .

وأكبر الظن أن هذا الصيت العلمى والأدبى بصعيد مصر هو الذى دفع الشيخ أبى حيان الغرناطى الإمام، لأن يطلب من تلميذه الكمال الإدفوى أن يسجل هذه النهضة العلمية فى كتاب فكا " الطالع السعيد .

الإدفوى : الطالع السعيد ، ص١-٥ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ، ج١ ، ص٣٤٩-٣٥٣

استدعائه من إقليم قفط حيث سبقت الإشارة إليه من قبل. فكان يحدث الأمير أحمـد بـن طولـون بمـا لديـه بمعـرفة بأخبار البلاد والملوك كما ذكر المسعـودى[1].

وهكـذا نرى أن الكتابة التاريخية صارت جنباً إلى جنب مع حركة التدوين والتأليف فى مجال الحديث والفقه وغيرهما من العلوم الإسلامية، مما يدل على نشاط الرواية وإملائها على طلاب العلم والدرس فى جامع قفط من جهـة، وعلى ازدهار الحركة العلمية فى مدينة قفط فى أواخر عصر الولاة من جهه أخرى .

ظهور آراء الصوفية فى مدينة قفط :-

حفلـت حلقـات المسجد الجامع بمدينة قفط بالكثير من العلماء ومن الزهاد والصالحين ، كما حفلت كتب الطبقات بأسماء العديد من هؤلاء الزهاد والـصوفية[2]، الذين عاشوا بها منذ فجر الإسلام، ويرجع ظهور الصوفية. واختـصاصهم بهذا الأسم إلى ظهور الفرق الإسلامية وانحسار موجه الزهد فى الإسلام ، ولقد عبر ابن خلدون عن ذلك فى قوله: " ... بعد ظهور البدع وحـصول التداعى بين الفرق فكل طريق أدعوا فيهم زهاداً . فانفرد خواص أهل السنه المراعون أنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن أوراق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[3].

---

[1] المسعودى : مروج الذهب، ج١ ، ص٣٥٣-٣٥٦ .

[2] التصوف : اختلفت الآراء حول اشتقاق كلمة صوفى ومعناها فقد قيل أنه لقب مشتق من الصفاء والوفاء ، ومن حيث الحقائق التى أوجبت اللغة فهو أحد أربعة أشياء، من الصوفية وهى بغلة وغباء قصيرة أو من صوفة القفا وهى الشعر النابت فى متأخرة أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن . ولكن الأرجح أن اشتقاق كلمة صوفى هو من الصوف لأن الصوفيين فى الغالب مختصون بلبسه كما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف . صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط ، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

[3] ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الحادى عشر ، فى علم التصوف ، ص ٤٦٧ .

لم تلبث الحياة الصوفية أن تطورت فى مدينة قفط وإقليمها متبلورة فى حركة تصوف أصبح لها نظامها وتعاليمها وتقاليدها الخاصة بها ومعالمها الواضحة على يد أحد الزهاد من مدينة اخميم التى تقع إلى الشمال من مدينة قفط، وهو ذو النون المصرى الأخميمى[1] قد ساح فى البلدان المختلفة فطاف ببلاد الشام والحجاز ثم بلاد افريقية حيث التقى بأهل العلم والزهد والصلاح وتوطدت صلته بالزاهد العالم القيروانى شقران بن على الفرضى ، وأخذ عنه بعض مواعظه[2]، ومن أقواله لذى النون "يا ذا النون من توكل استغنى، ومن لم يبق تعب ، ومن شكر كوفى، ومن رضى صوفى ، والنظر إلى الظلمة آفة التحقيق والهجر أول الطريق، يا فتى سح فى الأرض ، واستغن بأكل العشب على أداء الفريضة"[3].

كذلك كان ذو النون يحث على طلب العلم والزهد فى الدنيا فى حلقته بالمسجد الجامع فمن مواعظه قوله: "كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا بالدنيا وتركاً لها ، واليوم يزداد الرجل بعلمه حباً للدنيا ولها طلب"[4].

وممن شاركوا فى مجالس الأدب وانتشاد الشعر الشاعر ذى النون الأخميمى المصرى، فكان أو حدوقته علما وورعاً ، وظهر ذلك فى شعره فى

---

[1] ذو النون الأخميمى : نسبه إلى بلدة أخميم ولد بها من صعيد مصر ، وكان مولده سنه ١٥٥ هـ ، من أب نوبى الأصل من موالى قبيلة قريش التى أقامت ببلاد إخميم (ت٢٥٤ هـ)

أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج٢ ، ص٦٧ – ٦٨ ، وكان ابوه من بلده الأدواء النوبية وإسمها الآن جبل عُده التابعة لبلاد النوبة. ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٦٥ .

[2] عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الفكر الاسلامى ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٩٨م ، ص ١٩–٢٠، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى عصر الولاة ، ص١٧٥ .

[3] ممدوح عبد الرحمن الريطى : المرجع السابق ، ص٢٦٦ .

[4] السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص١٧٦ ، وقيل أن فقهاء إخميم فى صعيد مصر حنقوا عليه وتعصبوا ضده فركبوا نهر النيل إلى الفسطاط للنيل منه لدى والى مصر آن ذاك ، فلما استقلوا الزورق بهم تفرقوا والناس ينظرون وغرق معهم رئيس المركب فقيل له : وما بال الرئيس قال : حملهم . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٣ .

مختلف أبواب التصوف الإسلامي ومراحله ، فنظم شعراً انتشر في كافة أنحاء الإقليم وحفظها الأهالي وقد كان شعره في دروب التصوف وأولها في المعرفة فقاله منه :

لها من طيوف غزم سرت به	**وتهتك بالأفكار ما داخل الحجب**
سرى سرها بين الحبيب وبينها	**فاضحى مصوناً عن سوى القربى بالقرب[1]**

كذلك قال شعراً في العشق الألهي :

مناى المنى أنت لى كل المنى	**وأنت الغنى كل الغنى عند افتقارى**
تحمل قلبى فيك ما لا يطيقه	**وإن طال سقمى فيك أوطان اضرارى[2]**

وذاعت أشعار ذو النون الإخميمي في مدينة قفط ، وذكر أنه ابرز ما يميز تلك الأشعار شيئان هما : المعرفة والمحبة ، ونظم شعراً في المعرفة فقال :

مجال قلوب العارفين بروضة	**سماوية من دونها حجب الرب**
فبالقلوب قربت فتقرب	**لذى العرش مما زين الملك بالقرب[4]**

ومن أقواله الشعرية في المحبة :

لم تشتكى ألم البلاء	**وأنت تنتحل المحبة**
أن المحب هو الصبور	**على البلاء لم أحبه[5]**

---

(1) محمد مصطفى الماحى : شعراء مصر ، ص٧٦ .

(2) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

(4) الأصبهانى : حلية الأولياء ، (طبعة دار الكتاب العربى بيروت) ج١٠ ، ص٣ .

(5) محمد مصطفى الماحى وآخرون : شعراء مصر منذ الفتح حتى الدولة الفاطمية ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، وذكر ذو النون شعراً عن امرأة صوفية من تلامذته فقالت :

أحبك حبين حب الهوى	وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذى صاحب الهوى	مذكر شغلت به عمن سواك

ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص٢٦٧ .

وكانت وفاته سنه ٢٤٥ هـ /٨٥٦م ، وسار تلامذه التصوف على طريقه ذى النون الأخميمى فى إقليم قفط ونذكر منهم ابراهيم بن موسى (ت ٢٥٠ هـ)[١] ، ابراهيم بن أحمد (ت٤١٠ هـ) [٢]،أحمد بن عبد الوارث الأسوانى (ت٤٢١ هـ)[٣] وازدهرت الحياة الروحية فى الإقليم من بعدهم[٤].

كما كان لهم دوراً إيجابياً فعالاً فى خلق المريد الصالح الذى عرف طريقه إلى الله فى جلاء ووضوح وتمسك تمسكاً تاماً بالفضيلة ومكارم الأخلاق على أيديهم[٥]، وهكذا كانت لآراء ذى النون فى ميدان التصوف وحديثه عن احوال الصوفية ومقاماتهم قد شغل اذهان الكثير من العلماء والمفكرين فى عصره ومن بعده ، كما عملت على اجتذاب كثير من المريدين الذين التفوا حوله وأخذوا عنه بعد أن وفدوا على الفسطاط للقائه من جهات قاصية ، وعملوا على نشرها فى الأمصار الإسلامية ومنها مدينة قفط .

وهكذا حفلت مدينة قفط فى العصر الإسلامى الأول بطائفة من أشهر القراء والعلماء ، وذلك بفضل سياسة الخلفاء والولاة الذين كانوا يشجعون مثل هؤلاء العلماء والعمل على اجتذابهم من خارج البلاد ، حتى أصبحت مدينة قفط من أهم المراكز العلمية ، وازدهر بها فى شتى فروعها ولم يقتصر فى ذلك تدريس العلوم على جامع قفط بل تعددت المراكز الثقافية فى داخل المدينة وخارجها ولعل تلاقح الآراء وامتزاج الثقافات مهد لنهضة فكرية ظلت بها ، وامتد أثرها إلى كل ربوع الصعيد الأعلى .

---

(١) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص٦٨ .

(٢) الأدفوى : المصدر السابق ، ص٤٨ .

(٣) الأدفوى : المصدر السابق ، ص٩٤ .

(٤) ونذكر منهم الشيخ عبد الرحيم القنائى ، والفقيه يوسف بن احمد النجم بن يوسف أبوالحجاج . الأدفوى : المصدر السابق ، ص٢٩٧ ، ٧٣٢.

(٥) محمد عبده الحجاجى :الاقصر فى العصر الاسلامى ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ .

الملاحق والخرائط

ملحق رقم (١)

معاهدة مع أهل مصر [1]

لما نزل عمرو بن العاص على القوم بعين شمس ، وكان الملك بين القبط والنوب ناهدوه فقاتلهم وارتقى الزبير بن العوام سورها ونزل عليهم عنوة، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه ، فصاروا ذمة وكان صلحهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم و ملتهم و كنائسهم و صلبهم و برهم و بحرهم "

لا يدخل عليهم شيء من ذلك و لا ينتقص و لا يساكنهم النوب .

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا إجتمعوا على هذا الصلح و انتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف. و ما عليهم ما جنى لصوتهم . فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم. وذمتنا ممن أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك .

و من دخل فى صلحهم من الروم و النوب فله مثل ما لهم. وعليه مثل ما عليهم. ومن أبى واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على ما فى هذا الكتاب عهد الله و ذمته و ذمة رسوله و ذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين. عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم.

---

[1] محمد حميد الحيدر أبادى :مجموعة الوثائق السياسية من العهد النبوى والخلافة الراشدة ، ص٢٧٥-٢٧٦

على ما فى هذا الكتاب عهد الله و ذمته و ذمة رسوله و ذمة الخليفة أمير المؤمنين و ذمم المؤمنين .

وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا و كذا رأسا و كذا و كذا فرسا . على أن لا يغزوا و لا يمنعوا من تجارة صادرة و لا واردة .

شهد الزبير و عبد الله و محمد ابناه وكتب وردان و حضر .

ملحق رقم (٢)

معاهدة مع أهل النوبة [٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد من الأمير عبد الله سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حَدّ أرض علوة .

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة .

إنكم ، معاشر النوبة ، آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازيين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه .

وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وأن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى

---

[٣] محمد حميد الله الحيدر آبادى : مجموعة الوثائق السياسية من العهد النبوى والخلافة الراشدة . ص٢٧٨ – ٢٧٩ .

أرض الإســلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره إلى أن ينصرف عنه .

وعليكم حفظ المسجد الذى إبتناه المسلمون بفناء مدينتكم . ولا تمنعوا منه مصليا . وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته .

وعليكم فى كل سنه ثلاثمائة وستون رأسا تدفعونها إلى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وإناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك إلى والى أسوان .

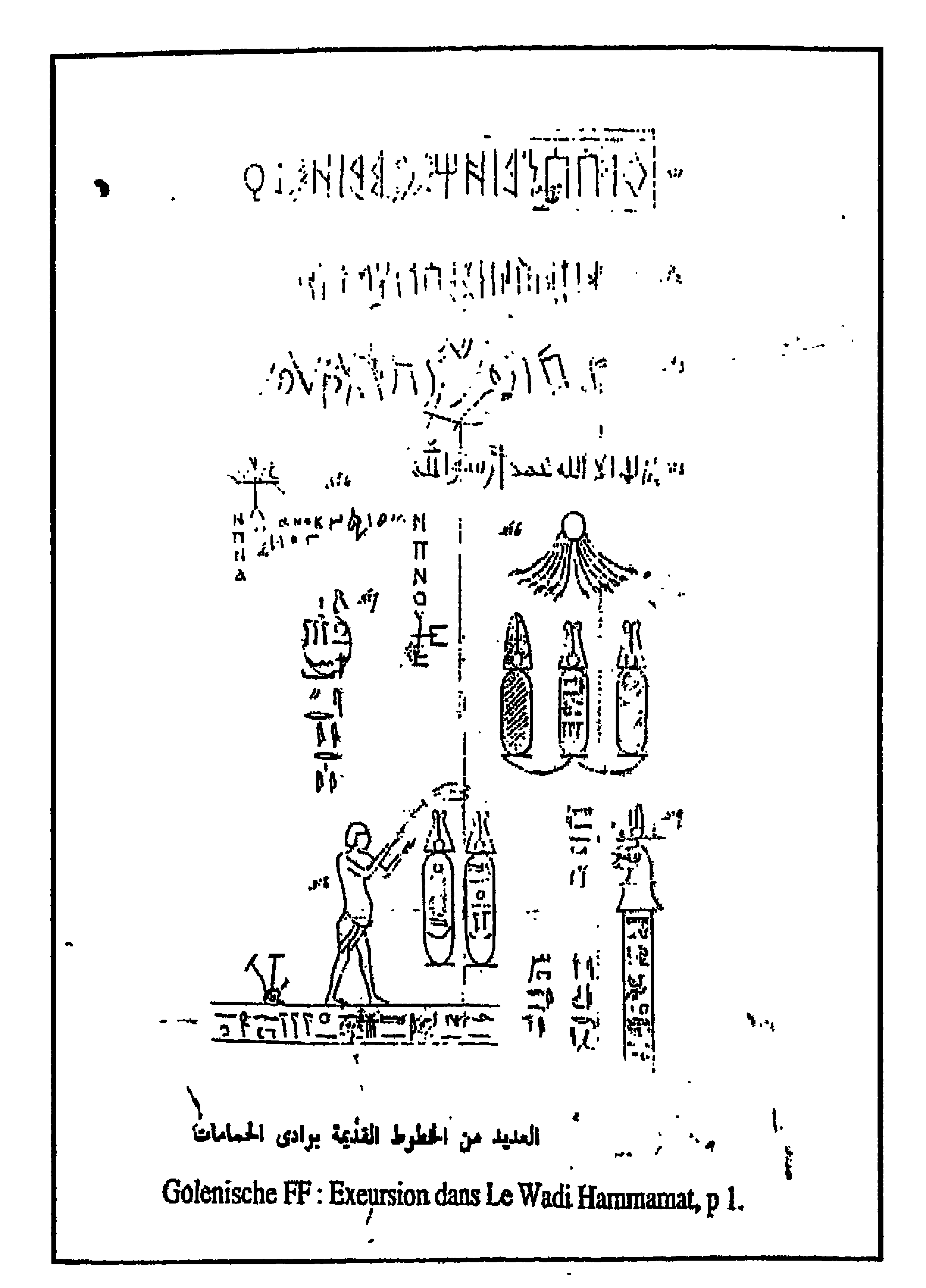
فــإن أنــتم آويــتم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاَهدا أو تعرضتم للمــسجد الذى أبتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئاً من الثلاثمائة رأس والستين رأسا فقد برأت منكم هذه الهدنة والآمان .

ونحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

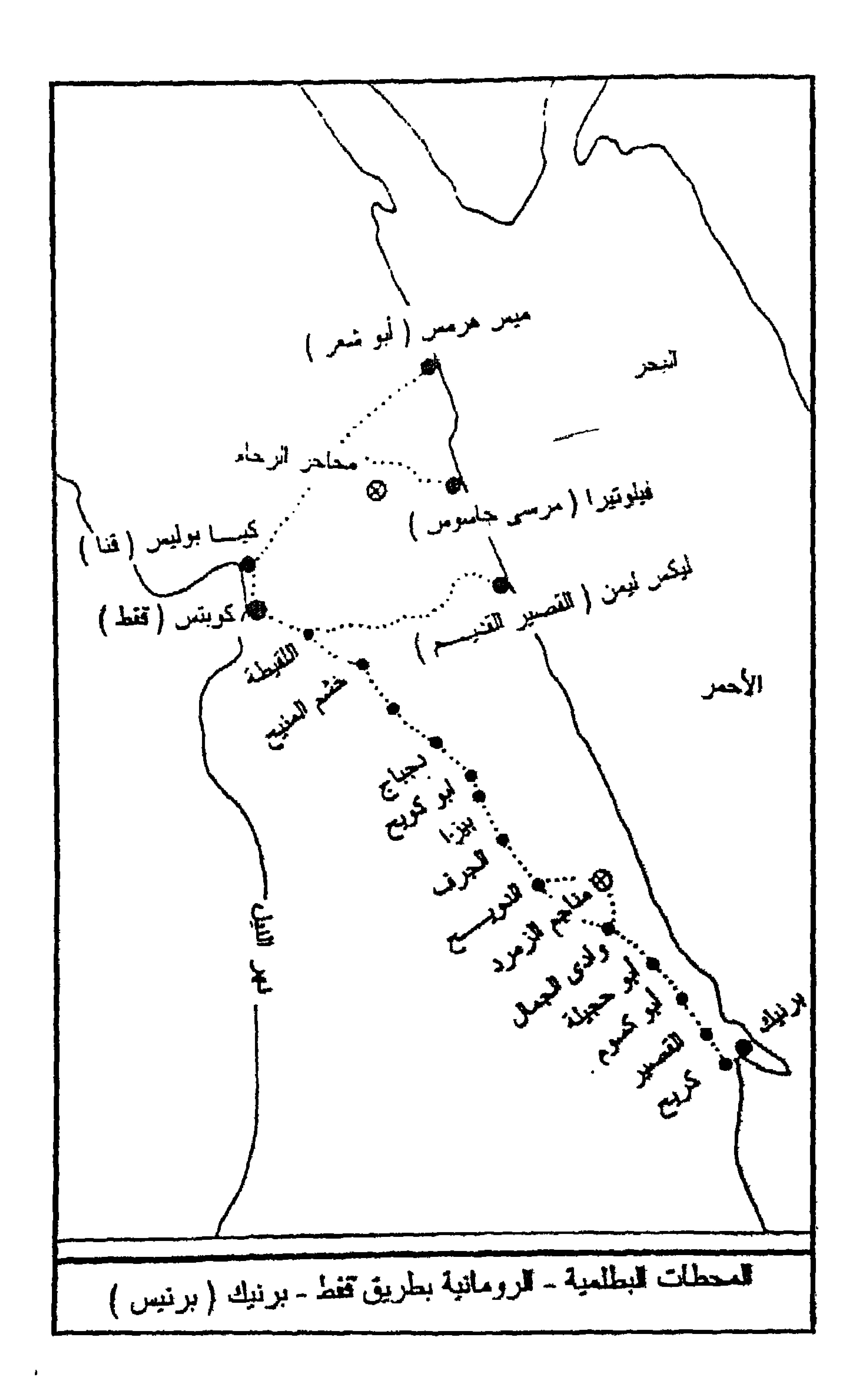
ولــنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمه المسيح وذمه الحواريين وذمه من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنه إحدى وثلاثين

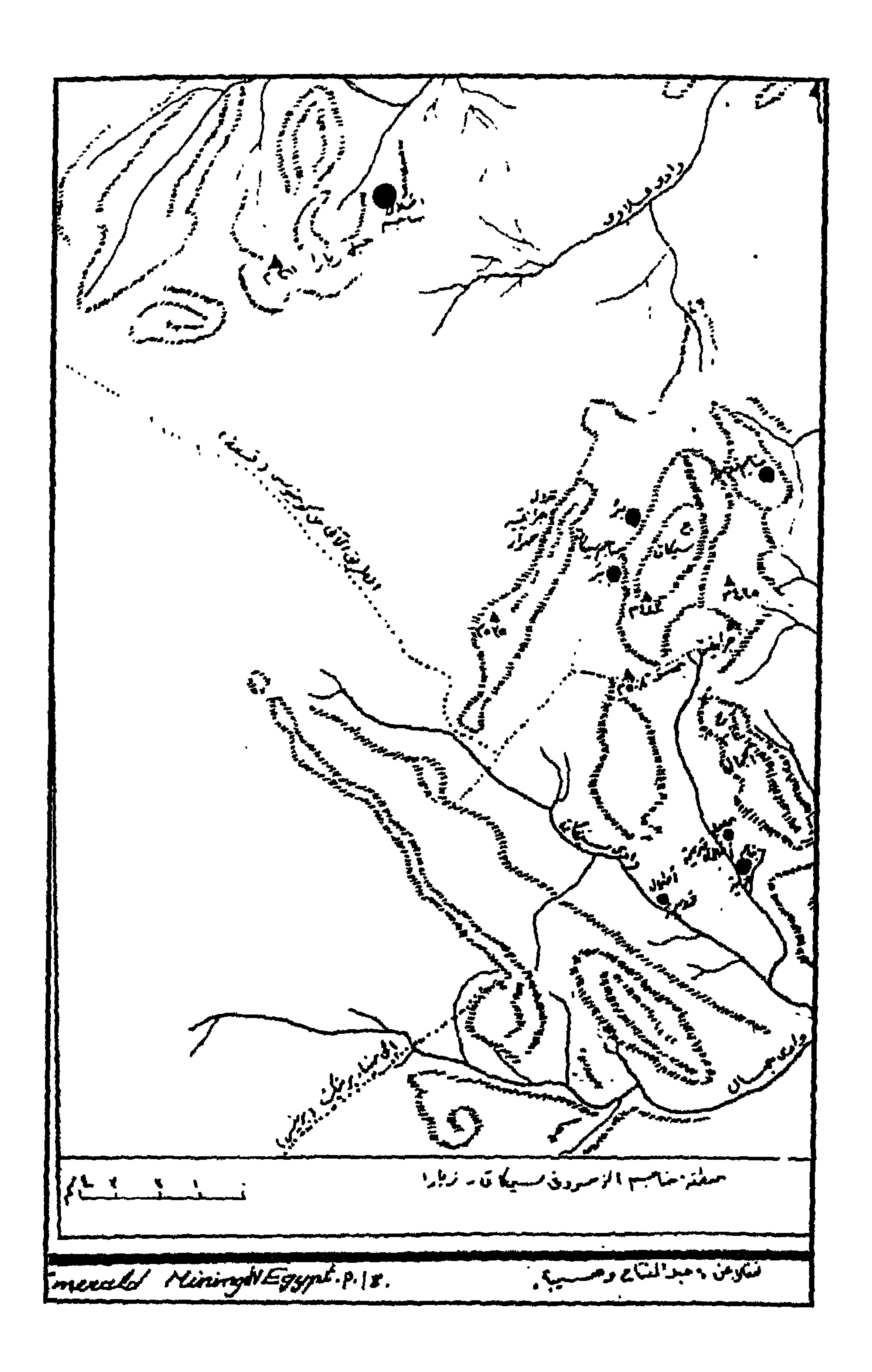


العديد من الخطوط القديمة بوادى الحمامات

Golenische FF : Exeursion dans Le Wadi Hammamat, p 1.

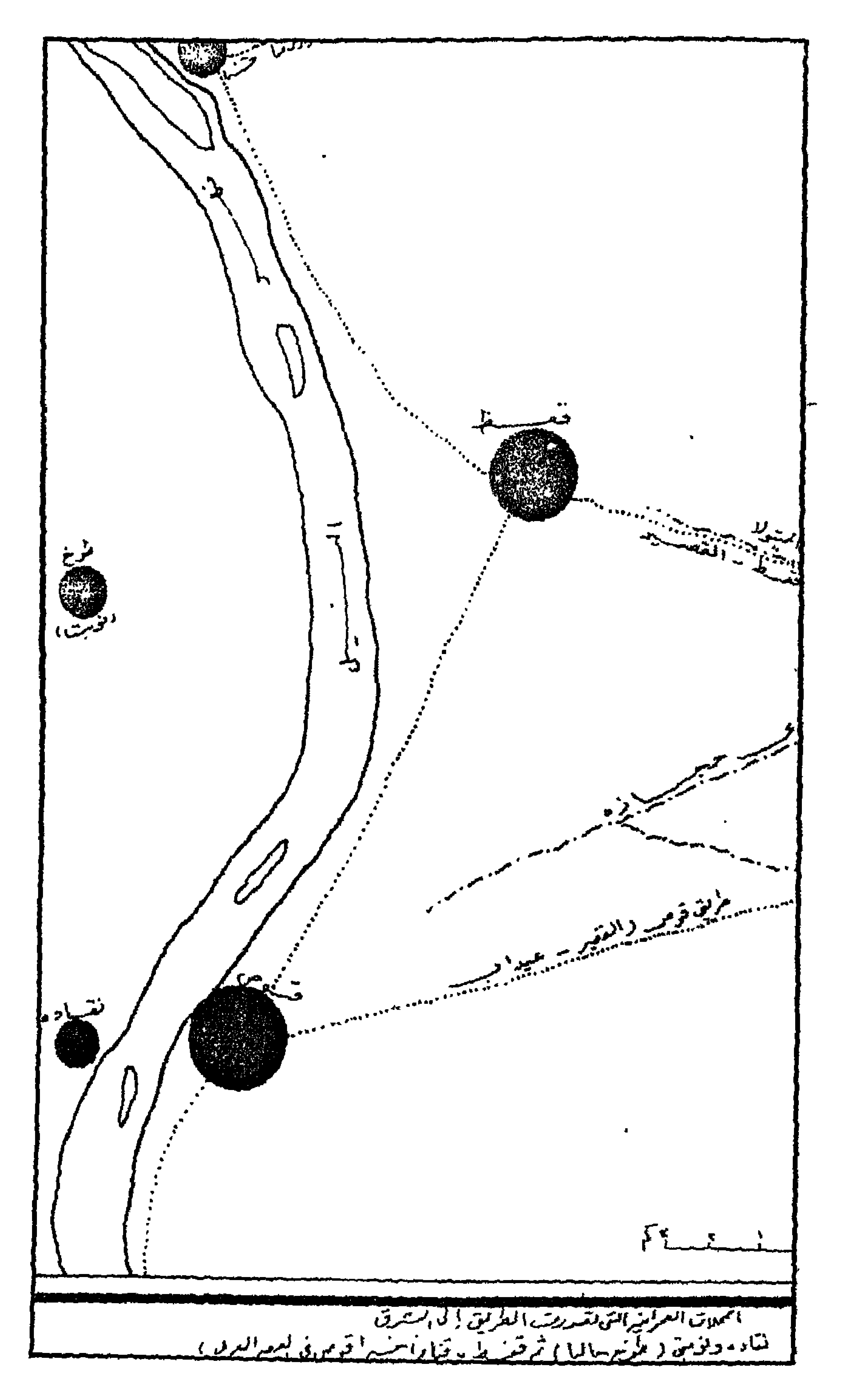


المحطات البطلمية - الرومانية بطريق قفط - برنيك (برنيس)

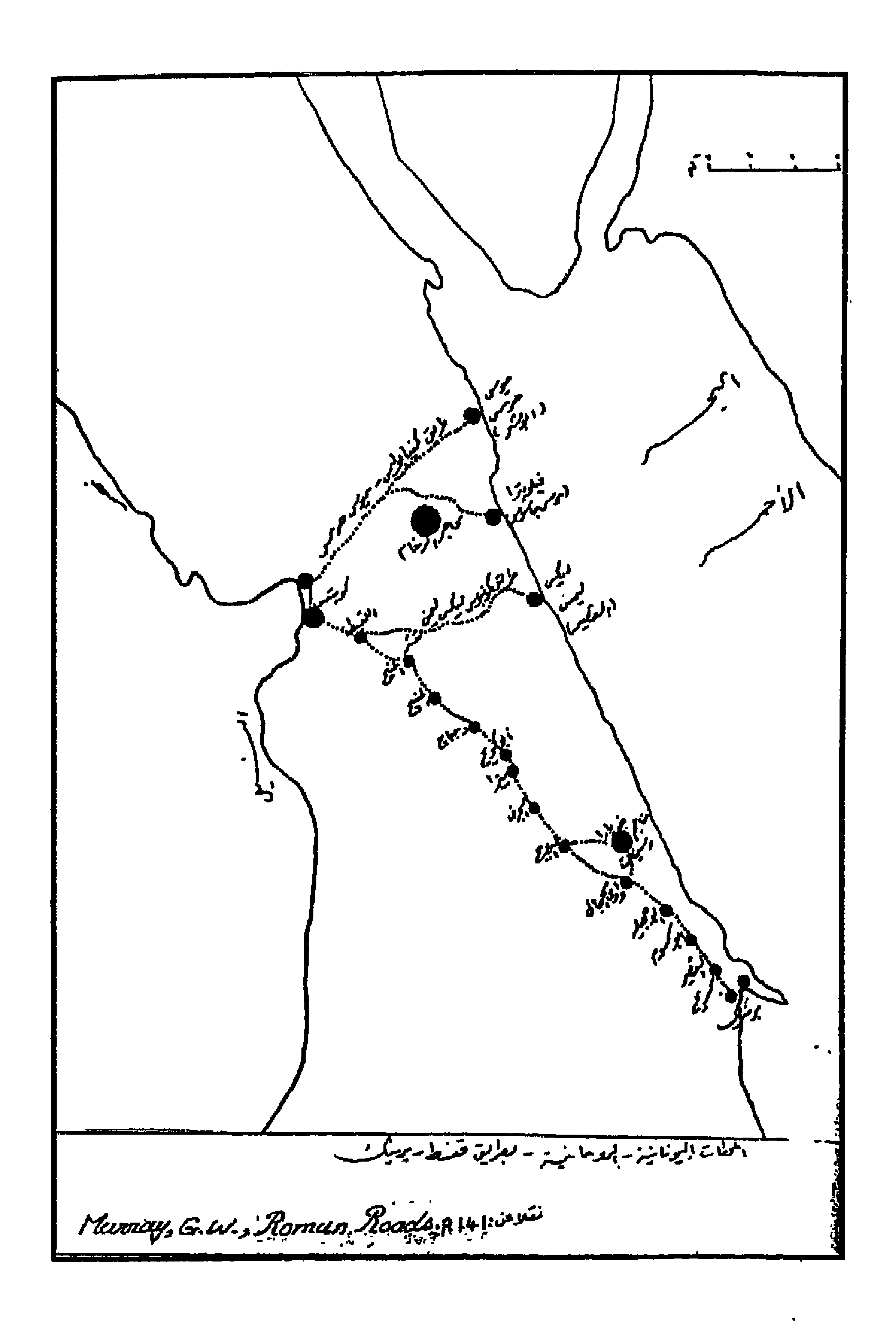


خريطة مناجم الزمرد في سيكايت - زبارا

نقلا عن : عبد الفتاح وحسيب . Emerald Mining N Egypt. p. 18.

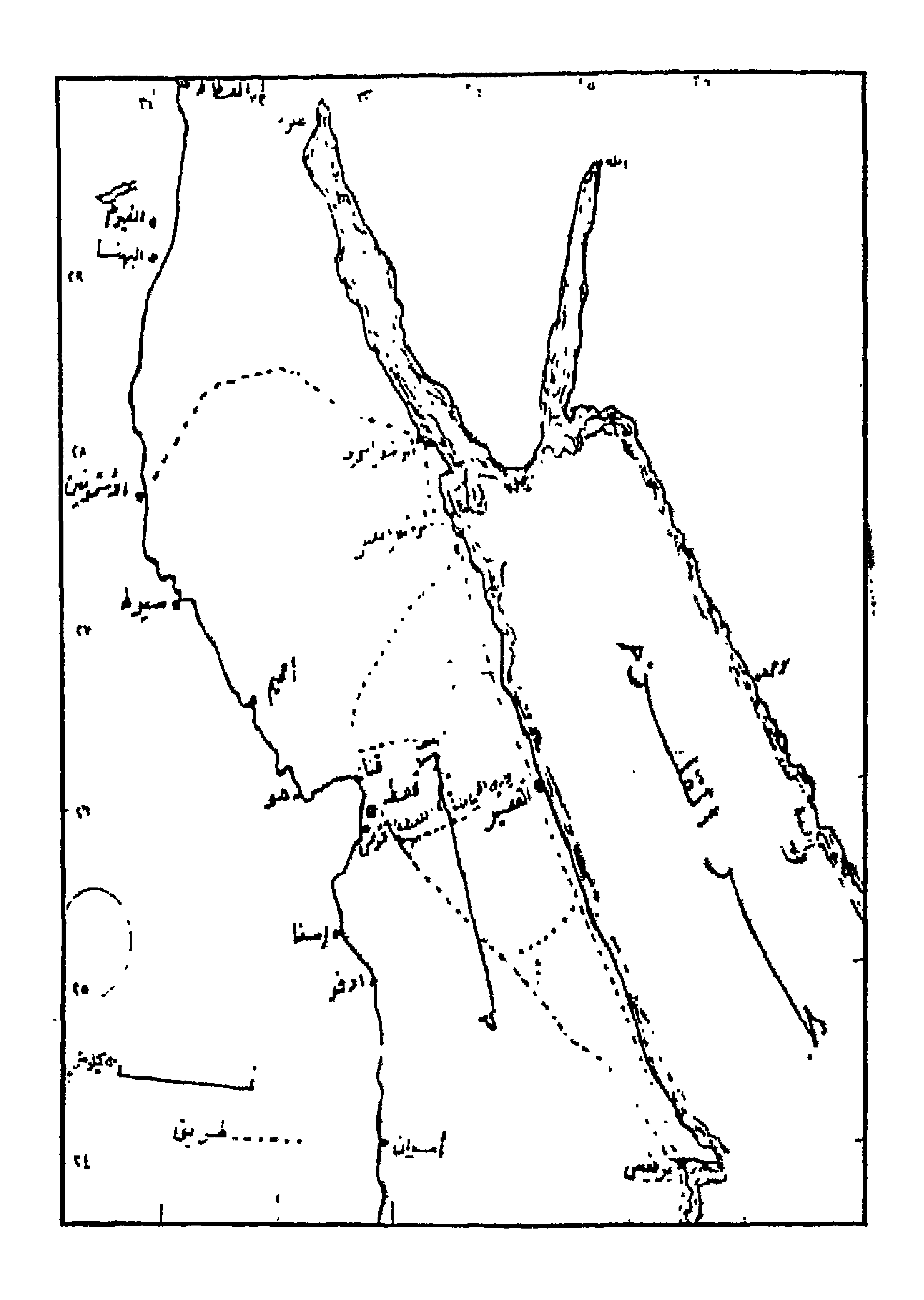


المحلات العمرانية التي تصدرت الطريق إلى الشرق
نقادة ونوبت (طوخ حاليا) ثم قفط - قنا واخيرا قوص في العصر العربي

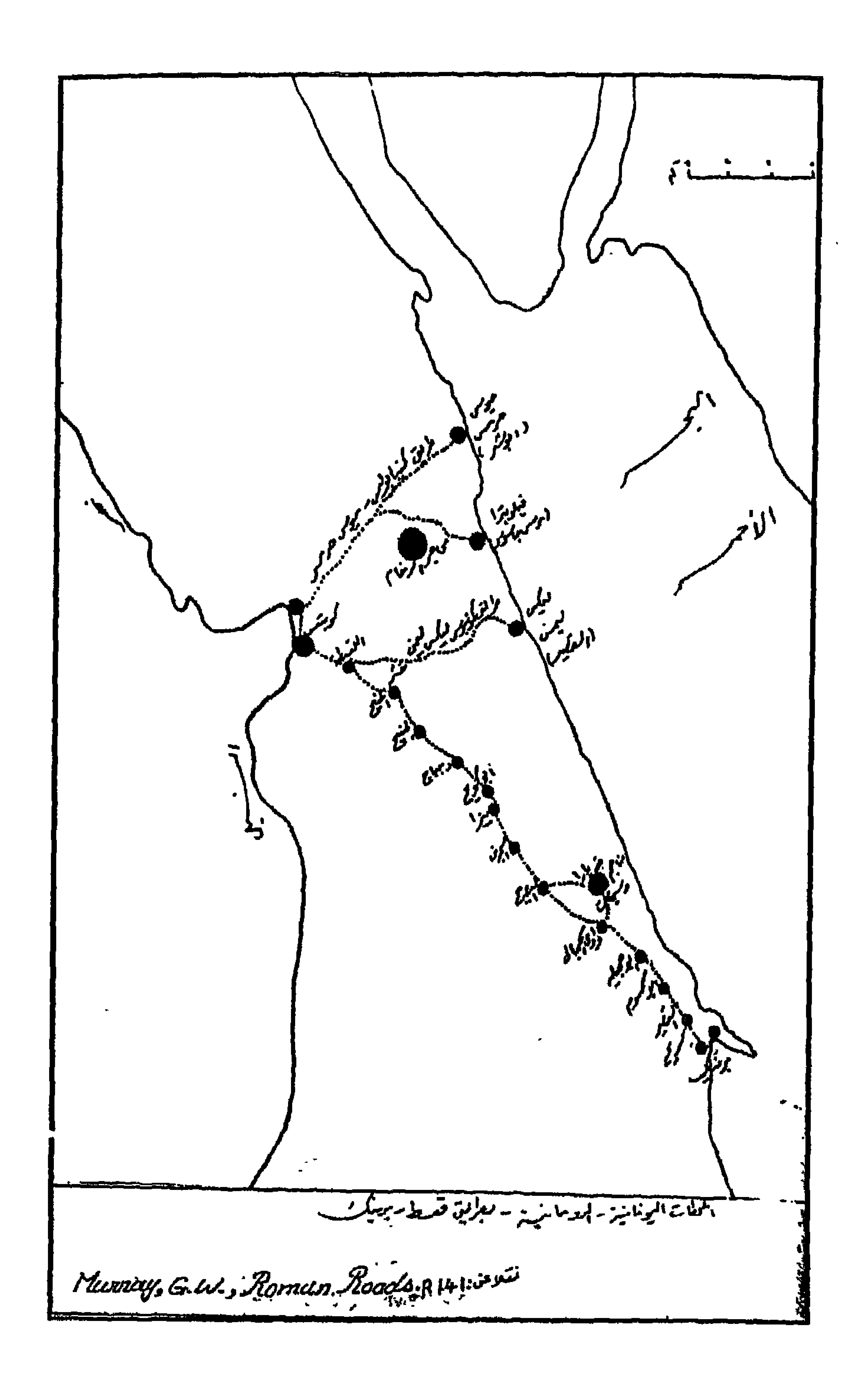


المحطات اليونانية - الرومانية - لطريق قفط - برنيك

نقلاً عن: Murray, G.W., Roman Roads, P.141

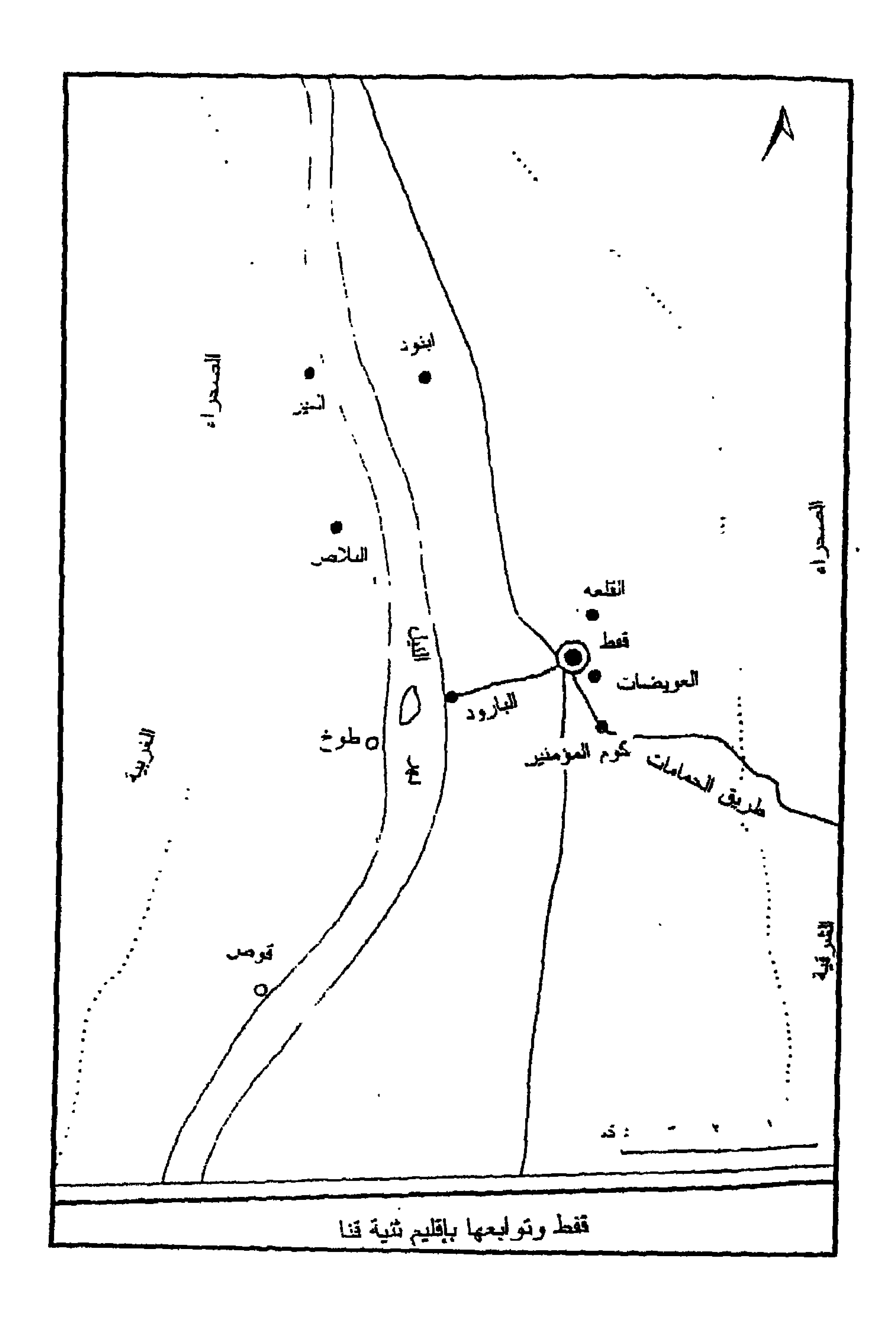


مدينة قفط فى العصر الإسلامى



المحطات اليونانية - الرومانية - بطريق قفط - برنيك

نقلاً عن: Murray, G.W., Roman Roads, P. 141



قفط وتوابعها بإقليم ثنية قنا

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

ا – الكتب الدينية

"القرآن الكريم"

ب – المخطوطات

ابن الحنبلي : رضى الدين محمود ابن ابراهيم بن يوسف الحنفى، المعروف بن الحنبلى (ت٨٢٥ هـ / ١١٤٢ م): الآثار الرفيعة فى مأثر بنى ربيعة. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٠٧، ميكروفيلم ٥٠٣٧٨ (ح) .

العيني : بدر الدين محمود (ت ٤٥٤ / ١٠٦٢ م) : عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ .

بيبرس الدوادار : ركن الدولة المنصورى المصرى (ت ٧٢٥ هـ) : زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة تحت أرقام ٢٤٠٢٦ ، ٢٤٠٢٧ ، ٢٤٠٢٨ .

سبط ابن الجوزى : يوسف قيزوغلى (ت ٦٥٤هـ) : مراة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦(ح) .

عبد الغفار بن نوح الأقصرى : الوحيد فى سلوك أهل التوحيد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦ تصوف ،الجزء الثانى .

محمد بن حامد المراغى الجرجاوى : (توفى ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) : شذا العرب فى تراجم علماء بنى عدى . مخطوط

بـدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٠١ ، ميكروفيلم ١٦٥٦

مؤلـــف مجهـــول : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤٧ تاريخ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ابـــن الأثيــــر : علـى بـن أحمـد بـن ابى الكرم (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٨ م):

" الكامل فى التاريخ " طبعة بيروت سنه١٩٧٩ م

" أسـد الغابـة فى معرفة الصحابة " تحقيق وتعليق محمـد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ، محمود عبد الوهاب فايد ، ج٢ج٣ طبعة الشعب .

ابـــن الأخـــوة : محمـد بـن محمد بن أحمد القرشى (ت٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م) :

"معـالم القربة فى أحكام الحسبة " تحقيق الدكتور / محمـد محمـود شعبان وأخرون ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٦ م.

الادريـــــــسى : أبـو عـبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٤٨ هـ /١١٥٤ م) :

"كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق" مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٩٤م

"صفة المغرب وأرض السودان ومصر " مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق (طبعة ليدن١٨٦٦).

الادفـــــــوى : أبو الفضل كمال الدين جعفـر بن ثعلـب الشافعـى (٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م) :

" الطالـع السعيد الجامع لنجباء الصعيد " تحقيق سعد

محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٩٦م .

الارمنى : أبو صالح الارمنى (ت ٦٠٦هـ /١٢٠٩ م) : "كنائس وأديرة مصر " (اكسفورد ١٨٩٤) " تاريخ الشيخ أبو صالح الارمنى " (اكسفورد ١٨٩٥ م) " تهذيب الرحلة " لأحمد العوامرى بك (القاهرة ١٩٦٤ م)

الاصطخرى : أبو اسحاق ابراهيم محمد الفارس الاصطخرى المعروف بالكرخى ، (المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) : " المسالك والممالك " تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى وزارة الثقافة والإرشاد، دار القلم، (القاهرة، ١٩٦١م).

ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجى (ت٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩م) "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء" شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة -بيروت.

الأنطاكى : يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦ م): تارخ الأنطاكى المعروف بصلة تارخ او تيخا، حققه عمر عبد السلام تدمرى، جروس برس، طرابلس ١٩٩٠ .

ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣ م): بدائع الزهور فى وقائع الدهور " حققها محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٢م).

ابــــن بطــــوطه : أبــو عــبد الله بن سعد بن حسن بن ابراهيم اللواتى الطنجى(ت ٧٩٧ هــ/١٣٧٧)
" تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار المعروف برحلة ابن بطوطة " (القاهرة ١٩٦٤ م) :

ابــــن بعــــره : منصور الذهبى الكامل (المتوفى فى النصف الاول من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى)
" كــشف الأســرار العلمية بدار الضرب المصرية " تحقــيق عــبد الــرحمن فهمــى محمد، طبعة سنة (١٣٨٥هــ/١٩٦٦م) .

الــبــــــبلاذرى : أحمــد بــن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هــ / ٨٩٢ - ٨٩٣ م) :
" كــتاب فــتوح الــبلدان " (بيروت ١٤٠٧ هــ / ١٩٨٧ م)

الـــــــــبلوى : أبــو عــبد الله بن محمد المدينى (المتوفى فى القرن الرابع الهجرى)
"ســيرة أحمــد بن طولون " تحقيق محمد كرد على (دمشق ١٣٥٨هــ/١٩٣٩م) .

ابــن تغــرى بــردى : جمــال الدين أبو المحاسن بن يوسف (ت ٨٧٤هــ/ ١٤٧٠ م)
" الــنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " طبعة دار الكتب المصرية .

ابــــن تيمــــية : أبو العباس أحمد بن عبد الحليم :
مقدمة فى أصول التفسير - دمشق مطبعة الترقى

التيفاشــــــــى : أبو العباس أحمد بن يوسف (ت٦٥١ هــ/١٢٥٢م):
أزهــار الافكــار فى جواهر الأحجار" تحقيق محمد حسن ، ومحمود بسيونى (القاهرة ١٩٧٧م)

الجـــــــــــاحظ : ابــن عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـــ /٨٦٩م) :
"كتاب التبصر بالتجارة " (القاهرة ١٩٣٥م)

ابــــن جبيـــــر : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـــ/ ١٢١٧م):
" رحلـــة ابن جبير " تحقيق الدكتور حسين نصار .
القاهرة ١٩٥٥م.

ابــــن الجـــــزرى : شمس الدين محمد بن محمد (ت٨٣٣هـــ/ ١٤٢٩م):
النشر فى القراءات العشر ، دمشق ١٣٤٥ هــ
غاية النهاية فى طبقات القراء – نشر برحبشتراسر،
القاهرة ١٩٣٣ م .

ابــــن الجـــيعان : شمس الدين يحيى بن مقر (ت ٨٨٥ هـــ/١٤٨٠م):
"الـــتحفة الـــسنية بأســـماء البلاد المصرية " القاهرة
١٨٩٨م.

ابــــن الحـــــاج : أبـــو عـــبد الله محمد بن محمد العبدرى (٧٣٧هـــ/ ١٣٣٦م) :
"المـــدخل : مـــدخل الشرع الشريف على المذاهب ،
٤ أجزاء ، دار الحديث القاهر ١٤٠١ هــ ١٩٨١م .

حاجـــــى خلـــــيفة : (ت ١٠٦٧ هـــ/ ١٦٥٧م)
"كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون" ٣ أجزاء،
استنبول ١٣٦٠ هـــ / ١٩٤١م.

الذهبـــــــــــــــــى : أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان (ت ٧٤٨ هـــ) :
تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، القاهرة
٣٦٧ هـــ .

ابــــن حبـــــيب : الحسن بن عمر (ت ٧٩٩ هـــ/ ١٣٧٧م) :
مخـــتلف القـــبائل ومـــؤتلفه تحقيق إبراهيم الإبيارى
(القاهرة بدون تاريخ)

ابـــــن حـــــزم : أبــو محمد على بن سعيد الاندلسى (ت ٤٥٦ هـ / ١٦٠٣ م) :
" جمهــرة أنساب العرب " تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٨٢ م.

ابـــــن حـــــوقل : أبــو القاسم محمد البغدادى النصيبى (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م) :
"المسالك و الممالك" دى جويه ١٨٧٠ م .
"صورة الأرض" طبعة بيروت .

ابـــــن خـــــرداذبه أبــو القاســم عبيد الله بن عبـــد الله (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م):
"المــسالك و الممالــك "مكتــبة الثقافة الدينية القاهرة (بدون تاريخ) .

ابـــــن خلـــــدون : عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥ / ١٤٠٦) :
" المقدمة " القاهرة – المكتبة التجارية .
" العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ،ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، طبعة القاهرة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

ابـــــن خلكـــــان : شـمس الـدين أبو العباس ابراهيم أحمد بن ابراهيم (٦٨١ هـ /١٢٨١ م):
" وفـيات الأعيان وأنباء الزمان " تحقيق محمد محي الـدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى مكتبة النهضة ا لمصرية ١٩٤٨م .

ابـــــن الدايـــــة : أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت ٣٤٠ هـ / ٩٤١م)
" المكافــأة وحسن العقبى " صححه وضبطه الأستاذ

أحمـــد أمـــين بك وعلى الجارم بك الطبعة الأولى القاهرة المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٩٤١م

ابـــــن دقمـــــاق : إبراهيم بن محمد المصرى (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م): "الانتـصار لواسـطة عقـد الأمـصار ج٤ ، ج٥ (بيروت بدون تاريخ)

الديـــــــــنورى : أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ /٨٨٥م) : " الأخبار الطوال " تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، طبعة وزارة الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٥٩م .

ابـــــن رســـــته : أبو على أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٢٩٥ هـ / ٨٩٩م) : " الأعلاق النفسية " ليدن ١٨٩٢ م) .

الزهـــــــــــرى : أبـــو عبد الله محمد بن أبى بكر(المتوفى فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلاد) : " كـتاب الجغـــرافية ، تحقـــيق محمـــد جاد صادق (بيروت بدون تاريخ) .

ابـــــن الـــــزيات : أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصارى (٨١٤ هـ/ ١٢٤١م) " الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، طبعة بغداد

ســاويرس بـن المقفع: (المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى) : تـــاريخ الأبـــاء البطاركة ، تعليق الراهب صمويل السريانى (القاهرة ١٩٨٤م)

ابـــــن ســـــعد : محمد بن سعد بن منبع الزهرى (ت ٢٣٠ هـ) : الطـــبقات الكبرى أعد فهارسها رياض عبد الله عبد الهـــادى ، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م .

السويدى : محمد أمين البغدادى :
" سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب " ، القاهرة ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر محمد (ت ٩١١ هـ /١٥٠٥م) :
" الإتقان فى علوم القرآن " القاهرة ٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥م .
" حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة "
" المطبعة الشرقية – بالقاهرة ١٣٢٧ هـ /جزءان)
" طبقات الحفاظ " تحقيق على محمد عمر – القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م) :
" بعية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه – القاهرة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م)

الشابشتى : أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م):
الديارات ، عنى بتحقيقة ونشره كوركيس عواد ، طبقة المعارف سنه ١٩٥١ م .

ابن شاكر الكتبى : فخر الدين محمد بن أحمد (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م) :
" فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق احسان عباس "طبعة دار الثقافة بيروت – لبنان ١٩٧٣ م .

الشعرانى : (عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٨٣ هـ /١٥٧٥ م) :
كتاب الطبقات الكبرى المسماه " بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار .
أو طبقات الشعرانى – المطبعة الشرقية – القاهرة ١٢٩٦ هـ .

الشرزى : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) :
" نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، طبعة دار الثقافة بيروت- لبنان
طاش كبرى زادة : أحمد بن مصطفى) :
مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، ٣ أجزاء مراجعة وتحقيق كامل بكرى – عبد الوهاب أبو النورالقاهرة – دار الكتب الحديثة – مطبعة الاستقلال الكبرى .
ابن طباطبا : محمد بن على المعروف بابن الطقطقى (ولد سنة ٦٦٠ هـ / ١٣٦١م) وأتم كتابته سنة (٧٠١ هـ / ١٤٠١ م) :
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، عنى بنشره يوسف توما البستان مطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٠ هـ
الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) :
تاريخ الأمم والملوك ١١ جزءاً ، القاهرة ١٩٣٩ م .
ابن ظهيرة : كمال الدين محمد بن نجم الدين أمين بن أبى بكر القرشى (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م) :
الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقى ، وكامل المهندس طبعة القاهرة سنه ١٩٦٩ م .
ابن عبدالحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى (ت ٢٥٧ هـ /٨٧٠- ١٧١م) :

" فتوح مصر والمغرب " تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربى القاهرة ١٩٦١ م.
" فتوح مصر وأخبارها - المعهد العلمى الفرنسى ، القاهرة ١٩١٤ .

ابـــن عـــبدربه : أحمد بن محمد الأندلسى (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م): العقـد الفـريد ، ج٣ و ج٥ ، تحقـيق محمد سعيد العريان طبعة لبنان سنة ١٣٧٢ هـ ـ١٩٥٣ م .

ابـن عمـاد الحنبلـى : عبد الحى بن أحمد بن محمد الصالحى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩م) :
"شـذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج١ ، ج ٢ ، ج٣ ، طـبعة القاهـرة سنة ١٣٥٠ هـ ، عن نسخة دار الكتب المصرية.

أبـــو الفـــداء : إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢ هـ/١٣٣١م) المختـصر فى أخبار البشر، ج١، ج٢، ج٣، الطبعة الأولى استانبول سنة ١٩٣٨م.

ابـــن فـــندق : أبـو الحـسن علـى بن أبى القاسم بن زيد البيهقى الشهير بابن فندق (ت ٥٦٥ هـ /١١٦٩م) :
لـباب الأنـساب والألقاب والأعقاب ، تحقيق السيد مهـدى الرجائـى واشرف السيد محمود المرعشى (بيروت بدون تاريخ)

قدامـة بـن جعفـر : أبـو الفـرج قدامـة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت ٣٢٠ هـ) :
" نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة " ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خردانية .

ابـــن القفطـــى : جمـال الدين أبو الحسين على بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الوهاب (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) :
أخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة دار الآثار المصرية بيروت .
أنباء الرواة على أبناء النحاه ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٥ م .

القلقـــشندى : أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م):
"صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" ١٤ جزءا (القاهرة طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣ – ١٩١٧م) :
قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الابيارى دار الكتب الحديثة، الطبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ /١٩٦٣م.
نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الابيارى الطبعة الأولى القاهر١٩٥٩م.

الكـــندى : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١م):
"كتاب الولاة والقضاة " نشرة رفن جست ، بيروت ١٩٠٨.

المـــاوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م:
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ١٩٧٨ م .

مجهـول مـراكش : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر الدكتور سعد الدين زغلول ، الإسكندرية ١٩٥٨ م .

أبـــو المحاســــن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هــ / ١٤٦٩ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦جزءا، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ،القاهرة ١٩٦٣م .

محمدحميد الحيدر أبادى: مجموعة الوثائق للسياسة من العهد النبوى والخلافة الراشدة .

المســــــبحى : محمد بن عبد الله (ت ٤٥٩ هــ / ١٠١٠ م) :

أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هــ) تحقيق ولــيم ح . ملــيورد، الهيــئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م .

المســــــعودى : أبو الحسن على بن الحسين (ت٣٤٦هــ/٩٥٦م):

"مروج الذهب ومعادن الجوهر" (القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧) .

" التنبــيه والأشــراف " دار الصاوى القاهرة بدون تاريخ .

ابـــن مـــسكوية : (ت ٤٢١) :

كــتاب العــيون والحدائق فى اخبار الحقائق الجزء الثالث (نشر دى جوية ليدن ١٨٦٩ م) .

المقريــــــــــزى : تقى الدين أحمد بن على (ت٨٤٥هــ/١٤٤١م):

"المــواعظ والأعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية " جزءان (القاهرة ١٩٩٠ م) .

" اغاثــة الأمة بكشف الغمة " تحقيق محمد مصطفى زيادة ، جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٦ م) .

" اتعــاظ الحــنفا بأحــبار الأئمة الفاطميين الخلف "

تحقـيق الجـزء الأول جمـال الدين الشيال والجزء الثانى والثالث محمد حلمى أحمد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٣ م) .

" البـيان والإعراب بأرض مصر من الأعراب مع دراسـات فى تاريخ العروبة وادى النيل" تحقيق عبد المجيد عابدين (القاهرة ١٩٦٨ م)

" الـسلوك لمعـرفة دول الملـوك " تحقـيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٥٦ م)

" المقفـى الكبيـر " تحقيق محمد اليعلاوى (بيروت ١٩٩١م) .

النقود الإسلامية ، (القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ) .

أبـو المكـارم : أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود (ت فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) :

تـاريخ الكـنائس والأديـرة إعداد وتعليق الراهب صمويل السريانى القاهرة ١٩٨٤ م

اعـتماد أعلـى نسخة باريس ، نشر الراهب صمويل هـذا للكتاب اعتماداً على صورة المخطوط ، الجزء الثانى تحقيق B.T.A.E.Vets لندن ١٨٩٥ م .

ابـن مماتـى : أسعد بن مهذب بن مينا (ت٦٠٦ هـ/١٢٠٩ م):

قوانـين الـدواوين ، تحقـيق عزيز سريال عطيه، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٣ م

ناصـر خـسرو : علـوى فارسـى ، زار مـصر فـى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (ت٤٦٦ هـ/ ١٠٨٣م) :

سـفر نامة ، تحقيق يحيى الخشاب ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٦٤ هـ / سنة ١٩٤٥م .

ابــــن الـــــنديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٣ هـ / ٩٢٢م) .
الفهرســت - مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨ م .

نــشوان الحميـــرى : نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)
" ملــوك حميــر وأقيال اليمن " تحقيق اسماعيل بن أحمــد الجرافى وعلى ابن اسماعيل المؤيد، بيروت ١٩٧٨ م .

النويـــــــــــرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١- ١٣٣٢م) :
نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٨جزء مصورين عن طبعة دار الكتب المصرية .

الهمدانــــــــــــى : أبــو محمــد الحسين بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م) :
" الإكلـــيل " المطبعة السلفية القاهرة ١٣٦٨ هـ / ج ١،٢،٨ ، تحقـــيق الأكوع ، ج١٠ ، مطبعة السنة المحمدية .
" صفة جزيرة العرب " تحقيق محمد بن على الأكوع بيروت ١٩٨٣ م .

الـــــــــواقدى : (ت ٢٠٧ هـ /سنة ٨٢٢ م) :
فتوح الشام ، ج٢ ، طبعة دار الجبل بيروت
فتوح مصر والإسكندرية (بيروت ١٩٦٠ م) .

ابـــن الـــوردى : ســراج الــدين عمر بن مظفر بن حفص (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩)
كـتاب فــريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ١٢٨٠ هـ .

ياقـــوت الحمـــوى : شـــهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى بن عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) :

" معجم البلدان " ٨ أجزاء القاهرة ١٩٣٦م .

" معجم الأدباء " القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م

اليعقوبـــــــــى : أحمـــد بـــن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) :

" كتاب البلدان " ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة، ليدن

" تاريخ اليعقوبى ١٨٩١ ، بيروت ١٩٦٠م .

يوحـــنا النقيوســـى : تـــاريخ مصر – ترجمة د . عمر صبر عبد الجليل الطبعة الأولى القاهرة سنه ٢٠٠٠ م .

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة :

إبـــراهيم أحمد العدوى : مصر درع العروبة ورباط الإسلام ، (مطبعة الآثار المصرية ، ١٩٩٢ م) .

إبراهيم دسوقى محمود : الطـــرق التجارية القديمة وآثارها الحضارى ، المنيا ٢٠٠٠ م .

إبـــراهيم على طرخان : الـــنظم الإقطاعـــية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى دار الكتاب العربى

للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٨ م .

إبـــــراهيم نــــصحى : تـــاريخ مـــصر فى عصر البطالمة، جزءان ، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية .

١٩٦٠ م .

تـــاريخ الحـــضارة المـــصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة (بدون تاريخ)

أحمـــــد الحـــــته : تاريخ الزراعة المصرية ، دار المعارف ١٩٥٠ م .

أحمـــد أمـــين بـــك : فجر الإسلام ، ج١ ، القاهرة ١٩٤١ م .

ضحى الإسلام ، ج٢ ، الطبعة الأولى . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م .

احمد جاب الله شلبى : الحضارة الإسلامية خلال الأربعة عشر قرنا الماضية ، من كتاب دراسات فى الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس الهجرى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥م .

أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر، دار الكتب المصرية ١٩٣٦م.

السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، القاهرة ١٩٦١ م .

السيد طه أبو سديرة : القبائل اليمنية فى مصر ، القاهرة ١٩٨٨ م .

الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١ م .

الهلالية فى صعيد مصر خلال العصر الفاطمى الأول ١٩٩٣ م .

الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى عصر الولاة (٢١ هـ - ٢٥٤ هـ) القاهرة ، ١٩٩٠ م .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسه شباب الجامعة الإسكندرية (بدون تاريخ) .

تاريخ الدولة العربية الإسكندرية ١٩٧٦ م .

الشاطربصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ وادى النيل ١٩٥٥ م .

أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى مصر ، دار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .

جمــال الــدين الشيال: تــاريخ مصر الإسلامية ، جزءان ، دار المعارف ٢٠٠٠ م .

جمـــال حمـــدان : شخــصية مــصر دراسة فى عبقرية المكان ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٨١ م .

جـــواد علـــى : تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة بغداد ، ١٩٥٣م.

جورجــى زيــدان : العرب قبل الإسلام (القاهرة بدون تاريخ)

تــاريخ التمدن الإسلامي ، ج٣ ، القاهرة دار الهلال ١٩٥٨ م .

تــاريخ آداب اللغــة العــربية ، الأجزاء من ١ -٣ القاهرة ١٩٣٧ م .

حــسن إبــراهيم حسن : تــاريخ الإســلام الــسياسى والدينــى والثقافــى والاجتماعــى، ٣ اجــزاء (الطــبعة السادسة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤م).

انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى بشرق القارة الأفريقية وغربها، القاهرة ١٩٥٩م.

حــسن أحمــد محمود : تاريخ عمرو بن العاص (مكتبة مدبولى ١٩٩٩م).

حــضارة مــصر الإسلامية فى العصر الطولونى، ١٩٦٠ م .

مصر فى عصر الطولونيين، الإسلام والثقافة، ج١، مكتــبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٣م، حضارة مــصر الإســلامية فــى العصر الطولونى، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٦٠م).

حــسن الباشــا حــسن: الفــنون الإســلامية فــى العصر والوظائف الأثار العــربية ، القاهــرة ثلاثــة أجزاء ، دار النهضة العربية بدون تاريخ .

حسن خضيرى أحمد : علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب ، الطبعة الأولى مدبولى ١٩٩٦ م .

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية فى مصر ، ج١ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنه ١٩٤٦م .

حسين محمد نصارى : الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٩ م.

خير الدين الزركلى : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ٨ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤.

راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م .

رفعت الجوهرى : شريعة الصحراء عادات وتقاليد (القاهرة ١٩٦١م)

زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، القاهرة ١٩٤٨م.

كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٨١ م .

الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٤٥م .

سعاد ماهر محمد : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م)

محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الاسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦م .

مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج٥ ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر الإسلامية . القاهرة ١٩٥٧ م .

سعد زغلول عبد الحميد: محاضرة فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بيروت العربية، الإسكندرية (بدون تاريخ)

سليم حزين : حضارة مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (بدون تاريخ) .

أقسام مصر الجغرافية فى العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٤٤ م .

سليم حسن : مصر القديمة ، مطبعة الكوثر بمصر بدون تاريخ .

سمير محمد خواسك : فى بلاد العبابدة ، (القاهرة ١٩٨٣ م) .

سمير يحيى الجمل: تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، الجزء الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م .

سيدة إسماعيل الكاشف : مصر فى فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م .

مصر فى عصر الولاة (الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ .

مصر فى عصر الأخشيديين (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ م) .

شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول، القاهرة ١٩٥٢ م .

شوقى الجمل: تاريخ السودان ووادى النيل وحضارته ، القاهرة ١٩٨٦ م .

صفاء حافظ عبدالفتاح : الموانى والثغور المصرية من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية (القاهرة ١٩٨٦ م) .

صفى محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية فى العصر الاسلامى منذ الفتح العربى حتى نهاية الدولة الفاطمية ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م .

صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م

عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الأسلامية (الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٩ م .

عبد الحكيم العفيفى: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .

عبد الحميد يونس: الهلالية فى التاريخ والأدب ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦ م .

عبدالرحيم أحمد عبدالرحيم الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مطبة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ م .

عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى – بيروت ١٩٩٨ م.

عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ١٩٦٢ م .

عبد الفتاح الغنيمى: عروبة مصر قبل الاسلام ، القاهرة ١٩٩٣ م .

عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية فى مصر خلال القرون الأولى للهجرة القاهرة ١٩٩٢ م .

القرآن وعلومه فى مصر من ٢٠ هـ إلى٣٥٨ هـ، القاهرة ، دار المعارف .

عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، القاهرة ١٩٦٠ م .

بين الحبشية والعرب (القاهرة بدون تاريخ)

دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، الإسكندرية ١٩٨٩م.

عبد المنعم عبدالحميد : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، دار الثقافة العلمية الإسكندرية ١٩٩٩م.

عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ،ج١، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنه ١٩٥٣م

تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية القاهرة

عصام الدين عبدالرؤوف الفقى: الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر العربى بدون تاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

عطية القوصى : تاريخ الفكر الإسلامى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٧.

تاريخ دولة الكنوز الإسلامية دار المعارف القاهرة ١٩٨١ م .

تجارة مصر فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٠ م .

الحضارة الإسلامية ، الناشر دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥ م .

عطية مشرفة : نظم الحكم فى مصر فى عصر الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

المدارس فى العصر الأيوبى – مقال فى ندوة

عفاف صبرة : المدارس فى مصر الإسلامية – الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

على ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

على الخطيب : القفطى حياته وأدبه، طبعة أولى، القاهرة ١٩٨٣م.

على حسنى الخربوطلى: مصر العربية الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

الحضارة العربية الإسلامية (الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٢ م) .

القضاء فى الإسلام ، شركة الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

مصر فى العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٥٤ م .

علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ٢٠ جزء ، طبعة مصورة الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م

عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت١٩٩١م.

فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمى، جزءان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م) .

فريد الشافعى : العمارة العربية فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٠ م .

قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ م .

قرشي عباس دندرواي : تاريخ تراث الصعيد الأعلى . الجزء الأول منذ الفتح العربي حتى سنة ٨٢٧ هـ . الناشر مكتبة الآداب القاهرة ١٩٩٧ م .

كوثر عبد الرسول : العبابدة دراسة فى الاستقرار البدوى فى الصعيد والنوبة محاضرة ألقيت بالجمعية المصرية يوم الأربعاء (٢٥/ ٤ / ١٩٦٢) .

مجدى عبد الرشيد : القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك . الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩ م .

مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ، القاهرة ١٩٨٧ م .

محمد أمين صالح : تاريخ الجيزة فى العصر الإسلامى، الناشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٩١ م.

أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٧ م .

محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة بدون تاريخ .

تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى (القاهرة ١٩٦٧ م).

الدولة الفاطمية في مصر القاهرة ١٩٧٩ م .

سياسة الفاطميين الخارجية (طبعة دار الفكر العربى ١٩٦٧ م) .

الحركة العلمية في مصر الفاطمية سوهاج ١٩٨٨م.

الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الساهر بقنا، ١٩٩٨ م .

محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية . القاهرة ١٩٦٦ م .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القسم الثانى .

محمد صبرى محسوب : جغرافية الصحارى المصرية ، الصحراء الشرقية ، القاهرة ١٩٩٠ م .

محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .

محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الطولونيون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٤م.

محمد عبده الحجاجى : الاقصر فى العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨م

محمد عزة دروزة : عروبة مصر قبل الإسلام وبعده، القاهرة ١٩٦٣ م.

محمد عوض محمد : السودان الشمالي وسكانه وقبائله (القاهرة ١٩٥١ م)
الشعوب و السلالات الإفريقية ، القاهرة ١٩٦٥ م.

محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠
طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ، بدون تاريخ
أدبنا العربي في عصر الولاة – القاهرة ١٩٦١ م .

محمد مجدي : رحلة مجدي ، المسماة ثمانية يوم بصعيد مصر ١٣٦٠هـ ، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠ م .

محمد محمود أبو زيد: النيل ومصر ، دار الهدايا ١٩٨٧ م .
الريف المصرى في العصر الإسلامي ، دراسة اقتصادية اجتماعية من الفتح
العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ، مكتبة الإيمان ، المنصورة الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٨ م

محمد مصطفى الماحي وآخرون: شعراء مصر منذ الفتح حتى الدولة الفاطمية (القاهرة بدون تاريخ) .

محمود توفيق الحفناوى : مصر والعرب عبر العصور ، دار الفكر العربي ، القاهرة بدون تاريخ .

محمود محمد الحويرى : أسوان في العصور الوسطى ، دار عين ١٩٩٦ م .

مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب في تاريخ الحضارة المصرية
حضارة مصر في العصر القبطي ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة بدون تاريخ

مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م.

مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، بحث فى تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠ م.

مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، بيروت ١٩٦٥ م .

ممدوح عبد الرحمن عبدالرحيم الريطى: دور القبائل العربية فى صعيد مصر منذ الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية وأثارها فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (٢١٣٥٨هـ/٦٤١-٩٦٩م)، مكتبة مدبولى ١٩٩٦م.

نادية بدوى : يوميات باحثة مصرية من حلايب (القاهرة١٩٩٣م).

ناصر الأنصارى : المجمل فى تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية ، دار الشروق ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩م.

نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، القاهرة ١٩٥٦م.

نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ٣ أجزاء، القاهرة .

نعيم زكى فهيم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة ١٩٧٣ م .

هويدا عبدالعظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى ، جزءان الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.

يسرى الجوهرى : السلالات البشرية ، القاهرة ١٩٦٦ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية المترجمة

آدم ميتز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جزءان، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٥٧ م).

استرابون : استرابون فى مصر ، ترجمة من اليونانية د/ وهيب كامل القاهرة ١٩٥٣ م .

بتلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٩٣ م .

برستد : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ترجمة د/ حسين كمال ، القاهرة ١٩٢٩ م .

بل (هـ - ايدرس) : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، تعريب الدكتور عبد اللطيف أحمد على القاهرة ١٩٥٤ م .

بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد اندراوس (القاهرة ١٩٥٩ م).

بيريل سمالى: المؤرخون فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور عبده قاسم (بدون تاريخ) .

جروهمان ادولف : أوراق البرى العربية فى دار الكتب المصرية ، الأجزاء من الأول إلى الرابع ، ترجمة الدكتور / حسن إبراهيم حسن .دار الكتب ١٩٣٦ - ١٩٦٧م، الجزء الخامس، ترجمة وتعليق د/محمد مهدى علام، دار الكتب ١٩٦٨م، الجزء السادس، ترجمة وتعليق الدكتور عبد العزيز الدالى ، دار الكتب ١٩٧٤ م .

دانيل داينيت : الجزية والإسلام، ترجمة فوزى فهيم جاد الله، بيروت ١٩٦٠م.

دى بوايمية (علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر، ترجمة زهير الشايب (القاهرة ١٩٧٦م)

فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى، جزءان ، نقلة إلى العربية محمود فهمى حجازى، فهمى أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ م.

المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ م.

ماكمايكـــــــــــل : دخول العرب فى السودان ، محاضرة ألقاها المستر ماكمايكـل الـسكرتير الملكى لحكومة السودان فى الجمعـية الملكـية الأسـيوية، تعريب منصور على حسيب (القاهرة بدون تاريخ) .

هيـــــــــــردوت : هيـردوت يـتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة ، دار القلم القاهرة ١٩٦٦ م

يـــولس فلهـــوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ م .

خامساً : الدوريـات :

أحمد عزت عبد الكريم: الأرض والفلاح بحث فى كتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور، الجمعية التاريخية المصرية ١٩٧٤ م .

حـسن خضيرى أحمد : * مدينة قفط وتطورها السياسى ، مجلة كلية الأداب بقنا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع ١٩٩٥م
* الدعـوة الـزيدية فى مصر، من (منتصف القرن الثانـى الهجرى الثامن الميلادى) إلى منتصف القرن الـثالث الهجـرى / التاسع الميلادى) مجلة المؤرخ العربى ، المجلد الأول، العدد الرابع مارس ١٩٩٦ .

راضـــى دغفـــوس : مراحل تاريخ الهلالية فى المشرق ، مسار قبائل بنى هـلال وبـن سـليم مـن الحجاز ونجد إلى إفريقيا والمغـرب ، مجلـة المؤرخ العربى ، العدد الحادى عشر ١٩٧٩م.

زكـى محمـد حـسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ، نشر جمعـية محبـى الفن القبطى ، طبعة المعهد العلمى الفرنسى ١٩٣٧ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول الكويت يونيو ١٩٨٠ م .

سيدة اسماعيل كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٤ م .

عبد المنعم سلطان : مصر بين عهدين ، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٧م.

محمد أبو الفرج العش : مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٧١ ، ٩٠٥ - ٩٩٥ .

محمد أحمد محمد : قبائل اليونانية فى ولاية عمرو بن العاص الأولى، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد الثامن لسنه ١٩٨٩ م .

محمد بيومى مهران : دراسة حول العرب وعلاقاتهم بالدولة فى العصور القديمة ، مجلة اللغة العربية، جامع الأمام بالسعودية، العدد السادس لسنه ١٩٧٦ م .

محمد رياض : العبابدة محاضرات ألقيت فى الموسم الثقافى بالجمعية الجغرافية المصرية فى تاريخ ١٩٦١/٤/٢٦ يوسف فضل حسن (دكتور) : المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، بحث بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس ، ١٩٦٧ م .

محمد عبده الحجاجى : عالم وكتاب ، مجلة الأمة ، قطر - العدد السادس عشر ، عام ١٩٨٢ م .

مصطفى محمد مسعد : البجة والعرب فى العصور الوسطى ، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الحادى

والعشرون ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٩ م .
ممدوح عبد الرحمن عبدالرحيم الريطى : الحركة الفكرية فى مدينة قفط فى القرن السابع الهجرى/ الثالث الميلادى ، بحث بمجلة كلية الأداب، جامعة جنوب الوادى ١٩٩٨ م .

سادساً : الرسائل العلمية :

أحمد حسين حسنين النمكى: صحراء مصر الشرقية فى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادى ١٩٩٥ م .

إسماعيل عبد الفتاح محمد: طريق قفط القصير عبر العصور القديمة ، رسالة ماجستير عبر منشورة ، المعهد العالى حضارات الشرق الأدنى ، جامعة الزقازيق ١٩٩٣ م .

أمين عبد الله : دراسة ديموجرافية لمديرية قنا ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٨م.

بدر عبد الرحمن محمد : النشاط التجارى فى العصر الفاطمى الأول، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٧ م .

حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط فى العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧١ م .

رضوان الجنانى : القبائل العربية فى مصر خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .

عبد الباسط محمد حسين: دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٨٤ م .

عبد الرحمن حسب الله الحاج: العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .

عبد العال الشامى : مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٦٥ م .

فوزى حامد عباس : الحالة الاقتصادية فى مصر العليا فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٦ م .

محمد أحمد محمد أحمد: المنيا فى العصر الإسلامي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٧٨ م .

محمد حسن عبد الكريم : التجارة وطرقها فى الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٤ م .

محمد خليل أحمد هميمي: إقليم قوص من الفتح العربى حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الاسلامية ١٩٩٢ م .

محمد محمود أحمد إدريس: الحياة الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .

ممدوح عبد الرحمن الريطى: أسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتورة غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٩٢ م .

نعمة على مرسى : مصر العليا منذ الفتح حتى سقوط الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٨٠ م .

هيام عبد الرحمن سليم : العــوامل الجغــرافية وأثــرها علــى تجارة مصر الخارجية فى العصور الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧٧م .

سابعاً : المراجع الأجنبية :

1- ABD AL-RAHMAN ABD AL-TAWAB : Steles Islamicusde la Necropole d'Assouan, revisionet annotation de Solonge Ory, 3 vol , (The cairo 1977 , 1982 , 1986) .

2- Amelineau : Un Eveque de Qept au viii siecleAsiatique, swptien eserie Tx 17 (1979) .

3- Arkell (a-j) : Ahistory of the sudan from the earliest time to 1821 (London 1955) .

4- Briggs (L .Y) : Tribes of the sahra (London , 1960).

5- Dimitri Meeks Et Autres : Egypt libarre hachette (Paris 1971) .

6-Zaki Mohamed Hassan : Les Tulundies , Etude del's Egypt Musulmane ala findu Ixe Siecle , paris , 1933 .

7- Gacian (J-C) : Un Center musulman de la Hute Egypt Medievale Qus .(Le Cairo 1976).

8-Gaston Wiet : Catalogue general du musse Arab du Cair . Steles Funeraieres . vol ii , (1936) v (1937) ; vii (1940) .

9- Goitein : Documents on the trade to India South Arabia , and east Africa from the

eleventh .

10- Golenischeff: Excursion dans Le Qua'd : Hammamat text ruse Saint , pete'r sbourg 1988 .

11- Goiten : Bankers and account from the eleventh cementury journal of the economic and social the history of the orient vol , Lx part November 1990 .

12- Hardy : Christian Egypt Church sandd people , New Yourk , 1955 .

13- Hassan (Y-F) : The Arabs and the Sudan from the serenth to Early Sixteen the century (Eclinlurg) .

14- H-Gauthier : Dictionnaire des names geographiques contents dans hes textes , T.V .laCair 1928 .

15-Hudud Al Alam: (The Region of the world persain Geography 312 A- 982-AD Translated and explaind by V.minorsky E.JW.Gibb Memor alseriesx; London 1937) .

16- Johnson West : Byzantine in Egypt Economic studies (Prinston 1949).

17- . Littman : Nubatacen in dciptions from Egypt (London , 1960).

18- Munier ; Henri : L'Egyptt Byzantine . (Precised l'hist . d'Egypt . Vol ii ,1932) .

19- . Murray : The Roman roads and stations Eastern desert of Egypt in the Journal of Egyption Archoelogy

20- Notices et extrait Demanuserits Copth, AlBadgia , AlNouba ,Oala Nobie .

21- Quetemere : Memoired geograohiques et Histori quesur L'Egypt E.L (Paris , 1811) .

22- . Saleh , (A.H) : Le Smigrations bedoiunes Egyptou Magen Age . Istituto orintal di Napoli volume 42 (Napoli 1981) .

23- Sauraive : journal Asiatique septienesire T.X.17 .(1879).

24- Stanlylane pool: A History of Egypt in the Middle Ages ,(London , 1910) .

25- T . Atergenza : The Red Sea Mountains of Egypt London , (New Yourk ,1995) .

26- The Coptic Encyclopedia Aziz , S , Atiya New Yourk ,V,7,art(Qift).

27- The Encyclobeadia of Islam .

28- W.M. Finderspetre Koptos (London , 1896) .

الفهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الرابع

تم بحمد الله

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

